

النصوص المسيحية

في العصور الأولى

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد

الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى



النصوص المسيحية

في العصور الأولى

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد

الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى

الترجمة عن اللغة الإنجليزية

الأستاذة آمال فؤاد

المراجعات

مراجعة الترجمة على النسخة الإنجليزية

الدكتورة إيريني ثابت جورج

الأستاذة مريم سعد مينا

مراجعة الترجمة على النص اليوناني

الدكتور جرجس جمال فايز

المراجعة اللغوية وتدقيق النص العربي

الدكتور وجدي رزق غالي

المراجعة العامة والفهرس الموضوعي

الدكتور عماد موريس اسكندر

المقدمة والمراجعة النهائية واللاهوتية

الدكتور جوزيف موريس فلتس

تتقدم دار باناريون بالشكر والامتنان للأباء والأخوة الأحباء
الذين ساهموا في تكلفة إصدار هذا الكتاب

تُصدر دار باناريون للنشر والتوزيع سلسلة

"النصوص المسيحية في العصور الأولى"

من خلال هيئة علمية أكاديمية تحت إشراف

دكتور جوزيف موريس فلتس

الكتاب: القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد
الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى
الترجمة: الأستاذة آمال فؤاد
المراجعة: مجموعة من المراجعين
الناشر: دار باناريون – ٤٧ شارع كليوباترا، ميدان صلاح
الدين مصر الجديدة. ت : ٢٤١٤٣١٠٦ / ٠٢
موبايل : ١٣٥ ٠٥٠ ١١١ ٥ (٠٠٢٠)
الطبعة: الأولى مايو ٢٠١٢م
رقم الإيداع: ٢١٠٢/١١٠٣٥
الترقيم الدولي: 978-977-6363-02-1

إهداء

إلى الإبن يوستين جوزيف موريس فلتس



مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

مقدمة[1]

يمثل القديس[2] يوستينوس، وهو أول من أنشأ مدرسة لاهوتية مسيحية، حضورًا جديدًا ومؤثرًا في الكنيسة. وتتمثل عظمته بالأكثر فى مبادراته عنها في نتائج محاولته وعطائه اللاهوتي. وقد كان هدفه هو إيجاد نوعية جديدة وحقيقية من الفلاسفة، أي الفلاسفة المسيحيون الذين يعبّرون عن وحدة الحقيقة في العالم وبالتالي عن وحدة العالم نفسه. ومع أنه قد سُمي "فليسوفًا" إلا أنه كان شخصًا مختلفًا بالتمام عن الشخص المفكّر أو الباحث الفلسفي. فقد كان ورغب في أن يكون دائمًا معلمًا ومرشدًا في الكنيسة. وبهذه الصفة الأصيلة كان يجب عليه أن يجيب ـ حتى وإن كان بصفة عامة ـ على تحديات عصره والتي تمثلت في ثلاثة محاور هي: اليهودية والهلّينية والغنوسية.

وبالطبع فإن ماضيه الفلسفي قد صبغ كل كتاباته بل وحدد طريقة تفكيره. ومع ذلك نجد أن افتراضاته الفكرية كانت تنبع على الدوام من الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة. وفي نفس الوقت يعتبر ق. يوستينوس هو أول لاهوتي في الكنيسة استشعر أهمية وضرورة الفلسفة اليونانية التى كان قد فهمها بطريقة المدرسة الرواقية.

ومن الجدير بالذكر أن ق. يوستينوس لم يكن فليسوفًا أصيلًا،

---

١ قام د. جوزيف موريس فلتس باعداد هذه المقدمة بالاعتماد على المصادر التالية:

1. Στυλιανός Γ.Παπαδόπουλου, Πατρολογία Α .Ἀθήνα, 1982, p. 233 -244.

2. Johannes Quasten, Patrology, Vol. I, pp. 196 - 219.

٣. دكتور نصحي عبد الشهيد، الآباء المدافعون، نبذة غير منشورة. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

٢ سيتم استخدام الحرف ق. للدلالة على كلمة القديس في كل الكتاب.

ذلك لأنه لم تكن لديه مشكلة فلسفية أصيلة يبحث عن حل لها، كما يتضح ذلك من كتاباته، غير أنه كان يملك عصب التفكير الفلسفي، وقد استخدم هذه الفلسفة كأداة فقط وليس كقاعدة للحق الذى آمن به. وهكذا فإنه لم يحول الحق الإنجيلي إلى فلسفة، كما أنه لم يسئ فهم هذا الحق، لكنه حاول فقط أن يُعبر عنه بلغة عصره متأثرًا بسيرته وحياته الروحية وتحوله من الوثنية إلى المسيحية، ولهذا نلاحظ أنه في معظم حياته تقريبًا كان يشعر بالحاجة إلى الإجابة عن سبب تحوله هذا. لذلك نجده مدافعًا عن حياته الشخصية، أي عن تحوله، الذي اعتمد بشكل أساسي على حقيقة أن نبوءات العهد القديم قد تحققت في شخص الرب يسوع، الأمر الذي أفاض في شرحه في كل كتاباته. ومن ناحية أخرى يمكننا القول إن كتابات ق. يوستينوس لم تكن مجرد فلسفة نظرية، بل ظلت دائمًا فلسفة حياة. فضلًا عن ذلك فقد كانت أقوى مبررات دفاعه عن المسيحية هي في المقام الأول حياة المسيحين أنفسهم وأخلاقياتهم، تلك الحياة التي حاول بشتى الطرق والوسائل أن يظهرها ويحللها بإعجاب يفوق الوصف، الأمر الذي نستطيع لأجله أن نزعم أن ق. يوستينوس كان معلمًا للأخلاق المسيحية أكثر من كونه معلمًا للأمور اللاهوتية، وذلك لأن أفكاره اللاهوتية، بالرغم من أصالتها، إلا أنه كان لها خط يختلف عن التعاليم اللاهوتية لكل من القديسين أغناطيوس وإيرينيؤس حيث إن تعاليم هذين القديسين وجدت قبولًا أكثر في الكنيسة، بل وأصبحت جزءًا من تقليدها الحي، وهذا الأمر قد حدث فقط جزئيًا بالنسبة لتعاليم ق. يوستينوس ولأسباب ليست عسرة الفهم، فالقديس يوستينوس لم ينشأ منذ صغره في أحضان الكنيسة وتقليدها مثلما حدث مع القديسين الآخرين.

وهكذا كان حديث ق. يوستينوس منصبًّا على مواجهة التحديات الثلاث السابق ذكرها والتي واجهت الكنيسة في عصره. ولكن أحد الأمور التي واجهها ق. يوستينوس والذي تمثل في "علاقة بذرة الكلمة بأقنوم الكلمة" وأيضًا في "علاقة المسيحية بالفلسفة"، هذا الأمر لم يحل تمامًا بطريقة مقنعة في كتابات ق. يوستينوس، كما أن تعاليمه اللاهوتية بهذا الشأن لم تصبح هي تعاليم الكنيسة عن هذا الأمر.

ومن الجدير بالذكر أن ق. يوستينوس لم يكن يعلِّم بهذه التعاليم داخل إطار الكنيسة بل في مدرسته الخاصة في روما، والتي كانت تشابه إلى حد كبير المدارس الفلسفية المنتشرة في عصره. فقد كان خطابه موجهًا للمؤمنين وغير المؤمنين في عصر لم تكن فيه العبادات المسيحية قد انتشرت خارج السراديب. وكانت كتاباته ينقصها الحس الليتورجي السرائري، حيث إن النصوص التي سجّلها عن سرّيّ المعمودية والليتورجيا كانت تميل إلى عرض معلومات وتفاصيل أكثر من كونها شرحًا لاهوتيًّا للسِّر نفسه. ومع ذلك كانت هذه الكتابات تعكس حرارة شخص صار مستعدًّا فيما بعد أن يقدِّم نفسه شهيدًا لإيمان الكنيسة.

ونوجه الانتباه هنا إلى أننا عندما نحلل الفكر اللاهوتي للقديس يوستينوس ينبغي أن نتذكر أنه ليس لدينا تصورًا كاملًا وشاملًا لتعليمه عن الإيمان المسيحي لأن نسخ كتاباته اللاهوتية الأصلية مثل "سلطان الله" و"عن الروح"، و"القيامة"، و"ضد كل الهرطقات"، و"ضد ماركيون" قد فُقِدت تمامًا. ولا يمكن للنصوص المتوفرة لدينا أن تعطي صورة جدية أو كاملة عن الفكر اللاهوتي للقديس يوستينوس. ويمكننا القول إنه في كتاباته المفقودة مثل "ضد الهرطقات" كان لديه فرصة أكبر للتنقيب في الأسئلة العقيدية، أما

عندما يدافع عن الإيمان ضد غير المؤمنين (في الدفاعين) فقد كان يسعى إلى أن يوضح بالمقارنة الفرق بين تعليم الكنيسة وتعاليم المفكرين اليونانيين والشعراء لكي يظهر بوضوح أن المسيحية هي الفلسفة الوحيدة الآمنة والنافعة. والنقطة الأخرى التي يجب أيضًا أخذها في الاعتبار عند التعامل مع كتابات ق. يوستينوس أن الشرح اللاهوتي للإيمان في القرن الثاني كان لا يزال في مهده، كما أن التعبيرات اللاهوتية لم تكن قد صيغت بشكل محدد بعد، ولم يكن هو - فيما ذكره من أمور لاهوتية - يعارض فكرًا لاهوتيًّا مستقرًّا من قبل في الكنيسة بل كان يقدِّم محاولة جادة رائدة - وإن كانت غير مكتملة - لشرح الإيمان، وفي هذا تكمن عظمته كما سبق القول. لذا فنحن عندما نقرأ لهذا القديس يجب أن نتعامل مع أفكاره بطريقة تتناسب مع الظروف والملابسات الخاصة بزمنه والتي تختلف عن الطريقة التي يجب أن نتعامل بها مع تعاليم الآباء الذين جاءوا بعده، مثل القديس أثناسيوس والقديس كيرلس. وفي الحقيقة يكون من الخطأ بل والظلم أن نقوم بتقييم الفكر اللاهوتي للقديس يوستينوس على خلفية الفكر اللاهوتي الذي استقر في الكنيسة في القرن الرابع.

ويمكننا القول إن كتابات ق. يوستينوس دارت حول محورين رئيسين:

١. إن الفكر والكلام البشري يمكنهما أن يلامسا الحقيقة، حتى ولو كان هذا يتم بصورة غير كاملة. وهكذا فإن العالم والتاريخ يملكان شيئًا جديرًا يمكنه أن يقود إلى حوار بين الكنيسة ورجال الفكر والعلم. وهذا الأمر يمكن تحقيقه، لأن الحقيقة، تلك التى اكتملت في شخص يسوع المسيح، كانت موجودة على الدوام في العالم في صورة

"بذرة" أو بصورة نسبية. أما المسيح فلأنه هو الحق في ذاته فإنه كان يعمل بكونه هو الحقيقة وبكونه هو "الكلمة" حتى قبل تجسده. لهذا فإن كل من عاشوا قبل مجيء المسيح في الجسد، وبالحري رجال العهد القديم والفلاسفة، لم يكونوا بعيدين عن المسيح. فالحقيقة الكائنة في العالم هي واحدة وهي التى اكتملت في شخص المسيح الإله المتجسد. غير أن معظم فلاسفة الأمم، كانوا قد حرّفوا بذرة الحقيقة، وهكذا فقد خلصوا إلى أنظمة فلسفية خاطئة، ولم يُستثن من ذلك حتى أفلاطون، ذلك الفليسوف اليوناني الذى حظي بمكانة كبيرة عند ق. يوستينوس، وذلك لأنه من الواضح أن ق. يوستينوس الذي لم تكن تنقصه الواقعية، لم يكن مقتنعًا تمامًا بما علّم به أفلاطون عن بذرة الكلمة (أي عن الحقيقة)، ولهذا فقد كان ق. يوستينوس دائمًا ما ينادي ويعلم بأن أي تعليم صحيح في تعاليم الفلاسفة اليونانيين مصدره تعاليم ونصوص العهد القديم. ومع ذلك لم يشرح لنا بالمرة السبب الذي دفع هؤلاء الفلاسفة إلى أن يستعيروا من الأنبياء تعاليمهم، في الوقت الذي كانت فيه بذرة الحقيقة متاحة للجميع. وهكذا لم يجد ق. يوستينوس مخرجًا من هذه المعضلة ولم يضع لها حلًا. ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة قد وجدت مخرجًا خاصة لموقف ق. يوستنوس وبصفة عامة لباقي المدافعين من خلال كتابات ق. ايرينيؤس اللاهوتية وما عبّر عنه في تعليمه عن "انجماع الكل" في المسيح.

٢. إن نبوءات العهد القديم قد تحققت في شخص المسيح الإله المتجسد. ويعتبر هذا الأمر بالنسبة للقديس يوستينوس هو

أقوى دليل على صحة المسيحية وما تمتلكه من حقيقة كاملة. فقد عبّر ناموس موسى عن الحقيقة، ولكنها كانت غير مكتملة، أما الاستعلان الكامل والنهائي لها فقد صار من الله للبشرية في شخص يسوع المسيح. هذه الحقيقة مثلت مركز الثقل في كل حياة وفكر وكتابات ق. يوستينوس، بل كانت القاعدة التي استند عليها في تحوله إلى المسيحية وسببًا ومنطلقًا لكل تفسيراته وتعاليمه اللاهوتية. ويمكننا من خلال قناعاته هذه أن نفهم بالأكثر ما علَّم به عن "وحدة الحقيقة" وعن موقفه من نبوءات العهد القديم، وأن نعلم كيف صار هو أول من بدأ - في إطار الكنيسة - في تفسير العهد القديم باستخدام الطريقة النمطية التى كان يستخدمها اليهود، بالإضافة إلى طريقة المربيين في شرح النصوص. ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن ق. يوستينوس هو أول من بحث عن معنى اسم "المسيح"، وبصفة عامة يمكننا أن نقول إن كتاباته ليست هي بالكتابات المنهجية، بل بالحري كانت ذات توجهات شمولية لإيضاح المسيحية باعتبار أن المسيحية تمثل قمة تاريخ البشرية.

ومن التعاليم اللاهوتية التي يمكن أن نستشفها من الكتابات المؤكدة صحة نسبها للقديس يوستينوس ما يلي:

١. تعليمه عن الله الآب والكلمة: الله لا بداية له، ولذلك "فإنه أب الجميع، غير مولود ليس له اسم، لأن أي اسم يُسمى به الشخص يكون الشخص الذي سماه أكبر منه، وكل التسميات سواء أب، إله، خالق، رب هي ليست أسماء بل ألقاب متخذة من أعماله الصالحة ووظائفه. ولقب "أب" ليس

اسمًا بل هو مغروس في طبيعة البشر عن أمر يصعب جدًّا شرحه" (دفاع ٢ : ٦). أفضل اسم لله هو "أب"، لأنه بسبب كونه الخالق فهو بالحقيقة أب الكل (حوار: ١٢٧). وبما أن الله عالٍ جدًّا وفائق على كل البشر، فمن اللازم عبور الهوة الفاصلة بينه وبين الإنسان. وهذا ما فعله اللوغوس. فاللوغوس هو الوسيط بين الله الآب والعالم. الله يتصل بالعالم بواسطة الكلمة فقط. وهو يعلن نفسه من خلال الكلمة وحده. وهكذا فالكلمة هو الطريق إلى الله وهو معلم الإنسان. وفي الأصل كان الكلمة قوة كائنة في الله، ثم صدر منه وخرج منه وهو نفسه (الكلمة) الذي خلق العالم. ويشرح ق. يوستينوس ولادة الكلمة بتشبيهين في حواره مع تريفون فصل ٦١. التشبيه الأول: "هو كالنار التي لا تنقص عندما تضرم بل تبقى كما هي". التشبيه الثاني: "هو العمل الذي يصدر عن الإنسان دون أن ينقص من جوهر الإنسان، هكذا ولادة اللوغوس الكلمة الإلهي ينبغي أن تُفهم كعملية في داخل الله. وكان تعليم ق. يوستينوس عن الكلمة هو أهم تعاليمه اللاهوتية، لأن الكلمة عنده يشكل جسرًا بين الفلسفة اليونانية والمسيحية. فالقديس يوستينوس يُعلِّم، أنه رغم أن الكلمة الإلهي ظهر بملئه فقط في المسيح، فإن "بذرة اللوغوس" انتشرت وسط كل البشر من قبل مجيء المسيح. لأن كل إنسان يملك في عقله بذرة من اللوغوس. لذلك، فليس فقط أنبياء العهد القديم، بل حتى الفلاسفة الأمميين كان فيهم بذرة من اللوغوس في نفوسهم. ولذلك فهو يقول عنهم إنهم كانوا مسيحيين حقيقيين. ويقول ق. يوستينوس في دفاعه الأول "لقد تعلمنا أن

المسيح هو بكر الخليقة. وقد أعلن أنه هو الكلمة الذي اشترك فيه كل جنس البشر وأن كل من عاش عيشة تتفق مع الكلمة كان مسيحيًا حتى ولو عُرِّفَ بالوثنية كما جرى بين اليونانيين أمثال سقرط وهيراقليطس وغيرهما".

كما قال في دفاعه الثاني ما فحواه إن المسيح كلمة الله ينير العقول البشرية منذ البدء فأخصبت بذورًا منه واهتدت إلى بعض الحقائق. فكل ما قاله الفلاسفة والمشترعون وما اكتشفوه من جميل إنما بلغوا إليه بفضل تأثير جزئي من الكلمة. ولما كانوا لم يعرفوا الكلمة بأكمله فقد أخطأوا أحيانًا وناقض بعضهم بعضًا أحيانًا أخرى.

٢. تعليمه عن العذراء وحواء: يعتبر ق. يوستينوس هو أول الكتاب المسيحيين الذين أقاموا مقارنة بين العذراء مريم وحواء كما فعل الرسول بولس في كلامه عن المسيح وآدم. فقد قال في الفصل المائة من حواره مع تريفون: "لقد صار المسيح إنسانًا بواسطة العذراء ليزهق العصيان الذي انبثق عن الحية بالطريقة نفسها. فحواء العذراء الطاهرة حملت كلمة الحية فولدت عصيانًا وموتًا. أما مريم العذراء فإنها آمنت وابتهجت عندما بشرها الملاك جبرائيل بأن روح الله سيأتي عليها وأن قوة العلي ستظللها، ومن أجل ذلك القدوس المولود منها هو ابن الله. فأجابت ليكن لي كقولك. وبواسطتها وُلِدَ مَن أثبتنا إشارة الأسفار إليه ومَن يسحق الله به الحية والملائكة والبشر الذين هم على شاكلتها".

٣. تعليمه عن الملائكة والشياطين: كان ق. يوستينوس هو أول من تحدث عن الملائكة وعملهم. "والملائكة الأطهار الآخرون اتبعوه ففوض إليهم العناية بالإنسان وكل شيء

تحت السـموات" (دفاع ٢ : ٥) . وجاء في الحوار مع تريفون أن للملائكة الأرواح طبيعة تشبه الإنسان لأنهم يقتاتون في السموات بالمنّ الذي كان يقتاته بنو إسرائيل وأن بعضهم سقط لأنهم اشتهوا نساء العالم فخلقوا الشياطين . وجاء في الدفاع الأول (فصل: ٨) أن هؤلاء سيكون جزاؤهم نارًا أبدية بعد مجيء المسيح، وأن عملهم الآن هو أن يمنعوا اهتداء الناس (١: ٢٦، ٤٥). وقد جاءت فكرة زواج الملائكة من البشر نتيجة التفسير الخاطئ للآية الواردة في سفر التكوين (تك ٦ : ٢ ، ١) "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" وتعود أصول هذه المشكلة نتيجة وجود ترجمة يونانية للكتاب المقدس ظهرت فيها عبارة "ملائكة الله" بدلًا من "أبناء الله". أما العبارة في الأصل العبري فهي "أبناء الله" كما ترد في الفولجاتا اللاتينية أيضًا بمعنى "أبناء الله" ولكنها تأتي في الترجمة القبطية بمعنى "ملائكة الله". وقد أشار لذلك ق. أغسطينوس في كتابه "مدينة الله" رافضًا فكرة زواج الملائكة من البشر، مفسرًا عبارة ملائكة الله بمعنى رسله أو خدامه وهم هنا أبناء شيث. وقد ظهرت فكرة زواج الملائكة في كتب أبوكريفا العهد القديم، ويبدو أن ق. يوستينوس قد تأثر بها نظرًا لنشأته في فلسطين، ويمكننا أن نرى هذا في سفر أخنوخ. أما بالنسبة للشياطين فقد ذكر ق. يوستينوس أنهم أعموا اليهود وحرضوهم على تعذيب الكلمة الذي ظهر بيسوع. وهم يسعون لإحباط إمكانياته بين الوثنيين لأنهم يعلمون أنه سيجد بين هؤلاء معظم أتباعه.

كما جاء أيضًا في الحوار (فصل ٣٠) "إننا ندعو يسوع مُعينًا ومخلصًا لأننا باسمه نطرد الشياطين، وهو الذي صلب على عهد بيلاطس البنطي حاكم اليهودية. وهكذا يتضح للجميع أن الآب قد أعطاه قوة عظيمة، وبحكم هذا تخضع الشياطين لاسمه".

٤. تعليمه عن الخطية الأولى والتأليه: يعلم ق. يوستينوس بأن الإنسان يمكن أن يتأله حسب قصد الله من خلقته، لكن أباؤنا الأولون أخطأوا وجلبوا الموت على أنفسهم. أما الآن فقد استعاد الكل القدرة على أن يصيروا آلهة. فيقول في الحوار (فصل ٢٤) "الله خلق الإنسان على مثاله حيًّا لا يموت حرًّا من المعاناة، واشترط عليه أن يحفظ وصاياه ويثبت أهليته أن يُدعى ابنًا له، ولكن الإنسان فعل فِعل آدم وحواء فجلب الموت على نفسه...(ويضيف ق. يوستينوس) وفسر المزمور الحادي والثمانين كما تشاء فيظل يشهد أن جميع الناس يستحقون أن يكونوا آلهة وأن كلًا منهم سيُدان ويحكم عليه كما حكم على آدم وحواء".

٥. تعليمه عن المعمودية: يقول ق. يوستينوس في آخر دفاعه الأول "وسأذكر كيف نكرس نفوسنا لله بعد التجدد بالمسيح خشية الظهور بمظهر التحيز إذا أغفلنا ذلك. يجمع الذين يقتنعون ويعتقدون أن ما نعلمه ونقوله هو الحق ويأخذون التعهد على أنفسهم السلوك بموجب ذلك ويُعلّمون كيف يصلّون ويبتهلون إلى الله صائمين لمغفرة خطاياهم السابقة. ونحن نصلي ونصوم معهم، ثم نأخذهم إلى مكان فيه ماء ونجددهم بالطريقة نفسها التي تجددنا بها؛ إذ إنهم ينالون الغسل بالماء باسم الله الآب سيد الكون باسم مخلصنا

يسوع المسيح وباسم الروح القدس... إن هذا الغسيل يدعى استنارة، لأن الذين يقبلون هذا التعليم تكون أرواحهم مستنيرة، لأنه باسم الآب ويسوع المسيح الذي صلب أيام بيلاطس بنطس، والروح القدس الذي نطق في الأنبياء بكل تاريخ يسوع، يغتسل المستنير".

٦. تعليمه عن الإفخارستيا: لقد جاءت تعاليم ق. يوستينوس عن الإفخارستيا في دفاعه الأول (فصول ٦٥ ـ ٦٧)، حيث قدم وصفًا للإفخارستيا وأعطى تفاصيلًا عن قداس الأحد. فليتورجية الأحد تبدأ بقراءة مأخوذة من أناجيل قانونية، التي يُسميها هنا صراحة بـ "مذكرات الرسل"، أو من كتب الأنبياء. ويتبع ذلك عظة ذات تطبيق أخلاقي للقراءات. وبعد ذلك يصلي الجمع لكل المسيحيين، ولكل البشر في كل العالم. وفي نهاية الصلاة يتبادل الجمع قبلات السلام. ثم يُحضَر الخبز والخمر للرئيس، فيتلو صلوات التقديس عليها ثم توزع القدسات بواسطة الشمامسة للحاضرين وتحمل لمن هم غائبين. ويؤكد ق. يوستينوس بوضوح أن الإفخارستيا ليست خبزًا أو شرابًا عاديًّا لكنه جسد ودم يسوع المتجسد. وقد قدم ق. يوستينوس وصفًا لأحد القداسات التي تبعت ممارسة طقس معمودية أحد الأشخاص وفيه نجد أن القراءات والعظة غير موجودين. ويبدو أنها قد حُذفت من طقس الإفخارستيا بسبب أنها قد تليت في طقس المعمودية التي سبق القداس. يقول في ذلك الفصل "يُقاد المعمد إلى الإخوة المجتمعين معًا لكي نصلي مشتركين من كل قلوبنا لأجل أنفسنا ولأجل مَن نال الاستنارة وجميع الآخرين في كل مكان ولكي نعتبر بعد أن عَلِمنا الحقيقة وبعد حفظ الوصية

مواطنين لائقين فننال الخلاص. وبعد الانتهاء من الصلوات نحيي بعضنا بعضًا بالقبلة. ثم يُقدم خبز وكأس خمر وماء لرئيس الأخوة فيقبلها. ويأخذ فيشكر ويمجد آب كل شيء بإسم ابنه والروح القدس. ثم يشكر بإسهاب لأننا اعتبرنا لائقين لتناول هذه الأشياء على يده. وعند انتهاء الصلوات والشكر يوافق جميع الحاضرين بالقول آمين. وهذه الكلمة آمين تعني بالآرامية فليكن كذلك. وبعد انتهاء الرئيس من الاحتفال بالإفخارستيا وبعد أن يوافق الشعب يقدم أولئك الذين ندعوهم شمامسة بعض خبز الإفخارستيا والخمر والماء لمن يكون حاضرًا ويحملون بعضه للغائبين. وهذا الغذاء ندعوه الإفخارستيا. ولا يتناوله إلا الذين يؤمنون بصحة ما نعلم به، الذين قد اغتسلوا لمغفرة خطاياهم وتجددوا وسلكوا بموجب وصايا المسيح. فإننا لا نتناول هذا الغذاء كخبز عادي وشراب عادي بل كجسد ودم يسوع الذي صار جسدًا لأجل خلاصنا. فإن الرسل أعلنوا في مذكراتهم التي تُدعى أناجيل أنهم أُمِروا أن يفعلوا كما يلي: أن يسوع أخذ خبزًا وشكر وقال افعلوا هذا لذكري هذا هو جسدي وكذلك شكر وقال هذا هو دمي وأعطاه لهم وحدهم". أما عن وصفه لقداس الأحد فهو اليوم الذي يجتمع فيه المسيحيون بانتظام. ويؤكد أنه يوم مقدس لأن الله قد خلق فيه العالم، وأنه فيه أيضًا قد قام المسيح من الأموات. ويصف قداس الأحد بقوله: "ويجتمع في يوم الأحد كل الذين يسكنون المدن والقرى في مكان واحد فتقرأ مذكرات الرسل وأسفار الأنبياء بقدر ما يسمح به الوقت. ثم يختم القارئ قراءاته ويعلم الرئيس شفاهًا فيحثنا على تطبيق هذه الأمور الجيدة.

ثـم نقـف جميعًا ونرفـع الصلوات. وعنـد الانتهـاء منها يُقدم الخبـز والخمـر والمـاء كما سـبق وذكرنا ويبتهـل الرئيس ويقدم الشكر حسـب طاقته ويوافق الشعب بالقول آمين. ثم يجـري التوزيع فيشـترك كل واحـد في الإفخارسـتيا وينقل الشمامسـة بعضـه للغائبـين. والأغنياء الذين يحبـون العطاء يقدمون بحسب ما يريدون. ثم يودع المال المجموع عند الرئيس ليوزع على اليتامى والأرامل والمحتاجين سواء بسبب المرض أو لأي سـبب آخر، وكذلك على السـجناء والغرباء وبالإجمال على كل من يحتاج المسـاعدة. ونجتمع في يوم الأحد لأنه هو اليوم الذي غيّر فيه الظلام والمادة وصنع العالم ولأنه هو اليوم الـذي فيه قام يسـوع المسـيح مخلصنا من المـوت" . وكان ق. يوستينوس ينظر للإفخارستيا على أنها ذبيحة، حيث يذكر في حواره مع تريفون اليهودي (فصل ٤١): "ليسـت لي مسـرة بكـم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة مـن أيديكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي يتمجد بيت الأمم، وفي كل مـكان يقرب لأسمي بخور وتقدمـة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمـم يقول الرب ولكنكم تنجسـونه. إذن فهو يتكلم عن أولئك الأمم الذين هم نحن، الذين نقدم له ذبائح في كل مكان وأعني بها الإفخارستيا وكأس الإفخارستيا" . ولكن ق. يوسـتينوس كان يرفـض الذبائح الحيوانيـة التي يقدمها اليهود (الحوار: ١١٧، دفاع ١: ١٣).

٧. تعاليمه الإسـخاتولوجية: يشترك ق. يوستينوس مع آخرين من المسـيحيين في عصره في الإيمان بالألف سنة الحرفية فيقول: "ولكـني أنـا وآخرين مـن المسـيحيين المسـتقيمين في كل الأمور متأكدون أنه سـتكون قيامة للأموات وألف سـنة في

أورشليم التي ستصير حينئذ مبنية متسعة ومزينة". ولكنه يشعر أنه ملتزم بأن يعترف بأن ليس كل المسيحيين يعتقدون بهذا الرأي عن الألف سنة، فيقول: "أقول لك إن كثيرين من الذين يعتنقون الإيمان المسيحي النقي، إيمان التقوى وهم مسيحيون حقيقيون لا يتفقون معنا في هذا الاعتقاد بل يفكرون بطريقة مختلفة عنا" (الحوار: ٨٠). أما بالنسبة لأرواح المنتقلين، فيرى ق. يوستينوس أنها تمضي إلى الهاوية أولًا وتنتظر فيها إلى نهاية العالم، فيما عدا أرواح الشهداء، فهي تُستقبل في السماء مباشرةً بعد إنتقالها. وأن أرواح الأبرار منفصلة عن أرواح الأشرار في الهاوية. أرواح الصالحين تهلل؛ إذ تنتظر خلاصها الأبدي، بينما أرواح الأشرار تكون في شقاء وتعاسة؛ إذ تنتظر قصاصها المتوقع. (حوار ٥: ٨٠)

وفي النهاية نستطيع أن نقول إن الفهم المنهجي لشخصية وكتابات هذا المعلّم العظيم والشهيد والمدافع عن الكنيسة ليس بالأمر السهل، وذلك لأنه كان شخصًا بسيطًا حارًّا بالروح، والباحث في كتاباته يواجَه بالكثير من المشاكل لأن ق. يوستينوس كان يُقدم على إبداء آراء واستخدام تعبيرات لم يسبقه أحد إليها. وإذا كانت بعض تعاليمه اللاهوتية لم تُعد ضمن تقليد الكنيسة، غير أن الكنيسة لم تجد صعوبة في فهم موقفه بل وتكريمه، لأن ق. يوستينوس المعلِّم والذي لم يكن يحمل أي رتبة كهنوتية، صار شهيدًا لإيمان الكنيسة، ولأنه كان أول من حاول - حتى وإن لم ينجح بشكل كامل - بصورة جادة وبجرأة وإصرار أن يضع الحقيقة المسيحية في مقابل الفكر الفلسفي ولا سيما الفكر الأفلاطوني.

ومـن هـذا المنطلق قـامـت بـانـاريـون بـترجمـة ونـشـر كـتـابـات ق. يوستينوس ضمن سلسلة:

"النصوص المسيحية في العصور الأولى"

وهـذا الـكـتـاب هـو ترجمة عربية عن الإنجليزية من سلسلة آباء الكنيسة التي تصدر عن مطبعة الجامعة الكاثوليكية بأمريكا، المجلد السادس:

Saint Justin Martyr, The Fathers of the Church: A New Translation (Patristic series), CUA Press Publications, Vol. 6. Translated by Thomas B. Falls.

وقد تمت إضافة الفصل الأخير مترجمًا عن الإنجليزية من مجموعة آباء ما قبل نيقية، المجلد الأول:

The Apostolic Fathers with Justin Martyr and Irenaeus, Ante Nicene Fathers, Vol. I, Editor: Schaff, Philip.

كما تمت مراجعة الترجمة وضبطها على الأصل اليوناني ثم إضافة المقدمة والحواشي والفهارس.

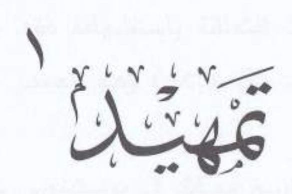
نسأل الله أن يبارك في هذا العمل

وللثالوث القدوس المجد والإكرام والسجود الآن وإلى الأبد آمين.

الناشر

١٧ بشنس ١٧٢٨ ش - ٢٥ مايو ٢٠١٢م

نياحة القديس إبيفانيوس أسقف قبرص



[١] هذا التمهيد هو مقدمة النسخة الإنجليزية

يُعتَبر القديس يوستينوس الشهيد أبرز مدافع عن الإيمان في القرن الثاني الميلادي فبينما وجَّه الآباء الرسوليون[1] مثل ق. كليمندس الروماني وق. إغناطيوس الأنطاكي وق. بوليكاربوس خطاباتهم ووصاياهم إلى جماعات وأفراد من داخل العالم المسيحي فإن ق. يوستينوس يُعتَبر أول مدافع بارز عن الإيمان المسيحي ضد غير المسيحيين وأعداء الكنيسة.

وتُعَد كتابات القديس يوستينوس هي المصدر الرئيس للمعلومات التاريخية القليلة غير المؤكدة المعروفة لنا عن حياته. وهذه الكتابات هي الدفاعان الأول والثاني والحوار مع تريفون. فقد سجل في الفصول الثمانية الأولى من هذا الحوار الظروف التي أدت به إلى اعتناق المسيحية. أما الأحداث المتعلقة باستشهاده فقد وردت في كتاب (Acta. SS. Justini et Sociorum) وهو مصدر موثوق يرجع إلى أواخر القرن الثاني.

ويحدد المؤرخون تاريخ ميلاد ق. يوستينوس في بدايات القرن الثاني الميلادي (بين أعوام ١٠٠- ١١٠م) في مدينة فلافيا نيابوليس[2] (Flavia Neapolis) (الآن نابلس) في السامرة. ومع أن القديس إبيفانيوس[3] يدعوه سامريًا وهو نفسه يدعو شعبه سامريين[4] إلَّا أنه لم يكن يهوديًّا، لا من جهة الأصل ولا من جهة الديانة[5]. فقد كانت عائلته وثنية تنتمي إلى أصول يونانية رومانية[6] وكانوا قد استوطنوا

---

[1] إن تعبير "الآباء الرسوليون" هو اسم جمعي تم استخدامه منذ القرن السابع عشر وهو يشير إلى مجموعة من الكتاب المسيحيين كانوا أو يُعتقد أنهم كانوا تلاميذًا للرسل انظر:
K. Bihlmeyer, *Die Apostolischen Väter* (Tübingen, 1924) VIIf.

[2] انظر الدفاع الأول فصل ١. وقد دعيت فلافيا تكريمًا لفلافيوس فسبسيان الذي بنى هذه المدينة على أطلال شكيم التي كانت عاصمة السامرة.

[3] Cf. *Adversus Haereses* 46.

[4] انظر الحوار مع تريفون، فصل ١٢٠.

[5] طبقًا لما جاء في الحوار مع تريفون فصل ٢٧، نجد أنه لم يكن مختتنًا.

[6] يقول كايريه (F. Cayré) في *Patrologie et Histoire de Théologie* (الطبعة

في فلافيا نيابوليس خلال عهد الإمبراطور تيطس (٧٩ - ٨١ م) ابن فلافيوس فسبسيان (٦٩ - ٧٩ م) الذي بنى هذه المدينة ومنح سكانها مزايا الجنسية الرومانية.

ويبدو أن والدي ق. يوستينوس كانا ميسوري الحال، فقد تمكنا من إعطاء ابنهما قسطًا وافرًا من التعليم وفقًا للثقافة الوثنية السائدة في ذلك الزمان. وكان الشاب يوستينوس متوقد الذكاء كما كان يتميز بحب استطلاع فطري وتعطش شديد للعلم والمعرفة. وقد حاول أن يزيد من معرفته عن طريق أسفاره الكثيرة، وكان يتردد على المدارس الفلسفية الرواقية والمشائية والفيثاغورية[٧] والأفلاطونية مدفوعًا برغبة داخلية ونزعة عميقة للفلسفة[٨]. وبدأ ق. يوستينوس رحلة البحث عن الحقيقة وطموحه الوحيد والأعظم هو معرفة الله الكاملة. وإذ لم يقنع بالفلسفات الرواقية والمشائية، وجد السلام ولو مؤقتًا في الفلسفة الأفلاطونية، وفي هذا يقول: "لقد غمرني إدراك كل ما هو روحي كما جعلت نظرية الأفكار عند أفلاطون ذهني يحلق حتى إنني تخيلت بعد وقت قصير أنني قد صرت حكيمًا؛ بل وقد

الثالثة - باريس ١٩٣٨) فصل ١١٠ إنه من الأرجح أن ق. يوستينوس كان من أصول رومانية فقط أما B. Altaner فيقول في *Patrologia* (روما ١٩٦٤) فصل ٦٩ إنه كان يونانيًا إلا أن اسم أبيه اللاتيني واسم جده اليوناني يدلان على أصل مختلط. انظر:
Smith and Wace, Dict. of Christ. Bio.

[٧] لم يهتم ق. يوستينوس بعلوم أخرى غير فلسفية ولمّا كانت المعرفة الشاملة بالموسيقى والفلك والهندسة مطلوبة كخطوة أوليّة للالتحاق بالمدرسة الفيثاغورية فقد دفع هذا بيوستينوس - بالإضافة إلى بعض الأسباب الشخصية - إلى أن يترك تلك المدرسة بعد فترة قصيرة

[٨] يقول ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون الفصل الثاني: "إن الفلسفة هي حقًا أعظم ما يمتلكه المرء. إنها ثمينة في نظر الله فهي وحدها تقودنا إليه وتوحدنا به. إن هؤلاء الذين كرسوا نفوسهم للفلسفة هم بالفعل أناس قديسون". إن الفلسفة عند ق. يوستينوس تشتمل كل من البحث عن الحقيقة والحقيقة نفسها التي هي الله ذاته لأن "الله هو الكائن الذي له دومًا نفس الطبيعة بنفس الطريقة وهو سبب وجود كل الموجودات الأخرى ... إذن الفلسفة وحدها هي التي تؤدي إلى السعادة"

بلغت من الحماقة أنني توقعت أنني سأحدِّق إلى الله مباشرة[٩]."

وذات يوم، عندما كان يوستينوس في مثل هذه الحالة الذهنية كان يرغب في الانفراد بنفسه تمامًا للتأمل، فذهب إلى مكان منعزل بجانب شاطئ البحر وهناك تقابل مع "شيخ وقور تتسم طلعته بالمهابة والوداعة" وقد لاحظ انشغال يوستينوس في التفكير[١٠]. وعندما قال له يوستينوس إنه يحاول تكوين فكرة كاملة عن الله وإنه معجب بتفوق الفلسفة الأفلاطونية، أجابه الرجل الغريب: "منذ زمن بعيد، قديمًا قبل هؤلاء الفلاسفة المعروفين عاش رجال مباركون ومستقيمون ومحبوبون من الله. هؤلاء الرجال تكلموا بوحي من الروح القدس وتنبأوا عن أحداث سوف تحدث في المستقبل، وهذه الأحداث تتحقق الآن. ونحن ندعو هؤلاء الرجال أنبياء، ولا تزال كتاباتهم باقية حتى الآن. وكل من يقرأ لهم بإيمان صحيح يأخذ منفعة كبيرة وينال معرفة عن أصل الأشياء ونهايتها وعن أي موضوع آخر ينبغي على الفيلسوف أن يعرفه. ولذلك قبل كل شيء عليك أن تتضرع إلى الله لكي يفتح لك أبواب النور، لأنه لا أحد يستطيع أن يدرك أو يفهم هذه الحقائق ما لم ينَل استنارة من الله ومسيحه." وبعد انصراف الرجل الوقور يقول ق. يوستينوس: "اشتعلت نفسي فيَّ على الفور، وتملكني شعور بالشغف نحو الأنبياء وكل من هم أصدقاء للمسيح. وبينما أنا أتفكَّر في كلامه، اكتشفت أن فلسفته هي الفلسفة الوحيدة الأكيدة والمفيدة[١١]."

و يروي لنا ق. يوستينوس سببًا عمليًا آخر لاعتناقه المسيحية هو أنه ومنذ بعض الوقت كان يلاحظ بإعجاب ثبات وشجاعة المسيحيين في مواجهة العقوبات الشديدة والموت؛ إذ يكتب قائلًا: "حينما سمعت

[٩] الحوار مع تريفون، فصل ٢.
[١٠] الحوار مع تريفون، فصل ٣.
[١١] الحوار مع تريفون، فصل ٧.

كيف يُفتَرى على المسيحيين ورأيتهم يقفون بغير خوف أمام الموت، أدركت أن هؤلاء لا يمكن أن يحيوا حياة الخطية والشهوة[١٢]."

وصار يوستينوس مسيحيًا في حوالى عام ١٣٠م[١٣] على الأرجح في مدينة أفسس[١٤] كما يعتقد راوشن[١٥] (G. Rauschen) وغيره. ومنذ ذلك الوقت كرَّس ق. يوستينوس حياته وكل طاقته للدفاع عن الإيمان المسيحي ونشره في كل مكان.

ولا نعرف إلا القليل من الأحداث التي مرَّ بها في حياته بعد المعمودية، ومن هذا القليل أنه تقابل مع رجل يهودي يُدعى تريفون[١٦] (Trypho) في مدينة أفسس وذلك أثناء الثورة اليهودية ضد الغزاة الرومان فيما بين أعوام ١٣٢ - ١٣٥م؛ وقد دارت بينهما مناظرة حول مميزات كل من اليهودية والمسيحية. ويخبرنا كل من يوسابيوس وق. جيروم أن ق. يوستينوس بعد أن اعتنق المسيحية استمر في إرتداء رداء الفلاسفة[١٧] ويصفه القديس إبيفانيوس بأنه "ناسك عظيم عاش حياة الزهد والقداسة". ومن المؤكَّد، أنه لم يصِر كاهنًا، وهذا حسب

---

[١٢] الدفاع الثاني، فصل ١٢.

[١٣] وفقًا ليوسابيوس في *Historia Ecclesiastica* 4.8 أن ذلك كان بعد عام ١٢٨م، في حين يعتقد آخرون مثل ماران أن اعتناقه للمسيحية كان في عام ١٣٧، وشاركه باتلر نفس الرأي في كتابه "*The Lives of the Primitive Fathers, Martyrs,...*" في الجزء الخاص بالقديس يوستينوس في قراءة يوم ١ يونية.

[١٤] يعتقد كيف Cave أنه قد اعتنق المسيحية في نابلس ويرى ماران أن ذلك كان في الأسكندرية، أما كايريه فيعتقد أن الاحتمال الأكبر أنه قد حدث في قيصرية.

[15] Foreward to *Frühchristliche Apologeten* (Bibl. d. Kirchenväter, 1913)

[١٦] الحوار مع تريفون، فصل ٣. كان تريفون من أشهر العبرانيين في ذلك الوقت، وهذا وفقًا ليوسابيوس في (*Historia Ecclesiastica* 4.18.6) وجيروم في (*De viris illust.* 23). ولكن هناك بعض المؤرخين الآخرين مثل باردنهيوَر في كتابه (*Geschichte der altkirchlichen Literatur* 1913 - I2 229) يشككون في الوجود التاريخي لتريفون. ويوجد احتمال أن يكون تريفون هو نفسه الراباي المشهور تارفون (Tarphon). انظر Th. Zhan "Dichtung und Wahrheits in Justins Dialog mit dem Juden Tryphon" – Zeitschrift für Kirchengeschichte 8 (1885 – 1886) 37 – 66

[١٧] هذا نفس ما كان يفعله أرستيدس الأثيني بعدما أصبح مسيحيًا، وأيضًا ياراكلاس حتى بعدما أصبح أسقفًا للإسكندرية.

اعتقاد تيلمونت (Tillemont) ودوم ماران[18] (Dom Maran) وأما كونه شمّاسًا[19] فإن هذا هو مجرد تخمين، غير أن غالبية المؤرخين يتفقون مع سيلييه (Ceillier) في أن ق. يوستينوس ظل علمانيًّا يتجول في ثياب فيلسوف متحدثًا مع أناس من كل الأشكال مطبقًا ما قاله لتريفون: "أنا الآن [بعد أن صرت مسيحيًّا] فيلسوف وأمنيتي أن يشعر الكل بنفس بمشاعري ولا يزدرون قط بكلام المخلِّص لأن فيه جلال عظيم يبث الخوف داخل نفوس الذين حادوا عن طريق البر ولكنه أيضًا يبقى عزاءً أبديًّا لهؤلاء الذين يهتمون به ولذلك، إذا كنتَ تهتم بم فيه خيرك وخلاص نفسك وإذا كنت تؤمن بالله ـ لأني أعلم أنك لست بغريب عن هذا الأمر ـ فقد تتاح لك الفرصة أن تصل إلى معرفة مسيح الرب، وبعد أن تصير مسيحيًّا أن تستمتع بحياة سعيدة[20]".

وذهب ق. يوستينوس إلى روما بعد اعتناقه المسيحية ببعض الوقت[21] ومكث هناك فترة من الزمن. وقد أنشأ مدرسة للفلسفة، وكان تاتيان (Tatian) من أبرز تلاميذه، وكان كلما أتيحت له الفرصة دخل في مناقشات فكرية ومجادلات دفاعية بحُرية وشجاعة. وقد سُجِّلَت إحدى هذه المناقشات مع كريسكنس الكلبي (Crescens the Cynic) "المحب للآراء الباطلة وليس للحكمة"[22] والذي استخف بعبارة سقراط[23] الجديرة بالثناء: "لا ينبغي إكرام إنسان أكثر من الحق". وعلى الرغم من أن ق. يوستينوس قد فضح جهل كريسكنس التام بتعاليم المسيحية في مناظرة عامة معلنًا: "إنني أتوقع أن أكون ضحية لمؤامرة وأن أُعدم حرقًا ... ربما بواسطة

[18] Migne, *P.G.* 6.113f.

[19] A. Butler, *loc. cit.*

[20] الحوار مع تريفون، فصل ٨.

[21] Cf. Eusebius, *Historia ecclesiastica* 4.11.

[22] الدفاع الثاني، فصل ٣.

[23] Cf. Plato, *Republic* 10.595C.

كريسكنس المحب للمظاهر والتفاخر"[٢٤] وعلى الرغم من قول تاتيان "إن كريسكنس الذي اتخذ روما مأوى له والذي يدَّعي أنه لا يخاف الموت، قد أثبت خوفه من الموت بتآمره للقضاء على حياة يوستينوس وحياتي كما لو كان الموت شرًّا[٢٥]" إلّا أنه ليس من المؤكد أن كريسكنس كان المحرِّض[٢٦] المباشر لإعدام ق. يوستينوس. وفي كتاب أعمال القديس يوستينوس (*Acta Sancti Justini*) لا توجد إشارة لكريسكنس أو لأي شخص آخر، في حين أنه يوجد بيان مفصل عن التحقيق مع ق. يوستينوس والحكم عليه على يد روستيكوس (Rusticus) والي روما. وربما تحدى ق. يوستينوس السلطة الحاكمة بإصرار لا يعرف الحلول الوسطى، لافترائها على حياة وسلوك المسيحيين الأبرار وذلك بالاحتجاج علنًا على محاكمتهم، مما أدى إلى قطع رأسه حوالي سنة ١٦٥ م .

وطبقًا لكتاب أعمال ق. يوستينوس[٢٧] ، فقد أصدر روستيكوس حكمًا بالموت على ستة شهداء آخرين[٢٨] مع ق. يوستينوس: "لندع الذين رفضوا تقديم الذبائح للآلهة وإطاعة أمر الإمبراطور يُعذَّبون بقطع رؤوسهم طبقًا للقانون[٢٩]" ولكن بالنسبة للقديس يوستينوس[٣٠] ورفاقه لم يعد الموت يمثل أية عقوبة بل أصبحت ساعة الموت ساعة مجد لهم وساعة نصرة للإيمان المسيحي.

وهناك العديد من كتابات القديس يوستينوس التي كتبها خلال حياته الحافلة بالنشاط لم تصل إلينا كما هو الحال

---

[٢٤] الدفاع الثاني، فصل ٣.

[25] Oratio 32; cf. Eusebius *Historia Ecclesiastica* 4.16.

[26] Cf. F. Cayré *loc. cit.* 112.

[27] *Acta* 5.

[28] Chariton, Charito, Euelpistus, Hierax, Paeon, Liberanius

[٢٩] في ذلك الحين كان ق. يوستينوس في روما للمرة الثانية. انظر *Acta.* 2

[٣٠] افتخر ق. يوستينوس في دفاعه الأول، فصل ٢ قائلًا : "قد يمكنك أن تقتلنا [أي المسيحيين] ولكنك لا تستطيع أن تؤذينا"

بالنسبة للكثير من الكتاب الآخرين في العصور المسيحية الأولى. ومن أهم هذه الكتابات التي اندثرت كتاب (*Syntagma against all the heresies*) الذي أشار ق. يوستينوس نفسه إليه[٣١] وربما كان مقال ق. يوستينوس "ضد ماركيون" الذي اقتبس منه القديس إيرينيئوس[٣٢] جزءًا من هذا الكتاب. أما أعمال ق. يوستينوس الموثوق منها[٣٣] والتي حفظت لنا حتى الآن فهي "الدفاعان الأول والثاني" و"الحوار مع تريفون".

وينسب يوسابيوس (٢٦٥ - ٣٤٠م) ليوستينوس في كتابه "التاريخ الكنسي"[٣٤] الكتب التالية: "خطاب إلى اليونانيين"؛ "تحذير لليونانيين"؛ "عن المُلك الإلهي"؛ "كاتب المزامير" وأيضًا "عن الروح". وفي حين أن آخر كتابين قد ثبت ضياعهما[٣٥] ، إلَّا أن النقاد يرجعون الثلاثة كتب الأولى إلى نهاية القرن الثاني الميلادي أو بداية القرن الثالث الميلادي.

وبالإضافة إلى الأعمال الخمسة السابقة يضع ماران (Maran)[٣٦] وأيضًا أوتو (J.C. Th. von Otto)[٣٧] الأعمال التالية المزيفة ضمن كتابات ق. يوستينوس وهي: "عرض للإيمان الحقيقي"؛ "الرسالة

---

[٣١] الدفاع الأول فصل ٢٦.

[32] *Adversus haereses* 4.6.2.

[٣٣] يرى راوشن *loc. Cit.* 4 وكايريه *loc. Cit.* 112 وآخرون أن الشذرات المُسمَّاة "عن القيامة" هي أيضًا من كتابات ق. يوستينوس، أما الرسالة إلى ديوجنيتس والتي كانت تنسب إلى ق. يوستينوس حتى القرن السابع عشر فإنها ليست من كتاباته، و الآن يعتبر هذا الرأي من الحقائق المؤكدة.

[34] 4.1.8

[35] Cf. Bardy *D.T.C.* 8. 2238 ff

[36] *S.P.N. Justini Philosophi et martyris opera quae extant omnia* (Paris 1742) , reprinted in J.P. Migne, *Patrologia Graeca* 6

[37] *Corpus Apologetarum Christianorum saeculi secundi* (Jena 1877) I 23

إلى زينا وسيرينيوس"[٣٨]؛ "دحض بعض مبادئ أرسطو"؛ "إجابات للأرثوذكس"؛ "أسئلة مسيحية للأمم" و"أسئلة للأمم". ولكن يرى المؤرخون أن هذه الكتابات لم تكن بقلم ق. يوستينوس، وقد نسبها الدارسون لغيره من الكتاب[٣٩] من عصور لاحقة. ولم تتضمن الطبعة الأولى لأعمال ق. يوستينوس باليونانية للناشر (R. Stephanus)[٤٠] وكذلك الطبعة الأولى باللغة اللاتينية والتي اشتملت على تعليقات لـ (Joach Perionius) وشارك فيها (Jac. Dupuys)[٤١] الأعمال التالية: "خطاب إلى اليونانيين" و "كاتب المزامير" و "عن الروح". وبالإضافة إلى المجموعات السابق ذكرها فقد صدرت لاحقًا طبعات نقدية لبعض الأعمال كل على حدة.

وستظل كتابات ق. يوستينوس المُعتَمَدة على الدوام كنزًا من كنوز الأدب المسيحي[٤٢]. ومع هذا فيمكن لهذه الكتابات أن تتعرض إلى النقد، وذلك من الناحية الأدبية البحتة[٤٣]، لأن ق. يوستينوس لم يتمسك بالتسلسل المنطقي للأفكار، بل كان يحيد عن الموضوع[٤٤] ويركز أحيانًا على النقاط الأقل أهمية مبتعدًا بذلك عن الموضوع الأصلي. أما أسلوبه في الكتابة فكان يتسم بالبساطة في التعبير وعمق المشاعر وحب الحق والبر والتي كانت سمات مميزة له.

---

[٣٨] يرى باتيفول (Batiffol) أن هذه الرسالة كتبها سيسينيوس (Sissinius) الذي كان أسقفًا في القسطنطينية تابعًا للنوفاتيين حوالى عام ٤٠٠ ميلادية، انظر: *Revue Biblique* 5 (1896) 114 ff

[٣٩] ينسب هارناك هذه الأعمال الخمسة إلى ديودور الطرسوسي. ويعتقد فانك (F. X. Funk) أن "شرح الإيمان الحقيقي" تمت كتابته في القرن الخامس وينسب "إجابات للأرثوذكس" إلى ثيؤدوريت أسقف قورش، انظر: J. Tixeront, *Patrology* (1920) 40

[٤٠] باريس ١٥٥١.

[٤١] باريس ١٥٥٤.

[42] Cf. G. Rauschen , *loc. Cit.* 9.

[43] Cf. Otto *loc., cit.*, 1. Ixiv.

[٤٤] انظر الحوار مع تريفون، فصول: ٣٠-٤٠ و ٦٣-٦٦ و ٧٩-٨٣ وأيضًا الدفاع الأول، فصول: ٢٧-٢٩ و ٤٣-٤٤ والدفاع الثاني، فصول: ٣-٩.

وبالنسبة ليوستينوس "فإن المنطق السليم يطالب الإنسان المحب للحق أن يختار بكل وسيلة ممكنة أن يفعل ويقول ما هو حق حتى لو كان في ذلك تهديد لحياته، بدلًا من أن ينقذ حياته"[٤٥]. ولذلك يعتبره المؤرخون أصدق شاهد على أحداث عصره، فقد ألقى ق. يوستينوس الضوء في كتاباته بموضوعية وحماسة على علاقة المسيحيين بغير المسيحيين، وعبادة أتباع المسيح الأولين، وعلى حياتهم المشتركة واضطهاد سلطات الدولة لهم بلا سبب وبطريقة متحيزة، وأيضًا على عذاباتهم وبطولاتهم.

ومن الناحية اللاهوتية أيضًا تُعتَبر كتابات ق. يوستينوس ذات قيمة عظيمة[٤٦]، وإن كان استخدامه للكلمات غير المألوفة[٤٧] والمصطلحات المنقوصة قد أدى أحيانًا إلى عبارات غير صحيحة تمامًا، إلا أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن ق. يوستينوس كتب في زمان لم تكن فيه العبارات والمصطلحات اللاهوتية عمومًا قد تم تحديدها بدقة. وبطبيعة الحال كان ق. يوستينوس مثله مثل المدافعين الآخرين في القرن الثاني الميلادي متأثرًا بدرجة كبيرة بالفلسفة اليونانية ومعتمدًا عليها[٤٨]. وفي الواقع لم يكن هو فقط الكاتب المسيحي الأول الذي طبق الأنماط والعبارات الفلسفية على الفكر المسيحي بل كان هو أيضًا أول من حاول التوفيق بين الإيمان والعقل مخضعًا العقل للإيمان ومتفاديًا بذلك الوقوع في فخاخ الغنوسية. وإذ جمع ق. يوستينوس بين عالم الأفكار لأفلاطون، ومفهوم الكلمة في الكتاب

---

[٤٥] الدفاع الأول، فصل ٢.

[٤٦] يتفق كل من كايريه *loc. cit.* 115 و لاجرانج (M. J. Lagrange) في كتابه "القديس يوستينوس" (باريس ١٩١٤) أن ق. يوستينوس يستحق بالفعل لقب "معلم العقيدة".

[47] Cf. Otto, *loc. cit.*

[٤٨] انظر Photius, *Bibliothica* cod. 125 "إنه رجل قد صعد إلى أعلى قمم الفلسفة اليونانية والأجنبية فهو يفيض بالكثير من العلم وكنوز المعرفة" وقد دعاه الكُتَّاب المسيحيون الأوائل "القديس يوستينوس الشهيد والفيلسوف" (مثل أناسطاسيوس) أو "القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد" (مثل يوحنا الدمشقي).

المقدس، صار هو مبتكر الشرح الفلسفي[٤٩] للوغوس[٥٠]. وفي حين أن البعض مثل أوريجينوس[٥١] لم يقدِّر مميزات هذا الإنجاز العظيم إلا أن ق. أوغسطينوس تتبع الأنماط الرئيسة عند ق. يوستينوس هذه التي ساعدت القديس توما الأكويني في كتابة مؤلفه (*Summa Theologica*). ولهذا لا يجب أن ننسى[٥٢] الرائد (يوستينوس الشهيد) "الذي في فضائله (وبطولته) لم يكن بعيدًا في مكانته عن الرسل[٥٣]".

---

[٤٩] انظر: F. Cayré, *loc. cit.* 115 ff عن تطور مفهوم اللوغوس في الفلسفة.

[٥٠] انظر الدفاع الأول، فصل ٤٦ "لقد تعلمنا أن المسيح هو بكر الله ولقد شرحنا قبلًا أنه هو الحكمة (لوغوس Logos) الذي فيه يشترك كل البشر. والذين عاشوا بالحكمة هم بالحقيقة مسيحيون".

[51] Cf. F. Cayré, *loc. cit.* 119.

[52] M. J. Lagrange, *loc. cit.* 156.

[53] Phoyius, *Bibliotheca* cod. 234.

مراجع مختارة

B. Altaner, *Patrologia* (Roma, 1940).
B. Aubé, *Saint Justin, philosophe et martyr* (Paris, 1861).
O. Bardenhewer, *Geschichte der altkirchlichen Literatur* (Freiburg i.B. 1913) I[2].
G. Bardy [Saitnt] Justin, *Dict. Theol. Cath.* 8.2238ff.
P. Batiffol, *Ancienne littérature chréttiene grecque* (Paris, 1901).
A. Bery, *Saint Justin, sa vie, sa doctrine* (pars, 1911).
F. Cayré, *Patrologie et Histoire de la Théologie* (3rd ed. Paris, 1938).
A. Ehrhard. *Die altchristliche Literatur und ihre Erfoschung* (Freiburg, 1884/ 1900).
Ch. E. Freppel, *Saint Justin* (Paris, 1885).
A. Harnack, *Geschichte der altchristlichen Litteratur bis Eusebius* (Leipzig, 1893).
H. Jordan, *Geschichte der altchristlichen Literatur* (Leipzig, 1911).
M. J. Lagrange, *Saint Justin* (Paris, 1914).
J. Leblanc, *Le Logos de Saint Justin, Annales de philsophie chréttiene* 3 série, II (1904) 191ff.
J. Lebreton, *Théories du Logos au début de l'ère chréttiene* (Paris, 1906).
C. C. Martindale, *St. Justin the Martyr* (N. Y. 1921).
R. Otto, *Zur Charakteristik des heiligen Justinus des Philosophen Märtyrers, Kaiserl. Akad. der Wissensch. Philos. Hist. Cl. Sitzungsber.* Bd. 8, (1852) 164ff.
J. M. Pfättisch, *Der Einfluss Platos auf die Theologie Justins des Märtyrers. Eine dogmengeschichtliche Untersuchung nebst einem Anhang über die Komposition der Apologien Justins, Forschungen zur christl. Literatur und Dogmengeschichte.* Bd. 10, Heft l (Paderborn, 1910).

C. Semish, *Justin der märtyrer* (Breslau, 1840-1842).

W. Smith and H. Wace, *A Dictionary of Christian Biography* (London, 1882) 3. 561 ff.

J. Springl, *Die Theologie des hl. Justinus des Märtyrers, Linzer Theol. prakt. Quartalschrift 37* (1884) 283ff.

J. Tixeront, *Handbook of Patrology* (St. Louis and London, 1920).

J. Thümer, *Über den Piatonismus in den Schriften des Justin Martyr* (Glauchau-Programm, 1880).

الدفاع الأول

مقدمة

يُعتبَر الدفاع الأول ليوستينوس أحد أقدم الدفاعات الباقية في تاريخ المسيحية. ومنذ بداية الدفاع لا يسع القارئ إلّا أن يُعجب بشجاعة المؤلِّف وثبات هدفه، وحبه للحقيقة والبر والحكمة.

ويوجه ق. يوستينوس هذا الالتماس إلى الإمبراطور وابنَيه وإلى مجلس الشيوخ المقدس والشعب الروماني أجمع. ومقدِّم الالتماس هو "يوستينوس ابن بريسكس وحفيد باكيوس من مدينة فلافيا نيابوليس في سوريا - فلسطين"[١] وهو يمثل "أحد هؤلاء الرجال من كل جنس الذين يتعرضون للكراهية وسوء المعاملة ظلمًا".

ويؤكد ق. يوستينوس بجرأة أن حديثه لا يحتوي على كلمات تملق أو مداهنة أو طلب لامتياز أو مصلحة ما، ولكن الغرض من التماسه هذا هو إثبات أن الحق والعدل هما لجميع الناس سواء، والمطالبة بأن يعامل الكل معاملة عادلة على أساس المساواة، وأنه يجب على الأوصياء على العدالة ومحبي الحكمة أن يبنوا حكمهم على الحقيقة وحدها دون أي تحيز وليس على اندفاع غير عقلاني أو إشاعات مغرضة. ويستطرد بنزعة تميل إلى السخرية قائلا: "إن الفطنة تملي على الأتقياء والفلاسفة الحقيقيين - كما يجب أن يكون رجال الدولة - أن يجِلُّوا ويعتزّوا بما هو حق ... وعلى الحكام أن يحكموا لا بالقوة والاستبداد بل وفقًا للتقوى والفلسفة." ويطلب ق. يوستينوس أن يتم التحقيق في الاتهامات ضد المسيحيين بدون تحيز في كل حالة على حدة، ولو ثبتت ضدهم يجب أن يعاقبوا كأي شخص مذنب. "ومِن جهة أخرى فإن المنطق السليم"، كما يقول ق. يوستينوس "لا يسمح بظلم الأبرياء بسبب إشاعات خبيثة"، ولا يجب إدانة أحد دون

---

[١] كان ق. يوستينوس في الأغلب مواطنًا رومانيًا. انظر التمهيد.

الاستماع إليه لمجرد أنه يحمل لقب "مسيحي" لأن الاسم دون أعمال تسانده هو مثل القشرة الجوفاء. "أما بالنسبة لنا نحن [المسيحيين] فنؤمن أنه لا يمكن أن يصيبنا أي شر ما لم نكن مجرمين وأثمة." ويضيف ق. يوستينوس بفخر "أنتم بالتأكيد يمكنكم قتلنا ولكنكم لا تقدرون على إلحاق الأذى بنا".

ولا يجد بعض العلماء، أمثال باردنهيوَر[٢] (O. Bardenhewer) وراوشن[٣] ، تتابعًا سليمًا أو عرضًا واضحًا للأفكار في هذا الدفاع. بينما يعتقد آخرون، مثل ويهوفر[٤] (T. H. Wehofer) وإيرهارد[٥] (A. Erhard) أن ق. يوستينوس قد أعد هذا الالتماس وفقًا لخطة مسبقة[٦]. وحتى لو سلَّمنا بأن المادة التي قدمها ق. يوستينوس تفتقر إلى الترتيب الدقيق، إلّا أننا نستطيع تحديد ثلاث مجموعات[٧] من الأفكار موضحة بالتفصيل في فصول الدفاع الثماني والستين.

في الفصول من ١ ـ ٢٠ من دفاعه، يصف ق. يوستينوس بوضوح الطرفين الأساسيين، وهما سلطات الدولة من جانب والمسيحيون من جانب آخر، ثم يحدد المبادئ التي يجب أن تقوم عليها العلاقة بينهما حتى يتمكن "كل من الحكام والمحكومين العيش معًا في سلام". كما يوضح ق. يوستينوس أن تعاليم المسيح بعيدة تمامًا عن عدم التقوى وعن كل طموح ظالم. ولأن المسيحيين لا يسعون

---

[2] *Geschichte der altkirchlichen Literatur* (Freiburg I B 1913) I [2]

[3] "Die formale Seite der Apologien Justin" *Theol. Quartalschrift* (Tübingen 1899) 188 ff.

[4] "Die Apologie Justin des Philosphen und Märtyrers in literarhistorischer Beziehungzum erstenmal undersucht" *Röm Quartalschrift* 6 Suppl.. Heft. (Rom, 1897) 2.

[5] *Die altchristliche Literatur und ihre Erforschung* (Freiburg, 1884 - 1900).

[٦] انظر: J. M. Pfättisch, *loc. cit.* والذي يشير إلى هذه الآراء المختلفة.

[7] Cf F. Cayré , *loc. cit.* 114f.

إلى سلطان أرضي بل إلى الملكوت السماوي، فهم يطيعون سلطات الدولة في كل الأمور المدنية ويعيشون حياة فاضلة مقدسة. ويصف ق. يوستينوس كل الاتهامات ضد المسيحيين مثل: الكفر وأكل لحوم البشر والفسق، بأنها اتهامات باطلة ولا أساس لها من الصحة. وأما عن إيمانهم بخلود النفس فهو حتى بالنسبة للوثنيين أمر يمكن تصديقه ويتماشى مع العقل.

وفي الفصول من ٢١ ـ ٦٠ يظهر ق. يوستينوس تفوق المسيحية على الوثنية، كما يوضح أن الكثير من نبوءات العهد القديم قد تحققت في السيد المسيح شارحًا الفرق بين معجزات يسوع المسيح وخدع السحرة الوثنيين، وأن الأمم وبخاصة الفلاسفة الوثنيين ومن بينهم أفلاطون نفسه قد اقتبسوا من الكتاب المقدس.

وفي الفصول من ٦١ ـ ٦٨ يشرح ق. يوستينوس الممارسات المسيحية وخاصة طقس اعتناق المسيحية (سر المعمودية) وسر الإفخارستيا المقدس، وإجتماع المسيحيين يوم الأحد، كما يتعرض لأصوامهم وصلواتهم واهتمامهم بإخوتهم الفقراء.

وختامًا، يرفق ق. يوستينوس نسخة من مرسوم هادريان (فصل ٦٩) والذي تمت كتابته لصالح المسيحيين. وقد قام نُسَّاخ آخرون في وقت لاحق بإضافة خطاب أنطونينوس بيوس لمجلس آسيا (فصل ٧٠) وخطاب مرقس أوريليوس لمجلس الشيوخ (فصل ٧١)[٨]، إلى هذا الدفاع.

ويبدو أن ق. يوستينوس قد كتب هذا الدفاع في روما. وقد وضع المؤرخون تواريخ مختلفة[٩] لكتابته تتراوح بين عام ١٣٨م وعام ١٥٦م وذلك بناء على أدلة داخلية في مضمون الدفاع والأحداث التاريخية

[٨] هذان الخطابان أيضًا موجودان في الطبعة اليونانية الأولى (عام ١٥٥١) والترجمة اللاتينية الأولى (عام ١٥٥٤).

[9] Cf. the detailed analysis in W. Smith and H Wace, *loc. cit.* 3, 563

والتقليد[10]. ويقر ق. يوستينوس نفسه[11] أنه يكتب بعد مائة وخمسين عامًا من ميلاد المسيح. ويرجع يوسابيوس في كتابه "Chronicon" تاريخ كتابة هذا الدفاع إلى سنة ١٤١م، وهي السنة الرابعة لحكم أنطونينوس (١٣٧ - ١٦١ م). أما تيلمونت ومن بعده عدد من الكُتّاب البنيدكتيين (Benedictine editors) فيحددون تاريخ كتابة هذا الدفاع بحوالى عام ١٥٠م في مقدمة طبعتهم لأعمال يوستينوس: "ويبدو أنه لعدم وجود دليل واضح ضد هذا التاريخ فإن عام ١٤٨م - أو العام الذي ذكره ق. يوستينوس ١٥٠م - ينبغي أن يتم اعتباره التاريخ التقريبي للكتابة."[12]

وقد حُفِظ هذا الدفاع في مخطوطتين[13]، وإن كان الدفاع الثاني يسبقه في كل منهما. ونجد الترتيب ذاته في الطبعة اليونانية[14] وفي الترجمة اللاتينية الأولى. ويشير يوسابيوس[15] أيضًا في بعض الأحيان إلى ما نسميه نحن الآن الدفاع الأول على أنه الثاني، ويظن بعض النقاد أن الدفاع الثاني هو مقدمة للدفاع الأول أو أنه مجرد ملحق للأول[16]. وعلى كل حال، بما أن ق. يوستينوس يشير[17] في الدفاع الثاني إلى الدفاع الأول، فإنه يوجد جانب كبير من الصواب في

---

[10] Cf. W. Moeller: *History of the Christian Church* (London, 1892) 174; K. Hubik, *Die Apologien des St. Justinus, des Philosophers und Märtyrers* (Wien, 1912).

[11] الدفاع الأول، فصل ٤٦.

[12] Cf. W. Smith and H . Wace, *loc. cit.*

[13] مخطوطة *Codex Regius* ترجع إلى عام ١٣٦٤ وهي محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس وأيضًا مخطوطة *Codex Claromontanus* التي ترجع إلى عام ١٥٤١ في تشلتنهام، إنجلترا.

[14] تمت طباعته بواسطة R. Stephanus في باريس سنة ١٥٥١؛ حيث نجد الدفاع الأول في الصفحات ١٥٣ - ١٦٣ ويسبقه الدفاع الثاني في الصفحات ١٢٩ - ١٣٤.

[15] *Hist. Eccl.* 4.16.

[16] Cf. Smith and Wace, *loc. cit.* and M. Dod, *The Writings of Justin Martyr and Athenagoras*, 5 (Edinburgh 1867).

[17] الدفاع الثاني، فصول ٤ و ٦ و ٨.

الرأي القائل بأن يوسابيوس قد أخطأ في الخلط بين الدفاعين لأن ما لدينا الآن هما عملان مستقلان[18]. وفي هذا الصدد يكتب ج. كروجر (G. Krüger) قائلًا: "لا يوجد أساس كافٍ للافتراض أن الدفاعين كانا في الأصل دفاعًا واحدًا، ولا أن الدفاع الذي يعتبره يوسابيوس ثانيًا قد فُقد وهذا طبقا لهارناك (Harnack)، وبالتالي لا يجب اعتبار الدفاع الثاني مجرد ملحق للأول حسبما يرى زان (Zahn)"[19].

وبالإضافة للطبعات المذكورة في المراجع المختارة فإن الطبعات التالية ما زالت باقية حتى الآن بدون تغيير كبير في النص: طبعة ج. كروجر، وهي تحتوي على مقدمة (4th edition - Jena 1914)؛ وبلَنت (A. W. F. Blunt) مع تحليل حديث للنص (Cambridge 1911)؛ وطبعة فيتش (J. M. Pfättisch) مع شرح باللغة الألمانية (Münster 1912f.).

[18] J. M. Pfättisch, *loc. cit.*, and also G. Rauschen, *loc. cit.*

[19] *History of Early Christian Literature* (New York 1897) 108.

مراجع مختارة

النصوص والترجمات

Prud. Maran, *S. P. N. Justini philosophie et Martyris opera quae extant omnia* (Paris, 1742), reprinted in J. P. Minge, *Patrologia Graeca 6*.

J.C. Th. V. Otto, *Corpus Apologetarum Christianorum saeculi secundi* (Jena, 1877) 1 2 3.

G. Rauschen, *S. Justinu apologiae duae* (Florilegium Patristicum), fasc. 2, Bonnae, 1904).

W. B., *The Apologies of Justin Martyr, Tertullian, and Minucius Felix* (London, 1709).

T. Chevallier, *A translation of the Epsitles of Clement of Rome, Polycarp and Ignatius and of the Apologies of Justin Martyr and Tertullian* (Cambridge, 1833).

M. Dods and G. Reith, *The writings of Justin Martyr and Athenagoras* (Edinburgh, 1867).

L. Pautigny, *Les Apologies* (Textes et Documents, Paris, 1904).

G. Rauschen, Des heiligen Justins des Philosophen und Märtyrers zwei Apologien (*Frühchristliche Apologeten* - Bibl. D. Kirchen väter, Bd. 1. 1913).

G. J. Goodspeed, *Die ältesten Apologeten* (Göttingen, 1915).

مراجع إضافية

P. Allard, *Le Christanisme et l'empire romain* (Paris, 1897).

G. Bardy [Saitnt] Justin, *Dict. Theol. Cath.* 8.2238ff.

O. Bardenhewer *Geschichte der altkichrlichen Literatur* (Freibutg i. B. 1913) I[2].

A. Casamassa, Gli Apologisti e i Polemisti Del II Secolo (Roma, 1935)

F. Cayré, *Patrologie ey Histoire de la Théologie* (3rd ed.

Paris, 1938).

J. Geffcken, *Zwei Griechische Apologeten* (Leipzig, 1917).

A. Harnack, *Die Überlieferung der griechischen Apologeten des zweiten Jahrhunderts* (Leipzig, 1882).

K. Hubik, *Die Apologien des hl. Justin des Philosphen und Märtyres* (Wien 1912).

G. Krüger *History of Early Christian Literature* (New York, 1897).

M. J. Lagrange, *Saint Justin* (Paris, 1914).

J. M. Pfättisch "Der Einfluss Platos auf die Theologie Justin des Märtyres. Eine Dogmengeschichtliche Untersuchung nebst einem Anhang über die Kompostion der Apologien Justins" *Forschungen zur christl. Literatur und Dogmengeschichte*, Bd. 10, Heft I. (Paderborn, 1910).

G. Rauschen "Die formale Seite der Apologien Justins" *Theol. Quartalschrift* (Tübingen, 1899) 180ff.

J. Rivière, *St. Justin et les Apologites du 2me Siècle* (Paris, 1907).

W. Smith and H. Wace , *A Dictionary of Christian Biography* (London, 1882).

Th. Wehofer, "Die Apologie Justins des Philiosphen und Märtyres in literarhistorischer Beziehung zum erstenmal untersucht" *Röm. Quartalschrift* 6. Suppl. (Rome, 1897) 2.

محتويات الفصول

٢٤. الوثنيون يعبدون الجماد والحيوان.

٢٥. المسيحيون تركوا الوثنية.

٢٦. سيمون الساحر.

٢٧. التخلي عن الأطفال شر عند المسيحيين.

٢٨. العناية الإلهية.

٢٩. العفة المسيحية.

٣٠. المسيح لم يكن ساحرًا.

٣١. الأنبياء اليهود.

٣٢. موسى تنبأ بالمسيح.

٣٣. إشعيا تنبأ بكيفية ميلاد المسيح.

٣٤. ميخا تنبأ بمكان ميلاد المسيح.

٣٥. نبوءة بالصليب.

٣٦. أشكال متعددة للنبوة.

٣٧. الله الآب يتكلم.

٣٨. الله الابن يتكلم.

٣٩. الله الروح القدس يتكلم.

٤٠. داود تنبأ بمجيء المسيح.

٤١. داود تنبأ بصلب المسيح.

٤٢. الأنبياء يتحدثون عن المستقبل كأنه حدث في الماضي.

٤٣. الإنسان مسئول عن أعماله.

٤٤. تعاليم الأنبياء عن حرية إرادة الإنسان.

٤٥. النبوءة بصعود المسيح ومجده.

٤٦. المسيح هو اللوغوس المتجسد.

٤٧. نبوءة بسقوط اليهود.

٤٨. نبوءة بمعجزات المسيح وموته.

الفصل الأول

إلى الإمـبراطـور تيطس إيلـيـوس أدريـانـوس أنـطـونـيـنـوس بيوس أوغسطس قيصر، وإلى ابنه الفيلسوف فيريسيموس[٢٠]، وإلى لوقيوس الفيلسوف ابن قيصر بالجسد وابن بيوس بالتبني[٢١]، المحب للعِلم، وإلى مجلس الشيوخ المقدس[٢٢] وإلى الشعب الروماني قاطبة، بالنيابة عن أناسٍ من كل جنسٍ[٢٣] يتعرضون دون وجه حق للكراهية وسوء المعاملة، أنا يوستينوس بن بريسكوس وحفيد باكيوس من مدينة فلافيا نيابوليس[٢٤] في سوريا فلسطين[٢٥] وكواحد من هؤلاء الناس، أتقدم بهذا الخطاب وهذا الالتماس[٢٦].

---

[٢٠] هو مرقس أوريليوس أنطونينوس وقبل أن يتبناه أنطونينوس بيوس كان اسمه مرقس أنيوس ڤيروس. وبسبب دلالات اسمه الأخير الذي يعني الحق والذي يتناسب مع سعيه المستمر طوال حياته لمعرفة الحقيقة عن طريق الفلسفة كان هادريان يدعوه في صيغة تأكيد فيريسيموس.

[٢١] لوقيوس سيونيوس كومودوس الذي شارك مرقس أوريليوس فيما بعد في شرف الامبراطورية. أبوه هو لوقيوس إيليوس قيصر الذي تبناه الإمبراطور هادريان ثم توفي قبل وفاة هادريان. عندما تبنى هادريان أنطونينوس بيوس فيما بعد أجبره أن يتبنى مرقس أنيوس ڤيروس (مرقس أوريليوس) ولوقيوس سيونيوس. وقد أخذ كل من ابني أنطونينوس بالتبني لقب فيلسوف.

[٢٢] مجلس الشيوخ الذي كان عدد الممثلين فيه ٣٠٠، كان مجلسًا للأرستقراطيين الذين لا يتركون منصبهم أبدًا طوال حياتهم ما لم يدانوا بعمل شائن. وكانت قرارات الدولة الرومانية تخرج باسم مجلس الشيوخ والشعب؛ لذا وجَّه ق. يوستينوس دفاعه لكليهما.

[٢٣] يعد هذا دليلًا على انتشار المسيحية السريع والواسع في ذلك التاريخ المبكر.

[٢٤] بنى الرومان هذه المدينة على أطلال شكيم (الآن نابلُس) في السامرة وقد سُميَت على اسم الإمبراطور فلاڤيوس ڤسباسيان وقد كانت مستعمرة رومانية مما يعني أن ق. يوستينوس كان سامريًا بالميلاد ولكن كتاباته لا توحي بمعرفته بالديانة أو التقاليد السامرية.

[٢٥] الفلسطينية (Palaestina) هي صفة أضيفت في الأصل إلى سوريا لتعني فلسطين أو الجزء الجنوبي من سوريا وبعد إخماد ثورة بار كوكبا في حكم هادريان كانت اليهودية كمقاطعة رومانية تسمى بسوريا ـ فلسطين.

[٢٦] كلمة ἔντευξις تعني نقاشًا أو حوارًا أكثر مما تعني التماسًا مكتوبًا، ومن المحتمل أن يكون ق. يوستينوس قد قدم دفاعه بنفسه أمام الإمبراطور؛ إذ يبدو أن هذا كان مسموحًا به في الفترة بين عامي ٣٥ و ١٨٠م كما يتضح ذلك من عدة مصادر أهمها (F. Mailer, *The Emperor in the Roman World.* London, 1977) حيث يقول الكاتب في ص ٥٦٣: "إنه من المقنع والأكثر واقعية أن يكون ق. يوستينوس قد قدم شرحًا لمحتويات

الفصل الثاني

إن الحكمة تُملي على الأتقياء والفلاسفة[٢٧] الحقيقيين أن يكرِّموا ويعتزوا فقط بما هو حق وأن يرفضوا اتِّباع معتقدات أسلافهم إذا كانت هذه المعتقدات بلا قيمة، لأن الفكر السليم يقتضي ليس فقط ألا نتبع مَن يخطئون بالعمل أو التعليم بل يتطلب أيضًا من محب الحق أن يختار بكل وسيلة ممكنة أن يعمل ويقول ما هو حق، حتى لو كان مهددًا بالموت، بدلًا من أن ينقذ حياته. وأنتم تسمعون الناس في كل مكان يدعونكم أتقياء وفلاسفة، وأوصياء على العدالة ومحبين للعِلم. وسوف يتضح الآن مدى استحقاقكم لهذه السمعة. ونحن في الواقع لم نأتِ لكي نتملقكم بكتاباتنا أو نسعى لنوال رضاكم بهذا الخطاب، بل لكي نسألكم أن تصدروا قرارًا، بعد فحص دقيق وكامل، بدون محاباة أو رغبة في إرضاء هؤلاء الذين يؤمنون بالخرافات؛ هذا القرار لا يجب أن يكون ناتجًا عن دافع أهوج أو إشاعة مغرضة ظلت منتشرة لمدة طويلة، لئلا يصير هذا بمثابة حكم ضدكم. أما بالنسبة لنا، فنحن [المسيحيون] نؤمن أنه لا يمكن أن يأتي علينا أي شر ما لم نكن أثمة أو فاعلي شر. أنتم بالتأكيد يمكنكم قتلنا ولكن لا تقدرون على أذيتنا[٢٨].

الفصل الثالث

وحتى لا يظن أحد أن هذا الكلام هزلي ومتهور، نحن نطالب

دفاعه هذا ولأهم الأحداث المُثبتة فيه أمام الإمبراطور - أو كان مفترضًا أن يقدمه أمامه - كما أنه من الممكن أن نتصور أن توجيه مثل هذا الدفاع إلى شخص الإمبراطور هو نوع من أنواع الخيال الأدبي المتقن".

[٢٧] تلميح إلى ألقاب من يخاطبهم ق. يوستينوس في دفاعه، إذ أن "بيوس Pius" تعني "تقي" كما أن لقب مرقس أوريليوس كان "فيلسوف".

[٢٨] كانت هناك فكرة رواقية متداولة بأن الإنسان البار لا يمكن أن تمسه الشرور الخارجية.

بالتحقيق في التهم التي تُلصَق بالمسيحيين، وإذا ثبت صحتها فليُعاقَبوا كأي شخص مذنب؛ أما إذا لم يستطِع أحد إثبات هذه التهم، فإن التفكير السليم لا يسمح لكم بإيقاع الظلم على الأبرياء لمجرد إشاعة باطلة، حيث إنكم في هذه الحالة تلصقون الظلم بأنفسكم عندما تفرضون عقوبة ليس على أساس حكم عادل بل على أساس انفعال. وأي شخص عاقل يوافق على أن الاقتراح العادل الوحيد هو أن ندع هؤلاء المواطنين يقدمون بيانًا واضحًا عن حياتهم وعقيدتهم ثم يصدر الحكام حكمهم لا بالقوة والقهر بل بحسب التقوى والفلسفة. وبهذه الطريقة يستطيع الحكام والمحكومون أن يعيشوا كلهم في سلام. وقد قال أحد القدماء: "لا يمكن للأمم أن تشعر بالسعادة ما لم يَصِر الحكام والمحكومون فلاسفة[٢٩]." فيجب علينا إذن أن نعطي كل أحد الفرصة لفحص حياتنا وعقائدنا لئلا ندفع ثمن ما يقترفونه في عماهم وعدم معرفتهم لطرقنا[٣٠]. أما بالنسبة لكم، فإن المنطق السليم[٣١] يجعل من واجبكم أن تثبتوا أنكم قضاة عادلون، فبعد أن تسمعوا دفاعنا ستكونون بلا عذر أمام الله إن عرفتم الحقيقة ولم تراعوا العدل.

الفصل الرابع

لا ينطوي مجرد استخدام اسم ما على أي خير أو شر[٣٢]، بدون

[٢٩] اقتبس ق. يوستينوس هذه المقولة بتصرف عن أفلاطون *Rep.* 10.473 وقد استخدم تسعة اقتباسات كلاسيكية في الدفاعين: ستة منها نقلًا عن أفلاطون، واثنان عن زينوفون، وواحد عن يوريبيديس. ولم ينقل جميعها بشكل حرفي بل نقل البعض منها بدقة والبعض الآخر باختصار.

[٣٠] هي جملة صعبة التفسير في اليونانية، وقد أخذنا بالترجمة التي تعني أننا نحن أنفسنا سنكون مسئولين عن خطية هؤلاء الذين يتهموننا إذا تركناهم في جهلهم ولم نشرح لهم عقيدتنا المسيحية.

[٣١] عبارة كثيرة الاستخدام في كتابات هيرودوت.

[٣٢] كان مدافعو القرن الثاني يفرّقون بين الهجوم على الاسم (أي مجرد أن يُدعى الشخص مسيحيًّا) والجرائم ضد القانون الطبيعي التي اتُهِم بها المسيحيون، وقد تساءل عنها

النظر إلى الأفعال التي تتعلق بهذا الاسم، فإذا حكمتم علينا على أساس الاسم الذي نُتهَم لأجله فنحن الأكثر صلاحًا[٣٣]. والآن نحن لا نعتقد أنه من الصواب أن نطالب بالبراءة على أساس الاسم في حالة إدانتنا كجناة. وبالمثل، إذا ثبت أننا لم نخطئ سواء في استخدام اسمنا أو في تصرفنا كمواطنين، فيجب أن تحذروا من أن تعاقبوا الأبرياء ظلمًا لئلا تجلبوا على أنفسكم العقاب عن استحقاق. لا يمكن أن يكون المدح أو العقاب العادلين على أساس الاسم إلا إذا ثَبت أن عمل الشخص صالح أو غير صالح لأنكم لا تعاقبون أحدًا من المتهمين من شعبكم[٣٤] قبل أن تثبت إدانته، ولكن معنا أنتم تأخذون الاسم وحده كدليل ضدنا[٣٥]. وأما فيما يخص موضوع الاسم فيجب عليكم بالأحرى إنزال العقوبة على المدعين علينا. نحن نُتهم بأننا مسيحيون مع أنه ليس من العدل أن تكرهوا ما هو صالح[٣٦]. ومن جهة أخرى، إذا أنكر أحد المتهمين شفاهة أنه مسيحي فإنكم تخلون سبيله كما لو كان لم يقترف أى خطأ. ولكن إن اعترف أحد بأنه مسيحي يتعرض للعقاب من أجل اعترافه هذا[٣٧]. وبدلًا من ذلك يجب عليكم فحص الحالتين: من أنكر ومن اعترف، لكي تعرفوا

بليني (Pliny) في خطابه الشهير لتراجان (Trajan). وليس من المؤكد وجود قانون روماني محدد ضد المسيحيين ولكن هناك إشارات عابرة في كتاب *Legatio* 7 للعلامة أثيناغوراس توضح أن المسيحيين كانوا يضطهدون بسبب لقبهم كمسيحيين.

[٣٣] استخدم القديس يوستينوس هنا الجناس اللفظي ليتلاعب بكلمتي: (مسيحيين Χριστιανοί) و(الأكثر صلاحًا χρηστοτάτοι) انظر:

Theophilus of Antioch *Ad Autolycum* 1,1; Lactantius, *Inst., div.* 4.7.

[٣٤] المقصود هنا "من بينكم" أي من غير المسيحيين وهي تقابل العبارات السابقة الخاصة بالمسيحيين وعقابهم دون سبب.

[٣٥] آنذاك كان مجرد كون الشخص مسيحيًا يعتبر أمرًا غير مشروع ومنذ زمن نيرون كانت الصيحة المعتادة: "christianos esse non licet" وتعني "المسيحية ممنوعة" ومجرد أن يُعرَف عن شخص أنه مسيحي كان هذا سببًا كافيًا لاضطهاده.

[٣٦] جناس لفظي آخر بين كلمتي (مسيح Χριστός) و (صالح χρηστός).

[٣٧] هذا النص مشابه لما كتبه العلامة اثيناغوراس في *Legatio* : "لأنه لا يوجد اسم في ذاته يُعتبر شرًا أو خيرًا، ولكن هذا يتطلب ظهور خير أو شر من أعمال تصاحب ذلك الاسم".

صفات كل منهما من أعماله. فإن الذين تعلَّموا من المسيح المُعلِّم ألا ينكروه عند استجوابهم يشجعون الآخرين بثباتهم، أما هؤلاء الذين يحيون حياة شريرة فيشجعون الآخرين باندفاع ليتهموا كل المسيحيين بالظلم وعدم التقوى[٣٨]. وهذا أيضًا شيء لا يتسم بالعدالة. كذلك هناك من يدَّعون بالاسم والملبس[٣٩] أنهم فلاسفة ولكنهم لا يفعلون شيئًا جديرًا بهذه المهنة. وأنتم تعلمون أن القدماء الذين كانت لهم آراء متناقضة كانوا يُدعون جميعًا فلاسفة على الرغم من أن بعضهم علَّموا بعدم وجود آلهة[٤٠]. حتى شعراؤكم نددوا بفسق الإله زيوس مع أبنائه. ولكنكم لا توبخون أتباع هذه التعاليم بل على العكس تكافئونهم وتكرمونهم لأنهم أهانوا آلهتكم بكلام معسول.

الفصل الخامس

فماذا يعني إذن كل هذا؟ على الرغم من أننا في حالتنا هذه نتعهد بعدم عمل الشرور أو اعتناق أية آراء إلحادية مثل هذه، إلا أنكم لا تجرون تحقيقًا في الاتهامات الموجهة ضدنا، بل باندفاع غير معقول وبتحريض من الشياطين الأشرار[٤١] أنتم تعاقبوننا بدون محاكمة وبغير

---

[٣٨] ربما تكون هذه إشارة لمن كانوا يُدعَون خطأً مسيحيين والذين كانوا بتصرفاتهم اللا أخلاقية يعطون حجة لأعداء الكنيسة كي يحاربوها.

[٣٩] كان الفلاسفة في زمن ق. يوستينوس يرتدون رداءً مميزًا وحتى بعد اعتناق يوستينوس للمسيحية فإنه ظل يرتدي رداء الفلاسفة.

[٤٠] لقد كان للأبيقوريين والفلاسفة الكلبيين (Cynics) تأثير كبير في عصر ق. يوستينوس، وكان هناك ميل كبير للعودة للفلسفات القديمة ودراسة حياة مؤسسيها وأعمالهم وعقائدهم. وفي أوساط المتعلمين كان هناك رد فعل تجاه الدين، وقد قاد هذا بعضًا منهم مثل فرونتو (Fronto) وبلوتارخ (Plutarch) إلى التعصب للخرافات. كما كان "الإلحاد" تهمة يلصقونها بالمسيحيين، ويشير ق. يوستينوس إلى أن الرومان كانوا يتسامحون مع الفلاسفة الملحدين فلماذا لا يتسامحون مع المسيحيين الذين هم من وجهة نظرهم ملحدون أيضًا؟

[٤١] كان التأثير الشيطاني بوجه عام والتحريض الشيطاني على الاضطهاد بوجه خاص واحدًا من الأفكار المفضلة ليوستينوس. وقد جاء ذِكر الشياطين في مواضع كثيرة في الدفاعين وهذه الفكرة تظهر مرة أخرى عند ترتليان في *Apol.* 27 ولاكتانتيوس *Instit. Div.* 5.21. ويستخدم ق. يوستينوس كلمة δαίμων (والتي تعني إله بالنسبة للوثنيين) ليقصد بها "روح شرير" الذي هو نسل ملاك شرير وإنسان (انظر الدفاع الثاني فصل ٥) وخلفية

مبالاة. ولكن الحق لا بد أن يقال، لأن الشياطين الأشرار منذ قديم الزمان كانوا يظهرون ويدنسون السيدات ويفسدون الغلمان وظهروا بمناظر مرعبة لرجال حتى أن كل من لم يحتكم للعقل في الحكم على هذه الأعمال الشيطانية كان يصاب بالرعب والفزع؛ وإذ الخوف قد تملك عليهم لم يدركوا أنهم شياطين أشرار دعوهم آلهة وسمَّوا كل واحد من هذه الشياطين بالاسم الذي اختاره هو لنفسه. وعندما حاول سقراط[٤٢] تعريف الناس بتلك الأمور على أساس الحكمة الحقيقية والبراهين المؤكَّدة قام هؤلاء الشياطين أنفسهم بتدبير قتله بواسطة أناس يسعدون بالشر وحُكِم عليه بالموت كشخص ملحد وشرير لأنه حسب ادعائهم نادى بآلهة جديدة. والآن هم يسعون لعمل الشيء نفسه بنا. ولم يدن اللوغوس هذه الأمور من خلال سقراط بين اليونانيين فقط بل أيضًا أدانها اللوغوس ذاته بين الشعوب البربرية[٤٣] عندما اتخذ جسدًا وصار إنسانًا ودُعي يسوع المسيح. ومن خلال

هذا الأمر تكمن في شيوع الإيمان بالشياطين في القرن الثاني؛ حيث كان المذهب الرواقي على وجه الخصوص ممتلئًا وغنيًا بعلم الشياطين (Demonology). وبالنسبة للرواقيين كان للشياطين رغبات ومشاعر كالبشر، وهم يستجيبون لرغبات ومخاوف البشر ومن هنا يستطيعون توجيه أقدارهم. وقد انتشر هذا المذهب في مدارس أخرى أيضًا. وكان يوستينوس يعتقد بوجودهم وبأنهم السبب في الشرور الكائنة في العالم.

[٤٢] كان ق. يوستينوس يحترم سقراط كثيرًا وتبعه في ذلك الآباء المدافعون الذين جاءوا بعده باستثناء ثيؤفيلوس. وقد اعتمد دفاع ق. يوستينوس على دفاع سقراط الرائع أثناء محاكمته؛ إذ رأى شبهًا كبيرًا بين تلك المحاكمة من ناحية، ومحاكمة السيد المسيح ومحاكمات أتباعه من ناحية أخرى. وكما أن سقراط حُكِم عليه بالموت على أنه ملحد، هكذا أيضًا المسيحيين الذين يؤمنون باللوغوس المتجسد كان يُطلَق عليهم خطأً أنهم ملحدون. وهذا ينبع من اعتقاد ق. يوستينوس بأن سقراط قد عرف جزئيًا اللوغوس الذي تجسد في ملء الزمان (الدفاع الأول فصل ٤٦ والثاني فصل ١٠). وعن استخدام سقراط كنموذج للاستشهاد المسيحي في الكنيسة قديمًا انظر:

Th. Deman, *Socrate et Jesus*, Paris, 1944; A. Harnack, *Sokrates und die alte Kirche*, Berlin, 1900; E. Fascher, "*Sokrates und Christos*," ZNTW 45, 1954: 1- 14; C.J. Vogel, "*Problems Concerning Justin Martyr*," Mnem. 31, 1978: 360- 88

[٤٣] إن كلمة "بربري" كان يُشار بها في ذلك الوقت إلى الشعوب التي لا تتحدث اليونانية أي كمرادف لكلمة "أجنبي" وليس كما نفهمها في عصرنا الحالي كمرادف لعدم التحضر.

إيماننا به نحن لا ننكر فقط أن من يعمل هذه الأعمال آلهة[44] صالحة بل نعلن أنهم شياطين أشرار ولا يجب مقارنة أعمالهم بأعمال رجال يسعون للفضيلة.

الفصل السادس

وهكذا يدَّعون أننا ملحدون[45]. وفي الواقع نحن نعلن أننا ملحدون من جهة مَن تسمونهم آلهة وليس من جهة الإله الحق البعيد عن كل شر الذي هو أبو العدالة والعفة والفضائل الأخرى. نحن نبجله ونتعبد له مع الابن الذي وُلِد منه، وهو الذي علَّمنا عن هذه الأشياء و[علَّم] طغمات الملائكة الصالحين الذين يخدمونه وتظهر فيهم فضائله، كما أننا نعبد روح النبوة ونحن نعبده بالذهن والحق وننقل[46] تعاليمه كما هي لكل من يريد أن يتعلمها.

الفصل السابع

قد يعترض البعض بحجة أن هناك مسيحيين قد تم اعتقالهم بالفعل وأُدينوا كمجرمين، ولكنكم تدينون العديد من الأشخاص بعد التحقيق معهم كمتهمين كلٌّ على حدة ولا تحكمون عليهم بسبب أناس آخرين أُدينوا من قبل. ومن المعروف أنه فيما بين اليونانيين كل من كانت لهم نظريات خاصة بهم يُطلَق عليهم اسم واحد هو "فلاسفة" حتى لو كانت لهم آراء متناقضة، وهكذا أيضًا في الشعوب البربرية [أي غير اليونانية] فكل من كان حكيمًا أو

---

[44] في هذه الجملة استخدم ق. يوستينوس نفس الكلمة δαίμονας لكل من الآلهة والشياطين.

[45] تهمة شائعة ضد المسيحيين الأوائل، وقد كان أساس هذه التهمة أن المسيحيين كانوا يرفضون تقديم الذبائح أو أية أعمال فيها تبجيل للأوثان أو تماثيل الأباطرة. كما أنهم كانوا يبتعدون عن المعابد والأعياد الدينية الوثنية فكانوا يُتهَمون بالإلحاد لأنهم لم يُظهِروا أي احترام لآلهة الدولة أو للدين الرسمي للدولة.

[46] التعبير المستخدم هنا هو παράδοσις يشير إلى تسليم التقليد المقدس.

يبدو هكذا فجميعهم يطلق عليهم اسم واحد هو "مسيحيون". ومن هنا، نحن نطالب أن تحكموا على أفعال جميع من تتهمونهم، وتعاقبوا من تثبت عليهم التهم كجناة وليس كمسيحيين. وإن ظهرت براءة أحدهم فليفرج عنه كمسيحي لم يرتكب أية جريمة. ونحن لا نطالبكم بمعاقبة هؤلاء الذين قاموا بتوجيه الاتهام[٤٧]؛ إذ تكفيهم عقوبة ظلمهم الحالي وجهلهم بكل الأمور السامية والنبيلة.

الفصل الثامن

وتأكدوا أننا نتكلم في هذه الأمور لصالحكم، إذ إنه يمكننا أثناء الاستجواب أن ننكر أننا مسيحيون، ولكننا لا نريد أن تُحفَظ حياتنا عن طريق الكذب[٤٨]. نحن نريد أن تكون لنا حياة أبدية صالحة ونجاهد للوصول إلى مسكن الله أبي وخالق الكل، ونسارع لإعلان إيماننا. ونحن نؤمن إيمانًا راسخًا بأن أولئك الذين أظهروا لله - عن طريق أعمالهم - أنهم يتبعونه ويودون أن يكون مسكنهم معه حيث لا توجد خطية ينتج عنها أي اضطراب، يستطيعون الوصول إلى هذا الهدف. وباختصار هذا هو ما نسعى إليه، وهذا هو ما تعلمناه من المسيح، وبدورنا نعلمه للآخرين. وقد قال أفلاطون إن رادامانثوس (Rhadamanthus) ومينوس[٤٩] (Minos) سوف يعاقبان الأشرار الذين جاءوا قبلهما، ونحن أيضًا نصرِّح بنفس هذا الكلام ولكن

---

[٤٧] بحسب القانون الجنائي الروماني عمومًا وخاصة مرسوم هادريان - والذي أضافه ق. يوستينوس في نهاية هذا الدفاع - كان يحق للمسيحيين أن يطالبوا بمعاقبة الذين يتهمونهم ظلمًا.

[٤٨] لقد تأثر ق. يوستينوس كثيرًا بالاستقامة الأخلاقية للمسيحيين في مقابل إهمال الفلسفة المعاصرة له للأخلاقيات؛ كما يذكر في الدفاع الثاني فصل ١٢ أن رؤية المسيحيين الذين لا يخافون الموت جعلته مقتنعًا تمامًا أن هؤلاء الناس لا يعيشون في الشر ولا الملذات.

[٤٩] إن تقدير ق. يوستينوس لأفلاطون والأفلاطونية واضح في كتاباته بالرغم من أنه قد ترك الأفلاطونية وصار مسيحيًا. والنقطة التي يركز عليها ق. يوستينوس هنا هي أن المسيح سيعاقب الأشرار في أجسادهم، وليس كمجرد نفوس بلا أجساد.

المسيح هو من سيعاقب الخطاة، وأنهم سيعانون آلام العذاب الأبدي في أجسادهم عندما تتحد ثانيةً بأرواحهم وليس فقط لمدة ألف عام كما ذكر أفلاطون[50]. وإن قال أحد إن هذا الأمر لا يُصدق وغير معقول، فإن هذا الخطأ هو أمر يخصنا ولا يخص أي أحد آخر طالما لم تتم إدانتنا بأي فعل شرير.

الفصل التاسع

ونحن لا نقدم ذبائح وتقدمات نباتية لأشياء من صنع الناس موضوعة في معابد وتُدعى آلهة لأننا نعرف أنها جماد ولا حياة فيها وليست لها هيئة الله ـ فإننا لا نعتقد أن الله له هذا الشكل الذي يقول البعض أنهم يعملون نسخةً منه إكرامًا له ـ بل إن هذه الآلهة لها أسماء وأشكال الشياطين الأشرار الذين ظهروا [للناس][51]. ولا داعي لأن نقول لكم هذا، لأنكم تعرفون بالفعل كيف يُشكِّل الصُنَّاع الخامات بالنحت والقطع والصب في قوالب والطَّرق عليها، وذلك من أوانٍ صنعت لأغراض حقيرة[52]، يغيرون شكلها فقط ويحولونها بمهارة إلى أشكال جديدة ليصنعوا ما يسمونه آلهة[53]. وهكذا يُطلق اسم الله على أشياء قابلة للفساد وبحاجة إلى عناية مستمرة. ونحن نعتبر هذا عملا غبيًا وأيضًا يدل على عدم احترام نحو الله الذي لا

---

[50] Cf., Plato, *Phaedrus* 249 A, *Republic* 10, 615 A

[51] يتحدث ق. يوستينوس عن الأصل الشيطاني لعبادة الأوثان ويُظهر التناقض بين "هيئة الله" (Θεοῦ μορφή) غير المادية ـ ويقول إنها لا يمكن أن تُمثَّل في صور مصنوعة بأيدي الناس ـ و "أشكال" (σχήματα) الشياطين. وطريقته في التعبير توضح الفرق بين تعبيرات: "هيئة" (μορφή) و "شكل" (σχήμα) المستخدمة في رسائل بولس الرسول. حيث نجد أن هيئة الله (μορφή) غير مادية وغير محسوسة وهي صفة أساسية من صفات جوهر (οὐσία) الله، أما (σχήμα) فتوحي بالتغيروعدم الثبات وهي صفات تخص المخلوقات.

[52] انظر رو ٩: ٢١.

[53] كان إظهار زيف هذه الآلهة موضوعًا مفضلًا للمدافعين المسيحيين الأوائل. انظر: Athenagoras, *Suppl*. 26.

يُنطَق بمجده وهيئته. وأنتم على علم بأن هؤلاء الصناع المهرة هم رجال فاسقون، ودون الدخول في تفاصيل نقول إنهم قد اختبروا كل أنواع الرذيلة حتى إنهم يدنسون الفتيات العاملات معهم. ما هذا الغباء؟ أن يقوم رجال شهوانيون بنحت وتشكيل آلهة لكي تبجلوها، وأن تعيِّنوا مثل هؤلاء الرجال حراسًا على المعابد حيث وُضِعت الآلهة دون الانتباه إلى أنه لا يجوز الإعلان أو حتى التفكير في أن الناس هم حراس الآلهة.

الفصل العاشر

وقد تسلَّمنا[٥٤] [من التقليد] أن الله ليس بحاجة إلى عطايا مادية من الناس لأنه هو واهب جميع الأشياء[٥٥]. لقد تعلمنا ونثق ونؤمن أن الله يرضى فقط عن الذين يتمثلون به في فضائله، كالحكمة والعدل ومحبة الناس، وأية فضيلة أخرى تليق بالله الذي لا نستطيع التعبير عنه بأسماء. وتعلمنا أيضا أن الله في صلاحه خلق في البدء كل شيء من مادة غير مهيأة[٥٦] لأجل الانسان. وإذا أثبت المرء بأعماله أنه جدير بخطة الله فسيكون مستحقًّا لأن يسكن معه ويملك معه ويتحرر من كل فساد وألم. وكما أنه في البدء خلقنا إذ لم نكن؛ هكذا أيضا نحن نؤمن أن من يختار أن يُرضي الله فبسبب هذا الاختيار سيكون مستحقًّا للحياة الأبدية في حضرة الله. إنه لم يكن في مقدورنا أن نخلق ذواتنا؛ ولكننا نؤمن أننا نستطيع أن نعمل الأعمال

---

[٥٤] إن لفظ παρειλήφαμεν يشير إلى تسليم التقليد المقدس كما في ١كو ١١: ٢٣؛ ١٥: ١.

[٥٥] انظر أع ١٧: ٢٥.

[٥٦] يجب أن يتم تفسير كلمات ق. يوستينوس عن الخلق في ضوء تعاليمه الأخرى التي وردت بصورة أكثر وضوحًا في الدفاع الأول فصل ١٦ والدفاع الثاني فصل ٥ حيث يقول إن الله خلق كل شيء ولهذا فعندما يقول ق. يوستينوس إن الله خلق كل الأشياء من المادة فهو لا ينكر الخلق من العدم "*creatio ex nihilo*" كما فعل أفلاطون ولكن ربما ما كان يفكر فيه هنا هو تهيئة الخليقة لأجل الإنسان، وربما يقصد ما كان قد تعلمه من الفلسفة قبل دخوله المسيحية؛ إذ إنه لم يستخدم في هذه الجملة فعل "تسلمنا" الدال على التقليد الكنسي.

المرضية أمامه باختيارنا بحسب ما وهبنا من قدرات عقلية. هذه هي قناعتنا وهـذا ما يقودنا إلى الإيمـان بـه، فإننا نعتقد أنـه من صالح كل البشر ألا يتم منعهم من معرفة هذه الأشياء، بل يكون أيضًا هناك حافز لهم ليتفكروا فيها لأن ما لم تستطع القوانين البشرية أن تحققه استطاع الكلمة بكونه إلهًا أن يحققه، لكن الشياطين الأشرار أشاعوا عنا ـ بمساعدة النزعات الشريرة[٥٧] التي في طبيعة كل إنسان ـ اتهامات باطلة[٥٨] شريرة لا ينطبق علينا شيء منها.

الفصل الحادي عشر

عندما تسمعون أننا نتطلع إلى ملكوت، فإنكم تفترضون باندفاع أننا نتكلّم عن ملكوت أرضي[٥٩] في حين أننا نقصد ملكوتًا مع الله. وهذا يتضح من اعترافنا الصريح بأننا مسيحيون عندما نُسأل [عن إيماننا] بالرغم من أننا نعلم جيدًا أن مثل هذا الاعتراف عقوبته الموت. فلو كنا ننتظر ملكوتًا أرضيًا لكنا أنكرنا أننا مسيحيون حتى لا يتم الحكم علينا بالموت، أو كنا قد حاولنا الاختباء منكم حتى نحقق ما نريده. ولكن لأننا لا نضع رجاءنا في هذه الحياة الحاضرة. فنحن لا نمانع أن نُقتَل بما أن الموت أمر آتٍ في كل الأحوال.

الفصل الثاني عشر

ونحن ، أكثر من جميع الناس ، نُعَد مساعدين لكم بالحقيقة،

---

[٥٧] قد تكون هذه إشارة إلى الفكر اليهودي القائل بميل الجنس البشري نحو الشرفقد كان الرأي السائد عند الرابيين أنه يوجد صراع في قلب الإنسان - الذي يمثل إرادة الإنسان وفكره - بين النزعات الخيِّرة والنزعات الشريرة وكان هذا الفكر معروفًا في الكنيسة الأولى.

[٥٨] هذه الاتهامات هي الإلحاد وأكل لحوم البشر والفسق. انظر الدفاع الأول، فصل ٢٦ و ٢٧ والدفاع الثاني، فصل ١٢.

[٥٩] كان واحدًا من الاتهامات التي توجه للمسيحيين هو ولاؤهم لمملكة أخرى وكان هذا الادعاء يجعل من المسيحيين متهمين بالخيانة وينفي عنهم أنهم مواطنون صالحون.

وحلفاءكم في دعم السلام لأننا نؤمن بأنه من المستحيل أن يستطيع الأشرار والجشعون والخونة والأبرار على حد سواء الاختباء من وجه الله وأن كل إنسان يأخذ العقاب الأبدي أو الخلاص حسب أعماله. ولو أدرك كل إنسان هذه الحقيقة لما فضَّل أن يعيش في الخطية ولو للحظة واحدة لأنه يعلم أنه سيجلب على نفسه آلام النار الأبدية، بل كان سيضبط نفسه بكل وسيلة ويتحلى بالفضيلة لينال رضى الله ويهرب من عقابه. فإن المجرمين يحاولون إخفاء أخطائهم خوفًا من القوانين والعقوبات التي تضعونها، لكنهم يخالفون القانون عالمين أنه يمكنهم الإفلات من أيديكم لأنكم مجرد بشر، أما إذا تعلَّموا وآمنوا أن لا شيء سواء من جهة أعمالهم أو أفكارهم يمكن أن يخفى على الله فسيحيوا حياة فاضلة مستقيمة، حتى لو بسبب الخوف من العقوبة كما تعلمون. ولكنكم تخشون أن يصير جميع الناس مستقيمين وأبرار وألَّا يتبقى لكم من تعاقبونه. وهذا الأمر قد يقلق منفذي أحكام الإعدام، ولكنه لا ينبغي أن يقلق الحكام الأبرار. وكما ذكرنا من قبل، نحن نعتقد أن هذه الأشياء هي بتحريض من الشياطين الأشرار الذين يطلبون الذبائح والخضوع من الذين لا يعيشون حياة حسب للحكمة. ولكننا نفترض أنكم أنتم يا من تسعون إلى التقوى والفلسفة لا يمكن أن تتصرفوا بشكل غير حكيم. وأما إذا تصرفتم مثل عديمي التفكير وفضَّلتم العادات[٦٠] على الحق، فحينئذ افعلوا ما في وسعكم، فإن الحكام الذين يفضلون الشائعات على الحقيقة لهم سلطان مثل ذلك الذي للصوص في البرية. ولكنكم لن تنجحوا[٦١]، وعدم نجاحكم قد شهد له الكلمة الذي لا نعرف حاكمًا أكثر جلالًا وعدلًا من الله

[٦٠] في الأغلب يقصد عادة اضطهاد المسيحيين التي ورثها الإمبراطور عن سلفه.

[٦١] أي أن الحكام لن ينجحوا في اضطهادهم للمسيحيين لأن المسيح يعضدهم ولأنهم متشجعون بمعرفتهم أن محاكماتهم وآلامهم إنما هي تحقيق لما سبق وأنبأ به.

الآب الذي ولده. وكما يتجنب الناس جميعًا أن يرِثوا الفقر والبؤس والخـزي من آبائهم، هكذا أيضًا العقلاء يرفضون اختيار كل ما يحظر عليهم الكلمة أن يختاروه. ولقد سبق وأخبرنا معلمنا[٦٢] يسوع المسيح، ابن الله الآب ضابط الكل والمرسل منه[٦٣] الذي منه أخذنا اسم مسيحيين، أن كل هذه الأشياء[٦٤] سوف تحدث. ومن هنا نحن واثقون من صدق كل ما علمنا إياه، لأن كل ما سبق وأخبرنا به يحدث بالفعل، لأن هذا هو من خصائص الله أن يتحدث عن شيء قبل أن يحدث ثم يرينا حدوث الشيء كما تنبأ. يمكننا التوقف هنا دون إضافات أخرى بما أننا نلتمس ما هو حق وعدل، لكن بما أننا نعلم مدى صعوبة تغيير أذهان تمرست في الجهل لذا قررنا إضافة بعض الملاحظات لإقناع جميع محبي الحق لأننا نعلم أن الهروب من الجهل ممكن إن واجهناه بالحق.

الفصل الثالث عشر

هل يوجد إنسان عاقل ينكر أننا لسنا بملحدين وهذا لأننا نعبد الله خالق هـذا العالم ونؤكد كما تعلمنا أنه لا يحتاج إلى ذبائح دموية أو سكائب أو بخور لذلك نحن نعبده بكل طاقتنا بالصلاة والشكر من أجل كل ما يعطينا؟ وقد تعلمنا أن العبادة الوحيدة التي تليق به ليست أن نحرق بالنار الأشياء التي خلقها الله من أجل إعالتنا بل نستخدمها لمنفعتنا ولمنفعة المحتاجين، وبأصوات الشكر نقدم له الترانيم والصلوات بخشوع لأنه خلقنا وحفظنا أصحاء ومن أجل أشياء أخرى كثيرة مثل تغيُّر فصول السنة. ونتضرع إليه في الصلاة أن يقيمنا

---

[٦٢] إن وصف المسيح الكلمة بأنه "مُعلِّم" يتكرر كثيرًا في الكتابات المسيحية الأولى، وهو يعتمد على استخدام العهد الجديد لكلمة رابي أي مُعلِّم.

[٦٣] استُخدِم هذا التعبير في رسالة معلمنا بولس الرسول إلى العبرانيين ٣ : ١.

[٦٤] يقصد الاضطهاد.

للحياة الأبدية لأننا نؤمن به. إن الذي علمنا هذه الأشياء هو يسوع المسيح الذي وُلد لهذا الغرَض، وصُلِب في عهد بيلاطس البُنطي والي اليهودية، وفي زمن مُلك طيباريوس قيصر. وسوف نثبت أننا نتعبد له بحكمة؛ إذ قد تعلمنا أنه ابن الله الحي نفسه ونؤمن أنه الثاني في الترتيب وروح النبوة هو الثالث في الترتيب[٦٥]، ولهذا السبب يتهموننا بالجنون قائلين إننا ننسب إلى رجل مصلوب المرتبة الثانية بعد الله الأبدي غير المتغير خالق الكل، ولكنهم يجهلون السر الذي يكمن وراء هذا الموضوع ونحن نرجوكم أن تنتبهوا لهذا السر بينما نقوم بشرحه.

الفصل الرابع عشر

نحذركم أن تحترسوا لئلا تضلكم الشياطين - التي اتهمناها من قبل - ويحوِّلوا اهتمامكم عن قراءة وفهم ما نقوله لكم فهمًا جيدًا. فهم يريدون أن يجعلوكم خدامًا وعبيدًا لهم. وهم يحتالون تارة عن طريق خيالات الأحلام وتارة أخرى عن طريق خدع السحر على جميع الذين لا يعملون بكل قواهم لأجل خلاص نفوسهم كما نفعل نحن بعد أن هدانا الكلمة وقد فصلنا أنفسنا عن هؤلاء الشياطين[٦٦]. ومن خلال الابن التصقنا بالله الوحيد غير المولود[٦٧] نحن الذين استمتعنا

---

[٦٥] تظهر هنا بعض من ملامح عقيدة الثالوث عند القديس يوستينوس وإن كانت العلاقة بين الأقانيم الثلاثة غير واضحة في هذا التعبير. وتتكرر الإشارة إلى عقيدة الثالوث في الدفاع الأول الفصول ٦١ و ٦٥ و ٦٧. ويشرح العلامة أثيناغوراس في *Legatio sive Supplicatio pro Christianis* فصل ١٠ الثالوث ويصفه بأنه واحد في القوة ولكن هناك تمايز في الترتيب (τάξις) بين الأقانيم. وهذا التمايز في الترتيب الذي ذكره القديس يوستينوس والعلامة أثيناغوراس لا يعني اختلافًا في الدرجات في طبيعة الله، بل قد يشير إلى ترتيب ذِكر الأقانيم كما جاء في صيغة التعميد وإلى شرح عمل الثالوث "من الآب بالابن في الروح القدس" كما ظهر في الخلق والفداء والاستعلان الإلهي. انظر:

J. N. D. Kelly, *Early Christian Doctrines* (London, 1958)

[٦٦] كلمة "فصلنا أنفسنا" تشير في الأغلب إلى طقس جحد الشيطان وكل أعماله في سر المعمودية.

[٦٧] يستخدم ق. يوستينوس - وكثير من آباء القرن الثاني - كلمة ἀγέννητος التي تعني "غير مولود" ليصفوا سمو الله بدلًا من كلمة ἀγένητος التي تعني "غير مخلوق" ويقول ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون فصل ٥ إن: "الله هو وحده غير المولود ἀγέννητος

قبلا[٦٨] بالنجاسات نتمسك الآن بالطهارة، نحن الذين وهبنا أنفسنا لفنون السحر نكرس الآن أنفسنا لله الصالح غير المولود، نحن الذين أحببنا فوق كل شيء كسب المال والمقتنيات نعطي الآن كل ما نملك للشركة ونتشارك فيه مع كل المحتاجين، نحن الذين أبغضنا وقتلنا بعضنا بعضًا ولم نقبل في بيوتنا من هم من قبيلة أخرى بسبب اختلاف تقاليدهم، الآن بعدما أتى المسيح نعيش معهم ونصلي لأجل أعدائنا ونحاول إقناع من يكرهوننا ظلمًا أن هؤلاء الذين يعيشون وصايا المسيح الصالحة يكون لهم رجاء ثابت في نوال نفس الأجر الذي نناله نحن أيضًا من الله الضابط الكل. ولئلا يبدو في كلامنا مراوغة، نرى أنه من المناسب ذِكر بعض تعاليم المسيح قبل تقديم الدلائل[٦٩]، وعليكم كأباطرة عظماء أن تقرروا ما إذا كان ما تعلمناه وما نعلمه هو الحق. إن أقوال المسيح كانت موجزة ودقيقة لأنه لم يكن سوفسطائيًا بل كان كلامه هو قوة الله.

الفصل الخامس عشر

وهكذا تكلَّم [المسيح] عن العفة: "إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه أمام الله" (مت ٥: ٢٨)؛ "إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها لأنه خير لك أن تدخل ملكوت السماوات أعور من أن تُلقى في النار الأبدية ولك عينان" (مت ٥:

وغير القابل للفساد ولهذا السبب هو الله أما باقي الأشياء فهي مولودة γεννητός وقابلة للفساد" ويبدو أن ق. يوستينوس يستخدم تعبير "غير مولود" ليعني "غير مخلوق" وهو التعبير الذي ساد فيما بعد كتعبير أفضل عن أزلية الله ولا يسبب خلطًا بين ميلاد المسيح أزليًا من الآب وخلق العالم.

[٦٨] كان المدافعون الأوائل دائمًا ما يشيرون إلى هذا التحول الأخلاقي المفاجئ بعد اعتناق المسيحية كدليل على الأساس الإلهي للكنيسة المسيحية، وقد دُعيت هذه الفكرة: "أنشودة انتصار المدافعين".

[٦٩] يقصد الدلائل التي وعد بها في الفصل الثالث عشر على " أننا نعبده بحكمة" ويأتي ذِكر هذه الدلائل في الفصل الثلاثين.

٢٩)[٧٠]؛ "من تزوج مُطلَّقة فإنه يزني" (مت ٥: ٣٢)؛ "لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. لكن ليس الجميع يستطيعون أن يقبلوا هذا الكلام" (مت ١٩: ١٢). وكما أن كل مَن يعقد زواجًا ثانيًا طبقًا للقانون البشري[٧١] يكون مخطئًا في نظر معلمنا، هكذا أيضًا كل من ينظر إلى إمرأة بشهوانية. وليس فقط كل من يزني بالفعل يكون مرفوضًا أمام الله بل أيضًا كل من يريد أن يزني لأن أفكارنا الداخلية ظاهرة أمامه وليس فقط أفعالنا. إن هناك الكثير من الرجال والسيدات الذين تبعوا المسيح منذ طفولتهم حفظوا طهارتهم حتى سن الستين والسبعين، وأنا أفتخر بأنه من الممكن أن أقدم أمثلة لهؤلاء من جميع الأمم. ولماذا نذكر هنا الأعداد التي لا تُحصى من الناس الذين تحولوا من حياة التهاون إلى تعاليمنا المسيحية؟ إن المسيح قد جاء لا ليدعو الأبرار والأطهار بل الخطاة والزناة والظالمين لأنه قال "لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩: ١٣). إن الآب السماوى يريد توبة الخاطي وليس عقوبته. أما بالنسبة للمحبة التي يجب أن نقدمها للجميع فالمسيح يعلمنا قائلًا: "إن أحببتم الذين يحبونكم فما الجديد فيما تفعلون؟ فإن الزناة أيضًا يفعلون هكذا (مت ٥: ٤٦) لكني أقول لكم، صلّوا

---

[٧٠] لقد كانت اقتباسات ق. يوستينوس من الذاكرة، ولم تكن اقتباساته حرفية في الكثير من الأحيان.

[٧١] يقول ماران إن ق. يوستينوس باستخدامه كلمة διγαμίας والتي تعني: "الزواج الثاني" يريد أن يحرِّم تعدد الزوجات وليس زيجتين متتاليتين (أي زواج ثان بعد وفاة الشريك الأول) وقد يعني ق. يوستينوس بهذا التعبير أيضًا زواجًا ثانيًا بعد الطلاق وليس بعد موت الشريك السابق لأنه ذكر الآية (مت ٥: ٣٢) "من طلق امرأته إلّا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن تزوج مطلقة فإنه يزني" وإذا قبلنا هذا التفسير نجد أن ق. يوستينوس لم يتبع الاتجاه المتشدد للمسيحيين الأوائل ضد الزواج الثاني بعد موت الزوج أو الزوجة. وهناك من يرى عكس ذلك لأن القانون الروماني - الذي عبَّر عنه ق. يوستينوس بـ "القانون البشري" - لم يكن يسمح بتعدد الزوجات، لكنه سمح بالزواج الثاني بعد وفاة الشريك، وفي هذه الحالة يكون ق. يوستينوس قد عارض ذلك الزواج.

لأجل أعدائكم، أحبوا مبغضيكم، باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم" (لو ٦: ٢٧ ، ٢٨) وأيضًا علّمنا المسيح أن نعطي مما لنا للمعوزين وألا نعمل شيئًا لمجدنا الشخصي عندما قال: "من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده" (مت ٥: ٤٢)؛ "وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فما الجديد فيما تفعلون؟ فإن العشارين أيضًا يفعلون ذلك" (لو ٦ : ٣٤)؛ "لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يُفسِد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون، بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يُفسِد سوس ولا صدأ" (مت ٦: ١٩، ٢٠)؛ "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الانسان فداءً عن نفسه" (لو ٩: ٢٥)؛ "اكنزوا إذن لكم كنوزًا في السماء حيث لا يُفسِد سوس ولا صدأ" (مت ٦: ٢٠)؛ "كونوا صالحين ورحماء كما أن أباكم أيضًا صالح ورحيم" (لو ٦: ٣٦) "فإنه يشرق شمسه على الخطاة والأبرار والأشرار" (مت ٥: ٤٥) و"لا تهتموا بما تأكلون وما تشربون ألستم أفضل من العصافير والحيوانات؟ هوذا الله يعولها فلا تهتموا إذن بما تأكلون وما تشربون لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه الأشياء. لكن اطلبوا أولًا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم" (مت ٦: ٢٥، ٢٦ ، ٣٣)؛ "لأنه حيث يكون كنز الإنسان فهناك يكون فكره[٧٢] أيضًا" (مت ٦: ٢١) و "لا تفعلوا هذه [الصَدقَات] لكي يراكم الناس وإلّا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات" (مت ٦: ١)

[٧٢] استبدل ق. يوستينوس في هذا الاقتباس كلمة "قلب" وهو ما يعتبره اليهود مركز التفكير والإرادة بكلمة "فكر" وهي الكلمة المعادِلة لها في الثقافة اليونانية.

الفصل السادس عشر

وقد علّمنا المسيح أن نكون صبورين وخادمين للجميع وألا نترك مجالًا للغضب على الإطلاق؛ إذ قال: "من لطمك على خدك فحوِّل له الآخر أيضًا ولا تمنع من أراد أن يأخذ ثوبك أو رداءك" (مت ٥: ٣٩، ٤٠)؛ "كل من يغضب يكون مستحقًّا للنار" (مت ٥: ٢٢) و"من سخرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين" (مت ٥: ٤١)؛ "فلتضئ أعمالكم الحسنة قدام الناس لكي يروها فيمجدوا الآب الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦). فلا يجب أن نتخاصم فالمسيح لا يريدنا أن نقتدي بالأشرار، بل يدعونا أن نجتذب الناس بعيدًا عن كل خزي وشر بصبرنا وحلمنا. وقد حدث هذا بالفعل في حالة الكثير منكم فقد تحولوا من حياة العنف والطغيان لأنهم هُزِموا إما بسبب ثبات جيرانهم [المسيحيين] أو بفضل الصبر العجيب الذي رأوه في الذين أُسيء إليهم من أصدقائهم أو اختبار أمانتهم التي ظهرت في كل أعمالهم. وبهذه الكلمات أوصانا بعدم الحلف بل التحدث بالصدق "لا تحلفوا ألبتة بل لتكن نعمكم نعم ولآكم لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (مت ٥: ٣٤، ٣٧). ولقد أقنعنا المسيح أن الله فقط هو الذي تنبغي له العبادة بقوله "أول كل الوصايا هي هذه: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد من كل قلبك ومن كل قدرتك، الرب الإله خالقك" (مر ١٢: ٣٠) وعندما جاء إليه أحد الرجال يدعوه "أيها المعلم الصالح" أجابه المسيح: "ليس أحد صالحًا إلّا واحد هو الله الذي خلق كل شيء" (مت ١٩: ١٦، ١٧). وليعلَم من لا يعيشون بحسب تعاليم المسيح أنهم ليسوا مسيحيين حتى ولو اعترفوا بألسنتهم بتعاليم المسيح لأنه قال إن الذين يُخلَّصون ليسوا

هم الذين يعترفون بتعاليمه بل الذين يعملون بها"[٧٣]. وقال "ليس كل من يقول لي يا رب، يا رب يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات فكل من يسمع أقوالي ويعمل بها يسمع لمن أرسلني وكثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم، يا رب يا رب أ ليس باسمك أكلنا وشربنا وصنعنا قوات فحينئذ أقول لهم اذهبوا عني يا فاعلى الإثم" (مت ٧: ٢١ - ٢٣) حينئذ يكون البكاء وصرير الأسنان بينما يضيء الأبرار كالشمس ويُطرَح الأشرار في النار الأبدية (مت ١٣: ٤٢، ٤٣) لأن كثيرين سيأتون باسمي لابسين ثياب حملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من أعمالهم تعرفونهم فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار. (مت ٧: ١٥، ١٦، ١٩) ونحن نطلب منكم أن تعاقبوا من يسمون أنفسهم مسيحيين لكنهم لا يعيشون بحسب تعاليم المسيح.

الفصل السابع عشر

ونحن نحاول في كل مكان أن ندفع قَبل الجميع الضرائب المستحقة العادية والخاصة للمسئولين المُعيَّنين من قِبَلكم كما علَّمنا المسيح، لأنه في زمانه جاءه أناس يسألونه عما إذا كان من الضروري دفع الجزية لقيصر فقال لهم: "أخبروني لمن هذه الصورة الموجودة على العملة، قالوا له لقيصر. فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[٧٤] (مت ٢٢: ٢٠، ٢١) ونحن نعبد الله وحده إلا أننا في الأمور الأخرى نطيعكم بفرح معترفين بكم كملوك وحكام الناس ونصلي لأجلكم حتى يكون لكم إلى جانب السلطان

[٧٣] أي أن الإيمان بدون أعمال لا يكفي لنيل الخلاص.

[٧٤] نظر الرومان لرفض المسيحيين عبادة الإمبراطور على أنه خيانة للدولة ولم يستطيعوا أن يفهموا كيف يمكن أن يصلّي المسيحيون لأجل الدولة والإمبراطور في حين أنهم لا يعبدونه وقد أدى ذلك إلى اتهام المسيحيين بالإلحاد واعتبار المسيحية دين غير شرعي (Religio non licita)

الملكي الحكم العادل. وإن لم تسمعوا لنا رغم توسلنا إليكم وشرحنا الواضح لموقفنا فإن ذلك لن يضيرنا على الإطلاق لأننا نؤمن - بل ونثق تمامًا - أن كل إنسان سوف يدفع ثمن أعماله السيئة في النار الأبدية وأن كل واحد سوف يعطى حسابًا حسب الإمكانات المعطاة له من الله كما أعلمنا المسيح عندما قال: "من أعطاه الله كثيرًا يُطلَب منه أكثر" (لو ١٢ : ٤٨).

الفصل الثامن عشر

ارجعوا وانظروا إلى نهاية كل من الأباطرة السابقين وتأملوا كيف ماتوا كسائر البشر، الأمر الذي إذا كان يؤدي إلى الراحة يكون وكأنه هدية[٧٥] لجميع الخطاة. ولكن بما أنه هناك حالة من الوعي والإدراك تنتظر كل هؤلاء الذين كانوا أحياءً، وحيث إن العقاب الأبدي ينتظر الأشرار، فتأكدوا أن ما أقوله لكم هو الحق. فلتقنعكم أصوات الموتى وأعمال السحر التي تمارسونها باستخدام الأطفال الأبرياء[٧٦] واستدعاء أرواح الموتى[٧٧] ولتقنعكم هذه التي يسميها السحرة أرواحًا مُرسِلة للأحلام والأرواح الشريرة المألوفة لديهم، أو فليقنعكم أي عمل آخر يقوم به هؤلاء العرافون المهرة في هذا المجال بأنه حتى بعد الموت تظل الأرواح في حالة وعي وإدراك. وأيضًا هؤلاء الذين تتسلط عليهم أرواح الموتى لتعذيبهم هؤلاء الذين

---

[٧٥] كلمة "هرمَيون" ἕρμαιον باليونانية تعني الشيء الذي يُعثَر عليه بجانب الطريق وهذا ما اعتبره الوثنيون هدية من الإله هرمس.

[٧٦] يصف يوسابيوس في (*Hist. eccl.* 7.10) الطريقة الوثنية في العرافة بأنهم كانوا يذبحون الأولاد الفقراء ويضحون بأطفال الأسر المنكوبة ويفتحون أحشاء الأطفال حديثي الولادة، ويذكر ترتليان في الدفاع ٢٣ أنه كان يتم استخدام الأطفال بطريقة ما كوسطاء في العرافة. وغالبًا ما يشير إليه ق. يوستينوس هنا هو هذا الاستخدام الثاني في العرافة.

[٧٧] كانت الجلسات الروحانية معروفة لدى القدماء ويقدم ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون، فصل ١٠٥، دليلا على خلود الأرواح بتحضير روح صموئيل بواسطة عرافة عين دور.

يدعوهم الكل مجذوبين ومجانين[78]. ولتسمعوا أيضًا إلى ما تسمونه رؤى أمفيلوخوس (Amphilochus)، ودودونا (Dodona) ، وأبوللو (Apollo) وأمثالهم وتعاليم الكُتَّاب إمبيدوكليس (Empedocles)، وفيثاغوراس (Pythagoras) وأفلاطون (Plato) وسقراط (Socrates) وحفرة هوميروس[79] (Homer) ونزول أوديسيوس (Odysseus) ليزور الموتى؛ وغيرهم ممن قصّوا قصصًا مماثلة. عاملونا إذن كما تعاملونهم لأننا نؤمن بالله ليس أقل بل أكثر منهم، ونحن نرجو أنه حتى لو ماتت أجسادنا ودفنت في الأرض فإنها ستقوم مرة أخرى لأننا نعلم أنه لا شيء يستحيل على الله.

الفصل التاسع عشر

وإذا افترضنا أنه لم يكن لنا جسد ثم جاء من يؤكد لنا أن تكوُّن العظام والعضلات واللحم بهذا الشكل البشرى الذي نراه الآن يأتي من خلال نقطة صغيرة من بذرة إنسان فسيبدو [هذا الكلام] لأي إنسان مفكر أنه أمر غير منطقي. وهنا نطرح عليكم هذا الافتراض: إن لم يكن لكم هذا الشكل البشري ولم تكونوا قد وُلدتم من أبوين لهما نفس الشكل، وجاء أحد ليريكم هذه البذرة البشرية ومعها صورة مرسومة لإنسان ويقول لكم إنه من تلك البذرة يخرج مثل هذا الكائن، فهل تصدقونه قبل أن تروا هذا الأمر وهو يحدث بالفعل؟ من المؤكد أنكم لن تصدقونه. وهكذا أيضًا بالمثل، لأنكم لم تروا قط ميتًا يقوم مرة أخرى للحياة، لذلك ترفضون أن تصدقوا. ولكن كما سبق أن قلنا إنكم لم تكونوا لتصدقوا أن إنسانًا يتكون من بذرة إنسان، ولكنكم الآن تعرفون أن هذا هو

---

[78] في هذه الفقرة يجمع ق. يوستينوس أدلة من الفكر الوثني على خلود الروح.

[79] في الأوديسة ١١: ٢٤ ، ٢٥ نجد أوديسيوس يحفر حفرة بسيفه ويملأها بالدماء ليجذب أرواح الموتى إلى هذا المكان.

ما يحدث، فإذن عليكم الآن أن تدركوا أنه من الممكن أن الأجساد البشرية بعد أن تموت وتدفن في الأرض مثل البذار، تقوم في الوقت الذي يحدده الله بأمر منه وتلبس عدم الفساد[٨٠]. نحن لا يمكننا أن نتخيل أية قدرة جديرة بالله ينسبونها إليه هؤلاء الذين يقولون إن كل شيء يرجع إلى أصله الذي جاء منه، وإنه حتى الله لا يقدر أن يفعل أكثر من هذا. ولكننا نعلم هذا جيدا: أنهم لم يكونوا ليصدقوا أنه من الممكن أن تكون لهم وللعالم أجمع هذه الهيئة التي هم عليها الآن من مجرد مثل هذه المادة. وقد تعلمنا أنه من الأفضل أن نصدِّق ما يستحيل على طبيعتنا البشرية عن أن نصير غير مؤمنين مثل الآخرين، لأننا نعلم أن مُعلِّمنا يسوع المسيح قد قال "الأشياء غير المستطاعة عند الناس مستطاعة عند الله" (متى ١٩: ٢٦) وأيضا "لا تخافوا من الذين يقتلونكم وبعد ذلك لا يستطيعون فعل شيء بل خافوا من الذي يقدر بعد الموت أن يلقي النفس والجسد كليهما في جهنم"[٨١] (متى ١٠: ٢٨) فجهنم هي مكان العقاب لمن عاشوا في الشر ورفضوا أن يؤمنوا بأن ما علَّمه الله من خلال المسيح سيحدث بالفعل.

الفصل العشرون

وقد تنبأت سبلة[٨٢] (Sibyl) وهِستاسبس[٨٣] (Hystaspes) بأن الفانيات سوف تحترق بالنار، كما يُعلِّم هؤلاء الذين يدعون

---

[٨٠] انظر ١كو ١٥: ٣٥ - ٣٨.

[٨١] إن كلمة "جهنم" مشتقة من الاسم العبري "وادي هنوم" الذي كان قريبًا من أورشليم وكان مكانًا سيئ السمعة بسبب الشرور التي ارتكبت فيه حيث كان الناس يقدمون أبناءهم قرابين للأوثان كما كانت تُلقى فيه الجثث والقمامة وتحرق بالنار.

[٨٢] هذه إشارة إلى "نبوءات سبلة" (*Sibylline Oracles*) وهي خليط من تقاليد يهودية وإضافات المسيحية، وتدور حول العصر الذهبي ومستقبل الإمبراطورية الرومانية ونهاية العالم. وهي من تأليف أناس كثيرين وقد تم تجميعها في خمسة عشر كتابًا.

[٨٣] هو المقابل اليوناني لفشتاسبا (Vishtaspa) الفارسي، وهو ملك أسطوري مدحه زرادشت وقد كان معروفًا بأقواله النبوية.

الفلاسفة الرواقيين بأنه حتى الله سوف يتحول إلى نار وأن بعد هذا التطور سيُصنع العالم من جديد. أما نحن فنؤمن أن الله خالق كل الأشياء يسمو فوق كل المتغيرات . ولهذا فإذا كنا نتفق مع الشعراء والفلاسفة المكرَّمين عندكم في بعض النقاط ونقدم تعليمًا أكثر كمالًا ولياقةً بالله في نقاط أخرى، وإذا كنا الوحيدين الذين نقدم إثباتات لما نقوله، فلماذا إذن تكرهوننا ظلمًا أكثر من الجميع؟ وعندما نقول إن الله خلق ودبَّر كل الأشياء في هذا العالم فنحن نبدو كما لو كنا نكرر تعليم أفلاطون[84]، وعندما نعلن أن كل الأشياء ستحترق في نهاية العالم فنحن نقول بالتعاليم نفسها التي دعا إليها الرواقيون. كذلك عندما نؤكد أن أرواح الأشرار ستكون موجودة بعد الموت وتلقى عقوبة بعد الموت بوعي وإدراك، في حين تنجو أرواح الأبرار من العقاب وتحيا في سعادة، فإننا نؤمن بنفس الأشياء التي يؤمن بها شعراؤكم وفلاسفتكم. وعندما ننادي بأننا لا ينبغي أن نعبد صنعة الأيادي فنحن نتفق في ذلك مع الشاعر الساخر ميناندر (Menander) وأدباء آخرين الذين يؤكدون أن الخالق أعظم من صنعة يديه.

الفصل الحادي والعشرون

عندما نؤكد أن الكلمة معلمنا يسوع المسيح الذي هو المولود الأول[85] لله ولم تكن هذه الولادة نتيجة لعلاقة جنسية، وأنه صُلِب ومات وقام من الأموات وصعد إلى السماء، فإننا في ذلك لا ندعي شيئًا جديدًا أو مختلفًا[86] عما تقولونه عن المدعوين أبناء زيوس

[84] In *Timaeus, passim*

[85] إن تعبير "المولود الأول" أو "البكر" يعني أنه لم يولَد أحد قبله، ولكنه لا يعني بالضرورة أن هناك من وُلِد بعده. وقد استخدم الآباء في العصور التالية تعبير "المولود الوحيد μονογένης" كتعبير أفضل عن علاقة الابن بالآب.

[86] هذه الطريقة في النقاش قد تبدو غريبة وغير مقبولة لنا اليوم، ولكن ق. يوستينوس

(Zeus). وأنتم تعلمون بالتحديد عدد الأبناء الذي ينسبه أدباؤكم الموقرون لزيوس، وهم: هرمس (Hermes) مفسر الكلمات ومعلم الجميع، وأسكلِبيوس (Asclepius) الذي بالرغم من أنه كان شافي الأمراض أصابته صاعقة وصعد إلى السماء، وديونيسوس (Dionysus) الذي قُطِّع إربًا إربًا ، وهرقل (Heracles) الذي دفع نفسه وسط لهيب نار معدة لحرق جثث الموتى لكي يهرب من آلامه، والديسقوريان (The Dioscuri) ابنا ليدا (Leda)، وبرسيوس (Perseus) ابن داناي (Danäe)، وبلليروفون (Bellerophone) الذي صعد إلى السماء على حصانه بيجاسوس (Pegasus) على الرغم من أصله البشري. وماذا نقول عن أريادن (Ariadne) وأمثالها اللواتي قيل إنهن يُقيمن بين النجوم؟ ماذا أيضًا عن الأباطرة الذين ماتوا والذين تعتبرونهم جديرين بالتأليه[٨٧]؟ ولماذا تدفعون شاهد زور ليُقسِم أنه رأى قيصر وهو يحترق ويصعد من نار المحرقة الجنائزية إلى السماء؟ ولا داعي أن نروي لكم قصصًا أنتم تعرفونها بالفعل عن الأفعال المنسوبة لأبناء زيوس، ويكفينا القول إن هذه القصص سُجِلَت من أجل منفعة الدارسين من الشباب وتعليمهم! لأن الكل يرى أن محاكاة الآلهة تُعتَبر شيئًا حسنًا، ولكن ليت مثل هذه الأفكار تبتعد عن كل إنسان عاقل، لأن زيوس الذي يعتبرونه خالق كل الأشياء وحاكمها كان قاتلاً لأبيه، كما أن أبيه كان أيضًا قاتلًا لأبيه، وبعد أن تسلطت عليه شهوة الشر والشهوات المُخجِلة انقض على جانيميد (Ganymede) والنساء العديدات اللاتي أغواهن. كما أخطأ أبناؤه أيضًا بارتكاب الأعمال ذاتها. ولكن كما سبق أن ذكرنا فإن

والمدافعين الآخرين في زمنه كانوا مستعدين لمقابلة الوثنيين في ملعبهم وأن يجاروهم في حكاياتهم ليثبتوا أن المسيحية ليست قصة خرافية ولا أسطورة. وهذا الاتجاه عند المدافعين الأوائل نجده عند ترتليان في الدفاع، فصل ٢١.

[٨٧] تأليه الحكام الرومانيين كان أمرًا معتادًا بعد حُكم يوليوس قيصر.

الشياطين الأشـرار تقوم بمثل هذه الأفعال. وأمـا نحن فقد تعلمنا أن الذين سينعمون بأبدية سعيدة هم فقط الذين عاشوا حياة فاضلة مقدسة قريبة من الله، كما أننا نؤمن أن الذين يعيشون في الشر بلا توبة سوف يعذبون في نار أبدية.

الفصل الثاني والعشرون

وابن الله الذي يُدعى يسوع، وإن كان إنسانًا عاديًا فإنه بسبب حكمته[٨٨] هو يُدعى ابن الله، مع العلم بأن جميع أدبائكم[٨٩] يقولون إن الله أبو الناس والآلهة. ولذلك فإذا أكدنا أن كلمة الله مولود من الله ليس بالطريقة العادية بل بطريقة عجيبة[٩٠]، كما سبق وذكرنا، فيمكن مقارنة ذلك بقولكم إن هرمس هو كلمة الله المُعلِنة. وإذا اعترض أحد على أن المسيح قد صُلب، فهذه الإهانة يمكن أن تماثل ما حدث لأبناء زيوس كما تسمونهم والذين تألموا كما ذكرنا من قبل. وقد قيل إن آلامهم عند الموت لم تكن متشابهة عند جميعهم بل مختلفة، حتى إن آلام المسيح غير العادية لم تكن أقل شأنًا من آلامهم. ولكن كما وعدناكم، فإننا سنثبت لكم كلما تقدمنا في خطابنا هذا - بل كما أثبتنا لكم بالفعل - أن المسيح أسمى وأفضل منهم في هذا الشأن، لأن سمو الشخص يثبت من أعماله. وإذا قلنا إنه وُلِد من عذراء، لهذا يمكن أن نضاهيه بما تقولونه عن برسيوس[٩١].

[٨٨] قد يكون المقصود هنا هو "لأنه هو الحكمة أو حكمة الله" فهو ابن الله كما جاء في الفصل ٢٣ من هذا الدفاع، وكما نرى في اعترافه الواضح عن المسيح في الفصل ٣١: "أنه دُعي ابن الله وهو بالحقيقة ابن الله". وقد يكون السبب في بعض الكلمات التي لا تبدو مستساغة لنا الآن هو الطريقة التي استخدمها ق. يوستينوس هنا وهي محاولة مجاراة الوثنيين في رواياتهم، فاضطر لأن يبدأ بنفس الكلمات والأفكار التي يستخدمونها ويتداولونها ليثبت لهم صحة المسيحية وواقعيتها.

[89] E.g., Homer. Cf. *Cohotatio ad Graecos* 2.

[٩٠] انظر الحوار مع تريفون فصلان ٦١ ، ١٢٨. ويشير ق. يوستينوس هنا إلى ولادة الكلمة قبل كل الدهور.

[٩١] تحكي الأساطير اليونانية أن الملك أكريسيوس حذره أحد الوسطاء الروحيين أنه سيُقتَل

وعندما نقول إن المسيح شفى العرج والمشلولين والعميان منذ ولادتهم وأقام الموتى، ألا تنسبون مثل هذه الأعمال إلى أسكلبيوس؟

الفصل الثالث والعشرون

ولتوضيح هذه النقطة سأقدم لكم هذه البراهين[٩٢] لإثبات [أولًا] أن كل ما رويناه، وقد تعلمناه من المسيح ومن الأنبياء الذين سبقوه، هو وحده حق وأقدم من كل كتابات الكتَّاب. وينبغي أن تصدقونا ليس لأننا نقول بمثل ما قاله الكتَّاب، بل لأننا نقول الحق. و [ثانيًا] إن يسوع المسيح هو بالحقيقة ابن الله، لأنه كلمته وبكره وقوته، وعندما صار إنسانًا بإرادته علَّمنا هذه [المبادئ] لتغيير البشرية وإرجاعها [إليه]. و [ثالثًا] قبل أن يتخذ طبيعة بشرية ويسكن بين الناس روى الشياطين الذين ذكرناهم من قبل من خلال الشعراء هذه الخرافات التي اخترعوها كأنها قد حدثت بالفعل، كما تسببوا في اتهامنا بأعمال خاطئة ومعيبة لا يقدرون أن يقدموا عليها أي شاهد أو دليل.

الفصل الرابع والعشرون

أولًا [نريد أن نقول] إنه بالرغم من أوجه التشابه بين تعاليمنا وتعاليم اليونانيين، إلّا أنكم تكرهوننا نحن فقط لأجل اسم المسيح. ومع أننا لا نرتكب أي جرائم فأنتم تحاكموننا كمجرمين،

على يد ابن ابنته فسجن ابنته الوحيدة العذراء داناي Danaë في سرداب تحت الأرض، ولكن زيوس زارها في شكل أمطار من الذهب، وبعد هذا ولدت داناي برسيوس.

[٩٢] سيبدأ ق. يوستينوس من هنا في إثبات ثلاثة أشياء: ١- أن التعاليم المسيحية فقط هي الصحيحة ويجب أن يتم قبولها بسبب قيمتها وليس بسبب تشابها مع تعاليم الشعراء والفلاسفة (الفصول ٢٤ ـ ٢٩). ٢- أن يسوع المسيح هو ابن الله وقد صار إنسانًا لأجلنا (الفصلان ٣٠ ـ ٥٣). ٣ ـ أنه قبل تجسد المسيح علمت الشياطين بعض الأشياء عن مهمته المستقبلية وحرضت الشعراء أن يخترعوا بعض الأساطير التي تشابه التجسد، وبهذا يبعدون الناس عن المسيح. راجع فصل ٥٤. وفي خلال شرح هذه الأفكار خرج ق. يوستينوس كثيرًا عن السياق الذي وضعه لنفسه.

في حين يعبد غيرنا من الناس في بلدان أخرى الأشجار والأنهار[٩٣] والفئران والقطط والتماسيح وحيوانات أخرى[٩٤] كثيرة غير عاقلة. ولا يعبد الجميع نفس الكائنات، ولكن تجدهم يعبدون شيئًا هنا وشيئًا آخر هناك، حتى إن الكل يُعتبَرون أشرارًا في نظر بعضهم، لأنه ليس الجميع يكرمون الأشياء نفسها. وهذا هو الاتهام الوحيد الذي توجهونه ضدنا وهو أننا لا نعبد الآلهة التي تعبدونها ولا نقدم للموتى سكائب أو دهون أو تيجان لتماثيلهم أو ذبائح. وأنتم تعلمون أن الحيوانات ذاتها التي يعتبرها البعض آلهة يعتبرها البعض الآخر حيوانات متوحشة ويقدمها آخرون كذبائح.

الفصل الخامس والعشرون

ثانيًا[٩٥] أننا نحن الذين من كل أمة كنا قبلًا نعبد ديونيسوس (Dionysus) ابن سيميلي (Semele)، وأبوللو (Apollo) ابن ليتو (Leto) ـ الذين في شهواتهم تجاه البشر مارسوا أشياءً شائنة حتى إننا لا نستطيع أن نذكرها ـ وكنا نعبد برسيفوني (Persephone) وأفروديت (Aphrodite) ـ اللتين أصابهما الجنون حبًّا في أدونيس (Adonis) وأنتم ما زلتم تحتفلون بأسرارهم ـ وأيضًا أسكلِبيوس وغيرهم من المدعوين آلهة. أما الآن فبنعمة المسيح نزدري بهم حتى تحت تهديد الموت في حين نكرِّس أنفسنا لله غير المولود غير المتغير والذي نوقن أنه لم ينحدر إلى مستوى الشهوة الجنسية مع أنتيوب (Antiope) أو جانيميد أو غيرهما من النساء. ولم يكن إلهنا محتاجًا إلى المارد[٩٦] ذي المائة يد ليحرره والذي استعان به ثيتيس (Thetis)،

[٩٣] مثل الفُرس.

[٩٤] مثل المصريين.

[٩٥] هذه الحجة الثانية مبنية على نقاء هذا الإله الواحد الذي يعبده المسيحيون حتى لو كانوا مهددين بالقتل في مقابل الآلهة الوثنية التي كان يعبدها البشر في شهواتهم.

[٩٦] اسمه في الأساطير اليونانية برياريوس (Briareus).

كما أنه لم يجزع بسبب هذه المساعدة حتى إن أخيل ابن ثيتيس اضطر إلى أن يقتل عددًا كبيرًا من الإغريق بسبب سريته بريسيس (Briseis). نحن نشفق على من يؤمن بمثل هذه الأشياء ولكننا نعلم أن من اخترعها هم الشياطين.

الفصل السادس والعشرون

ثالثًا[٩٧] أنه بعد صعود المسيح إلى السماء استخدم الشياطين بعض الناس الذين ادعوا أنهم آلهة والذين لم تتصدوا أنتم لهم بل أكرمتموهم بكرامات كثيرة. وكان هناك رجل سامري يدعى سيمون[٩٨] من قرية اسمها جيتا أجرى أعمال سحر عظيمة في مدينتكم الملكية روما بقوة الشياطين العاملة فيه. وكان هذا في عهد الإمبراطور كلوديوس، وقد دعاه الناس إلهًا وكرمتموه كإله عندما بنيتم له تمثالاً وأقمتموه [على جزيرة] في نهر التيبر بين الجسرين، وكتبتم عليه باللغة الرومانية "سيمون الإله المقدس"[٩٩]. ويتعبد له كل السامريين تقريبًا وأيضًا بعض الناس من مناطق أخرى ويدعونه الإله الأول، وامرأة اسمها هيلينا كانت تتجول معه في ذلك الوقت، وقد كانت قبلًا عاهرة يسمونها الفكرة الأولى التي تولدت منه. وكذلك نحن نعلم عن رجل اسمه ميناندر[١٠٠]

---

[٩٧] هذه الحجة الثالثة هي أن من يتمسك بالحق هو وحده من يضطهد. أما هؤلاء الهراطقة الذين حرضهم الشياطين على إفساد الإيمان المسيحي فإنهم لم يُضطهدوا بسبب معتقداتهم الفاسدة.

[٩٨] سيمون الساحر الذي من السامرة والذي عمده فيلبس أحد الشمامسة السبعة حوالي عام ٣٦م وبعدها عرض على بطرس الرسول أموالًا في مقابل مواهب الروح وقد وبخه بطرس لأجل هذه الخطية ـ التي سُميت "سيمونية" على اسمه ـ وأصبح عدوًا صريحًا له. ولأنه كان واحدًا من أوائل خصوم الكنيسة فإنه يعتبر أبو الهراطقة، وبالفعل فإن اعتقاده قد احتوى على بذور ما عُرف فيما بعد بالغنوسية.

[٩٩] قد ذكر يوسابيوس هذه القصة في *Hist. eccl.* 2.13 وإيريناؤس في *Adv. haer.*1.23.4 وترتليان في *Apol.* 13

[١٠٠] ميناندر هو أحد أتباع سيمون الساحر وخليفته، وكانت له أيضًا بعض الضلالات المسيانية،

(Menander) من السامرة أيضًا من بلدة كباريتيا (Capparetaea) وكان تلميذًا لسيمون، وبالمثل كانت تحركه للشياطين، هذا خدع كثيرين بأعمال السحر[١٠١] عندما كان في أنطاكية حتى إنه أقنع أتباعه بإنهم لن يموتوا أبدًا. وما زال هناك بعض الناس يؤمنون بهذا حتى اليوم. كما يوجد رجل يدعى ماركيون البُنطي[١٠٢] (Marcion of Pontus) يعلِّم تلاميذه الإيمان بإله آخر أعظم من الخالق. وبمساعدة الشياطين جعل الكثير من الناس في كل الأمم يجدفون منكرين أن الله خالق الكون ويدَّعون وجود إله آخر أعظم ويعمل أعمالًا أعظم منه. وكل من يتبعون هؤلاء الناس كما ذكرنا من قبل يُدعَون مسيحيين مثلما يشترك الفلاسفة الذين يختلفون في تعاليمهم في اسم الفلسفة. ونحن لا نعلم إذا كان هؤلاء يعملون هذه الأعمال الشائنة أم لا، مثل إطفاء المصابيح والعلاقات الجنسية الدنسة وأكل لحوم البشر[١٠٣]، ولكننا نعلم أنكم لا تضايقونهم ولا تحكمون عليهم على الأقل من أجل معتقداتهم. ولدينا مقال كتبناه ضد كل الهرطقات[١٠٤] التي ظهرت وإذا أردتم قراءته سنعطيكم إياه.

فقد عرَّف أتباعه المعمودية وأخبرهم أنها ستبقيهم شبابًا للأبد وأحرارًا من الموت.

[١٠١] لم ينكر آباء الكنيسة وجود السِحر لكنهم نسبوه لأعمال الشياطين.

[١٠٢] ولد في سينوب في بنطس في حوالى عام ١٤٠م وذهب إلى روما حيث أُدينت تعاليمه فانضم حينئذ للغنوسية ثم أسس طائفة خاصة به مبنية على نظام الثنائية التي تعلم بوجود إله للخير وآخر للشر.

[١٠٣] بعدما سمع الوثنيون روايات غامضة (بسبب سريَّة الطقوس المسيحية *Disciplina Arcani*) عن الأفعال التي تحدث في اجتماعات المسيحيين ومنها أنهم يأكلون جسد أحد الأشخاص ويشربون دمه وأيضًا تبادل قبلة السلام بين المسيحيين الذين يعتبرون بعضهم إخوة وأخوات فأعادوا - أي الوثنيون - تشكيل هذه الرواية كالتالي : أن هؤلاء المنضمين حديثًا لهذا الدين الجديد كانوا يعطونهم هراوات ليضربوا بها كتلة كبيرة من العجين كان مخبأ داخلها طفل وبعد قتل هذا الطفل كان الحضور يأكلون جسده ويشربون دمه وبعد ذلك يطفئون الأنوار ويقومون بكل الأفعال الشريرة ومن هذا التصور جاءت الاتهامات ضد المسيحيين بأنهم قتلة الأطفال وآكلي لحوم البشر (احتفالات ثيستية) وأيضا زنى المحارم (علاقات أوديبية) . راجع أثيناغوراس *Suppl. 3* وترتليان *Apol. 7* وموناكيوس فيلكس *Octavius 9*

[١٠٤] هذا العمل مفقود.

الفصل السابع والعشرون

وأما نحن فلكي لا نرتكب خطأً أو معصيةً، فقد تعلمنا أنه من الشر التخلي عن الأطفال حديثي الـولادة[١٠٥] أولًا لأننا نرى أن جميع الأطفال الذين تم التخلي عنهم - ليس فقط من البنات بل من البنين أيضًا - يشبّون في الدعارة. وكما يُقال إن أجدادكم قد ربوا قطعانًا من الثيران أو الماعز أو الغنم أو الخيـل[١٠٦] بغرض آداء عمل معين، كذلك أنتم تربون أطفالًا لهذا الغرض الشائن فقط وأصبح أمرًا واقعًا أن يوجد في جميع الأمـم الكثير من النساء الساقطات والمخنثين على استعداد لممارسة الشر. وأنتم تقبلون منهم الأجـور والأتـاوات والضرائب[١٠٧] بدلًا من أن تمحوهم من أراضيكم. مع العلم أن كل من يتورط معهم يكون مذنبًا بعمل إلحادي وشرير وشائن بل وقد يتورط في ممارسة الجنس مع طفله أو أحد أقاربه أو أخيه بل وهناك بعض الناس يجعلون من بناتهم وزوجاتهم عاهرات. وبسبب الشذوذ قطع البعض أعضاءهم على المـلأ، وهم ينسبون هذه الطقوس لأم الآلهة. كما يرسمون بجانب كل من يعتبرونه إلهًا شكل حية[١٠٨] كرمز عظيم وسـر. وفي الحقيقة إن كل ما تعملونه في العلن وتكرمونه - كما لو كان النور الإلهي قد انطفأ[١٠٩] - تتهموننا به. وهذا بالطبع لا يضرنا نحن الذين نرفض أن نفعل مثل هذه الأمور الشريرة، بل يضر الذين يمارسونها ويتهموننا باطلاً.

---

[١٠٥] من الواضح أنه كان من المعتاد في ذلك الزمان التخلي عن الأطفال الذين لا يريدهم أهلهم وذلك بتركهم بجانب التل أو بجانب الطريق.

[106] Cf. Tatian, Oratio ad Graec. 28, Clemens Alex ., Paed 3,4. 25

[١٠٧] تم فرض الضرائب على ممارسة الدعارة لأول مرة في عهد كاليجولا cf. Suetonius *cal.* 40 ولم يتم إلغاؤها حتى عهد جوستنيان.

[١٠٨] شكل معتاد في الديانات الوثنية كرمز للخلود والقوة والحكمة.

[١٠٩] يقصد نور النهار، ومن المثير للدهشة أن غير المسيحيين كانوا يفعلون تلك الأمور الشائنة علانية في وضح النهار متهمين المسيحيين أنهم يفعلون هذه الأمور عينها لكن في أماكن مغلقة بعد إطفاء المصابيح.

الفصل الثامن والعشرون

وكما يمكنكم أن تعرفوا من قراءة كتاباتنا أن رئيس الأرواح الشريرة نسميه الحية والشيطان وإبليس. وقد أنبأنا المسيح بأن الشيطان مع أجناده الشريرة ومن يتبعهم من البشر سوف يُلقَون في النار ليتعذبوا إلى الأبد، والسبب في صبر الله وعدم إتمامه ذلك حتى الآن هو محبته للبشرية، لأنه بسابق علمه يرى أن هناك بعض البشر سوف يخلصون بالتوبة، وربما لم يولد بعض هؤلاء بعد. وعندما خلق الله الإنسان في البدء وهبه قوة الفهم واختيار الحق وعمل الصواب ولذلك فإن كل الناس بلا عذر أمام الله لأنهم وُلِدوا قادرين على التفكير والتأمل. وإذا كان أحد لا يؤمن أن الله يهتم بهذه الأمور فكأنه يقول إما إن الله غير موجود، أو إنه موجود ولكنه يسعد بالشر أو إنه مثل الحجر [لا يتأثر] وعلى ذلك تكون أيضًا كل من الفضيلة والرذيلة أشياء غير حقيقية، بل إن الأمور تعتبر فقط صالحة أو شريرة حسب وجهة نظر الناس، وهذا هو أعظم الشرور وعدم التقوى.

الفصل التاسع والعشرون

وأيضًا [نحن لا نتخلى عن الأطفال] لأن بعضهم قد لا يأخذهم أحد فيُترَكون حتى يموتوا، وفي هذه الحالة نكون قد أصبحنا قتلة. فإما نتزوج لتكون تربية أطفال في المقام الأول من اهتماماتنا، وإما نرفض الزواج ونعيش في عفة وطهارة بقية حياتنا. وقد حدث مؤخرا أن أحد المسيحيين تقدم بطلب لفيلكس والي الاسكندرية يلتمس منه أن تجرى له جراحه تجعل منه خصيًا - ليثبت لكم أننا لا نمارس علاقات دنسة - لأن الأطباء هناك قالوا إن هذه الجراحة ممنوعة[110] ما

[110] وهذا طبقا لقانون يعود لعهد الإمبراطور نرفا Nerva (٩٦ - ٩٨م).

لم تكن بإذن من الوالي. وعندما رفض فيلكس تمامًا أن يأذن له ظل هذا الشاب بدون زواج، وعاش في طهارة راضيًا بارتياح ضميره واستحسان رفقائه المؤمنين . ويتسع المجال هنا لذكر أنطينوس[١١١] (Antinous) والذي كان على قيد الحياة حتى وقت قريب، ولكن بعد موته غرقًا بدأ الناس يعبدونه كإله رغم أن الكل يعلم من هو ومن أين جاء.

الفصل الثلاثون

ولكي لا يعترض أحد متسائلًا : "ما الذي يمنعنا من أن نفترض أن هذا الذي ندعوه المسيح كان إنسانًا مولودًا من أناس بالطريقة البشرية، وأنه صنع ما نسميه معجزات باستخدام فنون سحرية[١١٢] وهكذا بدا كما لو كان ابن الله؟" فإننا الآن نقدم الدليل [على أن هذا الافتراض ليس هو الحقيقة] [١١٣] وسنفعل ذلك ليس بمجرد سرد جمل [بدون براهين] لكن من المُحتَّم أن نصدِّق أولئك الذين تنبأوا عن هذه الأمور قبل حدوثها، لأننا رأينا أمورًا حدثت ولا تزال تحدث بنفس الطريقة التي تم التنبؤ بها. ونحن على يقين من أن هذا سيكون أصدق وأكبر دليل على ما نقوله.

الفصل الحادي والثلاثون

كان بعض الناس من اليهود أنبياء لله ومن خلالهم تنبأ روح النبوة عن أحداث سوف تحدث قبل أن تحدث بالفعل، واحتفظ ملوك يهوذا المتعاقبين بأقوال هذه النبوات في حوزتهم بحرص كما قيلت في وقت

---

[١١١] أنطينوس كان أحد المقربين من الإمبراطور هادريان، وقد غرق في نهر النيل، وبعد موته أصدر هادريان قرارًا بتأليهه.

[١١٢] كان هذا اتهامًا شائعًا ذكره أرنوبيوس وقام بتفنيده، انظر *Adversus Nationes* 1.43

[١١٣] يبدأ ق. يوستينوس من هذه النقطة إثباته أن المسيح هو ابن الله.

التنبؤ بها بلغتهم العبرية، وكانت مدونة في كتب بواسطة الأنبياء أنفسهم. وعندما أنشأ بطليموس[١١٤] ملك مصر مكتبة وحاول جمع كتابات كل البشر سمع عن هذه الكتابات النبوية فأرسل إلى هيرودس[١١٥] ملك اليهود في ذلك الحين طالبًا منه إرسال هذه الأسفار النبوية له. وأرسلها الملك هيرودس مكتوبة بلغتهم العبرية كما قلنا. ولكن إذ لم يستطِع المصريون فهم هذه الكتابات، لذا فقد أرسل له مرة أخرى طالبًا بعض الأشخاص[١١٦] ليترجموا هذه الأسفار إلى اليونانية. وبعدما تم ذلك ظلت الأسفار في حوزة المصريين إلى يومنا هذا، كما هي أيضًا في حوزة كل إنسان يهودي أينما كان. ولكن اليهود على الرغم من أنهم هم أيضًا يقرأون هذه الأسفار، إلا أنهم لا يفهمون معناها بل يعتبروننا أعداءً لهم[١١٧]. ومثلما تفعلون أنتم، فهم يقتلوننا ويهاجموننا كلما استطاعوا كما لكم أن تتصوروا. وفي الحرب اليهودية الأخيرة أمر بار كوكبا[١١٨] (Bar Kokhba)، زعيم الثورة اليهودية بتعذيب المسيحيين دون غيرهم تعذيبًا مريعًا ما لم ينكروا يسوع المسيح ويجدفوا عليه. وفي أسفار الأنبياء نجد نبوات عن مجيء مسيحنا يسوع متأنسًا ومولودًا من عذراء، وشفائه لكل

---

[١١٤] هو بطليموس فيلادلفوس الذي تم في عهده ـ في القرن الثالث قبل الميلاد ـ ترجمة الكتب المقدسة من العبرية إلى اليونانية في مكتبة الاسكندرية وسُميَت "الترجمة السبعينية". وقد كانت كل اقتباسات ق. يوستينوس من العهد القديم بحسب الترجمة السبعينية ـ وهي الترجمة المعتمدة لدى كل كُتَّاب العهد الجديد وآباء الكنيسة الأولى ـ ومن الجدير بالذكر أن بعض إقتباسات ق. يوستينوس كانت من الذاكرة وليست اقتباسات حرفية.

[١١٥] يورد ق. يوستينوس هنا مفارقة تاريخية لأن هيرودس لم يكن هو ملك اليهود في ذلك الوقت وقد ألقى كل من جريب و ماران وآخرون اللوم على الكاتب الذي كان عليه أن يكتب "رئيس الكهنة الحاكم" βασιλεύοντι ἱερεῖ بدلًا من "الملك هيرودس" βασιλεύοντι Ἡρώδῃ ويعتقد فيلو في *De vit. Mos.* 2 أن رئيس الكهنة العازر الذي أرسل له بطليموس طلبه كان هو نفسه من يحكم اليهود.

[١١٦] اتبع ق. يوستينوس رواية ارستياس (Aristeas) كما فعل فيلو ويوسيفوس بشأن الاثنين وسبعين شيخًا الذين قاموا بترجمة الأسفار المقدسة.

[١١٧] ذكر ق. يوستينوس العداء اليهودي للمسيحية عدة مرات.

[١١٨] هو من قاد حرب التمرد اليهودية ضد القوات الرومانية ١٣٢ ـ ١٣٥م.

مرض وسقم، وإقامته للموتى، وكراهية اليهود له، وعدم إعترافهم به، وعن صلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماوات، وأنه دُعي ابن الله وهو بالحقيقة ابن الله. [كما توجد نبوات أيضًا] عن إرساله أناسًا إلى كل الشعوب لتبشيرهم بهذه الأمور، وأيضًا أن الأمميين سوف يؤمنون به [أكثر من اليهود]. وقد تنبأ عنه الأنبياء قبل مجيئه مرةً بخمسة آلاف سنة، ومرةً بثلاثة آلاف سنة، ومرةً بألفي سنة، وأيضًا بألف سنة، وأخيرًا قبل مجيئه بثمانمائة سنة[١١٩]. لأنه مع تعاقب الأجيال كان أنبياء جدد يظهرون.

الفصل الثاني والثلاثون

وقد تكلَّم موسى أول الأنبياء بهذه الكلمات عينها: "لا يزول رئيس من يهوذا ولا مدبِّر من بين فخذيه حتى يأتي من ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم، رابطًا بالكرمة جحشه غاسلاً بدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩ : ١٠) فالأمر متروك لكم أن تبحثوا بدقة وتتعلموا إلى أي وقت كان لليهود حاكمهم وملكهم. [فقد كان لهم حاكم] حتى وقت مجيء المسيح معلمنا الذي فسر لنا النبوات التي لم تكن مفهومة بعد، كما سبق وقال روح النبوة الإلهي القدوس من خلال موسى إنه "لا يزول رئيس من يهوذا حتى يأتي من ذُخِّر له المُلك" وإذ كان يهوذا من أسلاف اليهود ومنه يتخذون اسمهم وبعد أن ظهر [المسيح]، حكمتم أنتم اليهود وصرتم أسيادًا على كل أرضهم والنبوءة التي تقول "وهو رجاء الأمم" تعني أن أناسًا من جميع الأمم سوف يترجون مجيئه الثاني، كما يمكنكم أن تروا بأعينكم وأن تقتنعوا بما حدث فعلاً لأن أناسًا من كل الأمم يتطلعون لمن صُلب في اليهودية والذي بعد مجيئه أعطيت لكم دولة اليهود على

[١١٩] يبدو أن ق. يوستينوس كان يستخدم أرقامًا تقريبية، وربما يكون من يقصدهم هم بالترتيب: آدم وإبراهيم وموسى وداود وإشعيا.

الفور كغنيمة حرب. أما عبارة "رابطًا بالكرمة جحشه وغاسلاً بدم العنقود ثوبه" فهي إشارة لما سيحدث للمسيح وللأعمال التي سيعملها، لأن جحش أتان كان مربوطًا في كرمة[١٢٠] في مدخل قرية وقد أمر تلاميذه أن يحضروه إليه، وعندما أحضروه ركبه وجلس عليه ودخل أورشليم حيث كان الهيكل اليهودي العظيم الذي هدمتموه أنتم فيما بعد. وبعد ذلك صُلِب المسيح لكي تتحقق بقية النبوءة، لأن الكلمات "غاسلًا بدم العنقود ثوبه" كانت إشارة إلى الآلام التي كان مزمعًا أن يقاسيها مطهرًا بدمه من يؤمنون به، لأن ما دعاه روح الله من خلال النبي "ثوبه" يمثل أولئك المؤمنين بالمسيح الذين يسكن فيهم بذرة الله[١٢١] أي الكلمة. وبقوله "دم العنقود" يعني أن الذي سيأتي سوف يكون من لحم ودم، إلا أنه ليس من زرع بشر بل من قوة الله. والكلمة هو القوة الأولى بعد الآب[١٢٢] سيد كل الأشياء، وهو أيضًا ابنه الذي اتخذ جسدًا وصار إنسانًا كما سنوضح الآن. فكما أن الله هو الذي صنع دم العنقود وليس إنسانًا، كذلك أيضًا فإنه من الواضح أن هذا الجسد لم يكن من زرع بشر بل من قوة الله كما سبق وذكرنا. ويتنبأ نبي آخر وهو إشعيا عن هذه الأمور ذاتها بكلمات مختلفة قائلاً: "يبزغ نجم من يعقوب وتطلع زهرة من

---

[١٢٠] لا يرد ذِكر هذه الكرمة في أي من الأناجيل (مت ٢١ : ٢، مر ١١: ٢، لو ١٩: ٣٠)، ففي بعض الأحيان يذكر ق. يوستينوس أقوالًا وتفاصيلًا غير موجودة في الأناجيل لكنه لا يذكر مصدر هذا الاقتباس، ويرى البعض أن هذا قد يكون مجرد خطأ في تذكر نص الآية؛ فبدلًا من أن يقول ἐπὶ ἀμφόδου التي تعني "عند مفترق طرق" (مر ١١: ٤) قال πρὸς ἄμπελον التي تعني "عند كرمة" أو ربما يكون ذلك بسبب عدم وضوح النص في المخطوطات التي كان قد رجع إليها.

[١٢١] يتحدث يوستينوس هنا عن بذرة اللوغوس أو بذرة الكلمة وهي معرفة جزئية عن الله موجودة عند كل إنسان. انظر الدفاع الثاني، فصل ٨.

[١٢٢] ينبغي ألّا يُفهَم أن ق. يوستينوس هنا كان يُعلِّم بوجود اختلاف أو تسلسل في الدرجات بين أقانيم الثالوث، إلا أن ذلك يرجع ـ كما يرى البعض ـ إلى عدم الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة، وهو الأمر الذي عالجته الكنيسة فيما بعد بتحديد صياغات لاهوتية حفظت للثالوث وحدة الجوهر مع المساواة بين الأقانيم الثلاثة المتمايزة. انظر الحاشية رقم ٦٥ في الدفاع الأول.

أصل يسى وعلى ذراعه تتكل الأمم"[١٢٣] وبالفعل قد ظهر نجم ساطع وزهرة أزهرت من أصل يسى، الذي هو المسيح لأنه بقوة الله قد حبلت به عذراء من نسل يعقوب أبي يهوذا الذي هو كما قلنا أبو الأمة اليهودية. وصار يسى جدًّا للمسيح كما قيل في النبوءة وبالتالي فهو ابن ليعقوب ويهوذا بحسب تسلسل الأنساب.

الفصل الثالث والثلاثون

وأيضًا اسمعوا كيف تنبأ إشعيا بأن المسيح سوف يُولَد من عذراء: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه الله معنا[١٢٤]" (إش ٧: ١٤). فما يعتبره الناس غير قابل للتصديق وغير ممكن سبق الله وأخبرنا من خلال روح النبوة أنه سوف يحدث حتى متى صار بالفعل لا يقدر أحد أن ينكره بل يؤمن به الناس لأنه قد تم التنبؤ به. ولئلا يتهمنا البعض ممن لا يدركون معنى هذه النبوءة بالأمور عينها التي نتهم نحن بها الشعراء الذين يقولون إن زيوس تقرَّب من النساء من أجل شهوة جسدية، دعونا نحاول توضيح كلمات هذه النبوءة. إن عبارة "ها العذراء تحبل" تعني أن الحبل سيكون بدون اتصال جنسي، لأنه لو كان للعذراء اتصال جنسي مع أحد لما ظلت عذراء بعد ذلك، ولكن قوة الله حلت على العذراء وظللتها وجعلتها تحبل وهي بعد عذراء. ثم أن ملاك الله الذي أُرسِل للعذراء في ذلك الوقت حمل لها البشارة قائلاً لها: "ها أنت ستحبلين من الروح القدس وتلدين ابنًا وابن العلي يدعى وتدعين اسمه يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم" (لو ١: ٣١)، وقد تم هذا كما علَّمنا الذين سجلوا كل ما يخص مخلصنا يسوع المسيح - ونحن نؤمن بما قالوه - وكما تنبأ روح النبوة

---

[١٢٣] انظر اش ١١: ١.

[١٢٤] هنا ترجم ق. يوستينوس اسم عمانوئيل من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية.

بواسطة إشعيا أنه سيُولَد بهذه الطريقة كما قلنا من قبل. فلا يصح إذن أن نفهم أن الروح وقوة الله شيء آخر غير الكلمة[١٢٥] الذي هو أيضًا بكر الله كما قال موسى[١٢٦] النبي الذي ذكرناه من قبل. هذا هو الذي حل على العذراء وظللها وجعلها تحبل - بغير اتصال جنسي - بل بقوة إلهية. واسم "يسوع" هو كلمة عبرية تعني "مُخلِّص" ولذا قال الملاك للعذراء "وتدعين اسمه يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم" . وأعتقد أنكم توافقونني الرأي بأن الذي أوحى للأنبياء ليس آخر غير كلمة الله.

الفصل الرابع والثلاثون

واسمعوا أيضًا في أي مكان على الأرض بالضبط كان سيولد المسيح كما تنبأ بهذا نبي آخر هو ميخا النبي وقال: "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا فمنك يخرج مدبر يرعى شعبي" (مي ٥ : ٢)، وبيت لحم هذه هي قرية في أرض اليهود تبعد ٣٥ غلوة[١٢٧] عن أورشليم وفيها وُلِد يسوع المسيح كما يتضح لكم إذا راجعتم التعداد الذي أجراه كيرينيوس (Cyrenius) أول والٍ لكم في اليهودية[١٢٨].

---

[١٢٥] لا يطابق ق. يوستينوس هنا بين أقنوم الكلمة وأقنوم الروح القدس الذي حل على العذراء. فتعاليمه عن تمايز الأقانيم واضحة في مواقع أخرى من كتاباته. انظر مثلًا الدفاع الأول فصل ١٣ و ٦١ و ٦٥ . لكنه هنا يُعلِّم بأن الذي حل على العذراء وروح النبوة الذي أوحى للأنبياء هو أقنوم الكلمة. وقد قننت الكنيسة رسميًا إيمانها بالثالوث ودور كل أقنوم في عمل الله الواحد من خلال صياغة قانون الإيمان في مجمعي نيقية والقسطنطينية.

[١٢٦] قد يرى البعض أنه يجب أن نبدل كلمة "موسى" في هذه الفقرة بـ "إشعيا" حيث إن هذا سيتفق أكثر مع السياق، إلا أننا اتبعنا رأي ماران في *P.G.* 6.381 في ترك هذه الكلمة كما هي لأن ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون فصل ٥٢ يستشهد بموسى ليثبت أن المسيح هو المولود الأول.

[١٢٧] الغلوة هي وحدة لقياس المسافة، وهي تساوي ١٨٥ مترًا، أي أن المسافة المذكورة هنا تساوي حوالى ٦,٥ كيلومترات.

[١٢٨] الصواب هو أنه كان مبعوث الإمبراطور في سوريا.

الفصل الخامس والثلاثون

وأيضًا اسمعوا النبوات عن أنه بعد ميلاد المسيح لم يلفت أنظار الناس حتى بلغ سن الرشد، وهذا أيضًا قد تم. وإليكم كلمات النبوءة: "لأنه وُلِد لنا ولد وأُعطينا ابنًا وتكون الرياسة على كتفيه" (إش ٩ : ٦) وهذا يشير إلى قوة الصليب الذي وضع كتفيه عليه عند صلبه كما سيتضح فيما بعد في سياق الحديث، ويقول إشعيا النبي أيضًا بوحي من روح النبوة "بسطتُ يديَّ إلى شعب متمرد معاند سائر في طريق غير صالح" (إش ٦٥ : ٢) "يسألونني عن أحكام البر ويجسرون على التقرب إلى الله" (إش ٥٨ : ٢) وأيضًا يقول [روح النبوة] بكلمات أخرى على فم نبي آخر: "ثقبوا يديَّ ورجليَّ وعلى لباسي ألقوا قُرعة" (مز ٢١ : ١٧، ١٩). لكن داود النبي والملك الذي قال هذه الكلمات لم يقاس أيًّا مِن هذه الآلام، بل يسوع المسيح هو من مد ذراعيه عندما صلبه اليهود الذين ناقضوه وأنكروا أنه المسيا. وكما يذكر النبي أيضًا، فقد هزأوا به واضعين إياه على كرسي الولاية قائلين له "احكم علينا"[١٢٩] وتشير عبارة "ثقبوا يديَّ ورجليَّ" إلى المسامير التي سمرت يديّ ورجليّ المسيح على الصليب. وبعد أن صلبوه ألقوا قُرعة على ثيابه ووزعوها فيما بينهم. وتقدرون أن تتحققوا من صحة هذه الأحداث مما هو مكتوب عن بيلاطس البنطي في كتاب الأعمال[١٣٠]. ولكي نثبت أنه قد سبق التنبؤ بدخول المسيح أورشليم جالسًا على جحش أتان سوف نقتبس نبوة من نبي آخر وهو صفنيا وهذه هي كلمات النبوءة: "افرحي جدًّا يا ابنة صهيون واهتفي يا ابنة أورشليم. هوذا ملكك يأتيك وديعًا وراكبًا على أتان وعلى جحش ابن أتان[١٣١]".

---

[١٢٩] راجع مت ٢٧: ٢٦ ـ ٣٠.

[١٣٠] كتاب الأعمال (*Acta*) هو وثيقة رسمية للدولة الرومانية كانت تُسجَّل فيها الأحداث الهامة وقد ذكرها ق. يوستينوس مرة أخرى في الدفاع الأول، فصل ٤٨.

[١٣١] هذا الاقتباس ليس من صفنيا ولكن من زكريا ٩ : ٩.

الفصل السادس الثلاثون

وعندما تستمعون إلى نبوات يتم النطق بها عن طريق شخص ما من الأنبياء، فلا تظنوا أنه نطق بها من تلقاء نفسه، بل من خلال كلمة الله الذي يحركه. فهو يقول أحيانًا بطريقة نبوية ما سوف يحدث، وأحيانًا أخرى يتحدث باسم الله رب وأبي الكل وأحيانًا أخرى باسم المسيح، وأحيانا باسم أناس يجاوبون الرب أو الله أبيه. وقد تلاحظون أنتم ذلك عند كُتَّابكم حيث يكتب أحدهم القصة وحده ولكنه يقدم شخصيات مختلفة يتحاورون معًا. أما اليهود فمع أن لديهم كتابات الأنبياء إلّا أنهم لا يفهمونها وهم لم يتعرفوا على المسيح عندما جاء، ليس هذا فقط، بل هم أيضا يكنون لنا الكراهية لأننا نعلن أنه قد جاء ونقول أنهم قد صلبوه حسب النبوات.

الفصل السابع والثلاثون

ولكي تتضح لكم هذه الحقيقة، فإن هذه الكلمات قد قالها الله الآب من خلال النبي إشعيا الذي سبق أن ذكرناه: "الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل لا يعرفني، شعبي لا يفهم. ويل لأُمَّة خاطئة، شعب مملوء آثامًا، نسل شرير، أبناء أثمة قد تركتم الرب" (إش ١ : ٣، ٤) وأيضًا في فقرة أخرى يتحدث النبي باسم الآب قائلًا: " أي بيت تبنون لي يقول الرب، السماء كرسيَّ والأرض موطئ قدميَّ." (إش ٦٦: ١)، وأيضًا في فقرة أخرى "رؤوس شهوركم وسبوتكم تبغضها نفسي. لست أطيق صوم اليوم العظيم والاعتكاف ولن أسمع لكم حين تأتون لتترآوا لي، أيديكم ملآنة دمًا، تأتون بسميذ وبخور هو مكرهة لي، لا أريد شحم كباش ولا دم عجول فمن طلب هذا من أيديكم؟" (إش ١: ١١ - ١٥) "بل حِل

كل مقيدٍ بالشر، فك عقد القسوة، أُستر العريان والشارد، طعم خبزك للجائع" (اش ٥٨: ٦، ٧) وتستطيعون الآن أن تفهموا الأشياء التي تعلمناها من خلال الأنبياء باسم الله [الآب].

الفصل الثامن والثلاثون

وعندما تكلَّم روح النبوة باسم المسيح قال "بسطت يديَّ إلى شعب متمرد ومناقض، سائر في طريق غير صالح" (اش ٦٥: ٢) وأيضًا: "بذلتُ ظهري للجلدات وخديَّ للطمات ولم أستر وجهي عن خزي البصاق. وكان الرب معيني، لذلك لم أخجل بل جعلت وجهي كحجر صلب وعرفت أني لا أخزى. قريب هو الذى يبررني" (إش ٥٠: ٦) وأيضًا عندما يقول "على لباسي يقترعون وثقبوا يديَّ ورجليَّ" (مز ٢١: ١٧ ، ١٩)، "أنا اضطجعت ونمت ثم قمت لأن الرب يعضدني" (مز ٣: ٥) وأيضًا عندما يقول "تكلموا بشفاههم وحركوا الرأس قائلين: فلينجي نفسه" (مز ٢١: ٨). وقد حدثت كل هذه الأشياء السابق ذكرها للمسيح على أيدي اليهود ويمكنكم أن تعلموا بسهولة كيف أنهم وهو مصلوب على الصليب مطوا شفاههم وهزوا رؤوسهم مستهزئين به قائلين: "لقد أقام موتى فلينجي نفسه " (مت ٢٧: ٤٢).

الفصل التاسع والثلاثون

وعندما يتكلم روح النبوة متنبئًا بما سيحدث يقول التالي: "لأنه من صهيون تخرج شريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم ويوبخ شعبًا كثيرًا فيكسرون سيوفهم ويجعلونها سككًا ورماحهم يجعلونها مناجل ولا ترفع أمة على أمة سيفًا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد" (إش ٢: ٣، ٤) ويمكنكم أن تتأكدوا من تحقق هذه النبوءة؛

إذ قد خرج من أورشليم إلى العالم إثنا عشر رجلاً أميًا لا يجيدون فن الكلام، لكن بقوة الله أعلنوا للناس في كل أمة أن المسيح قد أرسلهم ليعلموا جميع الناس كلمة الله، ونحن الذين كنا قبلاً نقتل بعضنا بعضًا، الآن لا نحارب حتى أعداءنا، ليس هذا فقط بل أيضًا ولكي نتجنب الكذب أو أن نغش هؤلاء الذين يستجوبوننا فنحن نقبل الموت بفرح معترفين بالمسيح، لكي لا نشابه المثل القائل: "إن اللسان قد أقسم وأما العقل فلم يُقسِم"[١٣٢] ، وإذا كان الجنود التابعون لكم يفضلون الولاء لكم أكثر من حياتهم وأهلهم وبلدهم وجميع أقربائهم بالرغم من أنكم لا تستطيعون أن تقدموا لهم مكافأة غير فانية فمن غير المعقول أننا نحن الذين نتوق للأبدية لا نحتمل كل شيء بصبر لكي ننال ما نرجوه من الله وهو الذي له القدرة أن يمنحنا الحياة الأبدية.

الفصل الأربعون

و الآن أيضا اسمعوا ما تم التنبؤ به عن هؤلاء الذين بشروا بتعليمه وأعلنوا مجيئه لأنه هكذا تحدث النبي والملك الذي سبق أن ذكرناه بوحي من روح النبوة: "يوم إلى يوم يبدي قولًا، وليل إلى ليل يبدي علمًا. لا قول ولا كلام. الذين لا تُسمَع أصواتهم. إلى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقطار المسكونة كلماتهم. جعل في الشمس مسكنه وهو مثل العريس الخارج من خدره يتهلل مثل الجبار للجري في الطريق" (مز ١٨ : ٣ - ٦). وقد رأينا أنه من المناسب هنا أن نضيف نبوات أخرى لداود لتتعلموا منها كيف يدعو روح النبوة الناس للحياة وكيف تنبأ عن المؤامرة ضد المسيح التي قام بها هيرودس ملك اليهود

[132] Euripides, *Hippol.* 607. Cicero (*De off.* 3.29) gives a latin version : *Iuravi lingua, mentem iniuratam gero.*

واليهود أنفسهم مع بيلاطس الوالي وجنوده، كما تنبأ [أيضًا] عن دخول أناس من كل الأمم إلى الإيمان وكيف أن الله [الآب] يدعوه ابنًا وأنه سيُخضِع له كل أعدائه، وكيف يعمل الشياطين كل ما في طاقتهم للهروب من قوة الله رب وأبو الكل ومن سلطان المسيح نفسه وكيف أن الله يدعو الجميع للتوبة قبل مجيء يوم الدينونة. وهكذا قال [داود]: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلاً. فيكون كالشجرة المغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في حينه، وورقها لا ينتثر. وكل ما يصنع ينجح. ليس كذلك الأشرار، ليس كذلك لكنهم كالعصافة التي تذريها الريح عن وجه الأرض، لذلك لا يقوم الأشرار في الدينونة، ولا الخطاة في جماعة الأبرار. لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك" (مز ١ : ١ - ٦) وأيضًا قال "لماذا ارتجت الأمم وتفكَّرت الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنا نيرهما. الساكن في السماوات يضحك بهم والرب يستهزئ بهم. حينئذ يكلمهم بغضبه ويرجفهم برجزه. أنا أُقمت بواسطته ملكًا على صهيون جبل قدسه لأكرز بأمر الرب. الرب قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك. سلطانك إلى أقطار الأرض. ترعاهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزف تسحقهم. فالآن أيها الملوك، تعقلوا. تأدبوا يا جميع قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف وهللوا له برعدة. الزموا الأدب لئلا يغضب الرب فتضلوا عن طريق الحق عندما يتقد غضبه سريعًا. طوبى لجميع المتكلين عليه" (مز ٢ : ١ - ١٣).

الفصل الحادي والأربعون

وأيضًا في نبوة أخرى يعلن روح النبوة من خلال داود النبي أن المسيح سيملك بعد صلبه وقال: "رنموا للرب ترنيمة جديدة، رنمي للرب يا كل الأرض. بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه لأن الرب عظيم ومُسبَّح جدًّا ومهوب أكثر من كل الآلهة. لأن كل آلهة الأمم أصنام شياطين أما الرب فصنع السماوات مجد وتسبيح قدامه، قوة وفخر في موضع قدسه. قدموا للرب لأبي الدهور مجدًا. هاتوا تقدمة وادخلوا قدامه واسجدوا في ديار قدسه. فلتَخَف كل الأرض من وجهه وتستقيم ولا تضطرب، الرب قد ملك من على خشبة" (مز ٩٥: ١ - ١٣).

الفصل الثاني والأربعون

والآن سنشرح لماذا يتحدث روح النبوة عن أشياء سوف تحدث كما لو كانت قد حدثت بالفعل كما رأينا في الفقرات السابقة لأنه بذلك لن يكون للقارئ أي عذر [للاستمرار في الخطأ]. إن الأمور التي يعلم الله أنها سوف تحدث يقولها وكأنها قد حدثت ويجب أن تنتبهوا تمامًا لهذه النبوات لتقبلوها على أنها هكذا. لقد نطق داود بالنبوءة السابق ذكرها قبل أن يصير المسيح إنسانًا ويُصلَب بألف وخمسمئه سنة[١٣٣] ولم يحدث أن أحدًا قبله أو بعده قد نتج عن صلبه فرح للأمم. أما يسوع المسيح فقد قام بعد صلبه وموته، وبعد صعوده إلى السماوات مَلَك هناك. ومن خلال البشارة التي أعلنها الرسل باسمه لكل الأمم صار الفرح لكل من يتطلع للحياة الأبدية التي وعدنا بها.

---

[١٣٣] يرى الكثير من الدارسين أن داود النبي والملك عاش قبل المسيح بحوالى ألف عام وأن ق. يوستينوس لم يدقق في الرقم الذي كتبه؛ وهناك رأي آخر يقول بأن هذا قد يكون خطأ ناسخ المخطوط.

الفصل الثالث والأربعون

ولئلا يظن البعض أن ما قلناه يعني أن ما يحدث هو قَدر محدد لأننا قلنا إنه كان معلومًا سلفًا فسنوضح هذا أيضًا. فقد تعلمنا من الأنبياء، ونشهد أنه حق، أن العقوبات والضربات وأيضًا المكافآت يتم توزيعها بحسب استحقاق أعمال كل إنسان. ولو لم يكن الأمر هكذا ولو أن كل شيء يحدث بالقضاء والقدر[١٣٤] لم تكن لنا قدرة الاختيار على الإطلاق. فإذا شاء القدر أن يكون هذا الإنسان صالحًا وذاك شريرًا فلن يكون هذا مُزكًّى ولا ذاك ملومًا. وأيضًا إذا لم يكن لجنس البشر قوة الإرادة الحرة للهروب من الشر واختيار الخير فلن تكون هناك مسئولية عن الأعمال مهما تكن، ولكننا سنثبت الآن كيف أنه بالإرادة الحرة يستقيم الإنسان أو يسقط. ونحن نرى أن الإنسان الواحد قد يسعى خلف أمور متناقضة، فإذا كان قدره أن يكون إما صالحًا أو شريرًا فهو لن يكون قادرًا على فعل الضدين ولن يغير رأيه كثيرًا كما هو الحال. ولن نستطيع أيضًا أن نقول إن هناك بعض الناس أخيار والبعض الآخر أشرار لأننا نسلِّم بأن القدر هو سبب الشر، وأنه بذلك يناقض نفسه أو أنه لا الفضيلة ولا الرذيلة شيء حقيقي، بل تُعتبَر الأفعال خيرًا أو شرًّا حسب الرأي الشخصي فقط، وهذا في نظر المنطق السليم هو قمة الظلم وعدم التقوى. أما ما نعتبره قدرًا محتومًا هو أن من اختار الخير استحق الثواب، كما أن من اختار الشر استحق العقاب المناسب. إن الله لم يخلق الإنسان مثل بقية المخلوقات كالأشجار والحيوانات التي لا تستطيع أن تفعل شيئًا باختيارها. فالإنسان لن يكون مستحقًّا للثناء والثواب إن لم

---

[١٣٤] من تعاليم الفلسفة الرواقية وقد كانت هذه الفلسفة هي المفضلة لدى الإمبراطور والأمراء الذين تم توجيه هذا الدفاع إليهم.

يختر الخير بإرادته بل لأنه خُلِق هكذا، كما أنه لن يكون مستحقًا للعقاب إذا كان شريرًا لأنه لم يختر أن يكون كذلك ولا يقدر أن يكون على غير ما وُجِدَ عليه.

الفصل الرابع والأربعون

وقد علَّمنا روح النبوة القدوس هذا الأمر حينما أعلمنا عن طريق موسى أن الله قال هذه الكلمات للإنسان الأول: "هوذا قدامك الخير والشر فاختر الخير"[١٣٥] (تث ٣٠: ١٥، ١٩) وأيضًا عن طريق نبي آخر هو إشعيا كما من الله سيد وأبي الكل تحدث بهذه الكلمات "اغتسلوا تنقوا انزعوا الشر من نفوسكم، تعلّموا فعل الخير اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. تعالوا نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز أبيِّضها كالصوف وإن كانت حمراء كالدودي أبيِّضها كالثلج. وإن شئتم وسمعتم لي، تأكلون خيرات الأرض. وإن لم تسمعوا لي يأكلكم السيف لأن فم الرب تكلم" (إش ١: ١٦ - ٢٠) وعبارة "يأكلكم السيف" لا تعني أن العصاة سيموتون بحد السيف بل يقصد بسيف الله أي النار التي سيكون هؤلاء الذين يختارون أن يفعلوا الشر وقودًا لها. ولذلك يقول "يأكلكم السيف لأن فم الرب تكلم" ولو كان يقصد السيف الذي يقطع ويفارق في الحال لما استخدم عبارة "يأكلكم". هكذا أيضًا قال أفلاطون: "المسئولية على مَن اختار، أما الله فبغير ذنب"[١٣٦] فهو قد اقتبس المعنى من موسى النبي، لأن موسى أقدم من جميع الكُتَّاب اليونانيين، وكل ما قاله الفلاسفة والشعراء عن خلود الروح أو العقاب

---

[١٣٥] في هذه الآية يوجِّه الله الكلام لبني إسرائيل وليس لآدم، أما استخدام ق. يوستينوس لهذه الآية فربما كان القصد منه أن المسئولية الأخلاقية للإنسان تكمن في حرية الاختيار التي أعطاها الله لآدم أبو البشرية، ولذلك اعتبر أن الحديث موجَّه لكل البشرية من خلاله.

[136] *De Repub.* 10.617E

ما بعد الموت أو التأمل في الأمور السماوية وما شابه ذلك من عقائد قد أخذوه عن الأنبياء، ومنهم استطاعوا فهم وشرح هذه الأمور. فبذار الحق تبدو موجودة عند جميع الناس ولكن يتضح أنهم لم يفهموا معناها الحقيقي؛ إذ إنهم يناقضون أنفسهم. إذن عندما نؤكد النبوات التي تتحدث عما سوف يحدث، فنحن لا نقول بأنها تحدث بفعل قَدَر محتوم ولكن الله له سابق العلم بكل ما سيفعله كل إنسان وقد عيَّن المجازاة لكل واحد بحسب أعماله وهو يقول مسبقًا بروح النبوة[١٣٧] عما سيحدث. إنه هو نفسه سوف يجازي الناس بحسب استحقاقهم ولهذا يحث جنس البشر على التأمل والتذكر مما يدل على أنه يهتم بهم ويوفر احتياجاتهم. ولكن بتحريض من الشياطين الأشرار صدر حكم بالموت ضد كل من يقرأ كتب هِستاسبس أو سبلة أو كتب الأنبياء لكي يكف القراء عن اكتساب معرفة روحية حسنة خوفًا من العقاب فيظلون عبيدًا لهم، إلا أنهم لم يقدروا على تنفيذ ذلك بشكل دائم، لأننا نحن لا نقرأ فقط هذه الأسفار بلا خوف بل أيضا نقدمها لكم لتفحصوها واثقين أنها سترضي الجميع وحتى لو استطعنا إقناع القليل من الناس فسنكون نحن أكثر الرابحين وككرامين أمناء سننال المكافأة من الرب.

الفصل الخامس والأربعون

لقد أصعد الله أبو الكل المسيحَ إلى السماء بعد قيامته من الأموات، وسيظل هناك إلى أن يسحق أعداءه الشياطين، وإلى أن يكتمل عدد الناس الذين بسابق علمه يعرف أنهم سيكونون صالحين وأتقياء ولأجلهم ظل الله يؤجل انتهاء العالم. اسمعوا الكلام الذي يقوله الوحي على فم داود النبي: "قال الرب لربي اجلس عن

---

[١٣٧] انظر لو ٤ :١٨.

يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. عصا قوة يرسل لك الرب من أورشليم. وتسود في وسط أعدائك. معك الرئاسة في يوم قوتك في بهاء قديسيك، من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك" (مز ١٠٩: ١ - ٣). ونلاحظ أن عبارة "عصا قوة يرسل لك الرب من أورشليم" هي نبوة عن قوة التعليم الذي خرج به الرسل من أورشليم للكرازة في كل مكان. وعلى الرغم من أنه قد حُكِم بالموت على كل من يكرز أو حتى يعترف باسم المسيح، إلا أننا نقبل هذا الاسم ونعلِّم به في كل مكان. ولكن إذا كنتم أنتم أيضًا تقرأون هذه الكلمات بفكر معادٍ فلن تستطيعوا أن تفعلوا شيئًا أكثر من قَتلِنا كما قلنا من قبل، لكن هذا لن يضرنا بل سيأتي بالعقاب الأبدي بالنار عليكم وعلى كل من يعادينا ظلمًا ويظل بدون توبة.

الفصل السادس والأربعون

ولئلا يقول البعض بغير وجه حق - ليجعلوا الناس يبتعدون عن تعليمنا - إننا نؤكد أن المسيح قد وُلِد منذ مئة وخمسين عامًا[١٣٨] في أيام كيرينيوس ثم في أيام بيلاطس البنطي علَّم بما نقوله نحن الآن عنه، ويتهموننا كما لو [كنا نقول] إن كل الناس الذين ولدوا قبل مجيء المسيح لا يمكن أن يُساءلوا عن أفعالهم، وسوف نرد على هذه المشكلة[١٣٩]. لقد تعلمنا أن المسيح هو بكر الله، وشرحنا قبلًا أنه هو الحكمة (لوغوس Logos) الذي فيه يشترك كل البشر. والذين

---

[١٣٨] ربما يستخدم ق. يوستينوس هنا أرقامًا تقريبية وإلا فيجب أن يكون تاريخ كتابة هذا الدفاع على أقصى تقدير في عام ١٤٧م، ولكن فيلكس والي الاسكندرية (المذكور في فصل ٢٩) تم تحديده على أنه موناكيوس فيلكس والي الإسكندرية في الفترة من ١٤٨ - ١٥٤م، ولذا فإن هذا الدفاع لا بد وأن يكون قد كُتب بعد عام ١٤٧.

[١٣٩] في هذه الفقرة يناقش ق. يوستينوس التساؤل عن كيفية محاسبة مَن عاشوا قبل مجيء المسيح، وهو يجيب على ذلك بالإشارة إلى أن الابن مولود أزليًا.

عاشوا بالحكمة هم مسيحيون[١٤٠] حتى ولو اعتُبِروا من الملحدين مثل سقراط وهيراقليتُس (Heraclitus) من اليونانيين وغيرهم، ومن غير اليونانيين إبراهيم وإيليا وحننيا وعزريا وميصائيل[١٤١] وآخرون يصعب علينا حصر أسمائهم وأعمالهم تفاديًا للإطالة. كذلك أيضا هؤلاء الذين عاشوا قبل المسيح ولم يحيوا تبعًا للحكمة كانوا أشرارًا وأعداءً للمسيح وقتلة لمن عاش بحكمة. أما الذين عاشوا بحكمة والذين مازالوا يعيشون فهم مسيحيون يحيون بلا خوف أو اضطراب ومن كل ما قلنا يقدر أي إنسان ذكي أن يفهم بقوة الكلمة (لوغوس) وبحسب إرادة الله الآب أبو ورب كل أحد، لماذا ولد المسيح كإنسان من عذراء وسُمي يسوع وصُلِب ومات وقام وصعد إلى السماوات. وبما أنه لا داعي لإثبات هذا الموضوع الآن فسننتقل لإثبات أمور أخرى أكثر إلحاحًا.

الفصل السابع والأربعون

استمعوا أيضًا إلى ما يقوله روح النبوة عن الخراب المزمع أن يكون لأرض اليهود وقد جاءت كلماته كما لو كانت من قِبَل الشعب الذين تعجبوا لما حدث، وهذه هي الكلمات: "صهيون قد صارت قفرًا

---

[١٤٠] ربما يشير ق. يوستينوس إلى رو ٢: ١٣ - ١٦ وما يقصده ق. يوستينوس بأنهم مسيحيون حتى قبل مجيء المسيح هو ما سيشرحه بالتفصيل في الدفاع الثاني فصل ٨ حيث إن هؤلاء الفلاسفة وأيضًا من كانوا ينتظرون المسيح على الرجاء كانت لديهم "بذرة اللوغوس" أو "بذرة الكلمة" الذي هو الحكمة التي أعطاها الله لكل البشربمقدار ما يبحثون عن الحق. أما اللوغوس الكامل فهو المسيح لأنه هو اللوغوس ذاته وقد صار إنسانًا (انظر الدفاع الثاني، فصل ١٠). وقد وضع الله بذار الحق عند كل الناس (انظر الدفاع الأول، فصل ٤٤) وبهذه الطريقة يربط ق. يوستينوس بين المسيحية والبحث عن الحق (الذي هو المسيح) في كل وقت.

[١٤١] الثلاثة فتية الذين غيَّر رئيس الخصيان أسماءهم إلى شدرخ وميشخ وعبدنغو والذين لم تؤذهم نيران الآتون (دانيال ١: ٧ و ٣: ٢٠ - ٩٣)، ومن الملاحظ أن الصفة المُشتركة بين كل الذين ذُكِروا من اليونانيين واليهود هي أنهم رفضوا عبادة الأوثان وتعرضوا للاضطهاد من الوثنيين.

وأورشليم صارت كقفر، بيت مقدسنا صار لعنة ومجدنا الذي باركه آباؤنا محروق بالنار وكل أمجاده سقطت وأنت تجلَّدتَ وسكتَّ على هذه الأمور وأذللتنا جدًّا" (إش ٦٤: ١٠ - ١٢) وأنتم تعلمون جيدًا أن ما جاء في النبوءة عن خراب أورشليم قد تحقق. وقد تنبأ النبي إشعيا عن خراب أورشليم وعدم السماح لأحد بالسكنى فيها فيقول: "أرضهم خربة. تأكلها الغرباء قدامهم ولا يسكن فيها أحد منهم" (إش ١: ٧) وكما تعلمون أيضًا أنكم عينتم عليها حراسة لئلا يسكن أحد فيها وأن أي يهودي يُضبَط وهو يدخلها يُحكَم عليه بالموت.

الفصل الثامن والأربعين

أما عن النبوءة الخاصة بأن مسيحنا سوف يشفي جميع الأمراض ويقيم الموتى إلى الحياة اسمعوا ما قيل، وها هي كلمات النبوءة: "عند مجيئه يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان المتلعثم ويبصر العميان ويطهر البرص ويقوم الموتى ويتجولون" (إش ٣٥: ٥ ، ٦) وأنتم تقدرون أن تتحققوا من أن المسيح قد فعل هذه الأفعال حقيقة من كتاب أعمال بيلاطس البنطي. اسمعوا أيضا كلمات إشعيا حيث تنبأ بروح النبوة أن المسيح والناس الذين يؤمنون به سوف يُقتَلون: "انظروا كيف يهلك البار وليس من يضع ذلك في قلبه والناس الأبرار يُقتَلون وليس من يتفكر، من وجه الشر يُؤخَذ البار ويُدفَن بسلام، يؤخذ من وسطنا" (إش ٥٧: ١، ٢).

الفصل التاسع والأربعون

تأمل أيضا كيف أن إشعيا نفسه تنبأ أن الأمم الذين لم يكونوا ينتظرون المسيح سوف يعبدونه في حين أن اليهود الذين كانوا ينتظرون مجيئه دائمًا لن يعرفوه عندما يأتي بالفعل. وها هي

الكلمات التي تكلّم بها إشعيا باسم المسيح ذاته: "ظهرت لمن لم يسألوا عني. وُجِدتُ من الذين لم يطلبوني. قلتُ هأنذا لأُمَّة لم تدعو اسمي. بسطتُ يديَّ إلى شعب متمرد ومعاند، إلى السائرين لا في طريق صالح بل وراء خطاياهم. شعب يغيظني أمامي" (إش ٦٥ : ١ - ٣) لأن اليهود هم مَن كان عندهم النبوات وكانوا دائمًا في انتظار مجيء المسيح لكنهم لم يعرفوه وليس هذا فحسب بل الأكثر من ذلك أنهم أساءوا معاملته أما الأمم الذين لم يكونوا حتى قد سمعوا عن المسيح إلى أن خرج الرسل من أورشليم وكرزوا به وأعطوهم النبوات، فامتلأوا فرحًا وإيمانًا تاركين أصنامهم ومكرسين أنفسهم من خلال المسيح، لله غير المولود [أي الآب]. وقد كان من المعروف مسبقًا أن مثل هذه الإهانات سيتم توجيهها للذين يعترفون بالمسيح وأيضًا أن هؤلاء الذين يهينون المسيح ويقولون إنه من الحسن التمسك بالعادات القديمة سوف يعاقبون. استمعوا لما قاله إشعيا باختصار: "ويل للقائلين للحلو مرًّا وللمر حلوًا" (إش ٥: ٢٠).

الفصل الخمسون

استمعوا أيضًا إلى النبوات التي تتنبأ كيف أن المسيح بعد ما صار إنسانًا لأجلنا احتمل الآلام والخزي وأنه سوف يأتي ثانية في المجد. وها هي النبوات: "من أجل أنه سلَّم للموت نفسه وأحصي مع أثمة وهو حمل خطايا كثيرين وشفع في المذنبين" (إش ٥٣: ١٢) "هوذا فتاي يعقِل ويرتفع ويتمجد جدًّا. كما اندهش منك كثيرون هكذا أمام الناس يذل منظرك، ومجدك أمام الناس. هكذا تتعجب أمم كثيرة ويسد ملوك فمهم لأن من لم يخبروا به ومن لم يسمعوا فهموا" (إش ٥٢: ١٣ - ١٥) "يا رب من صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب؟ خبَّرنا قدامه كطفل وكجِذر في أرض عطشى. لا صورة له ولا

مجد فرأيناه ولم يكن له منظر ولا جمال بل منظره محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن؛ إذ قد تحوَّل وجهه، احتُقِر ولم يُعتدَّ به. هو يحمل خطايانا ويتألم عنا ونحن حسبناه مصابًا ومضروبًا ومذلولاً. وهو جُرِح لأجل آثامنا، وضُرِب لأجل خطايانا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شُفينا. كلنا كغنم ضللنا، مال كل إنسان إلى طريقه والرب جازاه عن خطايانا. ظُلِم ولم يفتح فاه، كخروف اُقتيد إلى الذبح وكحمل صامت أمام من يجزُّه هكذا لا يفتح فاه. في ذُلِّه رُفِع حُكمه" (إش ٥٣: ١ - ٨) وهكذا بعد صلب المسيح تركه جميع أتباعه المقربون بل وأنكروه. وبعد ذلك عندما قام من الأموات وظهر لهم وعلمهم قراءة النبوات التي تتحدث عن كل الأحداث السابقة وبعد أن رأوه صاعدًا إلى السماء وآمنوا به وأخذوا القوة التي أرسلها لهم من هناك ذهبوا إلى جميع الأمم ليعلِّموا بهذه الأمور ودُعيوا رسلاً.

الفصل الحادي والخمسون

وبالإضافة إلى ذلك ولكي يُعرِّفنا أن هذا الذي احتمل هذه الأشياء قد جاء مِن أصل لا يُمكِن وصفه وهو يسود على أعدائه يقول روح النبوة عنه: "وعن زمانه[١٤٢] مَن يُخبِر به لأنه تُقطَع من الأرض حياته، ومن أجل آثامهم جاء إلى الموت. سأجازي الأشرار عن قبره والأغنياء عن موته، لأنه لم يعمل إثمًا ولم يوجد في فمه غش. أما الرب فَسُرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن قدمتموه ذبيحة إثم فسترى نفوسكم نسلاً تطول أيامه، والرب يشاء أن ينقذ من التعب نفسه ويريه نورًا ويشكِّله بفهم ليبرر الصدِّيق الذي يخدم كثيرين حسنًا، وخطايانا هو يحملها لذلك هو يرث كثيرين ويقسِّم غنائم الأقوياء من أجل أنه سلَّم للموت

[١٤٢] استخدم ق. يوستينوس كلمة γενεὰ لتعني "زمانه أو فترته"، وقد تكررت هذه الكلمة في بقية كتاباته.

نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطايا كثيرين ولأجل آثامهم أُسلِم" (إش ٥٣ : ٨ - ١٢). واسمعوا أيضًا النبوءة عن صعوده إلى السماء وهذا هو نصها: "ارفعوا أبواب السماوات وانفتحي ليدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار" (مز ٢٤: ٧ - ١٠) واسمعوا أيضًا ما يقوله إرميا النبي عن مجيئه الثاني من السماء بمجد "هوذا شبه ابن إنسان يأتي على سحاب السماء وملائكته معه[١٤٣]".

الفصل الثاني والخمسون

والآن بما أننا أوضحنا أن كل هذه الأشياء التي حدثت سبق الأنبياء وتنبأوا بها قبل أن تحدث، فمن الضروري إذن أن نؤمن أن الأحداث التي تم التنبؤ بها أيضًا ولكن لم تحدث بعد لا بد وأن تتحقق. فكما أن تلك الأشياء التي حدثت بالفعل تحققت تمامًا كما جاء في النبوات، أو ظلت غير معلومة، هكذا أيضًا أحداث المستقبل حتى وإن كانت غير معروفة أو غير مُصدَّقة فإنها سوف تتحقق. إن الأنبياء قد تنبأوا أن المسيح سوف يأتي مرتين، في المرة الأولى التي حدثت بالفعل جاء كإنسان متألم ومُهان، أما مجيئه الثاني فسوف يحدث كما تنبأ عنه الأنبياء عندما يأتي من السماء بمجد مع جيوشه الملائكية ويقيم أجساد كل البشر ويُلبِس المستحقين الخلود ويرسل الأشرار إلى عذاب أبدي محسوس في النار الأبدية مع الشياطين الأشرار. وسنبين لكم الآن كيف أن هذه الأشياء أيضا تم التنبؤ بها على أنها ستحدث فيما بعد. يقول حزقيال النبي: "سينجمع المفصل مع المفصل والعظم مع العظم وينمو اللحم من جديد" (حز ٣٧: ٧) "وتجثو كل ركبة للرب ويعترف له كل لسان" (إش ٥٤ : ٢٤). استمعوا أيضا إلى النبوءة المتعلقة بالآلام والعذابات التي

---

[١٤٣] هذه الآيات ليست في سفر إرميا بل في دانيال ٧: ١٣.

سيواجهها الأشرار: "لأن دودهم لا يكف ونارهم لا تطفأ" (إش ٦٦: ٢٤). حينئذ سوف يتوبون عندما لن تفيدهم التوبة شيئًا. ويتنبأ زكريا النبي عمَّا سيقوله ويفعله اليهود عندما يرونه آتيًا في المجد: "سآمر الأربعة رياح أن يجمعوا الأبناء المتفرقين، سآمر ريح الشمال أن تحملهم وريح الجنوب ألا تضربهم وعندها يكون في أورشليم نوح عظيم ليس نوح الفم والشفتين بل نوح القلب ولن يمزقوا ثيابهم بل أفكارهم وسينوحون سبط مقابل سبط، حينئذ سينظرون إلى الذي طعنوه ويقولون لماذا أضللتنا يا رب عن طريقك؟ المجد الذي باركه آباؤنا قد صار عارًا لنا[١٤٤]".

الفصل الثالث والخمسون

وبإمكاننا الاستشهاد بنبوات أخرى كثيرة، إلا أننا لن نفعل ذلك لأننا نرى أن ما ذكرناه من نبوات يكفي لإقناع من لهم آذان ليسمعوا ويفهموا ولأننا نفترض أن هؤلاء الناس يدركون أننا لا نقول كلامًا باطلًا لسنا قادرين على إثباته كما هو الحال بالنسبة لأساطير أبناء زيوس. لماذا نؤمن بوجود إنسان مصلوب بكر لله [الآب] غير المولود، وبأنه سوف يدين الجنس البشري كله، إلا لأننا وجدنا شهادات عنه تم التنبؤ بها قبل أن يأتي ويصير إنسانًا؟ ولأننا رأينا أحداثًا تحدث كما جاءت في النبوات تمامًا مثل خراب أرض اليهود، وأيضًا أناسًا من كل الأجناس آمنوا به بواسطة تعليم الرسل تاركين عاداتهم القديمة الخاطئة التي كانوا يمارسونها. ونحن نرى أنفسنا في هؤلاء وندرك أن الذين تحولوا إلى المسيحية من الأمم هم أكثر عددًا وأمانةً من الذين تحولوا من اليهود والسامريين. فبينما يدعو روح النبوة الشعوب غير اليهودية أمميين، فهو يدعو الشعب اليهودي

١٤٤ انظر: زكريا ٢: ٦ و ١٢: ١٠ - ١٢ ويوئيل ٢: ١٣ وإشعيا ٦٣: ١٧ و ٦٤: ١١.

والسامريين إسرائيل وبيت يعقوب. ويمكننا أن نقدم نبوة تقول إن الذين سيتحولون إلى الإيمان من الأمم سيكونون أكثر من الذين آمنوا من بين اليهود والسامريين وهي: "ابتهجي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل" (إش ٥٤ : ١). فشعوب الأمم جميعًا كانوا موحشين ومفتقرين إلى الإله الحقيقي، وكانوا يعبدون صنعة أيديهم، أما اليهود والسامريين فقد أُعطوا كلمة الله بواسطة الأنبياء، وكانوا دومًا ينتظرون مجيء المسيح. ومع ذلك فهم لم يعرفوه عندما جاء فيما عدا القليلون الذين نالوا الخلاص كما قال روح النبوة من خلال إشعيا الذي تحدث باسمهم قائلًا: "لولا أن الرب أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وعمورة" (إش ١ : ٩) وقد روى موسى النبي أن سدوم وعمورة كانتا مدينتين مملؤتين أناسًا أشرارًا، وقد حرقهما الله بالنار والكبريت ولم ينج من السكان سوى رجل غريب كلداني المولد اسمه لوط وأيضًا ابنتيه ولمن يريد يمكنه أن يرى هاتين المدينتين ولا تزالا قاحلتين وخربتين إلى الآن. ولنُثبِت أنه كان معلومًا مسبقًا أن المؤمنين من الأمم سيكونون أكثر صدقًا وإيمانًا نذكر كلمات إشعيا النبي: "بيت إسرائيل غير مختوني القلوب أما الأمم فغير مختوني [اللحم]" [١٤٥] إذن فإن رؤية مثل هذه الأمور كافية لزرع الاقتناع والإيمان في هؤلاء الذين يقبلون الحق ولا يسعون للمجد الباطل وغير المستعبدين لأهوائهم.

الفصل الرابع والخمسون

ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الذين يروجون للأساطير التي اختلقها الشعراء لا يقدِّمون أي دليل على مصداقيتها إلى الشباب الذين

[١٤٥] هذا الاقتباس ليس من سفر إشعيا بل من إرميا ٩ : ٢٦.

يتعلمونها إلا أننا نستطيع الآن أن نبين أن هذه الأساطير قد رويت في أول الأمر بتحريض من الشياطين الأشرار لخداع وغواية جميع الناس[١٤٦]، لأنهم عندما سمعوا الأنبياء يعلنون مجيء المسيح وعقاب الأشرار بالنار بادروا بتقديم هؤلاء المعروفين بأبناء زيوس ظنًا منهم [أي الشياطين] أنهم بذلك يدخلون الشك في عقول الناس بأن النبوات عن المسيح ليست إلا قصصًا أسطورية مثل تلك التي رواها الشعراء. وقد انتشرت هذه القصص بين اليونانيين وكل الشعوب الأخرى حيثما سمع [الشياطين] عن قبول الأمم للمسيح حسب قول الأنبياء. وسنثبت أيضًا أن الشياطين لم تفهم بوضوح معنى ما قاله الأنبياء[١٤٧] بل كضالين صاروا يحاكون ما كان يقال عن المسيح. وكان موسى النبي كما قلنا أقدم من جميع الكتّاب ومن خلاله جاءت النبوءة: "لا يزول رئيس من يهوذا ولا مدبِّر من بين فخذيه حتى يأتي من ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم، رابطًا بالكرمة جحشه غاسلًا بدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩ : ١٠) وعندما سمع الشياطين هذه النبوءة أعلنوا من خلال الأساطير اليونانية أن ديونيسوس هو ابن زيوس وأنه اكتشف شجرة الكرمة لهذا يعتبرون الخمر من بين أسراره وعلَّموا بأنه بعد أن تم تمزيق جسده صعد إلى السماء. إن نبوة موسى لم تذكر بالتحديد ما إذا كان الذي سيأتي هو ابن الله أو بعد جلوسه على جحش سوف يظل على الأرض أم يصعد إلى السماء، علمًا بأن كلمة "جحش"[١٤٨] قد تعني ابن أتان أو ابن حصان. وقد تحير الشياطين فيما إذا كان المسيح الذي تنبأ عنه الأنبياء سيأتي راكبًا على جحش أتان أم حصان صغير كعلامة لمجيئه ولم يعرفوا إذا كان هو ابن الله أم ابن

---

[١٤٦] هذا هو الأمر الثالث الذي وعد ق. يوستينوس أن يثبته (راجع فصل ٢٣).

[١٤٧] تكرر ذِكر هذه الفكرة عند المدافعين الأوائل. انظر Lactantius *Inst. div.* 2 . 14

[١٤٨] إن كلمة πῶλος في اليونانية والتي ترجمناها هنا "جحش" قد تعني صغير الحمار أو الحصان.

إنسان فقالوا إن بليروفون (Bellerophon) وهو إنسان ابن إنسان صعد إلى السماء على حصانه بيجاسوس. وعندما سمعوا من نبي آخر هو إشعيا أنه سيُولَد من عذراء وأنه سيصعد إلى السماء بقوته ادَّعوا أن برسيوس (Perseus) هو الذي فعل هذا. وأيضًا عندما لاحظوا وجود نبوة تقول إنه "قوي كجبار للجري في الطريق" (مز ١٩: ٥) أذاعوا أن هرقل كان جبارًا وجال في الأرض كلها. وأيضًا عندما عَلِموا بالنبوءة التي تقول أنه سيشفي كل مرض ويقيم الموتى قدموا شخصية أسكلبيوس.

الفصل الخامس والخمسون

ومع هذا لم يتم تقليد عملية الصلب[١٤٩] ولا مرة حتى مع أي من هؤلاء الذين يُدعَون أبناء زيوس. ولم يخطر هذا لهم لأنه كما أثبتنا من قبل أن كل ما قيل عن الصلب كان بطريقة رمزية. وهذا[١٥٠] هو أعظم علامة لقوة المسيح وسلطانه كما تنبأ النبي وكما هو واضح في كل ما يُرى. فلنتأمل جميع الأشياء في هذا الكون [ونحكم] هل يمكن أن تنضبط أو تتناسق مع بعضها البعض دون هذه العلامة [الصليب]. فالبحر مثلًا لا يمكن الإبحار فيه إن لم تُثبَّت علامة النصرة التي تُدعى الشراع في السفينة، والأرض أيضًا لا يمكن أن تُحرَث بدون هذه العلامة، والحفارون والصناع يقومون بكل أعمالهم باستخدام أدوات بنفس هذا الشكل. كما يختلف جسم الإنسان عن سائر الحيوانات غير العاقلة في أنه يقف منتصبًا فاتحًا ذراعيه وفي وجهه امتداد للأمام يُسمَّى الأنف الذي يتنفس منه وهذا هو شكل الصليب تمامًا، لذا

---

[١٤٩] إن الحجج في هذا الفصل قد لا تبدو للعقل المسيحي اليوم حججًا قوية، ولكن لابد أن نتذكر أن ق. يوستينوس كان يوجه كلماته للوثنيين الذين لم يعتبروا أن هناك شيئًا أكثر حقارة من الصليب. فقد أراد أن يريهم كيف أن كرههم للصليب الذي كان جزءا من حياتهم اليومية كان غير منطقي. وقد استخدم ترتليان أيضًا هذه الحجة. انظر: *Apol.* 16, Ad. Nat. 12

[١٥٠] أي عملية الصلب على الصليب والذي أصبح فيما بعد علامة لقوة المسيح.

يقول النبي "نَفَس أنوفنا هو المسيح الرب"[151] (مرا ٤ : ٢٠). حتى الرموز التي على راياتكم وأعلامكم التي تستخدمونها في مواكبكم تُظهِر قوة هذه العلامة وأنتم أيضًا تستخدمون هذه العلامة - وإن كنتم تفعلون ذلك عن جهل - كرمز للقوة والسلطان. وبعد موت أباطرتكم تضعون صورهم على هذه العلامة وتدعونهم آلهة في كتاباتكم. وإذ إننا قد حاولنا قدر استطاعتنا أن نقنعكم بالمنطق وبأمثلة واضحة، لهذا فنحن متأكدون أنه لا لوم علينا حتى إن لم تؤمنوا لأننا أنجزنا مهمتنا بالكامل.

الفصل السادس والخمسون

ولم يكتفِ الشياطين الأشرار قبل مجيء المسيح بأن يقولوا إن المدعوين أبناء زيوس قد ولدوا منه بالحقيقة. بل أيضًا بعد أن ظهر المسيح وعاش بين الناس وبعد أن علم الشياطين أنه هو الذي تنبأ عنه الأنبياء وأدركوا أن كل الأمم آمنت به، وأنهم كانوا ينتظرونه فقد أتوا مرة أخرى برجال آخرين، كما ذكرنا قبلا، أمثال سيمون وميناندر من السامرة اللذين أضلا وما زالا يضلان كثيرين بأعمال سحر خارقة. وكما ذكرنا من قبل[152] فإن سيمون هذا عاش بينكم في مدينة روما الملكية في أيام حكم كلوديوس قيصر، وأبهر مجلس الشيوخ الموقر والشعب الروماني لدرجة أنهم اعتبروه إلهًا وكرَّموه بإقامة تمثال له مثل الآخرين الذين تعبدونهم كآلهة. ولهذا نتوسل إليكم وإلى مجلس الشيوخ الموقر والشعب الروماني أن تنظروا كقضاة لالتماسنا هذا حتى أن كل من وقع في شرك تعاليم سيمون يمكنه أن يعرف الحقيقة ويهرب من الخطأ وإن أردتم حطموا تمثاله.

---

[151] في هذه الفقرة يُشبِّه ق. يوستينوس الأنف وهو الجزء الذي يتنفس منه الإنسان والذي يتعامد مع الحاجبين - على شكل صليب - بالمسيح المصلوب الذي يعطي الحياة لنفوسنا.

[152] راجع الدفاع الأول، فصل ٢٦.

الفصل السابع والخمسون

ولن يستطيع الشياطين الأشرار إقناع الناس بأنه لن تكون هناك نار لمعاقبة الخطاة[١٥٣]، كما أنهم لم يقدروا أن يخفوا شخصية المسيح بعد ظهوره على الأرض. والشيء الوحيد الذي استطاعوا فعله هو أن يجعلونا مكروهين. وأن يحرضوا أناسًا غير حكماء منغمسين في شهواتهم وعاداتهم الشريرة ليحكموا علينا بالموت. لكننا لا نكره هؤلاء الناس، بل كما هو واضح نحن نشفق عليهم ونريد أن نقنعهم أن يتحولوا إلى الإيمان بالمسيح. ونحن بالتأكيد لا نخاف الموت لأنه من المعروف أننا لا بد أن نموت يومًا ما، وهذا ليس بجديد، بل أن الأشياء نفسها تسير على وتيرة واحدة. وإذا كانت رتابة تلك الأشياء تضايق هؤلاء الذين ينغمسون فيها حتى ولو كانت المدة عامًا واحدًا لذلك فعليهم أن يلتفتوا إلى تعاليمنا لكي تكون لهم حياة أبدية بلا ألم ولا عوز. وإن كانوا لا يؤمنون بالحياة بعد الموت، بل يؤكدون أن الموتى يسقطون في حالة من اللا إحساس، فهم إذن يؤدون لنا خدمة؛ إذ يحرروننا من أحزان وأعواز هذه الحياة، هذا على الرغم مع أنهم في الحقيقة يظهرون أنفسهم كأشرار بلا إنسانية، بل ومتعصبون أيضًا، لأنهم يقتلوننا لا ليعطونا الحرية بل ليحرمونا من الحياة وملذاتها.

الفصل الثامن والخمسون

وكما سبق أن ذكرنا[١٥٤]، فإن الشياطين الأشرار قدموا أيضًا ماركيون البنطي الذي يحض الناس على إنكار أن الله هو خالق

[١٥٣] يبدو أن هذا كان هو التسلسل المنطقي لأفكار ق. يوستينوس: أن هناك أملًا في أن يتحول أتباع سيمون إلى المسيحية، لأن الشياطين لا يستطيعون أن يقنعوهم أنه لا يوجد عقاب مستقبلي للأشرار. وهذا العقاب المستقبلي سوف يخيفهم فيتجنبون عمل الشر.

[١٥٤] راجع فصل ٢٦.

كل الأشياء، ما في السماء وما على الأرض، وأن المسيح الذي تنبأ عنه الأنبياء هو ابن الله. كما ادعى ماركيون بأنه يوجد إله آخر غير الخالق، وأيضا ابن آخر. وقد صدَّق هذا الرجل أناس كثيرون كما لو أنه هو وحده العالم بالحقائق وهم يهزأون بنا بالرغم من أنهم لا يستطيعون أن يبرهنوا على ما يقولون، ولكنهم كحملان غير عاقلة خطفها ذئب، فهم ضحايا للشياطين وتعاليمهم الإلحادية. فإن هذه الأرواح التي نسميها شياطين لا هدف لها إلا إبعاد الناس عن الله خالقهم وعن المسيح بِكره، أما هؤلاء الذين لا يستطيعون الارتفاع فوق الأرضيات فقد قيدهم الشياطين بعبادة الأرضيات والأصنام التي هي صنعة الأيادي. وهم أيضًا يحاولون أن يُعثِروا كل الذين يرتفعون للتأمل في الإلهيات، وما لم يكن هؤلاء الأشخاص حكماء في آرائهم وأنقياء وبلا هوى في حياتهم فسيدفعهم الشياطين إلى الشر.

الفصل التاسع والخمسون

ولكي تعرفوا أن أفلاطون قد اقتبس من معلمينا[١٥٥] عندما أكد أن الله قد غيَّر المادة عديمة الشكل وخلق العالم، استمعوا إلى كلمات موسى الصادقة الذي ذكرنا من قبل أنه أول الأنبياء وأقدم من كل أدباء اليونان[١٥٦]. وقد قال روح النبوة من خلاله هذه الكلمات ليبين كيف ومن أي شيء خلق الله العالم في البدء : "في البدء خلق الله السماء والأرض وكانت الأرض غير منظورة وغير مُهيأة وعلى وجه الهاوية ظلام وكان روح الله يرف على المياه. وقال الله: "ليكن نور فكان نور" (تك ١ : ١ - ٣) وهكذا تعلَّم أفلاطون وأتباعه ونحن أيضًا كما يمكنكم أنتم أيضًا أن تتأكدوا، أن الله خلق العالم كله

---

[١٥٥] أي من تعاليم الأنبياء.

[١٥٦] راجع الدفاع الأول، الفصل ٤٤.

بكلمته من المـادة[١٥٧] التي ذكرها موسى، ونحن نعلم أيضًا أن ما يسميه الشعراء "إيريبوس"[١٥٨] (Erebus) قد ذكره موسى أولًا.

الفصل الستون

وقد اقتبس أفلاطون من موسى النبي عندما تساءل عن طبيعة ابن الله الكلمة في كتابه طيمايوس (Timaeus)؛ إذ يقول: " لقد وضعه في الكون على شكل الحرف اليوناني (خي X) " لأن في كتابات موسى يذكر أنه في الوقت الذي غادر فيه بنو إسرائيل مصر وعاشوا في البرية صادفتهم حيوانات سامة وحيات وكل أنواع الثعابين أتت بالموت على الشعب وأن موسى بوحي ودافع من الله أخذ نحاسًا وشكَّله على هيئة صليب[١٥٩] ووضعه على خيمة الاجتماع المقدسة وقال للشعب "إن نظرتم إلى هذا التمثال وآمنتم فستخلصون به" (عدد ٢١ : ٨)، ويقول الكتاب إنه بعدما حدث هذا هلكت الحيات وأُنقِذ بنو إسرائيل من الموت. وعندما قرأ أفلاطون هذا الكلام لم يفهمه جيدًا ولم يدرك أن موسى كان يتحدث عن شكل الصليب، ولهذا فقد ظن أنه يتحدث عن شكل حرف X وقال لي أحاديثه عن الثلاثة آلهة] إن القوة التي تلي قوة الإله الأول وُضِعت في الكون على شكل حرف X، كما ذكر أفلاطون كائنًا ثالثًا لأنه قرأ ما كتبه

[١٥٧] راجع الدفاع الأول، فصل ١٠، حاشية ٥٦.

[١٥٨] هذا الاسم هو الذي يطلق في الأساطير اليونانية على الظلمة التي تسود العالم الغربي - أي العالم الآخر أو ما بعد الموت - حيث تقع أرض الظلمة (Cimmeria) أو الهاوية (Hades) ومن الملاحظ ارتباط الظلمة بجهة الغرب حيث غروب الشمس. والجدير بالذكر أن هذه الثقافة كانت منتشرة في العالم القديم وليس في اليونان فقط حيث نجد أن الفراعنة كانوا يفضلون وجود مقابرهم في الجانب الذي تغرب فيه الشمس، أي في البر الغربي من النيل.

[١٥٩] "فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على راية" (عدد ٢١: ٩). من الملحوظ أنه لايوجد ذكر للصليب أو لخيمة الاجتماع في هذا النص، وقد فسر ق. يوستينوس وكثير من الكتاب في ذلك العصر كلمة "علامة" σημεῖον التي وردت في الترجمة السبعينية على أنها علامة الصليب. وبحسب ماران في *PG* 6.418 فإن ق. يوستينوس قد استخدم كلمة خيمة الشهادة كصورة للكون، أي أن الصليب كان موضوعًا في الكون كما أشار أفلاطون.

موسى - كما ذكرنا من قبل - الذي قال إن روح الله كان يرف على وجه المياه (تك ١: ٢). وقد أعطى أفلاطون المكانة الثانية للكلمة الذي هو مع الله والذي وضعه في الكون على شكل حرف X والمكانة الثالثة أعطاها للروح الذي قيل إنه محمول فوق المياه مؤكدًا بذلك أنه الإله الثالث[١٦٠]. واستمعوا إلى روح النبوة متحدثًا بفم موسى عن الحريق الهائل المزمع أن يحدث "ستنزل نار دائمة وتأكل حتى إلى الهاوية من تحت" (تث ٣٢: ٢٢) إذن فلسنا نحن من نتبنى آراء الآخرين بل هم الذين يقلدون آراءنا ويرددون صداها، وتقدرون أن تسمعوا عن هذه الأمور من أشخاص بيننا لا يعرفون حتى حروف الأبجدية وبعضهم فاقدوا البصر. ولكنهم مع عدم ثقافتهم وبساطة حديثهم إلا أنهم حكماء ومؤمنون ومن هنا يتضح لكم أن هذه الأشياء ليست ناتجة عن حكمة الناس بل من قوة الله[١٦١].

الفصل الحادي والستون

وسنشرح[١٦٢] كيف كرسنا أنفسنا لله بعد أن تجددنا بالمسيح لئلا نُعتَبر مقصرين في عرضنا لهذا الموضوع إن لم نفعل، فإن كل الذين يصدقون ويؤمنون أن ما نقوله ونعلِّم به هو الحق ويتعهدون بأن يحيوا وفقًا لهذا التعليم، يتم تعليمهم أن يسألوا الله عن طريق الصلاة والصوم من أجل مغفرة خطاياهم السابقة[١٦٣] ونحن نصلي

---

[160] Pseudo-Plat., *Epist.* 2.312E; Cf Athenagoras, *Suppl.* 23.

هنا اعتبر ق. يوستنوس أن روح الله هو الروح القدس الأقنوم الثالث، لكنه كان يخلط في اعتبار أن روح النبوة يُشار به في بعض الأحيان إلى أقنوم "الكلمة" وفي بعض الأحيان الأخرى إلى الروح القدس.انظر هذا الخلط في الدفاع الأول فصل ٣٣ وفصل ٦١.

[١٦١] انظر ١كو ٢: ٥.

[١٦٢] في هذا الفصل وأيضًا في الفصول ٦٥، ٦٦، ٦٧ تجاهل ق. يوستينوس مبدأ سريّة الطقوس المسيحية *Disciplina arcani* ليشرح بعض الممارسات المسيحية، وقد كان هذا من غير المعتاد في ذلك الوقت.

[١٦٣] يشير ق. يوستينوس هنا إلى فترة تعليم وإعداد الموعوظين التي تسبق نوال سر المعمودية.

ونصوم معهم. ثم نقودهم إلى مكان به مياه فيولدون من جديد بنفس الطريقة التي بها قد وُلِدنا ثانيةً باسم الله أبي وسيد كل أحد ومخلصنا يسوع المسيح والروح القدس[١٦٤]، ثم ينالون الاغتسال بالماء لأن المسيح قد قال: "إن لم تُولَدوا مرة ثانية فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (يو ٣: ٣)[١٦٥]. ومن الواضح للجميع أنه لا يمكن لأحد أن يدخل بطن أمه ويُولَد ثانية. وقد شرح إشعيا النبي كما ذكرنا كيف أن الذين أخطأوا ثم تابوا سوف يتحررون من خطاياهم، وها هي كلماته: "اغتسلوا تنقوا انزعوا الشر من نفوسكم، تعلَّموا فعل الخير اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. تعالوا نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز أبيِّضها كالصوف وإن كانت حمراء كالدودي أبيِّضها كالثلج. وإن شئتم وسمعتم لي، تأكلون خيرات الأرض. وإن لم تسمعوا لي يأكلكم السيف لأن فم الرب تكلم" (إش ١: ١٦ - ٢٠) وهذا هو السبب الذي علمنا إياه الرسل لممارسة المعمودية بهذه الطريقة[١٦٦]. فنحن لم ندرك ميلادنا الأول على الإطلاق، بل وُلِدنا اضطرارًا من أصل سائل من خلال اتحاد أبوينا، ثم تمرسنا في عادات خاطئة شريرة. ولكي لا نظل أبناءً للاضطرار والجهل بل نصير أبناء الاختيار الحر والمعرفة ولكي ننال مغفرة خطايانا السابقة، ففي الماء يتم الدعاء باسم الله سيد وأبي الكل على الشخص الذي يريد أن يُولَد من جديد وقد تاب عن خطاياه، وهذه التسمية وحدها هي التي ينطق بها من يقود المُعمَّد إلى جرن المعمودية لأنه ليس لأحد أن يطلق أسماء على الله[١٦٧] غير الموصوف،

---

[١٦٤] انظر مت ٢٨: ١٩.

[١٦٥] وهذا دليل على أن إنجيل يوحنا كان معروفًا للقديس يوستينوس في ذلك التاريخ المبكر.

[١٦٦] يشير ق. يوستينوس إلى التقليد الرسولي كمصدر الطقس الذي يُمارس في سر المعمودية.

[١٦٧] يرى ق. يوستينوس أن الله ليس له اسم والسبب في ذلك هو أن الله يُوجَد من ذاته بلا دافع خارجي ولا سلف وبالتالي لم يوجد من يعطيه اسمًا، أما الأسماء التي يستخدمها الناس ليدعوه بها مثل: الآب والخالق والرب والسيد فما هي إلا ألقاب تعبر عن صفاته

وإذا تجرأ أحد على ذلك فهو يُعتَبر مختل العقل. وهذا الاغتسال يُسمَّى استنارة[١٦٨] لأن الذين ينالون هذا السر تستنير عقولهم، وأيضًا الذي ينال الاستنارة يعتمد باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي، وباسم الروح القدس الذي سبق وبشَّر من خلال الأنبياء عن كل الأمور الخاصة بيسوع[١٦٩].

الفصل الثاني والستون

وبعد أن سمع الشياطين عن هذه المعمودية التي تنبأ عنها إشعيا النبي، حضّوا جميع من يدخلون معابدهم بسكائب ومحرقات على أن يرشوا انفسهم أيضًا بالماء بل وأن يغسلوا أجسادهم قبل الاقتراب من المعابد أو الذهاب للأضرحة حيث توجد تماثيلهم [أي الشياطين]. وأيضًا الأوامر التي يعطيها كهنة الأوثان للذين يدخلون المعابد بخلع الأحذية قد قلدها الشياطين بعد أن سمعوا بما حدث مع موسى النبي وذكرناه من قبل. لأنه في ذلك الزمن عندما أُمِر موسى أن ينزل إلى مصر ليُخرِج بني اسرائيل، الذين كانوا هناك، وعندما كان يرعى غنم خاله[١٧٠] في أرض العربية تحدث إليه مسيحنا في شكل نار

الفاعلة. وحتى كلمة "الله" ليست اسم عَلَم في الأساس، انظر الدفاع الأول، فصل ٤٩؛ الدفاع الثاني، فصل ٦. ووراء هذه الفكرة فقرة شهيرة في كتاب طيمايوس لأفلاطون استشهد بها ق. يوستينوس في الدفاع الثاني، فصل ١٠. ولذلك ربما يكون قد تأثر في تعليمه هذا بكل من الأفكار الأفلاطونية، وأيضًا التأملات اليهودية عن اسم الله. وكان هذا على نقيض الأوثان التي كانت تُسمَّى بأسماء من اختيار الشياطين، انظر الدفاع الأول، فصل ٥.

[١٦٨] إن تعبير "الاستنارة" φωτισμός كان يُستخدَم في العصور الأولى كمرادف لاسم المعمودية.

[١٦٩] انظر فصل ٣٣ والحاشية ١٢٥. تأكيدًا لما ذكرناه سابقًا، فإن ق. يوستينوس كان يمايز بين الأقانيم الثلاثة، ولكنه أحيانًا كان يخلط بين أدوار الأقانيم في العمل الواحد الذي للثالوث القدوس، نجده هنا يعود ويذكر - مخالفًا لكلامه السابق في فصل ٣٣ من الدفاع الأول - أن الروح القدس هو الذي ينطق بالأنبياء.

[١٧٠] يعتقد ماران في *PG* 6.422 أن ق. يوستينوس قد خانته الذاكرة عندما كتب "خاله" بدلًا من "حماه" ولكن ثيرلبي(Thirlby) يعتقد أنه قد اختلط عليه الأمر بين الحوادث المتشابهة في حياة موسى ويعقوب.

مشتعلة في عليقة قائلًا له: "اخلع نعليك واقترب واسمع" (خر ٣: ٥) وبعدما خلع حذاءه اقترب من العليقة المشتعلة وسمع أنه ينبغي أن ينزل إلى مصر ويُخرِج شعب إسرائيل الذين كانوا هناك وأخذ قوة عظيمة من المسيح الذي تحدث معه في شكل نار ثم نزل إلى مصر وأخرج الشعب بعد أن أجرى أعمالاً عظيمة وعجيبة، وإن أردتم أن تعرفوا هذه الأعمال فيمكنكم أن تتعلموها بدقة من كتاباته.

الفصل الثالث والستون

وحتى الآن يتحدث جميع اليهود عن أن الله غير المدرك[١٧١] [أي الله الآب] قد كلَّم موسى، ولذلك يدين روح النبوة اليهود بفم إشعيا النبي قائلًا: "الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلم يعرفني وشعبي لم يفهمني" (إش ١: ٣) ولأن اليهود لم يعرفوا طبيعة الآب والابن فقد وبخهم يسوع المسيح قائلًا: "ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ولا أحد يعرف الابن إلا الآب ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١: ٢٧). إن كلمة الله هو ابنه كما قلنا من قبل وهو أيضًا قد دُعي ملاك الله ورسوله لأنه كملاك[١٧٢] ἄγγελος هو يعلن لنا كل ما يجب أن نعرفه، و[كرسول] هو قد أُرسِل ليعلِّمنا عما تم إعلانه، فالرب نفسه يقول: "الذي سمع لي يسمع لمن أرسلني"[١٧٣] ويتضح هذا المعنى أكثر من كلمات موسى النبي التالية: "وكلم ملاك الرب موسى بلهيب نار من العليقة وقال: أنا هو الكائن[١٧٤] إله

---

[١٧١] وباليونانية ἀνωνόμαστος وتعني حرفيًا "الذي لا اسم له".

[١٧٢] المقصود هنا ليس أن المسيح هو ملاك لكنه "كملاك" أي أنه يقوم بعمل الملاك الذي ينقل البشارة أو الإعلان، وهذا هو معنى كلمة ملاك التي تأتي من فعل ἀγγέλω باليونانية بمعنى يعلن أو يبشر أو يحمل رسالة وتحمل أيضًا معنى كلمة سفير أو رسول.

[١٧٣] انظر لو ١٠: ١٦.

[١٧٤] إن كلمة "الكائن" هي ترجمة لتعبير ὁ ὤν اليوناني وهو بدوره ترجمة لكلمة "أهيه" العبرية.

إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وإله آبائك، انزل إلى مصر وأخرج شعبي" (خر ٣: ٢، ١٤، ١٥) وإذا أردتم معرفة ما حدث بعد ذلك تقدرون أن ترجعوا إلى كتابات موسى، لأنه ليس من الممكن أن نروي كل شيء مرة أخرى في هذا الخطاب. والذي نكتبه هنا هو لإثبات أن يسوع المسيح هو ابن الله الذي أرسله لخلاصنا وأنه منذ القديم هو الكلمة الذي ظهر في وقت ما في شكل نار وفي وقت آخر في هيئة غير جسدانية [مثل ملاك]، والآن بعد أن صار إنسانًا بإرادة الله لأجل بني البشر، تحمل الآلام على أيدي اليهود المتعصبين المدفوعين من الشياطين. وبالرغم من أنه مكتوب في الكتابات الموسوية بوضوح "وكلم ملاك الرب موسى بلهيب نار من العليقة وقال: أنا هو الكائن إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" (خر ٣: ١٤، ١٥)، يؤكد اليهود أن الذي تكلم هكذا هو الله أبو وخالق الكل. ولذلك يوبخهم روح النبوة قائلًا "أما إسرائيل فلم يعرفني وشعبي لم يفهمني" (إش ١: ٣) وأيضًا كما ذكرنا، أن يسوع عندما كان في وسطهم قال "ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ولا أحد يعرف الابن إلا الآب ومن أراد الابن أن يعلن له." (مت ١١: ٢٧). ويؤكد اليهود دائمًا أن أبا الكل هو من كلم موسى بالرغم من أن من كلم موسى في الحقيقة هو ابن الله نفسه الذي دُعي أيضًا ملاكًا ورسولًا، ولهذا فقد استحقوا التوبيخ من روح النبوة ومن المسيح نفسه لأنهم لم يعرفوا الآب ولا الابن[١٧٥]. فإن من يدَّعون أن الابن هو الآب يوبَّخون لأنهم لم يعرفوا الآب ولا أن الآب له ابن؛ وإذ إنه [أي الابن] هو كلمة الله وبكره، فهو الله. وقد ظهر لموسى ولأنبياء آخرين في شكل نار وبهيئة غير جسدانية ولكن الآن في عهد حكمكم وُلِد من عذراء كإنسان كما ذكرنا قبلًا بتدبير من الله الآب من أجل

---

[١٧٥] لا نعرف السبب الذي جعل ق. يوستينوس يكرر تلك الفكرة ونفس الاستشهاد أكثر من مرة في نفس هذا الفصل.

خلاص كل من يؤمن به، وقد احتمل الهوان والآلام لكي بموته وقيامته يهزم الموت. أما الكلمات التي قيلت لموسى من العليقة: "أنا هو الكائن إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وإله آبائك" (خر ٣: ١٤، ١٥) فتعني أن الذين ماتوا، ما زالوا موجودين بل وينتسبون للمسيح ذاته، لأنهم هم أول من شغلوا أنفسهم بالبحث عن الله، وقد كان إبراهيم أبا إسحق وإسحق أبا يعقوب كما كتب موسى.

الفصل الرابع والستون

ومما سبق تستطيعون أن تدركوا كيف أن الشياطين في تقليدهم لما قاله موسى حرضوا أناسًا على إقامة تماثيل بجانب ينابيع المياه لتلك المدعوة كوري[١٧٦] (Kore) وادعوا أنها ابنة زيوس، لأن موسى قال كما ذكرنا من قبل: "في البدء خلق الله السماء والأرض وكانت الأرض غير منظورة وغير مُهيأة وعلى وجه الهاوية ظلام وكان روح الله يرف على المياه." (تك ١: ١ - ٣) وكمحاكاة لروح الله الذي قيل إنه محمول على المياه قالوا [أي الشياطين] أن كوري هي ابنة زيوس كما أنهم ادعوا بخبث أن أثينا (Athena) هي ابنة زيوس وقد وُلِدت بغير اتحاد جنسي؛ وإذ إنهم يعرفون أن الله فكَّر وخلق العالم بالكلمة فهكذا قالوا إن اثينا كانت أول نتاج فكر زيوس وهذا في نظرنا أمر سخيف للغاية أن يجعلوا من الأنثى أثينا معبرة عن فكر الإله، وهكذا أيضًا فإن أفعال الباقون ممن يُدعَون أبناء زيوس هي التي تدينهم.

الفصل الخامس والستون

أما نحن، فبعد أن يتم تعميد ذاك الذي آمن بإرادته واتفق لمع

---

[١٧٦] كوري تعني عذراء أو ابنة، والمقصود بها من تُسمى "بروسربابين" (Proserpine)

تعاليمنا]، نرافقه إلى حيث يجتمع المدعوون إخوة لكي نرفع معًا الصلوات القلبية من أجل أنفسنا ومن أجل الشخص الذي استنار [أي الذي نال سر المعمودية] ولأجل كل الناس الآخرين أينما كانوا، لكي نصير ـ نحن الذين عرفنا الحق ـ مستحقين بسبب أعمالنا الصالحة أن نُعتبَر مواطنين صالحين يحفظون القوانين حتى ننال الخلاص الأبدي. وفي نهاية الصلاة نقبِّل بعضنا بعضًا[١٧٧] ثم يُقدَّم الخبز والكأس التي بها خمر ممزوج بالماء إلى الذي يترأس الإخوة[١٧٨] فيأخذهما ثم يقدم السبح والتمجيد لأبي الكل باسم الابن والروح القدس ويتلو صلوات شكر طويلة لأننا حُسِبنا مستحقين أن ننال منه [هذه البركات]. وفي نهاية هذه الصلوات والشكر يوافق كل الحاضرين بقولهم "آمين"، وهي كلمة عبرية تعني: "ليكن هكذا". وعندما ينتهي الرئيس من إقامة الإفخارستيًا يسمح من ندعوهم "شمامسة" لكل من الحاضرين أن يشتركوا في خبز الإفخارستيا وفي الخمر والماء ويحملونه أيضا للغائبين[١٧٩].

الفصل السادس والستون

ونحن ندعو هذا الطعام إفخارستيا [أي شُكرا] ولا يستطيع أحد أن يشترك فيه إلا من يؤمن أن تعاليمنا هي حق وقد تطهر بالمعمودية لمغفرة الخطايا والولادة الثانية ويعيش بحسب المبادئ التي وضعها لنا

---

[١٧٧] لقد أساء الوثنيون تفسير قبلة السلام، ولم يستطيعوا أن يدركوا أنها كانت نوعًا من التحية وكانت مقتصرة على الأشخاص من نفس الجنس.

[١٧٨] يعبِّر ق. يوستينوس هنا عن الأسقف بكلمة "رئيس" وهذا في الأغلب لأنه كان يوجه دفاعه إلى غير المسيحيين ولذلك لم يذكر الألقاب المسيحية التي لن تكون مفهومة بالنسبة لهم فاستبدل كلمة "أسقف" بكلمة أخرى تعبر عن القيادة أما بالنسبة لكلمة "شماس" διάκονος فقد ذكرها كما هي لأن هذا اللفظ في حد ذاته يعني "خادم" لذلك لم يحتج لاستبداله بلفظ آخر.

[١٧٩] يوضح ماران في *PG* 6.427 أنه بالرغم من أن ق. يوستينوس كتب هذا الدفاع في روما إلا أنه يصف الإفخارستيا طبقا لطقس الكنيسة الشرقية وليس الكنيسة الغربية، ففي الكنيسة الغربية على سبيل المثال قبلة السلام تسبق التناول مباشرة والشمامسة يوزعون الكأس فقط.

المسيح. ونحن لا نشترك فيهما كخبز وشراب عاديين بل كما أنه بتجسُّد كلمة الله، مخلِّصنا يسوع المسيح، متخذًا لنفسه جسدًا ودمًا لأجل خلاصنا، فإن هذا الطعام الذي تقدَّس بواسطة كلمات الصلاة التي قالها المسيح[١٨٠]، يغذي جسدنا ودمنا؛ إذ هو جسد ودم يسوع المتجسد كما تعلمنا. وقد سلَّمنا الرسل في مذكراتهم التي تدعى الأناجيل ما قد أمرهم يسوع أن يصنعوا، أنه أخذ خبزًا وبعدما شكر قال: "اصنعوا هذا لذكري، هذا هو جسدي" وأيضًا أخذ الكأس وشكر وقال: "هذا هو دمي"[١٨١] وقد أعطاهما لهم فقط. وعندما أراد الشياطين الأشرار محاكاة هذا السر أمروا بصنعه في طقوس الإله ميثراس[١٨٢] (Mithras) فكما تعرفون أو يمكنكم بسهولة أن تعرفوا، أنهم يستخدمون خبزًا وكوب ماء مع تعاويذ معينة في طقوسهم السرية.

الفصل السابع والستون

وهكذا نحن دائمًا نذكِّر بعضنا بعضًا بهذه الأمور. والأغنياء بيننا يسارعون لمساعدة الفقراء، ونبقى معًا دائمًا. كما أننا نبارك خالق الكل على كل الخيرات التي ننعَم بها في ابنه يسوع المسيح والروح القدس. ولنا في اليوم الذي يُدعى يوم الشمس (Day of the Sun - Sunday) [أي يوم الأحد] اجتماع لكل سكان المدن والضواحي وفي هذا الاجتماع تُقرأ مذكرات الرسل [يقصد بها الأناجيل] أو كتابات الأنبياء حسبما يسمح الوقت، وبعد الانتهاء

---

[١٨٠] تتقدس القرابين بناء على الكلمات التي نطق بها المسيح له المجد في يوم العشاء الأخير باستدعاء الروح القدس ليحل عليها وينقلها - على حد تعبير نص القداس الإلهي - إلى جسد ودم الرب الأقدسين.

[١٨١] انظر: لو ٢٢ : ١٩ ومت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٧ ومر ١٤ : ٢٢.

[١٨٢] راجع ترتليان *De praec. Haer.* 40 لقد أصبحت عبادة إله الشمس الفارسي شائعة في عهد هادريان (١١٧ - ١٣٨م) وقد جعل يوليان الجاحد من ميثراس إلهًا له.

من القراءات يتقدم الرئيس ويعِظ الحاضرين ويشجعهم على ممارسة الفضائل. ثم نقف جميعًا لنرفع الصلوات، وكما قلنا من قبل بعد أن ننتهي من الصلوات يتم تقديم الخبز والخمر والماء، ثم يصلي الرئيس ويرفع الصلوات والشكر على قدر استطاعته، أما الشعب فيرد قائلًا "آمين". ثم توزع الإفخارستيا على الحاضرين ويُرسَل منها للغائبين عن طريق الشمامسة. ويُقدِّم الأغنياء إذا أردوا ما يودون أن يتبرعوا به وتُجمَع التبرعات وتترك في عهدة الرئيس. [وبهذه التبرعات] هو يساعد الأرامل والأيتام والمحتاجين بسبب مرض أو خلافه وأيضًا المسجونين والمتغربين عندنا، وباختصار هو يهتم بجميع المحتاجين. ويوم الأحد هو بالحقيقة اليوم الذي نعقد فيه اجتماعنا المشترك، لأنه اليوم الأول الذي فيه حوَّل الله الظلمة والمادة وخلق العالم[١٨٣]، وفيه أيضًا قام مخلِّصنا يسوع المسيح من الموت، لأنهم صلبوه في اليوم الذي يسبق السبت وفي اليوم الذي يليه، أي الأحد، ظهر لتلاميذه ورسله وعلمهم الأشياء التي نقلناها لكم للتأمل فيها.

الفصل الثامن والستون

إذا رأيتم أن ما نقوله يتفق مع المنطق والحق فاحترموا أقوالنا، وأما إذا بدا لكم أن هذا التعليم سخيف فلا تعيروه اهتمامًا، ولكن لا تفرضوا حكم الموت على من لم يخطئوا كما لو كانوا أعداءً لكم. فها قد سبقنا وحذرناكم أنكم لن تهربوا من حكم الله الذي سيأتي عليكم إذا استمريتم في ظلمكم. وحينئذ سوف نقول "لتكن مشيئة الله"، وكان من الممكن على أساس خطاب أبيكم الإمبراطور هادريان الشهير والعظيم أن نطالبكم بأن تحكموا حسب التماسنا، ولكن ليس بسبب مرسوم هادريان، بل لأننا نعلم أن ما

---

[١٨٣] راجع الدفاع الأول، فصل ١٠، حاشية ٥٦.

نطالب به هو العدل، لذلك توجهنا إليكم بهذا الخطاب والشرح. ومرفق طيه نسخة من خطاب هادريان حتى تروا أننا في هذا الأمر أيضًا نقول الحق. وإليكم نص الخطاب:

الفصل التاسع والستون[١٨٤]

رسالة هادريانوس إلى مينوكيوس فوندانوس بشأن المسيحيين

لقد وصلني الخطاب الذي أرسله لي سلفكم المعروف سيرينيوس جرانيانوس (Serenius Granianus) ولا يبدو لي أن هذا التقرير يمكن أن يمر دون تحقيق لئلا نظلم [الأبرياء] ونعطي فرصة للمتهمين بالزور ليستمروا في أفعالهم الشريرة. فإذا كان رعاياكم يقدرون أن يدعموا شكواهم ضد المسيحيين بأدلة حتى يدانوا في المحاكمة فلا مانع لدي من ذلك، ولكن لن أسمح بأن يستمر المشتكون في الصياح والضجيج[١٨٥] لأنه من الأفضل بكثير إن أراد أحدٌ أن يوجه اتهامًا أن تنظروا أنتم [المسألة]، وإن اتهم أحد المسيحيين وأثبت أنهم خالفوا القانون فينبغي أن تحددوا العقوبة وفقًا لخطورة الجريمة، ولكنني أستحلفكم بهرقل أن تحترزوا لأنه إن اتهم أحدٌ هؤلاء المسيحيين لمجرد التشهير بهم فيجب أن تلقوا القبض عليه لشرِّه وتوقعوا عليه العقوبات لارتكابه هذا الذنب.

الفصل السبعون[١٨٦]

---

[١٨٤] هذا هو مرسوم هادريان الشهير إلى مينوكيوس فوندانوس حاكم آسيا ويذكر يوسابيوس في *Hist. eccl.* 4.8 أن ق. يوستينوس قدم لأنطونينوس نسخة من الخطاب الأصلي باللغة اللاتينية وقد ترجمه يوسابيوس إلى اليونانية واحتفظ روفينوس بالنسخة اللاتينية الأصلية.

[١٨٥] إشارة إلى صراخ الشعب في المسارح *"Christianos ad leonem"* التي تعني "القوا بالمسيحيين للأسود". انظر ترتليان *Apol.* 40

[١٨٦] هذا الخطاب الموجَّه من الإمبراطور أنطونينوس بيوس إلى مجلس النواب في آسيا موجود في كتاب يوسابيوس *Hist. eccl.* 4.13 وهو يشير إلى ميليتو أسقف ساردس كمرجع وسند على صحة الخطاب. وفي الأغلب أنه قد تمت إضافة هذا الخطاب إلى دفاع

تحية طيبة من الإمبراطور القيصر تيطس إيليوس أدريانوس أنطونينوس أوغسطس بيوس الحبر الأعظم، في العام الخامس عشر من ولايته، والقنصل للمرة الثالثة، أبي الشعب، إلى مجلس النواب بآسيا. كنت أظن أن الآلهة ستحرص على ألا يهرب هؤلاء [المسيحيون] ولو كان بإمكان الآلهة لعاقبوا كل من يرفض عبادتهم. ولكنكم تعذبون هؤلاء الناس وتتهمونهم بالإلحاد وأشياء أخرى لا يمكن إثباتها، مع أنه من صالحهم أن يشتهروا بأنهم يحتملون الموت بسبب التُّهم التي تسوقونها ضدهم وأن يهزموكم؛ إذ يستهينون بحياتهم بدلًا من الإذعان لما تطلبون منهم. ولا يليق بكم أن تذكِّروني بالزلازل التي حدثت وما زالت تحدث، فأنتم الذين تفقدون رجاءكم ينبغي أن تقارنوا تصرفاتكم بتصرف المسيحيين الذين لهم ثقة وإيمان بالله أكثر منكم. وفي مثل هذه الظروف، أنتم تتجاهلون الآلهة والمعابد ولا تفهمون عبادة الله ولذلك تشعرون بحسد نحو الذين يؤمنون به وتضايقونهم حتى الموت. وقد كتب بعض حكام الأقاليم لأبي، صاحب الذكرى الحسنة بخصوص هؤلاء الناس، وكان رده أنه لا ينبغي مضايقتهم ما لم يثبت عليهم التآمر ضد الحكم الروماني. وكثيرون بعثوا لي برسائل بخصوص هؤلاء المسيحيين وكان ردي عليهم يتفق مع رأي أبي وحكمه في هذا الأمر، وإن تقدم أحد بشكوى ضد آخر فقط بتهمة أنه مسيحي فلا يجب أن تُقبَل شكواه حتى ولو ثبت ما جاء فيها بل بالحري يجب أن توقع عليه العقوبة.

يوستينوس بواسطة شخص آخر، لأن ق. يوستينوس لا يذكر هذا الخطاب فإذا كان يعرف بوجود مثل هذا الخطاب لكان قد استخدمه في مناشدة أنطونينوس بدلًا من مرسوم هادريان.

الفصل الحادي والسبعون[187]

تحية من الإمبراطور القيصر مرقس أوريليوس أنطونينوس جيرمانيكوس بارثيكوس سارماتيكوس إلى الشعب ومجلس الشيوخ الموقر بروما: لقد أعلمتكم عن خطتي الكبيرة والنتائج التي حققتها على حدود ألمانيا عندما حوصرنا بسبب العناء والإجهاد ووُضِعنا في موقف حرج في مدينة كارنوتم (Carnutum) حيث احتشد حولنا أربعة وسبعون لواءً من جيش العدو على بعد حوالي تسعة أميال وعندما اقتربت منا هذه القوات أعلمني الكشافون والقائد بومبيانوس ما كنا نعرفه مسبقًا ألا وهو أن العدو قد حشد تسعمائة وسبعة وسبعين ألفًا من الجنود بينما أنا محاصر بهذا الحشد الهائل ومعي لواء واحد فقط مكوَّن من أجزاء كل من الفيلق الأول والعاشر والفيلق المزدوج وأيضًا فيلق البحرية. وعندما قارنت نفسي ومن معي من قوات بالأعداد الهائلة من قوات العدو البربرية أسرعت للتضرع إلى آلهة بلدي لكنني لم ألقَ استجابة منهم فشعرت بضآلة قوتي واستدعيت من نسميهم مسيحيين، ووجدت أن عددهم كبير فثار غضبي عليهم وقد كنت مخطئًا في هذا كما شعرت فيما بعد عندما أدركت قوتهم، فهم لا يبدأون بإعداد أسلحتهم أو دروعهم أو أبواقهم لأن هذه كلها مكرهة عندهم، حيث إن الله في ضمائرهم. بل إن هؤلاء الذين نعتبرهم ملحدين يشعرون بوجود الله في ضمائرهم، فقد سجدوا وصلوا ليس فقط من أجلي بل أيضًا من أجل الجيش كله حتى ينقذنا الله من الجوع والعطش في ذلك الوقت، فلم نكن قد شربنا ماء لمدة خمسة أيام لعدم وجود ماء، حيث كنا في

[187] هذا الخطاب من الإمبراطور مرقس إلى مجلس الشيوخ أيضًا تمت إضافته لاحقًا بواسطة شخص آخر، حيث إن ق. يوستينوس كان قد استُشهد قبل الأحداث المذكورة في هذا الخطاب.

وسط ألمانيا على أرض العدو. وبمجرد أن سجدوا وصلوا إلى الله الذي لم أكن أعرفه سقطت الأمطار من السماء، وقد سقطت علينا باردة أما على أعداء روما فكانت كوابل من النار. وبعد الصلاة مباشرة شعرت بحضور الله الذي لا يقهر ولا ينهزم. ومن أجل ذلك فلندع هؤلاء الأشخاص أن يكونوا مسيحيين لئلا بصلواتهم يستخدمون سلاحًا مماثلًا ضدنا ومن ثم فأنا أصدر قرارًا بأن المسيحي لا يُتهَم لمجرد أنه مسيحي، وإذا وُجِد أحد يتهم مسيحيًا لأنه مسيحي ولا شيء آخر ضده فإن هذا المُدَّعي يُحرق حيًا. ولا ينبغي على حاكم الإقليم أن يجبر مسيحيًا يعترف بمسيحيته على أن يتخلى عنها ولا أن يحبسه. وإني أرغب أن يتم التأكيد على هذه التعليمات بقرار من قبل مجلس الشيوخ، ولكي يُتاح للجميع قراءتها فإنني آمر أن تُعرَض في ساحة تراجان وسوف يتولى فيتراسيوس بوليو الحاكم إرسال نسخة من هذه التعليمات إلى الأقاليم المجاورة وأن لا يمنع أحد من اقتناء أو استخدام نسخة من هذه الوثائق التي أُعلِنها الآن.

الدفاع الثاني

مقدمة

يقول يوسابيوس في كتابه "التاريخ الكنسي"[1] إن الدفاع الثاني ليوستينوس كان موجهًا للإمبراطور مرقس أوريليوس عندما كان إمبراطورًا وحده (١٦٩ - ١٨٠م)، غير أن النقاد في العصر الحديث ينسبون الدفاعين إلى الفترة الأخيرة من عهد أنطونينوس بيوس (١٤٧ - ١٦١م) واستنتج آخرون أن الدفاع الثاني قد تم توجيهه إلى نفس الأشخاص الذين وُجه لهم الدفاع الأول.

وقد جاء إلينا الدفاع الثاني في مخطوطين حيث سبق الدفاع الثاني الدفاع الأول. وفي النسخة اليونانية الأصلية وكذلك الترجمة اللاتينية الأولى جاء الدفاعان بنفس ذلك الترتيب، إلا أننا قد أشرنا سابقًا[2] إلى أن الدفاع الثاني تلا الأول ليس كملحقًا له بل كدفاع مستقل على الرغم من أنه كتب بعد الأول بقليل. وعلى هذا يكون تاريخ كتابة الدفاع الثاني بين عامي ١٥٥ و١٦٠م في روما.

وهذا الدفاع القصير المكوَّن من ١٥ فصلًا جاء ردًا على إعدام ثلاثة أشخاص مسيحيين على يد أوربيكوس (Urbicus) حاكم روما. ويبدأ ق. يوستينوس دفاعه باتهام الرومان بالظلم لأنهم حكموا على هؤلاء المسيحيين بالموت لمجرد أنهم مسيحيون.

ثم ينتقل ق. يوستينوس إلى الإجابة بتهكم على هذين السؤالين:

١- إذا كان المسيحيون يتطلعون باشتياق لرؤية الله لماذا لا يقدمون على الانتحار ويوفرون على أعدائهم عناء قتلهم؟

٢- إذا كان إلههم لديه القدرة على مساعدتهم فلماذا يسمح لأعدائهم باضطهادهم ومعاقبتهم؟

---

[1] 4.15.18.

[2] انظر مقدمة الدفاع الأول.

وردًا على السؤال الأول، يشرح ق. يوستينوس مسألة أن الإنسان ليس سيدًا لحياته، أما بالنسبة للسؤال الثاني، فإن ق. يوستينوس يوضح أن اضطهاد المسيحيين لا يعود فقط إلى حرية الإرادة عند الإنسان بل أيضًا، وهذا هو الأهم، إلى كراهية الشياطين للمسيحيين، وبعد إثبات تفوق المسيحية على الوثنية يختم ق. يوستينوس دفاعه بِحَث الحكام على ممارسة العدل في معاملتهم للمسيحيين.

و يُفضَّل أن يرجع القارئ إلى مقدمة الدفاع الأول وأيضًا المراجع المختارة صفحة ٢٠ عند تناول الدفاع الثاني.

محتويات الفصول

الفصل الأول

إن الأمـور الـتي حـدثـت مـؤخـرًا[٣] في مدينتكم خـلال حكم أوربيكوس[٤] والأعمال الشريرة التي ارتكبها حُكَّامكم بلا سبب دفعَتني لأوجه لكم أيها الرومان هذه الرسالة لأن لكم مشاعر كمشاعرنا، وأنتم إخوة لنا[٥] حتى لو لم تدركوا هذا الأمر أو ترفضون الاعتراف به بسبب عظمة ما تسمونه امتيازاتكم. ففي كل مكان، يحتاج الإنسان إلى من ينصحه سواء كان أبًا أو جارًا أو ابنًا أو صديقًا أو أخًا أو زوجًا أو زوجة ضد أي نقص مثل العناد أو حب الملذات أو صعوبة الحث على فعل الخير (ما عدا الذين يؤمنون بأن الأشرار والشهوانيين سوف يقاسون عقوبة النار الأبدية في حين أن الأفاضل والذين يتشبهون بالمسيح - أي من صاروا مسيحيين - سوف يحيون مع الله بعيدًا عن أي ألم) فإن الشياطين الأشرار الذين يكنون لنا العداء يستخدمون أمثال هؤلاء القضاة الذين يتعبدون لهم ويخدمونهم، ويحضونهم كحكام تحت تأثير الشياطين أن يحكموا علينا بالموت. ولكي تفهموا بوضوح سبب كل ما حدث خلال حكم اوربيكوس سأسرد لكم بدقة ما حدث.

الفصل الثاني

كانت هناك امرأه تعيش مع زوج غير عفيف، وهي أيضًا كانت في وقت ما غير عفيفة، ولكنها بعد أن عرفت تعاليم المسيح صارت تتمتع بضبط النفس، وبالتالي حاولت إحداث هذا التغيير نفسه في

[٣] هذا التعبير "καὶ τὰ χθὲς δὲ καὶ πρώην" وترجمته الحرفية "وأيضًا أمس وأول أمس" هو أحد تعبيرات هوميروس.

[٤] كان أوربيكوس قنصلًا وحاكمًا في بريطانيا وألمانيا تحت حكم الامبراطور أنطونينوس بيوس.

[٥] عبر ترتليان عن هذه الفكرة أيضًا في دفاعه، فصل ٣٩.

زوجها موضحة له التعاليم المسيحية، وحذرته من العقاب في النار الأبدية الذي سيناله من يعيشون بغير حكمة واستقامة. ولكن الزوج استمر في سلوكه المشين ففقد حب زوجته، وأرادت أن تطلق منه لأنها اعتبرتها خطية أن تحيا مع زوج يسعى لإشباع شهواته بكل طريقة ضد قوانين الطبيعة وضد كل ما هو حق. وقد ضغطت على نفسها أن تبقى معه بعد أن أقنعها أصدقاؤها أنه من الأفضل أن تبقى معه أملًا في أنه قد يتغير في المستقبل. ثم حدث أن الزوج ذهب إلى الاسكندرية وعندما بلغ الزوجة أنه قد ازداد في انحرافه إلى أقصى حد، قررت أن تعطيه ما تدعونه "وثيقة طلاق"[٦] لأنها أبت أن تشترك في أعماله الآثمة بالإستمرار في الحياة معه وتقاسمه مائدة الطعام والمضجع. ولكن هذا الزوج "النبيل"، بدلًا من أن يفرح أن زوجته كفَّت عن الأعمال الشريرة التي كانت تمارسها باستهتار مع الخدم والموظفين عندما كانت تأخذ متعتها في السُّكْر وكل خطية وعندما توقفت عن هذه الأعمال أرادته أن يفعل مثلها ثم تركته ضد رغبته، قام برفع دعوى ضدها مدعيًا عليها أنها مسيحية. وهي قد قدمت لكم التماسًا أيها الإمبراطور طالبة السماح لها بترتيب أمورها ثم بعد ذلك تقوم بالدفاع عن نفسها ضد هذا الاتهام، فلبيتم طلبها. ولكن عندما لم يستطع زوجها السابق مجاوبتها حوَّل هجومه على شخص يدعى بطليموس - وهو مَن علمها المبادئ المسيحية - إذ أقنع أحد أصدقائه وهو قائد مئة لاستدعاء بطليموس وسأله سؤالًا واحدًا: هل أنت مسيحي؟ ولأن بطليموس صادق ولا يعرف الخداع أو الكذب اعترف بأنه مسيحي، وبناء على ذلك وضعه قائد المئة في سلاسل وألقاه في السجن وأساء معاملته لفترة طويلة. وبعد فترة عندما

[٦] الكلمة باليونانية هي "ῥεπούδιον" وهي كتابة بحروف يونانية للكلمة اللاتينية "*Repudium*" أي وثيقة فسخ.

مثل أمام أوربيكوس للمحاكمة وُجِّه إليه نفس السؤال ثانية: هل أنت مسيحي؟ ومرة أخرى ولأنه يعلم كل الفوائد التي أخذها من تعاليم المسيح اعترف بأنه عضو في مدرسة الفضيلة الإلهية. لأن من ينكر شيئًا يفعل هذا إما لأنه غير راض عن الشيء نفسه أو لأنه يتجنب الاعتراف به إذ يشعر أنه غير مستحق له وغريب عنه وكلتا الحالتين لا تنطبقان على المسيحي الحقيقي. وعندما أمر الحاكم أوربيكوس باقتياده للإعدام، تقدم شخص يدعى لوقيوس وهو مسيحي أيضًا ولأنه أدرك أن هذا الحكم غير معقول قال للحاكم: "ما هو سبب هذا الحكم؟ لماذا تعاقبون هذا الرجل وهو ليس زانيًا ولا فاسقًا ولا قاتلًا ولا سارقًا ولا لصًّا ولا مدانًا بأية جريمة ألبتة بل فقط هو اعترف بأنه مسيحي؟ إن ما حكمتم به يا أوربيكوس لا يليق بالإمبراطور بيوس ولا بالفيلسوف ابن قيصر ولا بمجلس الشيوخ الموقر." فكان الرد الوحيد الذي قاله للوقيوس "أنت أيضًا تبدو منهم" وعندما رد لوقيوس "أنا هكذا بالفعل"، أمر باقتياده هو أيضًا للإعدام. حينئذ عبَّر لوقيوس عن شكره لأنه علم أنه سيتحرر سريعًا من هؤلاء الحكام الأشرار وأنه سيذهب إلى الآب ملك السماوات. ثم تقدم مسيحي ثالث، وهذا أيضًا تمت إدانته.

الفصل الثالث[٧]

وأتوقع أن أكون أنا أيضًا ضحية لمؤامرة وأن يحكم عليَّ بالموت مُعلَّقًا على خشبة بسبب هؤلاء الذين ذكرتهم أو حتى من كريسكنس[٨] المحب للتفاخر والتباهي[٩]، ولذا فهو لا يستحق اسم

---

[٧] يأتي هذ الفصل في المخطوطات بعد الفصل الثامن، ولكن ماران وضعه هنا لأن ترتيبه جاء هكذا عند يوسابيوس، وأيضًا لأن هذا الترتيب هو أكثر ملاءمة للسياق.

[٨] الفيلسوف الكلبي الذي كان من ألد أعداء ق. يوستينوس.

[٩] يتلاعب ق. يوستينوس هنا بكلمتي "فيلوبسوفوس φιλοψόφος" وتعني "محب التباهي" و "فيلوكومبوس φιλοκόμπος" التي تعني "محب التفاخر" اللتين تتشابهان في النطق

محب الحكمة [أي فيلسوف] لأنه يتهمنا علنًا بأمور هو يجهلها مدعيًا أن المسيحيين ملحدون وغير مُتديِّنين، وهو يفعل هذا ليكسب تأييد ورضا الغوغاء المخدوعين. وإذ هو يهاجمنا بدون دراسة لتعاليم المسيح فهو بالحقيقة شرير وأسوأ من جاهل، لأن الإنسان عادة يكون حريصًا على ألا يجادل أو يكذب في أمور يجهلها. أما إن كان قد درسها [أي تعاليم المسيح] ولم يدرك عظمتها، أو أنه كان يتصرف هذا التصرف لكي لا يظهر أنه مسيحي، فهو أكثر شرًّا وحقارة وأدنى حتى من العبد في فكره غير العقلاني وأيضًا في خوفه. وإني أريدكم أن تعلموا أنني وجهت إليه أسئلة محددة في هذا الموضوع وعلمت بالتأكيد أنه لا يعلم شيئًا. ولكي أبيِّن لكم صحة ما أقول فأنا على استعداد أن أعيد أمامكم حواري معه إن لم تكونوا قد سمعتموه بعد، وموافقتكم على ذلك ستعد تصرفًا يليق بحاكم ملكي. وإذا علمتم بأسئلتي لكريسكنس وإجاباته عنها فسيكون واضحًا أمامكم أنه لا يعرف شيئًا عن تعاليمنا، وإن كان يعرف فهو لا يجرؤ على النطق بها، كما كان سقراط سيفعل، خوفًا من سامعيه. في هذه الحالة فقد أثبت أنه لا يحب الحكمة بل الأفكار الباطلة مزدريًا بمقولة سقراط الحميدة "لا ينبغي إكرام إنسان أكثر من الحق"[10]، وعلى أية حال فلا يمكن لكلبيٍّ[11] مثل كريسكنس الذي يعتبر أن هدفه النهائي هو اللامبالاة أن يدرك أي شيء صالح بل فقط اللامبالاة.

مع "فيلوسوفوس φιλοσόφος" التي تعني "محب الحكمة - فيلسوف".

[10] Cf. Plato, *Republic* 10.595 C

[11] الكلبيون هم إحدى المدارس الفلسفية اليونانية، وكانت تدعو إلى اللامبالاة بكل شيء والحياة مثل الكلاب.

الفصل الرابع

ولئلا يقول لنا أحد "امضوا جميعكم واقتلوا أنفسكم لتذهبوا فورًا إلى الله وتوفروا علينا قتلكم"، فسأشرح لكم لماذا لا نفعل ذلك ولماذا إذا تم استجوابنا نعترف بإيماننا بشجاعة؛ لقد تعلمنا أن الله لم يخلق العالم بدون هدف، بل أنه فعل ذلك لأجل البشر. فقد ذكرنا من قبل[١٢]، أن الله يسعد بالذين يتمثلون بكماله ولا يسعد بالذين يختارون الشر سواء بالقول أو بالفعل. فإذن إن قمنا جميعًا بقتل أنفسنا، إن كان الأمر متروك لنا، فلن يولد أحد بعد ولن يتعلم أحد التعاليم الإلهية، وهذا أيضًا سيؤدي إلى زوال الجنس البشري. وإن تصرفنا هكذا سوف نكون مخالفين لإرادة الله. ولكن إذا تم استجوابنا فنحن لا ننكر إيماننا، لأننا لم نفعل شيئًا خاطئًا بل نحن نعتبر أن عدم قول الصدق لا يتفق مع التقوى التي ترضي الله. ونحن الآن نريد أن نخلّصكم من التحيز الظالم.

الفصل الخامس

يجب ألّا يظن أحد أننا عندما نعترف بأن الله هو حامينا، لا يمكن أن يقوى علينا أو يزعجنا أناس ظالمون[١٣]، ولكنني سأشرح هذا الأمر أيضًا. عندما خلق الله العالم ووضع كل شيء على الأرض تحت سلطة الإنسان، ورتب الأجرام السماوية من أجل تغير المواسم وكثرة الثمار، ووضع لها قانونًا إلهيًا لأنه خلقها من أجل الإنسان، عيّن ملائكته ليعتنوا بالبشر وكل الأشياء تحت السماء. ولكن

---

[١٢] راجع الدفاع الأول، فصل ١٠.

[١٣] يذكر القديس كليمندس السكندري في *Stromata* 4.11.82 أن هذه كانت أحد الردود المفضلة للوثنيين. راجع أيضًا :

Arnobius, *Adv. nat.* 2.76; Minucius Felix, *Oct.* 12, Lactantius, *Inst. Div.* 5.21

الملائكة عصوا هذا الأمر ووقعوا في الخطية مع النساء وأنجبوا أطفالاً وهم من يُدعَون شياطين[١٤]. وفضلًا عن ذلك، أخضعوا الجنس البشري لهم عن طريق كتابات سحرية من ناحية، وبزرع الخوف فيهم وإنزال العقوبات عليهم وتعليمهم تقديم الذبائح والبخور والسكائب للآلهة بعد أن صاروا عبيدا لشهواتهم وأهوائهم من ناحية أخرى. كما تسبب الشياطين أيضًا في جرائم قتل وحروب وزِنا وكل أشكال الخلاعة وكل أنواع الخطايا بين الناس. ولذلك نسب الشعراء وكتاب الأساطير هذه الأمور لإلههم نفسه [زيوس] وللمدعوين أبناءه، ولأبناء من كانوا يظنوهم إخوته: بوسيدون وهاديس وأبناء أبنائهم غير عالمين أن الملائكة الأشرار والشياطين المولودين منهم هم الذين فعلوا هذه الأشياء للرجال والنساء وللمدن والشعوب. وقد دعاهم الشعراء بالأسماء التي كان كل من الملائكة الأشرار قد أعطاها لنفسه ولأبنائه[١٥].

الفصل السادس

لا يليق أن يُطلَق على الله أبي الكل اسمًا مُختلَقًا لأنه [أي الله] غير مولود، لأن كل من له اسم فقد أُعطي له من شخص يكبره سنًا. إن كلمات الآب والله والخالق والرب والسيد ليست أسماء حقيقية بل ألقاب مستمدة من أعماله الصالحة. ولكن ابن الله هو وحده الذي يُدعى بالحقيقة ابنه، وهو الكلمة الذي كان معه [أي مع الله الآب] والذي وُلِد منه قبل كل المخلوقات والذي به - في البدء

[١٤] كان هناك رأي منتشر عند اليهود وبعض الكُتّاب المسيحيين من بعدهم بأن بني الله المذكورين في الآية: "وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم" (انظر تك ٦: ٢ - ٥) هم ملائكة، وقد ظن ق. يوستينوس أن الجبابرة المذكورين هم الشياطين. انظر الدفاع الأول، فصل ٥، وترتليان، الدفاع فصل ٢٢، وإيريناوس كتاب الكرازة الرسولية ترجمة د. نصحي عبد الشهيد و د. جورج عوض، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، فقرة ١٨ ص ٨٣.

[١٥] انظر الدفاع الأول، فصل ٥.

- خلق ودبر الله الآب كل الأشياء، فهو يُدعى المسيح لأنه مُسِح ولأن الآب دبر كل أمور الخليقة به. وهذا الاسم له أيضًا معنى غير معروف تمامًا مثل كلمة "اللّه" الذي هو ليس اسمًا حقيقيًا بل هو تعبير عن شعور مزروع في طبيعة الإنسان[16] يصعب تفسيره. وأما اسم "يسوع" وهو اسمه كإنسان وكمخلِّص فله معنى، لأنه كما ذكرنا من قبل[17] صار إنسانا وقد وُلِد حسب إرادة الله لأجل المؤمنين وليهزم الشياطين. وحتى الآن أنتم ترون بعيونكم حقيقة هذه العبارة الأخيرة، لأن الكثير ممن سكنتهم هذه الأرواح الشريرة في العالم أجمع وحتى في مدينتكم قد أخرجها منهم العديد من المسيحيين باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي وقد شفاهم رجالنا وما زالوا يشفون آخرين بإبطال قوة هذه الشياطين وطردها، بعد أن تملكت عليهم، في حين أن المشعوذين لم يستطيعوا أن يشفوهم بالتعاويذ والعقاقير.

الفصل السابع

ويؤجل الله نهاية العالم[18] وانهياره - حيث يهلك الأشرار من الملائكة والناس[19] - وسبب هذا التأجيل هو البذرة المسيحية والتي يعرفها [الله] أنها سبب بقاء العالم. ولو لم يكن الأمر هكذا لما تمكنتم من فعل ما تفعلون بتأثير من الشياطين الأشرار، ولكن ستنزل نار الدينونة وسيتلاشى كل شيء مثلما اجتاح الطوفان العالم قديمًا، ولم ينجُ أحد إلا شخص واحد مع أسرته، وهو من

---

[16] عبَّر ترتليان عن نفس الفكرة بهذه الكلمات المشهورة :
O testimonium animae naturlaliter Christianae (*Apol.* 17)

[17] انظر الدفاع الأول، الفصلين ٢٣ و ٣٣

[18] راجع الدفاع الأول، الفصلين ٢٨ و ٤٥ و الحوار مع تريفون، فصل ٣٩ والرسالة إلى ديوجينيتوس الفصل ٦

[19] يقصد ق. يوستينوس فناء القوة وليس فناء الوجود.

ندعوه نوح وأنتم تدعونه دوكاليون (Deucalion) ومنه ولد كثيرون بعضهم أشـرار والبعض الآخـر أبـرار. و نحـن نقول إن العـالم سوف يحترق بالنار في النهاية بهذه الطريقة وليس كما يعتقد الرواقيون[٢٠] بأن كل الأشياء سوف تتغير إلى أشياء أخرى بحسب عقيدة التحول الشائنة. كما أننـا لا نعلّم [كما يفعل الرواقيون] بـأن الإنسان يعمل ويتألم كما يملي عليه القدر، بل نؤمن أن كل إنسان يفعل الخير أو الشر بإرادته الحرة، وأن الأبـرار مثل سقراط وغيره يواجهون الاضطهاد والسجن بينما نجد سردنابالوس (Sardanapalus) وإبيقور (Epicurus) وأمثالهما يتمتعون بالثراء والمجد. ويدَّعي الرواقيون - نتيجة جهلهم بتأثير الشياطين - أن كل شيء يحدث بحتمية قدرية. لكن بما أن الله منذ البدء خلق جنس الملائكة والناس ولهم إرادة حرة، فهم بعدل سوف يدفعون ثمن خطاياهم في النار الأبدية، فالإنسان بطبيعته له إمكانية الفضيلة والرذيلة، ولن يستحق المديح على أي عمل يعمله ما لم تكن له القدرة على أن يميل إلى أي منهما [أي الخير أو الشر]. ويوضح الفلاسفة والمشرعون هذه الحقيقة في كل مكان عندما يأمرون الناس - تبعًا للمنطق السليم - أن يفعلوا بعض الأشياء ويتجنبوا أشياء أخرى. ونجد أيضًا أن الفلاسفة الرواقيين في تعاليمهم عن الأخلاق يتبعون دائمًا نفس المبادئ، حتى إنه من السهل أن نرى خطأهم في تعاليمهم عن المبادئ والكائنات الروحية. فبقولهم إن أفعال البشر تخضع للقدر هم يعترفون بأنه: إما أن الله ليس سوى تلك الأشياء التي تتحول وتتغير على الدوام وتذوب في العناصر ذاتها - ويبدو أنهم لا يدركون إلا الأمور الفانية - ويؤكدون أن الله ذاته، جزئيًا وكليًا، يوجد في كل خطية، أو أنه لا يوجد ما يسمى بالرذيلة والفضيلة على الإطلاق، وهذا ضد كل رأي وعقل ومنطق سليم.

---

[٢٠] يعتقد الرواقيون أن تدمير العالم بالنار هو مجرد حدث طبيعي وليس عقوبة للخطية.

الفصل الثامن

والرواقيون مع أنهم كانوا يستحقون المديح، على الأقل فيما يتعلق بالأخلاق، كما كان الشعراء أيضًا في بعض الأوجه، لأن بذرة اللوغوس[٢١] مزروعة في كل البشر، إلا أننا نعلم أنهم كانوا مكروهين لذا كانوا يُقتَلون. فعلى سبيل المثال يمكننا أن نذكر هيراقليتس[٢٢]، الذي ذكرناه قبلًا، ومن المعاصرين لنا موسونيوس[٢٣] (Musonius) وغيرهما؛ إذ نرى أن الشياطين كما أشرنا كانوا يتسببون في كراهية أي شخص يسعى إلى أن يحيا حياته وفقًا للحق والحكمة متجنبًا الشر. ولا عجب في أنه قد ثبت الآن أن الشياطين يتسببون في الكثير من الكراهية ليس كما كانوا يفعلون مع من كانوا يحيون بحسب بذرة اللوغوس، بل بالأكثر مع من يحيون بمعرفة وتأمل اللوغوس الكامل الذي هو المسيح. فهؤلاء الشياطين سوف يلقون العقوبة العادلة والعذاب في النار الأبدية، لأنه إن كان هناك أناس يغلبون الشياطين باسم يسوع المسيح، فهذا دليل على أن الشياطين وأتباعهم مصيرهم النار الأبدية، كما تنبأ بذلك جميع الأنبياء، وكما قال معلمنا يسوع .

---

[٢١] ما يقصده ق. يوستينوس بتعبير "بذرة اللوغوس" أو "بذرة الكلمة" هو الحكمة التي أعطاها الله لكل البشر بمقدار ما يبحثون عن الحق، أما اللوغوس الكامل فهو المسيح لأنه هو اللوغوس ذاته وقد صار إنسانًا (انظر الدفاع الثاني، فصل ١٠). وقد وضع الله بذار الحق عند كل الناس (انظر الدفاع الأول، فصل ٤٤) وهكذا كان هناك مسيحيون قبل مجيء المسيح (انظر الدفاع الأول، فصل ٤٦) وبهذه الطريقة يربط ق. يوستينوس بين المسيحية والبحث عن الحق (الذي هو المسيح) في كل وقت.

[٢٢] يقال إن هيراقليتس لم يُقتَل بل مات نتيجة علاجه لنفسه من داء الاستسقاء.

[٢٣] كان هناك كثيرون يُدعَون بهذا الاسم في الأزمنة القديمة ولكن من غير الواضح أيهم كان يقصد ق. يوستينوس.

الفصل التاسع

ولئلا يكرر البعض خطأ هؤلاء المدعوين فلاسفة، الذين يدَّعون أن ما نقوله عن الخطاة وعقوبتهم في النار الأبدية هو مجرد كلام للتباهي المقصود منه بث الرعب وأننا نريد أن يحيا الناس حياة الفضيلة عن طريق الخوف وليس لأن مثل هذه الحياة هي حياة سارة، لذا سأرد عليهم بإيجاز بأنه لو لم يكن الأمر كما نقول وأنه ليس هناك إله، أو إذا كان هناك إله ولكنه لا يهتم بالناس، ولا يوجد ما يسمى بالفضيلة والرذيلة، لكان المُشرِّعون - كما أوضحنا من قبل - يعقابون ظلمًا من يتعدى على الوصايا الحسنة. ولكن بما أن هؤلاء المشرِّعين ليسوا بظالمين وأن [الله] أباهم يرشدهم من خلال الكلمة لعمل ما يعمله هو نفسه[٢٤]، فإن هؤلاء الذين يطيعون المشرعين ليسوا بظالمين. وإذا اعترض أحدهم بأن قوانين البشر مختلفة وأن بعض الناس يرون أن شيئًا صالح وآخر غير صالح، في حين يرى آخرون العكس، فليستمع إلى هذا الرد: نحن نلاحظ أن الملائكة الأشرار وضعوا قوانين تناسب إثمهم وتُرضي نظراءهم بين الناس، ولكن الكلمة الحقيقي عندما جاء أثبت أنه ليست كل الآراء والتعاليم صالحة بل هناك الصالح والرديء. وعلى هذا فإنني سأكرر نفس هذه العبارات ومثلها على مسامع هؤلاء الناس، وإذا لزم الأمر سأتحدث باستفاضة أكثر[٢٥] ولكن ينبغي عليَّ هنا أن أعود إلى موضوعنا.

---

[24] Cf. Tertullian, *Apol*. 45; St. Augustine, *De lib*. Arbit. 1.15.

[٢٥] ما يقصده ق. يوستينوس في هذه الفقرة هو أنه كما أن المُشرِّعين ليسوا مخطئين حين يأمرون بفعل بعض الأشياء وتجنب البعض الآخر، فهكذا أيضًا الله كمُشرِّع أعطانا قانونًا وبالتالي فإن المسيحيين ليسوا مخطئين في تعليمهم عن عقوبة الأشرار في النار الأبدية.

الفصل العاشر

لا شك إذن أن تعاليمنا أسمى من كل تعاليم البشر لأن اللوغوس الكامل هو المسيح الذي ظهر على الأرض لأجلنا، أي هو اللوغوس الذي صار جسدًا ذا نفس عاقلة[٢٦]، وجميع ما اكتشفه الفلاسفة والمشرعون وعبروا عنه تعبيرًا جيدًا كان بفضل اكتشافهم وتأملهم لجزء ما من اللوغوس. ولكن بما أنهم لم يعرفوا اللوغوس، الذي هو المسيح معرفة كاملة، فقد كانوا أحيانًا يناقضون أنفسهم. وكذلك الذين ولدوا قبل أن يصير المسيح إنسانًا وكانوا يُجَرّون إلى المحاكم ويُتَهمون كهراطقة وكأشخاص متطفلين؛ حيث حاولوا بفكرهم البشري الضيق أن يفكروا ويثبتوا الأشياء بالمنطق. وقد نسبوا لسقراط، وهو الأكثر حماسًا في هذا الصدد، الجرائم ذاتها المنسوبة لنا، وادعوا أنه قدم آلهة جديدة[٢٧] ورفض آلهة الدولة. ولكن ما فعله سقراط هو أنه نبذ هوميروس[٢٨] والشعراء الآخرين وعلّم الناس أن يطردوا الشياطين الأشرار وهؤلاء الذين يقترفون الأعمال المذكورة في كتابات الشعراء. كما أنه حث الناس أن يعرفوا المزيد عن الله الذي كان غير معروف لديهم عن طريق التأمل فقال: "ليس من السهل العثور على الآب خالق كل الأشياء، حتى وإن وجدوه فهل يعد إعلانه أمام جميع الناس شيئًا آمنًا؟"[٢٩] غير أن مسيحنا فعل كل هذا بقوته الذاتية. ولم يحدث أن أحدًا آمن بسقراط - الذي كانت لديه معرفة غير واضحة عن المسيح، لأن المسيح كان وما زال هو اللوغوس الذي

[26] Cf. St Augustine, *Sermo.* 214.7.

[27] Cf. Plato, *Apol.* Ch. 14.

[٢٨] هذه العبارة بكاملها مأخوذة من أفلاطون: *Republic* 2.377ff. and 10.595 ff.

[٢٩] اقتباس بتصرف من أفلاطون .*Tim.* 28 C راجع أيضًا أوريجينوس *Contra Celsum* 7.42

يعمل في كل إنسان، وهو الذي تنبأ عن أشياء من خلال الأنبياء[٣٠] . لدرجة أنه مات لأجل تعاليمه، ولكن الذين آمنوا بالسيد المسيح ليسوا العلماء والفلاسفة فقط، بل أيضًا العمال وغير المتعلمين، فهم من احتقروا الخوف والمجد والموت؛ إذ إنه عندما اتخذ طبيعتنا ومشاعرنا البشرية علّمنا هذه التعاليم نفسها. حقًّا إن هذا تم بقدرة الآب غير الموصوف وليس عن طريق المنطق البشري.

الفصل الحادي عشر

وما كان ليُحكم علينا نحن المسيحيين بالموت ولا يتقوى علينا الناس الأشرار والشياطين لولا أن الموت هو حق على كل إنسان يُولَد. ولذا فإننا عندما نوفي هذا الحق نقدم الشكر. ومن أجل كريسكنس والذين يتشدقون بالكلام مثله نرى من المناسب هنا أن نروي لكم ما كتبه زينوفون[٣١] (Xenophon). يقول زينوفون إن هرقل جاء ذات مرة إلى مكان يتقاطع فيه ثلاثة شوارع وهناك ظهرت له الفضيلة والرذيلة في شكل امرأتين، وكانت الرذيلة ترتدي ثوبًا مثيرًا غالي الثمن، كما كان يعلو وجهها تعبيرًا فتانًا وهي متزينة، وقد كانت ساحرة للنظر فقالت لهرقل إنه إن تبعها فستجعل حياته كلها متعة وبهجة وسيرتدي الملابس الفاخرة مثلما كانت ترتدي هي. أما الفضيلة التي ظهرت بمظهر حقير وملابس حقيرة فقالت له: "إن أطعتني سوف تتزين ليس بزينة فانية أو بجمال وقتي بل بزينة أبدية كريمة". حقًّا نحن نؤمن بأن من يتجنب ما يبدو جيدًا في الظاهر فقط ويسعى نحو ما يبدو عسيرًا وغير منطقي ستتحقق له السعادة، لأن الرذيلة لكي تخفي أفعالها استعارت

---

[٣٠] انظر الدفاع الأول، فصل ٣٣، حاشية ١٢٥.

[٣١] ينسب زينوفون في *Men.* 2.1.21ff هذه القصة الخيالية إلى Prodicus

صفات الفضيلة التي هي ممتازة بالحقيقة وذلك بتقليد ما هو غير قابل للفساد ـ علمًا بأن الرذيلة لا تمتلك ولا تستطيع أن تتسبب في عدم الفساد ـ وتستعبد ضعاف العقول وتنسب عاداتها الشريرة إلى الفضيلة. ولكن هؤلاء الذين عرفوا الصالحات يعيشون بغير دنس في الفضيلة. هؤلاء الأشخاص ـ كما يمكن لكل شخص ذكي أن يستنتج ـ هم المسيحيون والمجاهدون والذين عملوا أعمالاً رواها الشعراء عمن يدعونهم آلهة[٣٢]. ويمكننا أن نستنتج ذلك من حقيقة أننا نحن المسيحيين نزدرى بالموت الذي يهرب منه الناس.

الفصل الثاني عشر

فأنا نفسي عندما كنت أجد متعة في تعاليم أفلاطون وسمعت عن المسيحيين وكيف يتم الإساءة إليهم ورأيتهم يقفون بلا خوف أمام الموت أو أى شيء آخر من الأشياء التي يراها الآخرون مفزعة، أدركت أنهم من المستحيل أن يعيشوا في الخطية والشهوة. فأي إنسان يطلق العنان لشهواته ورغباته ويوافق على أكل لحوم البشر[٣٣] لا يمكن أن يرحب بالموت ويحرم نفسه من شهواته؟ أ لن يكون من الأفضل له أن يحاول دائمًا الاستمرار في أسلوب حياته هذا ليخدع المسئولين؟ وعلى الأقل أ لن يتراجع عندما تكون العقوبة هي الموت؟ لقد جعل الشياطين الناس الأشرار يفعلون هذا، فإنه بعد إنزال عقوبة الإعدام على البعض بسبب تهم باطلة ضدنا، قاموا بتعذيب أناس من خدمنا ومنهم أطفال ونساء لإجبارهم بهذه الأساليب الرهيبة على الاعتراف بجرائم وثنية يرتكبونها هم علانية. ولكن هذه الجرائم لا تعنينا بشيء لأننا لا نرتكبها، ويشهد على أفكارنا وأفعالنا الله غير

---

[٣٢] مثل هرقل الذي استهان بالموت.

[٣٣] إشارة إلى أكل لحوم البشر، وهو من أشهر الاتهامات التي أثارها الوثنيون ضد المسيحيين. راجع الدفاع الأول، فصل ٢٦، حاشية ١٠٣.

المولود غير الموصوف. فلماذا إذن [إن كنا نفعل هذه الأفعال] لم نعترف علنًا أننا نعتبر هذه الأشياء صالحة و نؤكد أنها فلسفة إلهية قائلين أننا نتمم طقوس كرونوس[٣٤] (Kronos) حيث نقتل شخصًا ونشرب دماءه - كما يُقال أننا نفعل - لإننا بذلك نكون قد فعلنا نفس ما تفعلونه أمام الوثن[٣٥] الذي تعبدونه وترشون عليه ليس فقط دم حيوانات بل أيضًا دم بشر مقدمين سكائب من دم الشخص المذبوح بواسطة أكثر الأشخاص نبلًا وتميزًا بينكم؟ أ فلا نستطيع أن نقدم كتابات إبيقور والشعراء الآخرين كدفاع عن أنفسنا أسوةً بزيوس والآلهة الأخرى الذين مارسوا اللواط والعلاقات الآثمة مع نساء؟ ولكن لأننا نُقنع الناس ونحثهم على الابتعاد عن هذه الأفعال وعن الذين يمارسونها وأيضًا من يتمثلون بهم، مثلما نسعى الآن بشدة لإقناعكم بهذه الكلمات، فإننا نُهاجَم بطرق كثيرة، ونحن لا نقلق على الإطلاق لأننا ندرك أن الله مراقِب عادل على الكل. وأود لو أن رجلًا ما صعد على منصة عالية وصاح بصوت عال: "اخجلوا واستحوا يا من تتهمون الأبرياء بارتكاب نفس الجرائم التي ترتكبونها أنتم علانية وتنسبون ذنوبكم وذنوب آلهتكم إلى أشخاص لم يشتركوا فيها فغيِّروا طرقكم وتعقلوا."

الفصل الثالث عشر

وعندما علمت بما فعله الشياطين من تمويه شرير لعقيدة المسيحيين الإلهية لمنع آخرين من اعتناقها ضحكت على من أشاع هذه الأكاذيب وعلى عملية التمويه ذاتها وعلى رد الفعل لدى عامة الشعب. وأنا أعترف بأننى أصلي وأجاهد بكل قواي لكي أُعرَف

---

[٣٤] كان الأولاد هم الضحايا المفضلون لهذا الوثن، انظر Lactantius, *Inst. Div.* 1.21, Tertullian, *Apol.* 9

[٣٥] هذا الوثن هو زيوس لاتياريس (Jupiter Latiaris) راجع ترتليان، الدفاع ٩.

كمسيحي ليس لأن تعاليم أفلاطون تختلف عن تعاليم المسيح، بل لأنها ليست متشابهة معها في كل شيء، وكذلك بالنسبة لتعاليم الآخرين مثل الرواقيين والشعراء والمؤرخين، فكل واحد من هؤلاء من خلال اشتراكه في بذرة اللوغوس الإلهي وما يتعلق به تكلم حسنًا جدًا. أما الذين ناقضوا أنفسهم في الأمور الهامة فهم لم يكتسبوا الحكمة السماوية والمعرفة القاطعة التي لا تقبل الجدل. إن الحقائق التي تحدث عنها أناس من كل البلاد تنتمي إلينا نحن المسيحيين. لأننا نعبد ونحب الكلمة الذي هو من الله الآب غير المولود غير الموصوف، فالكلمة صار إنسانًا لأجلنا وشاركنا آلامنا لكي يشفينا. حقًّا إن جميع الكتَّاب كان لهم قبس من الحقيقة بواسطة بذرة الكلمة المغروسة فيهم. لأن بذرة الشيء وما شابهها التي تُعطى لكل واحد حسب قابليته هي أمر والشيء نفسه الذي يتم الاشتراك فيه ومحاكاته حسب نعمة الله هو أمر آخر تماما.

الفصل الرابع عشر

ولذا نتوسل إليكم أن تنشروا هذا البيان مع إضافة ما لكم من تعليق عليه لكي يعرف الآخرون عاداتنا ويتحرروا من قيود المعتقدات الباطلة والجهل بما هو صالح، لأنهم بسبب أخطائهم استحقوا العقاب. اعلنوا هذا الكلام لكي يعرف جميع الناس هذه الحقائق لأن الإنسان بطبيعته يستطيع معرفة الخير والشر. ولأنهم يتهموننا نحن الذين لا يعلمون عنا إن كنا حقًّا نفعل هذه الأعمال الشائنة كما يدَّعون، ولأنهم يفرحون بآلهتهم التي ارتكبت هذه الأعمال ذاتها ويسمحون للناس بارتكابها، ولأجل حكمهم علينا بالموت أو بالقيود أو بأية عقوبة مشابهة كما لو كنا ارتكبنا هذه الأفعال، فإنهم يدينون أنفسهم ولا يحتاجون إلى قضاة آخرين.

الفصل الخامس عشر

أما بالنسبة لسيمون الساحر الذي ينتمي إلى بلدي[٣٦]، فإني أنظر باحتقار بالغ إلى تعاليمه المخالفة والمخادعة. ولو وافقتم على ما عرضنا فسوف نفضحه في أعين الكل لكي يتحولوا عن ضلالهم إن أمكن. لأجل هذا الغرض فقط كتبنا هذه الكلمات، وبعد أن تفكروا بحكمة ستجدون أن تعاليمنا ليست شائنة بل أسمى من كل حكمة بشرية. وإذا كنتم لا ترونها هكذا فعلى الأقل تعاليمنا ليست مثل تعاليم السوتاديين (Sotadists) ولا الفيلانيديين (Philaenidians) ولا الأركيستراتيين (Archestratians) ولا الإبيقوريين (Epicurians) ولا تعاليم أخرى مماثلة ينادي بها الشعراء يمكنكم أن تطلعوا عليها مكتوبة أو مستخدمة في الواقع العملي. والآن وقد عملنا ما في وسعنا نختم بصلاة لكي يجعل الله الناس في كل مكان مستحقين لسماع الحق، وليتكم أنتم أيضًا بحسب تقواكم وحكمتكم تحكمون في هذه الدعوى بعدل لأجل نفوسكم.

[٣٦] كانا كلاهما من السامرة.

الحوار مع تريفون اليهودي

مقدمة

وصل إلينا نص الحوار مع تريفون للقديس يوستينوس عن طريق Codex Paris gr. 450 (لعام ١٣٦٤) ولكن بعض أجزائه مفقودة، وهي جزء في المقدمة وآخر في الفصل الرابع والسبعين. وربما كان الجزء الناقص من المقدمة يتضمن إهداء العمل لماركوس بومبيوس الذي يوجَّه له الحديث في الفصل الحادي والأربعين ويشار إليه في الفصل الثامن.

ويعرض نص الحوار مناقشة جرت في مدينة أفسس بين ق. يوستينوس وتريفون اليهودي بعد انتهاء الحرب التي شنها بار كوكبا المتمرد اليهودي ضد السلطة الرومانية حوالى عام ١٣٥م. وبالرغم من أن بعض تفاصيل الحوار قد تكون خيالية إلا أن الإطار العام يبدو أن له أساسًا واقعيًا. وهناك القليل جدًا مما نعرفه عن تريفون خصم ق. يوستينوس فربما كان لاجئًا يهوديًا هرب من فلسطين إلى أفسس أثناء ثورة بار كوكبا. وقد تشكك كثيرون في احتمالية أن يكون هو تارفون الحاخام الفلسطيني الشهير.

وفي حقيقة الأمر، يُعتَبر نص الحوار، الذي كتبه ق. يوستينوس في مدينة روما بعد سنوات من حدوث المناقشة الفعلية (أي بين عامي ١٥٥-١٦١م)، دفاعًا عن المسيحية ضد اليهودية. وبما أن المناقشة استغرقت يومين فيمكن تقسيم الرسالة إلى جزأين: الجزء الأول (الفصول ١ - ٧٤) يحكي ما حدث في اليوم الأول، والجزء الثاني (الفصول ٧٥ - ١٤٢) يحكي ما حدث في اليوم الثاني. أما التقسيم الطبيعي والمنطقي للفصول البالغ عددها ١٤٢ فصلًا فيكون على خمسة أجزاء:

١ـ مقدمة (الفصول ١ - ٨) وفيها يحدد ق. يوستينوس حدود المناقشة

بعد وصف ما تلقاه من تعليم ثم تحوله إلى المسيحية.

٢ـ القسم الأول (الفصول ٩ - ٤٧) حيث يشرح لماذا لا يلتزم المسيحيون بناموس موسى.

٣ـ القسم الثاني (الفصول ٤٨ - ١٠٨) وفيه يقدم براهين تثبت أن المسيح هو المسيا الحقيقي.

٤ـ القسم الثالث (الفصول ١٠٩ - ١٤١) وفيه يصل إلى الاستنتاج المنطقي أن المسيحيين هم الورثة الحقيقيون للوعود الإلهية.

٥ـ الختام (الفصل ١٤٢) وفيه يهدي تريفون تمنياته ليوستينوس برحلة سعيدة إلى روما، ويعرب ق. يوستينوس بدوره لتريفون عن أمله أن يأتي يوم يؤمن فيه تريفون وأصدقاؤه بأن المسيح هو المسيا الحقيقي.

مراجع مختارة

F. Cayré, *Patrologie et Histoire de la Théologie* (3rd ed. Paris, 1938).

Ph. Haeuser, *Des Hl. Philosophen und Märtyrers Justinus Dialog mit dem Juden Tryphon* (Bibl.d. Kirchenväter Bd. 33, 1917).

A. Harnack, *Judentum und Judenchristentum in Justins Dialog mit Tryphon* (Leipzig, 1913).

R. Hirzel, *Der Dialog* (Leipzig, 1895).

W. Muenscher, *An Dialogus cum Tryphone Justino Martyri recte adscribatur* (Marburg, 1799).

A. Lukeyn Williams, *The Dialogue with Trypho* (London, 1930).

Th. Zahn, *Dichtung und Wahrheit in Justins Dialog mit dem Juden Tryphon, Zeitschrift für Kirchengeschichte* 8 (1885-1886) 37-66.

O. Zöckler, *Der Dialog im Dienste der Apologetik* (Gütersloh, 1893).

فصول الحوار

١. القديس يوستينوس يقابل تريفون.

٢. القديس يوستينوس يصف دراساته الفلسفية.

٣. بداية تحول القديس يوستينوس إلى المسيحية.

٤. النفس من ذاتها لا تقدر أن ترى الله.

٥. النفس في ذاتها ليست خالدة.

٦. مناقضة أفلاطون.

٧. معرفة الحق تأتي فقط من الأنبياء.

٨. حديث يشعل يوستينوس بحب للمسيح.

٩. المسيحيون لم يصدقوا الأخبار السخيفة.

١٠. تريفون يشكو من أن المسيحيين لا يلتزمون بناموس موسى.

١١. العهد الجديد أبطل الناموس القديم.

١٢. اليهود يخالفون الناموس الأبدي ويسيئون تفسير ناموس موسى.

١٣. إشعيا يعلم بأن مغفرة الخطية بدم المسيح.

١٤. التبرير ليس بالطقوس اليهودية بل بالتوبة والمعمودية.

١٥. الصوم الحقيقي.

١٦. الختان أُعطي لليهود كعلامة.

١٧. اليهود ينشرون افتراءات ضد المسيحيين في كل مكان.

١٨. لماذا لا يلتزم المسيحيون بناموس موسى.

١٩. أصل الختان وناموس موسى.

٢٠. شريعة أكل اللحوم.

٢١. شريعة حفظ السبت.

٢٢. شريعة تقديم الذبائح والقرابين.

٢٣. تفسير اليهود للناموس يهين الله.

٢٤. الختان المسيحي.

٢٥. اليهود ليسوا أبناء إبراهيم الحقيقيين.

٢٦. الخلاص متاح لليهود والأمم بالمسيح.

٢٧. اعتراضات تريفون.

٢٨. التبرير الحقيقي بواسطة المسيح.

٢٩. المسيحيون هم من يفسرون الكتب المقدسة تفسيرًا سليمًا وليس اليهود.

٣٠. البر المسيحي هو البر الحقيقي.

٣١. قوة المسيح عند مجيئه الثاني.

٣٢. مجيء المسيح مرتين.

٣٣. كلمات المزمور ١٠٩ تشير إلى المسيح لا إلى حزقيا الملك.

٣٤. مزمور ٧١ لا ينطبق على سليمان بل على السيد المسيح.

٣٥. الهراطقة يثبِّتون إيمان المؤمنين الحقيقيين.

٣٦. المسيح رب الكل.

٣٧. مزيد من الإثباتات من مزامير أخرى.

٣٨. القديس يوستينوس يرد على اتهام تريفون له بالتجديف.

٣٩. كراهية اليهود للمسيحيين.

٤٠. نماذج للسيد المسيح في ناموس موسى.

٤١. تقدمة الدقيق رمز للإفخارستيا.

٤٢. الأجراس على ثوب الكهنة كانت رمزًا للرسل.

٤٣. المسيح هو غاية ناموس موسى.

٤٤. الخلاص نناله بيسوع المسيح وحده.

٤٥. قديسو العهد القديم نالوا الخلاص بالمسيح.

٤٦. ناموس موسى لا يفيد الآن في الخلاص.

٤٧. الصعوبة بالنسبة للشركة مع المتهوِّدين.

الفصل الأول

بينما كنت أسير ذات يوم في أحد الشوارع الواسعة[1] تقدم إليَّ رجل ومعه آخرون وقال: "صباح الخير أيها الفيلسوف" ثم سار هو وأصدقاؤه بجانبي. وبعد رد التحية سألته: "ما بالكم تأتون إليَّ، هل تريدون مني شيئًا؟" فأجاب الرجل: "كورنثوس السقراطي علمني في أرجوس ألَّا أستهين أو أتجاهل من يلبسون ملابسك[2]، بل أهتم بهم وأتحدث معهم لأن مثل هذه الأحاديث قد يعود ببعض المنفعة عليهم أو عليَّ فيستفيد كلانا من هذا اللقاء. ولذا، كلما رأيت أحدًا يرتدي هذا الرداء أبادره بالحديث، ولهذا السبب يسعدني أن أرحب بك، وأصدقائي هنا يشاركونني الأمل في سماع شيء مفيد منك."

سألته بابتسامة: "ومَن أنت، يا سيدي، الفاضل؟" فلم يتردد في أن يعرِّفني اسمه ومعلومات عنه قائلًا: "اسمي تريفون[3] وأنا رجل عبراني من أهل الختان لاجئ بعد الحرب الأخيرة[4] وحاليًّا أنا مقيم في اليونان في مدينة كورنثوس." ثم سألته: "كيف تستفيد من الفلسفة بقدر استفادتك من مشرِّع الناموس عندكم ومن الأنبياء؟" فأجاب الرجل: "ولم لا؟ أ لا يتحدث الفلاسفة دائمًا عن الله ويطرحون أسئلة عن وحدانيته وعنايته؟ أ ليست هذه هي مهمة الفلسفة، أي البحث في الإلهيات؟" قلت له: "نعم بالتأكيد. هذا هو رأينا نحن أيضًا، ولكن غالبية الفلاسفة قد تركوا البحث عما إذا كان هناك إله واحد أو آلهة متعددة، أو ما إذا كانت هناك عناية إلهية تعتني بنا، كما

---

[1] غالبًا في مدينة أفسس.

[2] كان الفلاسفة يلبسون عباءة تُدعى (pallium) وتختلف عن ملابس الرجال العاديين (toga).

[3] اعتقد البعض أن تريفون هذا هو تارفون أحد حاخامات فلسطين المتعصبين. انظر التمهيد، حاشية ١٦.

[4] يقصد هنا الحرب الثورية التي أثارها بار كوكبا في فلسطين واستمرت من عام ١٣٢م إلى ١٣٥م، وفيها استولى هادريان على أورشليم وذبح آلاف اليهود.

لو كان هذا الأمر غير ضروري لسعادتنا. على أيه حال هم يحاولون إقناعنا بأن الله يعتني بالكون وبكل الأجناس والأنواع التي تعيش فيه، ولكن ليس بي وبك وبكل فرد وإلَّا فلا داعي لنا أن نصلي له ليلاً ونهارًا. وليس من الصعب أن نرى إلى أين يقودهم مثل هذا المنطق الذي يمنح من ينادي بهذه الآراء مناعة وحرية تعبير ليقولوا ويعملوا ما يريدون دون خوف من عقاب أو أمل في جزاء من الله. وهم يدَّعون أن الأمور ستظل كما هي الآن وأننا سوف نعيش في الحياة الآتية كما نعيش الآن لا بشكل أفضل ولا أسوأ[٥]. ولكنْ هناك آخرون[٦] يظنون أن الروح خالدة ولذلك ينتهون إلى أنهم لن يُعاقَبوا حتى لو كانت لهم خطية لأن الروح إذا كانت خالدة وغير جسدانية فلا يمكن أن تتألم، وإذا كانت خالدة فهي لن تحتاج شيئًا آخر من الله." ثم قال الرجل وهو يبتسم ابتسامة مهذبة: "اشرح لنا رأيك في هذه الأمور، وما هي فكرتك عن الله وما هي فلسفتك."

الفصل الثاني

قلت له: "سأشرح لك آرائي في هذا الموضوع. إن الفلسفة هي بالتأكيد أغلى ما يمتلك المرء، ولها قيمتها الكبيرة في نظر الله لأنها تقودنا إليه وتجعلنا نتحد به، والذين يستخدمون الفلسفة هم بالحقيقة من القديسين. ولكن كثيرون عجزوا عن اكتشاف طبيعة الفلسفة والسبب في نزولها للناس [من السماء] وإلا لما ظهر الأفلاطونيون والرواقيون والمشاؤون والنظريون[٧] والفيثاغوريون، لأن علم الفلسفة هو علم واحد. والآن، دعني أقول لك لماذا تعددت المدارس

[٥] ربما تكون هذه إشارة إلى تعاليم الرواقيين القدريين.

[٦] يعني الأفلاطونيين.

[٧] ربما يقصد "الشكاكون" (Skeptics) أو أن يكون هذا الاسم وصفًا لمجموعة من الفلاسفة كرسوا أنفسهم للتأمل والتفكير.

الفلسفية بهذا الشكل. إن أول من اتجهوا إلى الفلسفة وحُسبوا من العظماء جاء بعدهم أناس لم يهتموا بالبحث عن الحقيقة بل كانوا فقط معجبين بشجاعة وانضباط معلميهم وتعاليمهم الجديدة واعتبروا أن الحقيقة هي ما تعلمه كل واحد من معلمه. وبدورهم نقلوا لمن جاءوا بعدهم هذه التعاليم بالإضافة إلى تعاليم أخرى مشابهة فعُرِفت هذه التعاليم باسم مؤسس المدرسة الفلسفية. وفي أول الأمر أردت أن أتتلمذ على أحد هؤلاء الفلاسفة فوضعت نفسي تحت إرشاد أحد الرواقيين، وبعدما أمضيت بعض الوقت معه لم أتعلم أي شيء جديد عن الله (لأن مُعلّمي لم تكن له أيه معرفة بالله ولم يكن يؤمن بأهمية مثل ذلك النوع من المعرفة). فتركته وذهبت إلى أحد المشائيين والذي كان يعتبر نفسه معلمًا ماهرًا. وبعد بضعة أيام طلب مني تحديد ما سيتقاضاه من أجر حتى لا يكون ارتباطنا بلا عائد مجز له. وعلى ذلك تركته لأنني لم أعتبره فيلسوفًا حقيقيًّا. ولأن روحي كانت تتوق لسماع المعنى المحدد والرائع للفلسفة تقربتُ إلى أحد أتباع فيثاغورس المشهورين والذي كان يفتخر كثيرًا بحكمته، وخلال حديثي معه أعربت له عن رغبتي في أن أصير له تلميذًا، فقال لي: "هل تعرف الموسيقى والفلك والهندسة؟ أو كيف تتوقع أن تفهم الأشياء المؤدية للسعادة قبل أن تكون مُلمًّا بالدراسات التي تحول عقلك عن المحسوسات وتجعله مؤهلاً لقبول ما هو خاضع للفكر والعقل لكي تستطيع التأمل فيما هو صالح وجميل؟" واستمر حديثه طويلًا في مدح تلك العلوم وضرورة معرفتها حتى اعترفت أنني لا أعرف شيئًا عنها، ثم طلب مني الانصراف. وكما هو متوقع، شعرت بالحزن لأجل تحطم آمالي خاصة أنني كنت أحترمه كرجل صاحب معرفة غزيرة. وأيضًا عندما فكرت في كم الوقت الذي أحتاجه لأدرس هذه العلوم وجدت أنني لا أستطيع الانتظار كل هذه المدة. وفي وسط هذا

الاضطراب الذهني فكرت في استشارة أحد أتباع أفلاطون وكانت له سمعة طيبة للغاية. وبالفعل أمضيت مع هذا الرجل الحكيم قدرًا كبيرًا من الوقت، وكان الأفلاطونيون يكنون له كل الاحترام على الرغم من وصوله منذ فترة قصيرة إلى مدينتنا[٨]. وتحت قيادته تقدمت في مسيرة الفلسفة يومًا بعد يوم شاعرًا بالانبهار بالأشياء غير المحسوسة وكان عقلي يطير[٩] بنظرية أفلاطون للأفكار، لدرجة أنني في خلال وقت قصير تخيلتُ نفسي رجلًا حكيمًا، ووصلت في حماقتي إلى أنني توقعت أنني أتفرَّس في الله لأن هذا هو هدف الفلسفة عند أفلاطون."

الفصل الثالث

"وبينما كنت في هذه الحالة العقلية راغبًا في العزلة الكاملة بعيدًا عن المعطلات البشرية، كنت أذهب بمفردي لمكان ما قريب من البحر. وفي ذات يوم، وأنا في طريقي لهذا المكان بغرض الانفراد وحدي، تبعني رجل مسن جدير بالاحترام له طلعة وديعة ووقورة. فوقفت والتفتُ على الفور ونظرت إليه. فقال: "هل تعرفني؟" فأجبت بالنفي. قال: "لماذا إذن تحدق النظر فيَّ هكذا؟" أجبته قائلا: "لأنني فوجئت بوجودك هنا؛ إذ لم أتوقع أن أرى أي أحد هنا." قال: "إني قلق لغياب بعض أفراد من أهل بيتي، فكنت أبحث عنهم لعلي أجدهم في مكان ما في هذه المنطقة. ولكن ماذا جاء بك أنت إلى هنا؟" قلت: "أنني أستمتع كثيرًا بالسير على قدميَّ حيث أستطيع التحدث مع نفسي دون عائق، لأنه لا يوجد شيء هنا يشتت ذهني كما أن مثل هذه الأماكن مناسبة للتأمل بعمق فلسفي بالفكر والمنطق[١٠]." قال:

---

[٨] غالبا أفسس. و يعتقد البعض أنها فلافيا نيابوليس وهي مسقط رأسه، أو أنها الإسكندرية.
[٩] تعبير أفلاطوني.
[١٠] استخدم ق. يوستينوس كلمة "Philology" ليشير إلى التأمل الفلسفي.

"هل أنت إذن من محبي الكلام"[11] بدلاً من أن تكون محبًّا للأعمال والحق؟ أ لا تسعى لكي تكون رجلاً عمليًّا بدلاً من أن تكون سوفسطائيًّا (Sophist) ؟" قلت: "ماذا يمكن للمرء أن يعمله أعظم من أن يثبت أن العقل والمنطق يسودان على كل شيء، وأن مَن يجعلهما يتسلطان على كل فعل وتصرف ويتقوى بهما، يستطيع أن يزدري أخطاء غيره ويعتبرها ضد العقل ولا ترضي الله؟ كما أنه لا يمكن للإنسان أن يكون حكيمًا وذا عقل ومنطق بدون الفلسفة والفكر المستقيم. لذلك يجب على كل إنسان أن يتمسك بالفلسفة وأن يعتبرها أعظم وأسمى مسعى له. كما أن كل المساعي الأخرى ما لم تكن مرتبطة بالفلسفة فإنها تأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة من حيث القيمة. ومع أن هذه المساعي الأخرى لها قيمتها، وليس هناك اعتراض عليها، ولكن إذا خلت من الفلسفة ولم ترتبط بها بأي شكل من الأشكال ففي هذه الحالة تصبح دنيئة ورديئة لمن يمارسها." فقاطعني قائلًا: "هل الفلسفة إذن تؤدي إلى السعادة؟" قلت: "نعم بلا شك، الفلسفة وحدها." قال: "قل لي ما هي الفلسفة وما هي السعادة التي تنتج عنها، إن كان لا يوجد مانع من أن تتكلم؟" أجبته قائلًا: "الفلسفة هي معرفة ما هو موجود، وهي الفهم الواضح للحقيقة، والسعادة هي المكافأة التي تعطيها هذه المعرفة وهذا الفهم." قال: "ولكن كيف تُعرِّف الله؟" قلت: "الله هو الكائن الذي له طبيعة واحدة لا تتغير، وهو هكذا على الدوام، كما أنه سبب الوجود لكل ما عداه." وسُرَّ بكلامي وسألني ثانية: "أ ليست المعرفة كلمة تطبق بصفة عامة على أمور مختلفة؟ لأن كل مَن هو ماهر في أي من الفنون، في فن الخطط العسكرية أو فن الملاحة أو الطب على سبيل المثال يُقال عنه أنه ماهر، ولكن هذا غير صحيح

---

[11] استخدم الرجل المسن الكلمة نفسها بمعنى محبة استخدام الكلمات.

بالنسبة للأمور الإلهية والبشرية. فهل يوجد علم يعطينا فهمًا للأمور البشرية والإلهية بالإضافة إلى معرفة أفضل للإلوهة والفضيلة؟" قلت: "بالتأكيد". قال: "وهل معرفة الإنسان والله مثل معرفة الموسيقى والحساب والفلك وغير ذلك؟" قلت: "بالطبع لا" قال: "إجابتك إذن لم يجانبها الصواب، لأننا نكتسب معرفة الأشياء بالدراسة أو بالممارسة، ومعرفة أشياء أخرى بالنظر. والآن، لو أن أحدًا قال لك إنه يوجد في الهند كائن يختلف عن بقية الكائنات جميعًا، من نوع كذا وكذا ويتخذ له أشكالًا وألوانًا كثيرة، فأنت لن تكون لديك معرفة محددة لهذا الحيوان ما لم تره، ولن تستطيع أن تصفه ما لم تسمع عنه من شخص رآه" قلت: "بالطبع لا" قال: "إذن كيف يستطيع الفلاسفة التأمل أو التحدث بشكل صحيح وحقيقي عن الله، في حين تعوزهم معرفته لأنهم لم يروه ولم يسمعوا عنه قط؟" قلت: "ولكن، يا أبتي، الألوهة لا يمكن أن تُرى كما تُرى الكائنات الحيَّة الأخرى. الله يُدرَك بالعقل فقط، كما يؤكد أفلاطون، وإنني أتفق معه في ذلك."

الفصل الرابع

"ثم سألني: "هل تمتلك عقولنا مثل هذه القدرة الجبارة، أم أنها تدرك الموجودات عن طريق الحواس؟ هل يقدر العقل البشري أن يرى الله إن لم يكن هذا بمعونة الروح القدس؟" قلت: "لقد قال أفلاطون - وهو على حق - إن عين العقل لها هذه القدرة الخاصة التي أُعطيَت لنا كي نستطيع أن نرى بها - إذا ما كانت نقية - الكائن الذي هو علة كل ما يدركه العقل والذي ليس له لون أو شكل أو حجم أو أي شيء مما تراه العين لأنه فوق كل جوهر مُدرَك؛ لذا فهو غير موصوف وهو وحده الجميل والصالح الذي يدخل في الحال إلى النفوس الفاضلة

لأنها تشبهه وتشتهي أن تراه." قال: "وكيف يكون لنا شبه بالله؟ وهل النفس [البشرية] إلهية وخالدة أيضًا؟ وهل هي جزء من العقل الأسمى ذاته؟ وبما أن هذا العقل الأسمى يرى الله؛ فهل نستطيع نحن أن ندرك الله بعقولنا مثله وبذلك تكون لنا السعادة الآن؟" قلت: "نعم بالتأكيد." قال: "وهل تدركه أنفس الحيوانات جميعها، أم أن نفس الإنسان تختلف عن نفس الحصان أو الحمار؟" قلت: "لا، لأن أنفس جميع الكائنات الحية هي شيء واحد." قال: "إذن، هل الحصان والحمار سوف يتمكّنا من رؤية الله، أو هل أبصراه في أي وقت؟" قلت: "لا، وأيضًا الكثير من الناس لا يرونه، فالذين يرونه هم فقط الذين يعيشون حياتهم بأمانة والذين تطهروا بالبر وكل فضيلة أخرى." قال: "فأنت تقول إن الإنسان يرى الله لا بسبب التشابه معه ولا بسبب عقل الإنسان، بل بسبب بره وحكمته؟" قلت: "بالتأكيد، وأيضًا بسبب مقدرته على التفكير في الله." قال: "هل تقول إن الخروف أو الماعز يظلم أحدًا؟" قلت: "لا يظلم أحدًا بأي شكل من الأشكال." قال: "إذن - بحسب تفكيرك - فإن تلك الحيوانات سوف ترى الله؟" قلت: "لا، لن ترى الله، والسبب الذي يعوقها عن ذلك هو أجسادها عينها." قال: "ولو أن هذه الحيوانات كانت لها القدرة على التكلُّم لكان لها بالتأكيد الحق في سب أجسادنا عينها. ولكن دعنا الآن نتجاهل هذا الموضوع وسأفترض أن ما تقوله صحيح. قل لي إذن: هل ترى النفس الله وهي في الجسد أم بعد أن تنطلق منه؟" قلت: "حتى وهي لا تزال في الجسد تستطيع أن ترى الله عن طريق العقل، ولكن بالأكثر بعد أن تنطلق من الجسد وتوجد بذاتها فهي تدرك الله الذي أحبته على الدوام." قال: "وهل تتذكر النفس رؤية الله هذه عندما تتحد ثانية بجسد الإنسان؟" قلت: "لا أظن ذلك." قال: "ما هي الميزة إذن في رؤية الله؟ وما أفضليَّة الشخص الذي رأى الله على مَن لم يره

إلّا إذا كان على الأقل يتذكَّر أنه رآه؟" قلت: "لا أستطيع الإجابة عن هذا." قال: "ما هي العقوبة التي تقع على مَن يُعتبَر غير مستحق أن يرى اللّه؟" قلت: "كعقوبة لهم سوف يحبسون في أجساد بعض الحيوانات البرية[١٢]." قال: "هل سيدركون أنهم لهذا السبب حُبِسوا في تلك الأجساد وأنهم سقطوا في الخطية؟" قلت: "لا أظن ذلك." قال: "إذن يبدو أنهم لن يستفيدوا شيئًا من مثل هذه العقوبة، بل إني أقول إنهم لن يُقاسوا أية عقوبة على الإطلاق طالما لم يدركوا أنها عقوبة." قلت: "لا، بالتأكيد." قال: "إذن، فالنفس لا ترى اللّه ولا تنتقل إلى أجساد أخرى لأنها ستعرف أن ذلك سيكون بمثابة عقوبة لها، وبالتالي ستخاف من ارتكاب حتى أبسط الخطايا. لكني أُسلِّم بأن النفس تستطيع أن تدرك وجود اللّه وأن التقوى والعدالة صفات رائعة." قلت: "أنت على حق."

الفصل الخامس

"ثم استطرد العجوز قائلًا: "إذن هؤلاء الفلاسفة لا يفهمون شيئًا عن هذه الأمور، لأنهم لا يقدرون حتى أن يفسروا طبيعة النفس." قلت موافقًا: "يبدو ذلك." قال: "ولا يجب أن نقول إن النفس خالدة، لأنه لو كانت كذلك لكان لا بد لنا أن نقول إن النفس غير مخلوقة." قلت: "بعض الأفلاطونيين يعتبر أن النفس خالدة وغير مخلوقة." قال: "وهل تقول إن الكون أيضًا غير مخلوق؟" قلت: "هناك بعض من يتبنى هذا الرأي ولكنني لا أتفق معه." قال: "أنت على حق. لماذا يظن المرء أن الجسد المُصمَت المُركَّب المُتغيِّر والذي يتدهور ويتجدد كل يوم لا يكون له منشأ من عِلَّة أولى؟ لأنه إذا كان الكون مخلوقًا فالنفس أيضًا بالضرورة تكون مخلوقة. وقد كان وقت لم

[١٢] يمثل هذا فكر ق. يوستينوس قبل اعتناقه المسيحية وليس بالضرورة أن يكون هو نفس التعليم الذي نادى به بعد إيمانه بالمسيح.

تكن الأنفس موجودة فيه لأنها خُلِقت لأجل الإنسان والكائنات الحية الأخرى، حتى إذا ادّعيت أنت أنها خُلِقت على حِدَة وليس مع أجسادها." قلت: "أعتقد أنك على حق. النفس إذن ليست خالدة[١٣]." قال: "لا ليست خالدة، بما أن العالم نفسه قد خُلِق." وأكمل قائلًا: "ومن ناحية أخرى، أنا لا أدَّعي أن النفس يمكن أن تموت [أي تفنى] لأن ذلك سيكون في صالح الخطاة. فماذا يحدث للنفس إذن [بعد موت الجسد]؟ تسكن أنفس الأبرار في مكان أفضل بينما تسكن أنفس الأشرار والظالمين في مكان أسوأ حيث ينتظرون يوم الدينونة. لذلك فإن هؤلاء الذين اعتُبِروا مستحقين أن يروا الله لن يهلكوا إلى الأبد ولكن الآخرين سوف يكون لهم عقاب طالما أن الله سمح لهم بالوجود وطالما أنه يريد لهم العقاب." قلت: "أ لا يتفق إقرارك هذا مع ما نادى به أفلاطون في كتابه طيمايوس[١٤] عن أن العالم يمكن تدميره بما أنه شيء مخلوق ولكنه لن يتعرَّض للتدمير لأن هذه هي إرادة الله؟ أ لا تعتقد أن الشيء ذاته يمكن أن يقال عن النفس وأيضًا عن كافة المخلوقات الأخرى؟ لأن الله كائن سرمدي أما كل ما عداه مما يُوجَد أو سيُوجَد فله طبيعة قابلة للفساد وبالتالي هو معرض للإضمحلال التام. لأن الله هو وحده غير المولود[١٥] وغير القابل للفساد ولهذا السبب هو الله، وكل ما عداه هو مخلوق وقابل للفساد. لهذا أيضًا تموت النفس وتعاقب لأنها لو كانت غير مخلوقة لما كانت قد أخطأت أو صارت في مثل هذه الحماقة: تارة في جبن وتارة أخرى في جسارة ولما دخلت - بسبب أفعالها - في الخنازير والثعابين والكلاب[١٦]. وأيضًا لو أن هذه النفوس غير مخلوقة لما صح إجبارها على أي شيء،

---

[١٣] المقصود هنا هو أن النفس ليست خالدة في ذاتها، ولكنها أُعطيت الخلود كنعمة من الله.

[14] Cf. *Timaeus,* 41 AB.

[١٥] انظر الدفاع الأول، فصل ١٤، حاشية ٦٧.

[١٦] راجع الحاشية صفحة ١٤١.

لأن غير المخلوق يشابه ويطابق غيره من غير المخلوقات، ولا يمكن تفضيل أحد منهم على الآخر في القدرة أو الكرامة. والخُلاصة إذن هي أنه لا توجد كائنات كثيرة غير مخلوقة لأنه لو كان هناك بعض الاختلافات بينها فلن تستطيع ـ مهما حاولْتَ ـ أن تجد سببًا لمثل هذه الاختلافات. ولكن بعد أن توجِّه فكرك دائمًا إلى اللانهائية سوف تتعب أخيرًا وتجد أنك لا بد أن تتوقف عند الوحيد غير المخلوق وأن تقرر أنه هو علة كل الأشياء. هل تظن أن هذه الأمور غابت عن أفلاطون وفيثاغورس، هذين الحكيمين اللذين صارا سندًا وحصنًا لفلسفتنا؟"

الفصل السادس

"قال: "لا يهمني إن كان أفلاطون أو فيثاغورس أو غيرهما قد تبنَّوا مثل هذه الآراء. ما أقوله هو الحق وسأشرح لك كيف تتعلَّمه: إن النفس إما أن تملك الحياة في ذاتها أو تُعطى الحياة من خارجها. فإن كانت تملك الحياة في ذاتها فإنها يمكن أن تُعطِي الحياة لآخر ـ غير ذاتها ـ مثلما تُعطِي الحركة لشيء أن يتحرَّك. ولا يستطيع أحد أن ينكر أن النفس تحيا لكن ليس معنى ذلك أنها لها حياة في ذاتها بل أنها أُعطيَت الحياة، لأن مَن يُعطِي يختلف عمَّن يأخذ. وهكذا فإن النفس حيَّة لأن الله أعطاها الحياة ويريدها أن تحيا ولن يكون لها حياة حينما سيريد الله لها ألّا تحيا، لأن المقدرة على الحياة ليست صفة خاصة بالنفس بل هي خاصة بالله. وبما أن الإنسان لا يحيا إلى الأبد وجسده لا يتحد بنفسه إلى الأبد بل ينحل هذا الاتحاد عندما تنفصل النفس عن الجسد ولا يوجد الإنسان فيما بعد، فهكذا أيضًا عندما تكف النفس عن الحياة تُؤخَذ منها روح الحياة فلا توجد بعد، بل ترجع إلى موضع أصلها."

الفصل السابع

"قلت: "إذا كان هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون الحقيقة، فأيّ معلّم أو أيَّة طريقة نتبع؟" قال: "من زمن بعيد، قبل هؤلاء الفلاسفة بوقت طويل، عاش رجال مباركون أبرار محبوبون من الله، رجال يتكلّمون بوحي من الروح القدس، هؤلاء تنبأوا عن أحداث سوف تحدث في المستقبل، وهي تحدث الآن. ونحن ندعو هؤلاء الرجال أنبياء؛ فهم وحدهم قد عرفوا الحقيقة ونقلوها للناس بلا خوف ولا تأجيل. وكانوا يرددون فقط ما سمعوه ورأوه بوحي من الروح القدس بدون رغبة في المجد الباطل. وكتاباتهم ما زالت موجودة وكل من يقرأها بإيمان صحيح يستفيد كثيرًا في معرفة أصل الأشياء وغايتها وكل الأمور الأخرى التي ينبغي للفيلسوف أن يعرفها. وفي ذلك الوقت، لم يعطوا دليلًا في كتاباتهم على ما يقولون لأنهم كشهود أمناء للحق كانوا فوق مستوى الدليل غير أن الأحداث التي وقعت وتقع الآن تجعلك تصدِّق كلامهم. وهم أيضًا جديرون بالثقة لأجل المعجزات التي صنعوها لأنهم مجدوا الله الآب خالق كل الأشياء وعرَّفوا الآخرين بالمسيح ابنه المرسل منه. وهذا ما لم يفعله قط الأنبياء الكذبة الممتلئون بروح نجس مُضِلّ، ولكنهم يشرعون في عمل بعض العجائب ليبهروا الناس ويمجدوا الشياطين وأرواح الشر. أهم شيء هو أن تتضرَّع إلى الله ليفتح لك أبواب النور لأن الإنسان لا يستطيع أن يرى أو يدرك هذه الحقائق ما لم ينل استنارة من الله ومسيحه.""

الفصل الثامن

"وبعد أن قال هذه الكلمات وأشياء أخرى لا مجال الآن لسردها مضى في طريقه ناصحًا إياي أن أتأمل فيما قاله لي ولم أره بعد ذلك.

ولكن روحي اشتعلت على الفور وتملكتني مشاعر من الود نحو الأنبياء وهؤلاء الذين هم أصدقاء المسيح. وبينما أنا أتأمل في كلامه اكتشفت أن ما قاله هو الفلسفة الوحيدة المؤكَّدة والمفيدة. وهكذا الآن أنا فيلسوف، والأكثر من ذلك، أن أمنيتي هي أن يشعر كل واحد بهذه المشاعر ولا يحتقر أبدًا كلمات المُخلِّص لأن فيها جلال عظيم لدرجة أن هذه الكلمات تقدر أن تبث الخوف في الذين حادوا عن طريق البِر، وتبعث التعزية العظيمة للذين يحفظونها. ولذا، إن كنت تهتم بصالحك وخلاص نفسك، وإن كنت تؤمن بالله - لأنني أعلم أنك لست غريبًا عن هذه الأمور - فلك فرصة الحصول على معرفة مسيح الله وأن تتمتع بحياة سعيدة بعد أن تصير مسيحيًّا[١٧]".

وعند هذه الكلمات أيها العزيز بومبي[١٨]، ضحك أصدقاء تريفون، وهو نفسه أجاب مبتسمًا: "لقد أعجبني كلامك ورغبتك العميقة في معرفة الإلهيات، إلّا أنني أرى أنه من الأفضل لك أن تركز على فلسفة أفلاطون أو أي فيلسوف آخر حتى تحصل على الثبات والاعتدال وضبط النفس بدلًا من أن تقع في شرك تعاليم كاذبة وتصير شريكًا لأناس لا قيمة لهم. فحينما كنت تتمسك بمدرستك الفلسفية السابقة وعِشت حياة بلا لوم كان هناك أمل في مصير أفضل لك، ولكن عندما تتحوَّل بعيدًا عن الله وتضع رجاءك في إنسان فما هي فرصة خلاصك؟ إن استمعت لي - لأنني قد اعتبرتك بالفعل صديقًا لي - فعليك أولا أن تختتن ثم تحفظ الأحكام بالنسبة ليوم السبت، وأيام الأعياد، وأهلَّة [جمع هلال] الله الجديدة، أي أن

---

[١٧] الكلمة هنا حرفيًا بمعنى "تصير كاملا". وقد فهمها البعض على أنها تشير إلى المعمودية، وآخرون على أنها إشارة للكمال في الحياة. لذلك ربما تحمل كلمة "مسيحي" المعنى الأول والثاني معًا.

[١٨] لا يذكر النص اليوناني اسم بومبي (Pompey) لكن النسخة اللاتينية تذكره. وهو الشخص الذي وجَّه له القديس يوستينوس هذا الحوار، وهو مذكور بوضوح في فصل ١٤١.

تحفظ كل الشريعة المكتوبة، حينئذ قد تختبر رحمة الله. أما المسيا فإذا كان قد وُلِد وهو موجود في مكان ما، فهو غير معروف ولا يُدرِك هو نفسه أنه المسيا ولن يكون لديه أيَّة قوَّة حتى يأتي إيليا ليمسحه ويظهره للجميع. لكنكم [أي المسيحيون] قد صدَّقتم هذه الإشاعة الغبية واخترعتم لأنفسكم مسيحًا وتقدِّمون حياتكم من أجله باندفاع."

الفصل التاسع

قلت: "يا صديقي، أنا أسامحك وليت الرب يغفر لك لأنك لا تعلم ما تقول، فقد علَّمك مُعلِّمون لا يفهمون الكتب المقدسة وأنت تقول كل ما يطرأ على بالك بغير تفكير مثل العرَّاف. أما إذا وافقت أن تسمع معلومات عن المسيح وكيف أننا لم نُخدَع بتعاليم كاذبة وأننا لن نكف عن الاعتراف بإيماننا به حتى لو تعرَّضنا للاضطهاد وحتى لو حاول أعتى الطغاة أن يجبرنا على إنكاره، فسأُثبِت لك هنا والآن أننا لا نؤمن بخرافات أو تعاليم غير منطقية بل بعقائد أُوحِي بها من الروح القدس، وهي مملوءة قوة وتفيض بالنعمة."

ومرَّة أخرى، راح أصدقاء تريفون يضحكون بصوت عال فظ وغير مهذب حتى إنني قمت وكنت على وشك الانصراف عنهم، ولكن تريفون أمسكني من ردائي وقال إنه لن يطلقني حتى أفي بوعدي [أن أدافع عن المسيحيين].

قلت: "إذن لا تدع أصدقاءك يُحدِثون هذا الضجيج ويتصرَّفون بشكل مهين، وإن أرادوا فليستمعوا وإن كان لديهم شيء أهم ليفعلوه فلينصرفوا، حينئذ نَقْدِر أن نذهب إلى مكان آخر لنستريح ونستكمل حديثنا."

فوافق تريفون واتفقنا على أن نذهب إلى وسط إستاد زيستوس

(Xystus) بعد أن انصرف اثنان من أصدقائه وهم يمزحون ويهزأون بحديثنا. وعندما وصلنا إلى ذلك الجزء من الإستاد حيث كانت مقاعد من الحجارة على الجانبين، ذهب أصدقاء تريفون الآخرون للجلوس على الجانب الآخر، وقال أحدهم تعليقًا على الحرب الجارية في اليهودية فراحوا يتحدثون عنها.

الفصل العاشر

وبعد أن انتهوا من حديثهم، ابتدأتُ أحدِّثهم ثانيةً: "يا أصدقائي، هل لديكم أي اتهام ضدنا سوى أننا لا نحفظ الناموس ولا نختتن كما فعل أجدادكم ولا نحفظ السبوت كما تفعلون؟ وهل أنتم تدينون عاداتنا وأخلاقياتنا؟ هذا ما أقوله لكم، لئلا تصدِّقوا أنتم أيضًا أننا نأكل لحم البشر وبعد احتفالاتنا نطفئ الأنوار لننغمس في الفجور والدنس[١٩]. أم أنكم تدينوننا فقط بسبب إيماننا بتعاليم وآراء أنتم تعتبرونها خاطئة؟"

أجاب تريفون: "ما نتعجَّب له هو هذا الاتهام الأخير لأن الاتهامات الأخرى التي يثيرها الغوغاء ضدكم لا يمكن أن تُصدَّق لأنها مقززة للطبيعة البشرية. ولكن التعاليم في ما تسمُّونه الإنجيل هي عظيمة وعجيبة لدرجة أنني أشك أن يقدر أحد أن ينفذها. فقد أخذت على عاتقي أن أقرأها. ولكن ما أدهشني جدًّا هو أنكم أنتم الذين تدَّعون التقوى وتعتقدون أنكم مختلفون عن غيركم لا تعزلون أنفسكم عنهم وطريقة حياتكم لا تختلف عن الأمم، ولا تحفظون الأعياد ولا السبوت، ولا تمارسون طقس الختان. وأيضًا أنتم تضعون رجاءكم في رجل مصلوب وما زلتم تنتظرون بركات من الله بالرغم من أنكم تخالفون وصاياه. أما قرأتم أن الطفل الذكر الذي لا يختتن في اليوم

---

[١٩] انظر الدفاع الأول، فصل ٢٦، حاشية ١٠٣.

الثامن يُقطَع من شعبه[٢٠]؟ هذه الوصية كانت للغريب والعبد على حد سواء. ولكنكم تزدرون بهذه الوصية كما تحتقرون الوصايا الأخرى التي جاءت بعدها ثم تحاولون إقناعنا أنكم تعرفون الله، في حين لا تعملون تلك الأشياء التي يعملها كل إنسان يخاف الله. إذا استطعت أن تعطي أجابة مُرْضِيَة لتردَّ على هذه الاتهامات وترينا أين تضع رجاءك فسوف نستمع لك عن طيب خاطر برغم رفضك العمل بالناموس وبعد ذلك ننتقل لفحص اختلافاتنا الأخرى بالطريقة نفسها."

الفصل الحادي عشر

قلت له: "يا تريفون، لم يكن أبدًا منذ الأزل، ولن يكون أي إله آخر غير الله الذي خَلَقَ وشكَّل هذا الكون. ثم أننا لا ندَّعي أن إلهنا يختلف عن إلهكم، لأنه هو الله الذي بيد قويَّة وذراع رفيعة أخرج أجدادكم من أرض مصر. ونحن لا نتكل على آخر سواه - لأنه بالحقيقة لا يوجد آخر سواه - وهو الذي كان اتكالكم عليه، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، غير أن رجاءنا ليس بموسى أو الناموس وإلّا صارت عاداتنا كعاداتكم. وقد قرأت أنه ينبغي أن يكون هناك ناموس حاسم وعهد ملزم أكثر من العهود الأخرى، يحترمه جميع الذين يسعون إلى ميراث الله. فإن الناموس الذي أُعطِيَ على جبل حوريب قد أُبطِل وكان المقصود به اليهود فقط. بينما الناموس الذي أتحدَّث أنا عنه هو ببساطة لجميع الناس. وكما أن أي قانون جديد إذا تعارض مع قانون القديم فهو يُبطِل القديم، فهكذا أيضًا العهد الجديد يَحِل محل القديم. لقد أُعطينا ناموسًا أبديًّا كاملًا، وهو المسيح ذاته، وأخذنا عهدًا جديرًا بالثقة لن يكون بعده أي ناموس

[٢٠] تكوين ١٧: ١٤.

أو فريضة أو وصية. أما قرأتم كلمات إشعيا: "أنصتوا إليَّ، أنصتوا إليَّ يا شعبي وأصغوا إليَّ أيها الملوك، لأن شريعة تخرج من عندي، وقضائي نور للأمم. سريعًا يقترب بِرِّي ويظهر خلاصي. وعلى ذراعي تتكل الأمم" (إش٥١:٤،٥)"[٢١]. أما بخصوص هذا العهد الجديد، فيقول الرب لإرميا "هوذا تأتي أيام يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، غير العهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أخذت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر" (إر٣١:٣١،٣٢). وعلى ذلك، إذا كان الله قد تنبأ بأنه سيقطع عهدًا جديدًا ليكون نورًا للأمم ونحن نرى ونثق أنه باسم يسوع المسيح المصلوب أتى أناس إلى الله تاركين وراءهم الوثنية والممارسات الخاطئة وحفظوا الإيمان وساروا في التقوى حتى الموت، فيستطيع كل أحد أن يرى بوضوح من هذه الأعمال ومن المعجزات القوية أن المسيح هو بالحقيقة الناموس الجديد والعهد الجديد ورجاء هؤلاء الذين من كل أُمة ينتظرون بركات الله. نحن وصلنا إلى الله من خلال هذا المسيح المصلوب ونحن إسرائيل الروحي الحقيقي أبناء اليهودية ويعقوب وإسحق وإبراهيم الذي قبِلَه الله وباركه مع أنه غير مختتن وذلك لأجل إيمانه، وقد دُعي أبًا لأمم كثيرة. وسأثبت لكم كل هذا في معرض حديثنا."

الفصل الثاني عشر

"كما أنني ذكرت أيضًا هذه الفقرة من إشعيا "اسمعوا كلامي فتحيا نفوسكم وسأقطع لكم عهدًا أبديًا، مراحم داود الصادقة. هوذا قد جعلته شاهدًا للأمم. وأمم لم تعرفك تدعوك، وشعوب لم تعرفك تركض إليك من أجل إلهك قدوس إسرائيل لأنه قد مجدك" (إش ٥٥: ٣ - ٥).

---

[٢١] راجع الدفاع الأول، فصل ٣١، حاشية ١١٤.

أنتم احتقرتم هـذا الناموس عينه واستخففتم بعهده الجديد المقدس، وحتى الآن أنتم لا تقبلونه ولم تتوبوا عن أعمالكم الشريرة، فإن آذانكم أُغلِقت وعيونكم عميَت وقلبكم قد غلظ، كما قال عنكم إرميا[٢٢] ومع ذلك لم تسمعوا. لقد جاء واضع الناموس وأنتم لم تبصروه "والمساكين بُشِّروا والعُمي أبصروا"[٢٣] ومع ذلك لم تفهموا. إن ما تحتاجونه بالفعل هو ختان آخر على الرغم من افتخاركم بختان الجسد. فالناموس الجديد يطالبكم بأن تقدِّسوا سبتًا أبديًا في حين تعتبرون أنفسكم أتقياء إذ تمتنعون عن العمل يومًا واحدًا في الأسبوع، وفي هذا أيضًا أنتم لا تفهمون المعنى الحقيقي لهذه الوصية. وأنتم أيضًا تدَّعون أنكم تعملون مشيئة الله عندما تأكلون خبزًا غير مختمر ولكن ليست هذه الممارسات هي التي ترضي الرب إلهنا. إن كان بينكم سارق أو حانث قسم فليكُف، وإن كان هناك زانٍ فليتُب وبهذه الطريقة يكون قد حفظ السبت بصدق وسلام. وإن كان أحد يداه غير نظيفتين فليغسلهما فيصير طاهرًا."

الفصل الثالث عشر

"إن إشعيا لم يرسلكم إلى المغسل لتغتسلوا من القتل والخطايا الأخرى التي لا تقدر مياه المحيط كلها أن تغسلها، بل كان المقصود هو اغتسال الخلاص الذي كان منذ القِدَم للتائبين الذين لم يعودوا يتطهَّرون بدم ماعز أو غنم أو رماد عجل أو بتقدمة دقيق نقي، بل بالإيمان بالدم وبموت المسيح الذي جاز الموت لهذا الغرض بالتحديد. كما تكلَّم إشعيا قائلًا: "قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام كل الأمم، فترى كل الأمم وأطراف الأرض خلاص إلهنا. اعتزلوا! اعتزلوا!

[٢٢] هذا الاقتباس ليس من إرميا بل من إشعيا (إش ٦: ١٠).
[٢٣] انظر مت ١١: ٥ ، لو ٧: ٢٢.

اعتزلوا! اخرجوا من هناك ولا تمسوا نجسًا. اخرجوا من وسطها، تطهروا، يا حاملي آنية الرب، لأنكم لا تمضون مضطربين لأن الرب يسير أمامكم ويجمعكم الرب إله إسرائيل. هوذا فتاي يعقِل ويرتفع ويتمجَّد جدًّا. كما اندهش منك كثيرون هكذا أمام الناس يذل منظرك ومجدك. هكذا تتعجب منه أمم كثيرة ويسد ملوك فمهم لأن مَن لم يُخَبَّروا به رأوا ومن لم يسمعوا به فهموا" (إش ٥٢ : ١٠ - ١٥)؛ "يا رب مَن صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب؟ خبَّرنا قدامه كطفل وكجِذر في أرض عطشى. لا صورة له ولا مجد فرأيناه ولم يكن له منظر ولا جمال بل منظره محتقر ومخذول من بني البشر، رجل أوجاع ومختبر الحزن إذ قد تحوَّل وجهه، احتُقِر ولم يُعتدَّ به. هو يحمل خطايانا ويتألم عنا ونحن حسبناه مصابًا ومضروبًا ومذلولاً. وهو جُرِح لأجل آثامنا وضُرِب لأجل خطايانا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شُفينا. كلنا كغنم ضللنا، مال كل إنسان إلى طريقه والرب جازاه عن خطايانا. ظُلِم ولم يفتح فاه، كخروف اُقتيد إلى الذبح وكحمل صامت أمام من يجزَّه هكذا لا يفتح فاه. في ذُلِّه رُفِع حُكمه. وميلاده مَن يُخبِر به لأنه تُقطَع من الأرض حياته، ومن أجل آثام شعبي جاء إلى الموت. وسأجازي الأشرار عن قبره والأغنياء عن موته، لأنه لم يعمل إثمًا ولم يوجد في فمه غش. أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن قدمتموه ذبيحة إثم فسترى نفوسكم نسلاً تطول أيامه، والرب يشاء أن ينقذ من التعب نفسه ويريه نورًا ويشكِّله بفهم ليبرر الصدِّيق الذي يخدم كثيرين حسنًا، وخطايانا هو يرفعها لذلك هو يرث كثيرين ويقسِّم غنائم الأقوياء من أجل أنه سلَّم للموت نفسه وأُحصيَ مع أثمة وهو رفع خطايا كثيرين ولأجل آثامهم أُسلِمَ" (إش ٥٣ : ١ - ١٢).

لويقول إشعيا أيضًا] "ابتهجي أيتها العاقر التي لم تلد! أشيدي

بالترنم، أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل. قال الرب وسِّعي مكان خيمتك وثبِّتي مساكنك ولا تُمسكي. أطيلي أطنابك وشددي أوتادك. امتدِّي إلى اليمين وإلى اليسار فيرث نسلك أُممًا ويعمِّر مدنًا خربة. لا تخافي لأنك تخزين، ولا تخجلي لأنك تُعيَّرين. فإنك تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى. لأنه كإمرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا إذا رُذلتِ." (إش ٥٤: ١ - ٦)"

الفصل الرابع عشر

"هكذا نحن آمنا بمعمودية التوبة ومعرفة الله التي وُضِعَت من أجل خطايا شعب الله كما يشهد إشعيا، ونحن نعلَم أن هذه المعمودية عينها التي أعلنها والتي وحدها تطهِّر التائبين هي ماء الحياة. إن الآبار التي حفرتموها لأنفسكم هي آبار مشققة ولا فائدة منها. فما قيمة تلك المعمودية التي تطهِّر الجسد فقط؟ اغسلوا نفوسكم من الغضب والطمع والغيرة والكراهية فيصير الجسد كله طاهرًا. وهذا هو المعنى الرمزي للخبز الذي بغير خمير: ألَّا تصنعوا الأعمال العتيقة التي للخمير الفاسد. لكنكم تفهمون كل شيء بشكل جسداني وتعتبرون أنفسكم أتقياءَ إذا عملتم هذه الأعمال حتى إن امتلأت نفوسكم بالغش وكل نوع من أنواع الخطية. وقد أمَرَكم الله بعد أن تأكلوا خبزًا غير مختمر لمدة سبعة أيام أن تُعِدُّوا خميرة جديدة لأنفسكم، أي أن تعملوا أعمالًا أخرى ولا تكرروا أعمال الخطيَّة القديمة. ولأقدِّم لكم الدليل على أن هذا هو ما يأمركم به المُشرِّع الجديد للناموس، سأذكر لكم فقرات قد ذكرتها من قبل وغيرها لم أكن قد ذكرتها. يقول إشعيا: "استمعوا

إليَّ فتحيا نفسكم وسأقطع لكم عهدًا أبديًا، مراحم داود الصادقة. هوذا قد جعلته شاهدًا للأمم ورئيسًا وموصيًا للأمم. وأمم لم تعرفك تدعوك، وشعوب لم تعرفك تركض إليك من أجل إلهك قدوس إسرائيل لأنه قد مجدك. اطلبوا الرب وعندما تجدونه ادعوه. وعندما يقترب إليكم فليترك الشرير طرقه ورجل الإثم أفكاره. وليتب إلى الرب فيُرحَم لأنه يكثر غفران خطاياكم. لأن أفكاري ليست كأفكاركم ولا طرقي كطرقكم. بل كما تعلو السماوات عن الأرض هكذا يعلو طريقي عن طريقكم وفكري عن أفكاركم. لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعًا للزارع وخبزًا للأكل هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليَّ حتى تعمل كل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له. لأنكم بابتهاج تخرجون وبفرح تتعلمون. لأن الجبال والآكام تتهلل لاستقبالكم وكل شجر الحقول يصفق بالأغصان. وعوضًا عن الشوك ينبت سرو وعوضًا عن القريس يطلع آس ويكون للرب اسمًا علامة أبدية لا تنقطع" (إش ٥٥: ٣ - ١٣).

يا تريفون، إن بعض هذه النصوص وغيرها مما قاله الأنبياء تشير إلى المجيء الأول للمسيح حيث يُوصَف بأنه سيأتي في خزي وتواضع ويكون خاضعًا للموت كبشر. كما تشير نصوص أخرى إلى مجيئه الثاني عندما يظهر من السحاب في مجده وسوف ترونه وتعرفونه أنه هو الذي صلبتموه كما تنبأ هوشع[٢٤] أحد الاثني عشر نبيًا ودانيال[٢٥] أيضًا."

---

[٢٤] ذكر ق. يوستينوس هوشع خطأً والمقصود هو زكريا ١٢: ١٠.

[٢٥] ربما تكون الإشارة هنا إلى دانيال ٩: ٢٦ أو ٧: ١٣.

الفصل الخامس عشر

"وتعلَّموا الصوم الحقيقي الذي لله لكي ترضوا الله. اسمعوا ما يقوله إشعيا في هذا الأمر: "ناد بصوت عال ولا تُمسِك. ارفع صوتك مثل بوق. وأخبر شعبي بخطاياهم وبيت يعقوب بآثامهم. وإياي يطلبون يومًا فيومًا ويشتهون معرفة طرقي كشعب قد عمل برًّا ولم يترك قضاء الله. يسألونني عن أحكام البر ويشتهون التقرب إلى الله. يقولون لماذا صمنا ولم تنظر؟ ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ؟ ها إنكم في أيام صومكم تجدون مسراتكم وتُسخِّرون من هم تحت أيديكم. ها إنكم للخصومات والنزاعات تصومون وتضربون المسكين باللكمات. لماذا تصومون لي كما اليوم، ليُسمَع صوتكم بالصراخ؟ أنا لم أختَر هذا الصوم. يوم يذلل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسلة رقبته ويفرش تحته مسحًا ورمادًا. هل تسمون هذا صومًا ويومًا مقبولاً للرب؟ أنا لم أختَر مثل هذا الصوم يقول الرب. بل حِل كل قيود الشر وفك عُقَد القسوة وأطلق المسحوقين أحرارًا وقطِّع كل اتفاق ظالم. اكسر للجائع خبزك وأدخل المساكين المشردين إلى بيتك. إذا رأيت عريانًا إكسوه ولا تتغاض عن قرابة بني جنسك. حينئذ ينبلج مثل الصبح نورك وتشرق صحتك[٢٦] سريعًا ويسير بِرَّك أمامك ومجد الله يحيط بك. حينئذ تدعو فيستجيب لك الله وفيما أنت تتكلم يقول هأنذا. إن نزعت من وسطك القيود ومد الأيدي وكلام التذمر. وأعطيت خبزك من نفسك للجائع وأشبعت نفسًا ذليلة يشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك مثل الظُهر. ويكون إلهك معك دومًا وتشبع بقدر ما تشتهي نفسك ويُغني عظامك فتصير كجنة رَيّا

[٢٦] ذُكرَت هذه الكلمة في مخطوطات عديدة على أنها ἱμάτια بمعنى "ملابسك"، لكنها جاءت في مخطوطات أخرى وأيضًا في السبعينية ἰάματα أي "صحتك" وقد اخترنا هذه القراءة لأنها تتماشى مع السياق بشكل أفضل.

وكنبع مياه أو أرض لا تنقطع مياهها" (إش ٥٨ : ١ - ١٢). إذن بالأحرى اختتنوا غرلة قلوبكم كما يطالبكم الله في الكلمات السابقة."

الفصل السادس عشر

"وقد قال الله ذاته بفم موسى "واختتنوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم بعد، لأن الرب إلهكم هو رب الأرباب الإله العظيم القوي المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة" (تث ١٠: ١٦ - ١٧). وأيضًا مكتوب في سفر اللاويين: "لأنهم عصوني وتجاهلوني وسلكوا أمامي معوَجين سلكت معهم باعوجاج وسأهلكهم في أرض أعدائهم فحينئذ يخزى قلبهم غير المختون" (لا ٢٦: ٤٠ -٤١). فإن عادة ختان اللحم التي سلَّمها لكم إبراهيم كانت قد أعطيت لكم كعلامة مميزة تفرزكم عن بقيه الأمم وعنا نحن المسيحيين لكي تقاسوا وحدكم الضيقات التي تواجهونها بعدل الآن؛ إذ قد صارت أرضكم خربة ومدنكم أحرقت بالنار وثمار أرضكم يأكلها الغرباء أمام عيونكم ولا يُسمَح لأحد منكم دخول مدينتكم أورشليم[٢٧]. إن ختان الغرلة يُعتَبر العلامة الوحيدة التي تميزكم عن باقي الناس ولا أعتقد أن أحدًا منكم يجرؤ أن ينكر أن الله له سابق العلم بأحداث المستقبل وأنه لا يُعِد مسبقًا ما يستحقه كل إنسان. إذن، فإن الضيقات المذكورة آنفًا وقعت عليكم بعدل لأنكم قتلتم البار [أي المسيح] وأنبياءه من قَبلِه والآن تزدرون بهؤلاء الذين وضعوا رجاءهم فيه وفي [الآب] ضابط الكل خالق كل الأشياء الذي أرسله. كما أنكم تعملون بكل قوتكم على إهانة كل الذين يؤمنون بالمسيح

---

[٢٧] يعتبر القديس يوستينوس أن ختان اليهود هو عقاب إلهي؛ إذ بعدما حاصر هادريان أورشليم ودخلها في عام ١٣٥ م ، أصدر مرسومًا بمنع أي يهودي من دخول المدينة. لذا لم يستطِع أي شخص مختتن أن يدخل المدينة. ويقول ترتليان أن بيت لحم كانت مذكورة في قرار منع الدخول أيضًا.

وتلعنونهم في معابدكم[٢٨] وأنتم الآن لا تقدرون أن تستخدموا العنف ضدنا نحن المسيحيين بسبب الحكام الحاليين ولكنكم فيما مضى استخدمتم القوة ضدنا كلما استطعتم. ولهذا السبب يصرخ الله بفم إشعيا قائلًا لكم: "انظروا كيف باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه فإنه من وجه الشر يُضَم الصديق. ويكون دفنه في سلام؛ إذ رُفِع من الوسط. أما أنتم فتقدموا إلى هنا أيها الأبناء الأثمة نسل الفسقة وأبناء الزانية. بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان؟" (إش ٥٧ : ١ - ٤)."

الفصل السابع عشر

"إن الأمم الأخرى لم تعامل المسيح ولم تعاملنا نحن أتباعه بمثل ما تعاملوننا به أنتم أيها اليهود من ظلم. فأنتم تحرِّضون الأمم وتدفعونهم إلى رأي شرير من ناحية الرب البار ومن ناحيتنا نحن تلاميذه. لأنكم بعد أن صلبتم الوحيد البار الذي بلا خطية والذي بآلامه يُشفى كل مَن يأتي إلى الآب بواسطته وبعد أن أدركتم أنه قام من بين الأموات وصعد إلى السماوات كما تنبأ الأنبياء لم تتوبوا عن أعمالكم الشريرة بل أرسلتم بعض الرجال المختارين من أورشليم إلى كل أمة[٢٩] ليدَّعوا أن ما ينادي به المسيحيون هو هرطقة وتلك الإشاعات المغرضة ضدنا يرددها مَن لا يعلمون عنا شيئًا. ولذا، فإن اللوم يقع عليكم ليس فقط بسبب ظلمكم بل أيضًا بسبب ظلم الآخرين جميعًا. وبحق يصرخ إشعيا قائلاً: "بسببكم يُجدَّف على اسمي بين الأمم" (إش ٥٢ : ٥). وأيضًا : "ويل لنفسهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم قائلين: فلنُقيِّد البار فإنه ثقيل علينا

---

[٢٨] كانت هناك عادة عند اليهود أن يلعنوا المسيحيين ثلاث مرات كل يوم وقد شهد بهذا كل من القديس إبيفانيوس، انظر: *Haer.* 1.9 والقديس جيروم، انظر: *In Isaiam* 52.5

[٢٩] هذا مذكور في يوسابيوس *Hist. eccl.* 4.18

فالآن يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير فإن الشرور تأتيه بحسب عمل يديه" (إش ٣: ٩ - ١١). وأيضًا "ويل لمن يجذبون خطاياهم كما بحبل طويل وآثامهم كأنما بِرُبط نير العجلة، القائلين ليقترب بسرعة وليأت مقصد قدوس إسرائيل لنعلم. ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًّا الجاعلين النور ظلامًا والظلام نورًا. الجاعلين المر حلوًا والحلو مرًّا" (إش ٥: ١٨ - ٢٠). هكذا، لم تضنوا بجهدكم في نشر اتهامات ظالمة وشريرة ومُرَّة في كل مكان ضد الوحيد الذي بلا لوم أي نور البر المُرسَل إلى الناس من الله. فقد كان كلامه ثقيلًا عليكم حين قال: "مكتوب بيتي بيت صلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١: ١٣). وقلب موائد الصيارفة في الهيكل صارخًا: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث ولم تفكروا في محبة الله والعدل، لأنكم تشبهون قبورًا مُبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات"[٣٠]. وقال للكتبة: "ويل لكم أيها الكتبة لأنكم أخذتم مفاتيح المعرفة وما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم أيها القادة العميان" (لو ١١: ٥٢)."

الفصل الثامن عشر

"وبما أنك، يا تريفون، تعترف بأنك قرأت تعاليم مخلِّصنا، فلا مانع من أن أضيف بعضًا من أقواله إلى ما قاله الأنبياء: "اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا الشرور من نفوسكم" (إش ١: ١٦). هكذا يأمركم الله أن تغتسلوا في هذا الجرن وتختتنوا الختان الحقيقي. ونحن أيضًا من الممكن أن نمارس ختان الغرلة ونحفظ السبت وكل أعيادكم لو لم نكن على علم بالسبب الذي من أجله فُرِضَت هذه عليكم ألا وهو خطاياكم وقساوة قلوبكم. وإن كنا نحتمل بصبر كل

٣٠ انظر مت ٢٣: ٢٣، ٢٧ ؛ لو ١١: ١٣.

الشرور التي تقع علينا من الناس الأشرار والشياطين، ووسط العذابات الكثيرة التي لا توصف ووسط الموت نطلب رحمة لمضطهدينا ولا نتمنى الشر ولو حتى القليل منه لأحد كما أمرنا المُشرِّع الجديد للناموس، فلماذا، يا تريفون، لا نمارس هذه الطقوس التي لا ضرر منها علينا، مثل الختان والسبوت والأعياد؟"

الفصل التاسع عشر

قال تريفون: "هذا بالتحديد هو ما يميِّزنا؛ لماذا تحتملون كل أنواع التعذيب وترفضون اتباع العادات [اليهودية] التي نحن الآن بصدد مناقشتها؟"

أجبت: "لأن الختان - كما شرحت لك من قبل - ليس ضروريًا لكل الناس، بل لكم أنتم فقط أيها اليهود حتى تكون المعاناة التي تعانونها الآن هي مِن نصيب كل مَن كان مختونًا. ونحن لا نوافق على معموديتكم العقيمة في الآبار والتي لا صلة لها على الإطلاق بمعمودية الحياة عندنا. ولذا يحتج الله على أنكم تركتموه إذ يقول: "تركوني أنا ينبوع المياه الحية ليحفروا لأنفسهم آبارًا مشققة لا تضبط ماء" (إر ٢ : ١٣). أنتم أيها اليهود، الذين عندكم ختان اللحم في أشد الاحتياج إلى ختاننا نحن، في حين لا نحتاج نحن إلى ختانكم لأن لنا ختاننا. ولو كان الختان ضروريًا للخلاص كما تدعون لما خلق الله آدم بالغرلة ولما قَبِلَ ذبيحة هابيل غير المختون ولَما رضي عن أخنوخ غير المختون الذي "لم يوجد لأن الله نقله" (تك ٥: ٢٤). وقد قاد الرب وملائكته لوطًا خارج سدوم فخَلُصَ وهو غير مختون. وأيضًا نوح أبو جنسنا غير المختون كان آمنًا مع أبنائه في الفلك. وملكي صادق كاهن الله العلي لم يكن مختونًا ومع هذا قَّدم له إبراهيم - وهو أول مَن قبل ختان اللحم - العشور ونال البركة منه. وقد أعلن الله من

خلال داود أنه سيقيمه كاهنًا إلى الأبد "على طقس ملكي صادق" (مز ١٠٩: ٤). إذن، فالختان ضروري لكم أنتم فقط أيها اليهود لكي "لا يكون شعبكم شعبًا ولا أمتكم أمةً" كما يقول هوشع[٣١] أحد الاثني عشر نبيًا. وكل هؤلاء الرجال كانوا أبرارًا في عيني الرب مع أنهم لم يحفظوا السبوت. وهذا أيضًا يمكن أن يُقال عن إبراهيم ونسله حتى زمن موسى عندما أظهر الشعب شرَّه وعصيانه أمام الله عندما صنعوا صنمًا في البرية على شكل عجل من ذهب. وحينئذ طبَّق الله ناموسه على هذا الشعب الضعيف وأمَرَكم أن تُقدِّموا ذبائح لاسمه لكي ينقذكم من عبادتكم للأصنام، ولم تطيعوا بل وقدَّمتم أطفالكم ذبائح للشيطان. ومن جهة أخرى، فرض الله عليكم حفظ السبت ليدرِّبكم على أن تذكروا الله فقال "لتعلموا أني أنا الله مخلصكم" (حز ٢٠: ٢٠)."

الفصل العشرون

"وقد حرَّم الله عليكم أكل بعض أنواع اللحوم، كي تضعوا الله نُصب أعينكم دائمًا عندما تأكلون وتشربون، لأنكم في الأصل تميلون إلى نسيانه كما يشهد موسى بذلك: "أكل الشعب وشرب ثم قاموا للعب" (خر ٣٢: ٦). وأيضًا: "أكل يعقوب وشبع وسمن والحبيب رفس. سمن وغلظ واكتسب شحمًا. وترك الإله الذي عمله" (تث ٣٢: ١٥). وقد علَّمكم موسى النبي في سفر التكوين أن الله سمح لنوح البار بأن يأكل من كل أنواع اللحوم ما عدا اللحم المخلوط بدم الحيوان المخنوق."

وبينما كان تريفون على وشك أن يقول: "إنه قد دُفِع إلينا كل هذا كالعشب الأخضر" (تك ٩: ٣) قاطعته قائلًا: "لماذا لا تفسرون

---

[٣١] انظر هوشع ١ ، ٢.

كلمات "كالعشب الأخضر" بالمعنى الذي تكلَّم الله به، أي أن الله كما أعطى الأعشاب للإنسان ليقوته كذلك أعطاه الحيوان مأكلًا له؟ ولكنكم تعارضون ذلك وتقولون إن نوحًا قد أُمِر أن يميِّز بين الأعشاب لأننا نحن الآن لا نأكل كل أنواع الأعشاب. وهذا الاستنتاج غير مقبول وأستطيع أن أثبت لك بسهولة أن الخضراوات جميعها أعشاب يمكن أن تؤكل ولكنني لن أضيِّع الوقت الآن في ذلك. وإذا كنا نميِّز بين الأعشاب ونرفض أكل البعض منها ليس لأنها نجسة بل لأنها مُرَّة أو سامة أو بها أشواك، وأما الأعشاب الحلوة والمغذية والصالحة، فنحن نأكلها ونستمتع بها سواء كانت من تربة الأرض أو من البحر. ثم أن الله قد أمركم من خلال موسى أن تمتنعوا عن كل الحيوانات النجسة والضارة والمتوحشة لأنكم بعد ما أكلتم المن في البرية ورأيتم معجزات الله التي صنعها لأجلكم لم تترددوا في أن تصنعوا لكم عجلًا من ذهب لتعبدوه. ولهذا السبب الوجيه يقول الله عنكم مرارًا وتكرارًا "أولاد حمقى لا أمانة فيهم" (تث ٣٢: ٢٠)."

الفصل الحادي والعشرون

"وكما قلت من قبل إنه بسبب خطاياكم وخطايا آبائكم فرض الله عليكم ضمن ما فرض أن تحفظوا السبت كعلامة. وقال إنه ما سمَحَ لأي منكم أن يبقى حيًّا اليوم إلّا لسبب الأمم، حتى لا يُجدَّف على اسمه بينهم. وإذا أردتم دليلًا واضحًا على هذا فاسمعوا ما يقوله الله بفم حزقيال: "أنا الرب إلهكم فاسلكوا في فرائضي واحفظوا أحكامي ولا تشتركوا في عادات المصريين. وقدسوا سبوتي فتكون علامة بيني وبينكم لتعلموا أني أنا الرب إلهكم. فتمردتم عليَّ. أبناؤكم لم يسلكوا في فرائضي ولم يحفظوا أحكامي ليعملوها التي إن عملها إنسان يحيا بها. بل نجسوا سبوتي فقلت

إني أسكب رجزي عليهم في البرية لإتمام غضبي عليهم. ولم أفعل هكذا لكيلا يتنجس اسمي أمام الأمم الذين أخرجتهم أمام عيونهم ورفعت يدي عليهم في البرية لأفرِّقهم في الأمم وأذريهم في المدن لأنهم لم يصنعوا أحكامي ورفضوا فرائضي ونجَّسوا سبوتي وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم. وأعطيتهم أيضًا فرائض غير صالحة وأحكامًا لا يحيون بها وسأنجسهم بعطاياهم إذ أجوز على كل فاتح رحم لأبيدهم" (حز ٢٠: ١٩ - ٢٦)."

الفصل الثاني والعشرون

"فإن الله لم يأمركم أن تقدِّموا هذه الذبائح لأنه يحتاج إليها، بل بسبب خطايا شعبكم خاصة عبادة الأصنام. وستعترف بحقيقة ما أقوله إذا استمعت إلى قول عاموس أحد الاثني عشر نبيًا: "ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلام لا نور. كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد وصادفه الدب فالتجأ إلى بيته ووضع يده على الحائط فلدغته الحيَّة. أ ليس يوم الرب ظلامًا لا نورًا وقتامًا لا نور له؟ بغضت وكرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم. لذلك إذا قدمتم لي محرقاتكم وذبائحكم لا أقبلها وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها. أبعِد عني كثرة تسابيحك ومزاميرك فلن أسمع نغمة ربابك وليجرِ الحق كالمياه والبر كنهر لا يُعبَر. هل قدمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة، يا بيت إسرائيل؟ يقول الرب، بل حملتم خيمة مولوخ ونجم إلهكم رافان التماثيل التي صنعتموها لنفوسكم فأسبيكم إلى ما وراء دمشق يقول الرب الإله ضابط الكل اسمه. ويل للمستريحين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة، من دُعيوا رؤساء حصدوا بكور الأمم الذين دخل إليهم بيت إسرائيل. اعبروا إلى كلنة وانظروا واذهبوا إلى هناك إلى

حماة العظيمة ثم انزلوا إلى جت الفلسطينيين أقوى هذه الممالك. هل تخومهم أوسع من تخومكم؟ أنتم الذين تقتربون يوم البلية وتقربون سبوت زائفة، المضطجعون على أسرة من عاج والمتمددون على فرشهم والآكلون خرافًا من الغنم وعجولًا من وسط القطعان، الهاذرون مع صوت الرباب ظانين هذه الأشياء دائمة لا فانية، الشاربون من كؤوس الخمر والذين الآن يدَّهِنون بأفضل الأدهان ولا يغتمون على انسحاق يوسف. لذلك الآن يُسبون في أول المسبيين ويزول مسكن فاعلي الشر ويُنزَع صوت الفَرَس من افرايم." (عا ٥: ١٨ - ٢٧، ٦: ١ - ٨). ونقرأ في سفر إرميا: "ضُموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحمًا لأني لم أوصِ آباءكم من جهة محرقات أو ذبائح يوم أخذت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر" (إر ٧: ٢١ - ٢٢). ويقول داود في المزمور التاسع والأربعين: "إله الآلهة الرب تكلَّم ودعى الأرض من مشارق الشمس إلى مغاربها. من صهيون جمال بهائه، الله يأتي علانية ولا يصمت. نار قدامه تأكل وحوله عاصف جدًّا. يدعو السماوات من فوق والأرض إلى محاكمة شعبه. ليجمعوا إليه أتقياءه القاطعين عهده على ذبائح. وتخبر السماوات بعدله لأن الله هو الديان. اسمع يا شعبي فأكلمك. يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا. لست على ذبائحك أوبخك. فإن محرقاتك هي دائمًا قدامي. لا آخذ من بيتك ثورًا ولا من حظائرك جداءً لأن لي حيوان الوعر والبهائم على الجبال والثيران. قد عَلِمت كل طيور السماء وبهاء الحقل عندي إن جعت فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملأها. هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟ قدم لله ذبيحة التسبيح وأوف للعليّ نذورك وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني. وللخاطئ قال الله لماذا تحدِّث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك؟ إذا رأيت سارقًا جريت معه وجعلت مع الزناة نصيبك. فمك أكثر الشر

ولسانك اخترع غشًا. جلستَ وتكلمتَ على أخيك. لابن أمك وضعت معثرة. أنت صنعتَ هذه وأنا سكتُ. فظننتَ بشرِّك أنني مثلك. أوبخك وأضع خطاياك أمامك. افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا يفترسكم ولا يكون منقذ. ذبيحة التسبيح تمجدني وهوذا الطريق الذي سأريه به خلاصي" (مز ٤٩: ١ - ٢٣)[٣٢]. فذبائحكم إذن ليست مقبولة أمام الله وهو لم يأمركم بتقديمها بسبب احتياجه لها بل بسبب خطاياكم. والشيء ذاته يقال عن الهيكل الذي في أورشليم فقد دعاه الله بيته ليس لأنه في حاجة إلى بيت أو مسكن، بل لأنه أراد أن تجتمعوا معه في هذا المكان فتكفوا عن عبادة الأصنام. وهذا ما دل عليه قول إشعيا: "أي بيت تبنون لي يقول الرب؟ السماوات لي كرسي والأرض موطئ قدميَّ" (إش ٦٦: ١)."

الفصل الثالث والعشرون

"إذا لم نقبل هذه الحقيقة فإننا سنقع في أفكار غريبة؛ إما أن إلهنا ليس هو نفسه الإله الكائن أيام أخنوخ وكل الآخرين الذين لم يختتنوا في اللحم ولم يحفظوا السبوت وكل الطقوس الأخرى التي أمر بها موسى [لأنها جاءت في وقت لاحق]، وإما أن الله لا يريد لكل جنس البشر على مر العصور أن يصنعوا نفس أعمال البر. وهذان الافتراضان كلاهما سخيف ومناف للعقل. ونحن نرى أن الله أمر بهذه الأشياء وما يماثلها لأجل الخطاة وهو كما هو دائمًا لا يتغيَّر وهو رؤوف وعالم بكل شيء وغير محتاج لشيء وعادل وصالح أيضًا. أيها السادة إن كنت مخطئًا دعوني أسمع آراءكم في هذا الموضوع."

وعندما لم أتلق أي رد استطردت قائلًا: "اسمحوا لي إذن أن أكرر لك يا تريفون ولهؤلاء الذين يريدون التحوُّل إلى المسيحية، التعليم

[٣٢] هذا هو المزمور رقم ٤٩ بحسب نص السبعينية ويقابله مزمور رقم ٥٠ في النص العبري الماسوري وهو النص الذي أخذت عنه الترجمة البيروتية المتداولة.

السمائي الذي أخذته من هذا الرجل العجوز[٣٣]. أ لا ترون أن عناصر الطبيعة لا تتوقف عن الحركة وهي بذلك لا تحفظ السبت؟ فابقوا كما كنتم عند مولدكم. لأنـه إن لم تكن هناك حاجة للختان قبل أيام إبراهيم ولا للسبوت والأعياد والذبائح قبل موسى، فكذلك الآن [لا يوجد احتياج] لأنه حسب مشيئة الله وُلِد ابنه يسوع المسيح من العذراء مريم التي من نسل إبراهيم. ومع أن إبراهيم ذاته "كان في الغرلة" (رو ٤ :١١) نجد أن الله برره وباركه لأجل إيمانه به كما توضح لنا الكتب المقدسة. كما تخبرنا الكتب أن إبراهيم أخذ الختان كعلامة وليس من أجل التبرير ولذا قيل عن شعبكم: "وأما الذي لا يُختن في لحم غرلته في اليوم الثامن فتقطع تلك النفس من شعبها" (تك ١٧ : ١٤). وبما أنه لا يجوز ختان الإناث فهذا يبيِّن أن الختان أُعطي كعلامة وليس للتبرير لأن الله أنعم على النساء أيضًا أن يقمن بأعمال صالحة وفاضلة. ومن الواضح أن التكوين الجسدي للذكر يختلف عن التكوين الجسدي للأنثى، ومن الواضح أيضًا أن الشكل الجسدي لا يجعل أيًّا منهما صالحًا أو شريرًا لأن الإنسان يُحكَم عليه بحسب تقواه وصلاحه."

الفصل الرابع والعشرون

"والآن أيها السادة نستطيع أن نرى أن الله قد أعلمنا من خلال هذه الطقوس كيف أن اليوم الثامن له معنى سري أكثر من اليوم السابع ولكن لئلا أبدو الآن كأنني أبعد عن الموضوع افهموا ما أقوله: إن دم الختان قد أُبطِل؛ إذ إننا نؤمن الآن بدم الخلاص وبأن عهدًا آخر وناموسًا جديدًا قد خرج الآن من صهيون. وكما كان الأمر قديمًا،

[٣٣] يقصد الرجل العجوز الذي تكلم مع ق. يوستينوس عند شاطئ البحر. راجع الحوار مع تريفون، فصل ٣.

فإن يسوع المسيح يختِن كل من يريد بسكاكين من حجر[٣٤] لكي يصيروا أُمة بارة، وشعبًا يحفظ الإيمان ويتمسك بالحق ويحفظ السلام. هلموا معي، يا خائفي الله، الراغبين في رؤية خيرات أورشليم: "هلموا يا بيت يعقوب فلنسلك في نور الرب. فإنه قد رفض شعبه بيت يعقوب". (إش ٢: ٥ - ٦) تعالوا، يا جميع، الأمم هلموا نجتمع في أورشليم التي لن تُحارَب بعد بسبب آثام الشعب. وأيضًا يقول الرب بفم إشعيا: "ظهرت لمن لم يبحثوا عني ووُجِدتُ مِن الذين لم يطلبوني. قلتُ هأنذا لأمم لم تدعو باسمي. بسطت يديَّ طول النهار إلى شعب متمرد ومعاند، إلى السائرين لا في طريق صالح بل وراء خطاياهم. شعب يغيظني أمامي" (إش ٦٥: ١ - ٣)."

الفصل الخامس والعشرون

"إن هؤلاء الذين يحاولون تبرير أنفسهم قائلين إنهم أبناء إبراهيم يأملون أن يحصلوا معنا ولو على جزء صغير من الميراث الإلهي، وهذا يتَّضح مما قاله الروح القدس من خلال إشعيا باسمهم: "تطلع من السماوات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك؟ أين كثرة مراحمك فإنك قد منعتها عنا يا رب؟ فإنك أنت أبونا لأن إبراهيم لم يعرفنا وإسرائيل لم يدرنا. أنت يا رب أبونا فخلِّصنا. قد دُعِيَ علينا اسمك منذ البدء. لماذا أضللتنا، يا رب، عن طريقك؟ قسَّيت قلبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك من أجل أسباط ميراثك. حتى نرث قليلًا من جبل قدسك قد صرنا كما في القديم عندما لم نكن تحت حكمك ولم يكُن اسمك قد دُعِي علينا.

[٣٤] يفسر القديس يوستينوس فيما بعد (الفصول ١١٣ و ١١٤) ويميِّز بين الختان الأول (الذي لموسى) والذي كانوا يجرونه بواسطة سكاكين من حديد، والثاني (الذي ليشوع) والذي كانوا يجرونه بسكاكين من حجر، فقد كان ختان يشوع يرمز لختان المسيحية الذي يجرى أيضًا بسكاكين من حجر، أي بوصايا المسيح (الذي يدعوه الكتاب المقدس بالحجر) ومن الملاحظ أن اسميّ يسوع ويشوع يُكتَبان في اليونانية بنفس الطريقة Ἰησοῦς.

ليتك تشق السماوات فترتعد الجبال أمامك. ويذوب أعداؤك كما يذوب الشمع أمام النار وتحرقهم النار فيعرف أعداؤك اسمك وترتعد الأمم أمامك. حين تصنع العظائم ترتعد الجبال أمامك. منذ الأزل لم نسمع ولم تر أعيننا إلهًا غيرك يصنع كأعمالك لمنتظري رحمتك. هذه تُلاقي الصانعي البر الذين يذكرون طرقك. ها أنت سخطت إذ أخطأنا، لهذا ضللنا وصرنا كلنا نجسين وكثوب عدة كل برنا وقد ذبلنا كورقة بسبب آثامنا وهكذا تحملنا الريح. ليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسك لأنك حوَّلت وجهك عنا ورذلتنا لأجل خطايانا والآن عُد يا رب لأننا شعبك كلنا. مدينة قدسك صارت قفرًا، صهيون صارت كقفر، أورشليم صارت لعنة. بيت مقدسنا ومجدنا الذي باركه آباؤنا صار محروقًا بالنار وكل أمجاده سقطت وأنت يا رب تجلَّدتَ وسكتَّ على هذه الأمور وأذللتنا جدًّا" (إش ٦٣: ١٥ - ١٩ ؛ ٦٤: ١ - ١٢)."

فقال تريفون: "ما هذا الذي تقول، أ لن يرث أحد منَّا - نحن اليهود - شيئًا على جبل الله المقدس؟"

الفصل السادس والعشرون

أجبت: "لم أقل هذا، ولكنني أقول إن الذين اضطهدوا المسيح في الماضي وما زالوا يفعلون ذلك ولا يتوبون، هؤلاء لن يرثوا شيئًا على الجبل المقدس ما لم يتوبوا، في حين أن الأمم الذين يؤمنون بالمسيح ويندمون على خطاياهم سوف يرثون مع الآباء والأنبياء وكل الأبرار من نسل يعقوب حتى لو لم يختتنوا ولم يحفظوا السبوت والأعياد. فبلا شك سوف يشاركون في ميراث الله المقدس كما يقول لنا الله بفم إشعيا: "أنا الرب إلهك قد دعوتك بالبر فأُمسك بيدك وأقويك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العميان

ولتُخرِج من الحبس المأسورين ومن بيت السجن الجالسين في الظلمة" (إش ٤٢ : ٦ - ٧). وأيضًا "ارفعوا راية للأمم. هوذا الرب أخبر إلى أقصى الأرض. قولوا لابنة صهيون هوذا يأتيكِ المُخلِّص وأجرته معه وعمله أمامه. ويدعوهم شعبًا مقدسًا مفديي الرب، وأنتِ تُسَمين المدينة المطلوبة غير المهجورة. من ذا الآتي من أدوم وحُمرة ثيابه من بُصرة، هذا البهي بملابسه المتعظم بقوته. أنا المتكلِّم بالبر وحُكم الخلاص. ما بال لُباسكِ محمرٌّ وثيابك كدائس المعصرة. قد دستُ المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد. قد دستهم بغضب وسحقتهم كالتراب وأسَلت دمهم على الأرض لأن يوم النقمة قد جاء عليهم وسنة الفداء قد أتت. فنظرتُ ولم يكن معين، أبصرتُ ولم يكن عاضد فخلَّصَتهم ذراعي وغيظي حضر. دستُهم بغضبي وأسَلت دمهم على الأرض" (إش ٦٢ : ١٠ - ١٢ ؛ ٦٣ : ١ - ٧)."

الفصل السابع والعشرون

ثم قال تريفون معترضًا: "لماذا تستشهد فقط بتلك الآيات من الأنبياء لتثبت رأيك وتترك الآيات التي تأمر بوضوح بحفظ السبت؟ فإن إشعيا يقول: "إن رددت عن السبوت رجلك لكي لا تعمل مسرتك في اليوم المقدس ودعوت السبوت لذة ومقدس الرب، إن لم ترفع رجلك [للذهاب] إلى العمل ولم تخرج كلمة من فمك بغضب فتكون متكلًا على الرب ويقودك إلى خيرات الأرض ويُطعمك ميراث يعقوب أبيك لأن فم الرب تكلم بهذا" (إش ٥٨ : ١٣ - ١٤)."

قلت: "يا أصدقائي، لم أترك هذه الآيات من الأنبياء عن عمد أو لأنها لا تتفق مع تعليمي بل لأنه - كما تفهمون - على الرغم من أن الله يعطيكم عن طريق أنبيائه وصايا كهذه كما فعل عن طريق موسى إلّا أن ذلك كان بسبب قساوة قلوبكم وجحودكم نحوه.

وقد كرر هذه الوصايا على أمل أن تتوبوا في وقت ما، وأن تصنعوا ما يرضيه وتكفوا عن تقديم أطفالكم ذبائح للشياطين "رؤساؤك شركاء اللصوص ويحبون الرشوة ويتبعون العطايا. لا يقضون للأيتام. ولا يلتفتون إلى دعوة الأرامل" (إش ١: ٢٣) بل "أيديهم مملوءة دمًا" (إش ١: ١٥). وأيضًا "إن بنات صهيون يمشين ممدودات الأعناق وغافرات بعيونهن وخاطرات في مشيهن" (إش ١: ٢٣ ؛ ٣: ١٦). وأيضًا "الجميع زاغوا وفسدوا معًا. ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد. بألسنتهم قد مكروا. حنجرتهم قبر مفتوح. سم الأصلال تحت شفاههم. في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه"[٣٥]. ولذلك بما أن خطاياكم كانت السبب وراء هذه الوصايا التي أصدرها الله لكم منذ القِدَم، والآن من أجل عبوديتكم للخطية أو بالأحرى ميلكم الشديد نحو الخطية فإن الله بواسطة الوصايا عينها يدعوكم لتتذكروه وتعرفوه. ولكنكم أنتم أيها اليهود شعب قاسي القلب وغبي وأعمى وأعرج، أبناء لا إيمان لهم وكما يقول الله ذاته: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني" (إش ٢٩: ١٣). والآن قولوا لي، هل كان الله يرغب في أن يخطئ رؤساء كهنتكم عندما يُقرِّبون تقدمات في أيام السبوت؟ أم هل كان يرى أن كل مَن يختتن في يوم السبت مذنب بما أن وصيته كانت أن يتم الختان في اليوم الثامن بعد الميلاد حتى لو كان هذا يوم سبت؟ وإن كان الله يرى أن إجراء الختان يوم السبت يُعتبَر خطيَّة أ لم يكن من الواجب أن يقرر أن يختتن الأطفال إما في اليوم السابق أو اللاحق للسبت؟ ولماذا لم يأمر الله أولئك الذين عاشوا قبل موسى وإبراهيم أن يحفظوا هذه الوصايا ذاتها، وهم كانوا أناسًا أبرارًا ومُرضيين أمام الله مع أنهم لم يختتنوا غرلتهم ولم يحفظوا السبت؟"

---

[٣٥] مز ١٣ :٣ بحسب السبعينية.

الفصل الثامن والعشرون

ثم قال تريفون: "لقد استمعنا إليك بانتباه عندما طرحت سؤالك عن حفظ السبت، والحقيقة أنه سؤال جدير بالانتباه لكن لا يروق لي، ولا لكثيرين غيري، أن نقول إن حفظ السبت هذا يرضي الله. لأن هذا هو الرد الماكر المألوف الذي يُقدِّمه مَن لا يقدر أن يجيب عن السؤال."

قلت: "بما أن كلامي ومقترحاتي تقوم على أساس الكتب المقدَّسة والحقيقة الواقعة فينبغي أن تصدقوني بلا تردد على الرغم من أنني غير مختون لأن الوقت أمامكم قصير لتصيروا مسيحيين. وإن جاءنا المسيح ثانية قبل أن تؤمنوا فستبكون وتتوبون بلا جدوى لأنه حينئذ لن يلتفت إليكم. قد صرخ إرميا للشعب قائلًا: "احرثوا لأنفسكم حرثًا ولا تزرعوا في الأشواك. اختتنوا للرب واختتنوا غرلة قلبكم" (إر ٤ : ٣ - ٤). إذن لا تزرعوا في وسط الأشواك وفي تربة غير صالحة للحرث لأنكم لن تجنوا منها أي ثمر. اعترفوا بالمسيح وحينئذ تصير قلوبكم أرضًا غنية وخصبة "ها أيام تأتي يقول الرب وأعاقب كل المختونين في غرلتهم، مصر ويهوذا وأدوم وموآب ... لأن كل الأمم غُلف وكل بيت إسرائيل غلف القلوب" (إر ٩: ٢٥ - ٢٦). أ لا ترون أن الله لا يريد هذا الختان الذي أُعطي كعلامة لأنه بلا فائدة للمصريين والموآبيين والأدوميين. وإن كان سكيثي أو فارسي يعرف الله ومسيحَهُ ويحفظ وصايا البرِ الأبدية ومختون بالختان الوحيد الصالح والمفيد فهو مرضي أمام الله وتقدماته مقبولة. وفي هذا الصدد، اسمحوا لي أيها الأصدقاء أن استشهد بالكلمات التي تكلّم بها الله بفم ملاخي أحد الاثني عشر، إذ يقول: "ليست لي مسرة بكم يقول الرب ولا أقبل ذبائحكم من أيديكم لأنه من مشرق الشمس

إلى مغاربها قد تعظم اسمي في الأمم وفي كل مكان تُقدَّم ذبيحة لاسمي وهي طاهرة لأنها تكرم اسمي في الأمم يقول الرب أما أنتم فقد نجستموه" (ملا ١: ١٠ - ١٢). ويقول الله بفم داود: "شعب لم أعرفه تعبد لي، من سماع الأذن سمع لي[٣٦]." "

الفصل التاسع والعشرون

"هيَّا نجتمع معًا أيتها الأمم ونمجِّد الله لأنه تفضَّل ونظر إلينا. ولنمجِّده من خلال ملك المجد و رب الجنود لأنه أظهر لنا نحن الأمم أيضًا إحسانه وهو يستحسن ذبائحنا عن ذبائحكم. فما حاجتي للختان إذا كان الله قد شهد لي؟ وما حاجة من تعمد بالروح القدس إلى اغتسالكم؟ وأنا واثق تمامًا أنني أستطيع إقناع حتى ضعاف العقول لأن الكلمات التي أستخدمها ليست كلماتي أنا ولا هي مُنمَّقة بالبلاغة ولكنها هي كلمات داود كما ترنَّم بها وكما أعلنها إشعيا كبشارة سارة وكما صرح بها زكريا وكتبها موسى. أ لست ملمًّا بها، يا تريفون؟ من الواجب أن تكون ملمًّا بها لأنها موجودة في كتبكم المقدَّسة بل هي كتبنا وليست كتبكم لأننا نؤمن بها ونطيعها، في حين تقرأونها أنتم ولا تفهمون الروح الذي كتبت به، فلا يجب أن تغضبوا علينا أو تلومونا لأننا غير مختونين في الجسد لأن الله خلقنا هكذا. ولا يجب أيضًا أن تعتبروا أن شرب الماء الساخن[٣٧] في يوم السبت شيئًا بغيضًا لأن الله لا يتوقف عن إدارة حركة الكون في هذا اليوم بل يستمر في إدارته كما يفعل في الأيام الأخرى. وأيضًا هناك أناس أبرار يرضى الله عنهم مع أنهم لم يصنعوا قط أي طقس من طقوسكم الناموسية."

---

[٣٦] مز ١٧: ٤٤، ٤٥ س (في البيروتية مز ١٨: ٤٣، ٤٤).

[٣٧] لم يكن مسموحا لليهود بإشعال النار (خر ٣٥: ٣) ولا بطهي الطعام في السبوت (خر ١٦: ٢٣). ولكن منذ قديم العصور كان من المعتاد أن يأتي أممي ويشعل لهم النار في السبت.

الفصل الثلاثون

"قد يقوم الجهلاء أحيانا باتهام الله باطلاً بأنه لم يعط التعاليم الصادقة نفسها للجميع، ولكن السبب في هذا هو خطاياكم. وكثيرون يعتبرون هذه التعاليم بلا معنى وليست صادرة من الله وذلك لأنهم لم يستنيروا بالنعمة فلم يفهموا أن الروح القدس قد دعا - بهذه التعاليم عينها - شعبكم الغارق في الخطية والأمراض الروحية إلى التوبة والإيمان بالمسيح، كما لم يفهموا أن النبوءة التي أعطيت لبني البشر بعد موت موسى هي نبوءة أبدية. وهذا مذكور بالفعل في المزمور[38] أيها السادة. ونحن الذين استترنا بهذه التعاليم نعتبرها "أحلى من العسل والشهد"[39]. والدليل على ذلك أننا لا ننكر اسمه حتى تحت تهديد الموت. ونطلب إليه نحن المؤمنون به أن يحفظنا من "الغرباء" أي الأرواح الشريرة المُضِلَّة كما تشير كلمات النبوءة بشكل رمزي وكأنها بفم أحد المؤمنين بالمسيح. ونحن نطلب من الله على الدوام بيسوع المسيح أن يحمينا من هؤلاء الشياطين الغرباء عن تقوى الله - الذين كنا نتعبد لهم في القِدَم - لكي نكون بلا لوم بعد أن رجعنا إلى الله بواسطة المسيح الذي ندعوه معيننا وفادينا الذي ترتعد الشياطين من قوة اسمه واليوم يخضعون عندما نخرجهم وننتهرهم باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي والي اليهودية. وهكذا يتضح للجميع أن أباه أعطاه قوة عظيمة حتى إن الشياطين تخضع باسمه وبعلامة آلامه[40]".

---

[38] يقصد المزمور ١٨ في السبعينية الذي يقابله مزمور ١٩ في النص العبري الماسوري.

[39] مز ١٨: ١١ س (في البيروتية مز ١٩: ١٠).

[40] يقصد الصليب الذي هو علامة تدبير الفداء الذي كَمُل بآلام المسيح.

الفصل الواحد والثلاثون

"وإذا كانت قوة كهذه قد صاحبت علامة آلام المسيح وما زالت، فكم بالحري تكون قوته عندما يأتي في مجده في مجيئه الثاني. عندما يأتي على السحاب كابن إنسان ومعه ملائكته كما تنبأ دانيال قائلًا: "رأيت أنه وُضِعَت عروش وجلس قديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه كلهيب نار وعجلاته نار متقدة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس المجمع وفُتِحَت الأسفار. كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلَّم بها القرن إلى أن قُتِل الحيوان وهلك جسمه ودُفِع لوقيد النار. وباقي الحيوانات نُزِع عنهم سلطانهم وأعطوا طول حياة إلى زمان ووقت. كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام والحاضرون قرَّبوه قدامه. فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبَّد له وتمجِّده كل أمم الأرض بحسب جنسها. سلطانه سلطان أبدي لن يزول وملكوته لا ينقرض. أما أنا دانيال فحزنتْ روحي في وسط جسمي وأفزعتني رؤى رأسي فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة في كل هذا. فأجابني وعرفني تفسير الأمور وقال لي: هذه الحيوانات العظيمة هي أربعة ممالك تبيد من الأرض ثم يأخذ قديسو العلي المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين. حينئذ أردت أن أتحقق من جهة الحيوان الرابع الذي حطَّم كل الباقين وكان مُرهِبًا جدًّا وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق الباقين وداسهم بأرجله. وعن القرون العشرة التي برأسه وعن الآخر الذي طلع فسقطتْ قدامه ثلاثة من القرون الأولى وهذا القرن له عيون وفم متكلِّم بعظائم ومنظره أشد من الآخرين. وكنت أنظر وإذا هذا القرن

أقام حربًا مع القديسين فغلبهم حتى جاء قديم الأيام وأعطى الحُكم لقديسي العلي وبلغ الوقت فامتلك قديسو العلي المملكة. فقيل لي عن الحيوان الرابع: ستكون مملكة رابعة على الأرض تفوق سائر هذه الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر يفوق الأولين في الشرور ويذل ثلاثة ملوك. ويتكلَّم بكلام ضد العلي ويُبلي قديسي العلي ويظن أنه يغير الأوقات والناموس ويُسلَّمون ليديه إلى زمان وأزمنة ونصف زمان فيجلس القضاء وينزعون عنه سلطانه ليفنوه ويبيدوه إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة كل ما تحت السماء أُعطيَت لشعب قديسي العلي ليتملكه مُلكًا أبديًّا وجميع السلاطين يخضعون له ويطيعونه. إلى هنا نهاية الأمر. أما أنا دانيال فأخذتني الرعدة جدًّا وتغيرت عليَّ هيئتي وحفظت الأمر في قلبي" (دا ٧: ٩ - ٢٨).”

الفصل الثاني والثلاثون

وعندما توقفت قال تريفون معترضًا: ”إن الفقرات التي تستشهد بها من الكتاب المقدس تثبت أننا ينبغي أن نتطلَّع إلى هذا المسيا العظيم والمُمجَّد الذي كابن الإنسان يأخذ الملكوت الأبدي من قديم الأيام أما مسيحكم المزعوم هذا فكان بلا مجد ولا كرامة لدرجة أنه وقعت عليه أشد لعنة في ناموس الله، أي أنه صُلِب على الصليب.“

فأجبت على الفور قائلاً: ”أيها السادة، إن لم أكن قد شرحت لكم من الفقرات المذكورة من الكتاب المقدس أن ظهور المسيح كان بلا مجد، وميلاده لا يُوصَف، وأن بموته يتكبَّد الأغنياء الموت وبآلامه نحن شُفِينا وكحَمَل يُساق إلى الذبح، وإن كنت لم أوضح لكم إنه هناك مجيئين للمسيح؛ الأول الذي طُعن منكم فيه، والثاني الذي فيه "سوف تنظرون إلى الذي طعنتموه وتنوح عشائركم،

عشيرة عشيرة، النساء على حدتهن والرجال على حدتهم"[41]، إذن فلا بد أن كلامي كان غامضًا ومبهمًا والآن سوف أستمد كل البراهين من نبوات كتبكم المقدسة آملاً في أن يكون من بينكم أحد من "البقية التي أبقاها رب الجنود"[42] للخلاص الأبدي بنعمته. ولمزيد من الإيضاح سوف أذكر لكم فقرات أخرى قالها الطوباوي داود، وفيها سترون أن روح النبوة يدعو المسيح ربًا، وأن الله أبو كل أحد قد أقامه من الأرض وأجلسه عن يمينه حتى يجعل أعداءه موطئًا لقدميه. وهذا ما حدث بالفعل حينما صعد ربنا يسوع المسيح إلى السماء بعد قيامته من الأموات. وهكذا تحققت الأزمنة؛ إذ قد جاء [رجل الخطية] الذي تنبأ عنه دانيال[43]، الذي سيملك زمانًا وأزمنة ونصف زمان وهو الآن على الأبواب مُزمَع أن ينطق بكلمات وقاحة وتجديف ضد العلي. وأنتم في جهل بمدى الوقت الذي سيملك فيه، بنيتم رأيًا مختلفًا اعتمادًا على تفسيركم الخاطئ لكلمة "زمان" على أنها تعني مائة سنة. ولو كان الأمر هكذا فلابد لرجل الخطية أن يملك على الأقل ثلاثمائة وخمسين سنة إذا حسبنا عبارة "أزمنة" أنها زمانان فقط.

وقد أطلت الحديث بعيدًا عن الموضوع الرئيس لسبب واحد هو أن أقنعكم بحقيقة ما قاله الله عنكم أنكم أبناء جهلة "لذلك هأنذا أعود وأُبعِد هذا الشعب، سأبعدهم وأنزع حكمة حكمائهم وأخفي فهم فهمائهم" (إش ٢٩: ١٤). فكُفُّوا عن خداع أنفسكم ومن تعلِّمونهم منكم وتعلَّموا منَّا نحن الذين تعلَّمنا الحكمة بنعمة المسيح. وها هي الكلمات التي قالها داود: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. قضيب قوة يرسل لك الرب من صهيون فتسود وسط أعدائك. معك الرئاسة في يوم قوتك في بهاء

---

[41] انظر زك ١٢: ١٠ - ١٢.
[42] انظر إش ١: ٩.
[43] انظر دا ٧: ٢٥.

القديسين. من البطن قبل كوكب الصبح ولَدتُك. أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق. الرب عن يمينك حطَّم في يوم رجزه ملوكًا. يقضي بين الأمم. ويملأهم جثثًا. يشرب في الطريق من الوادي لذلك يرفع رأسه[٤٤]." "

الفصل الثالث والثلاثون

واستطردتُ قائلًا: "إنني أعلم أنكم تقولون بجسارة إن كلمات هذا المزمور تشير إلى الملك حزقيا ولكن سأُبيّن لكم أنكم مخطئون من كلمات المزمور ذاتها: "أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق[٤٥]" مع ما يسبقها وما يليها، فحتى أنتم لن تجرؤوا أن تعترضوا على أن حزقيا لم يصِر كاهنًا أبديًّا لله. ولو لم تكن آذانكم قليلة السمع وقلوبكم كثيرة القساوة لعرفتم أن هذه الكلمات تشير إلى الرب يسوع لأن عبارة "أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق" بيَّن الله بقَسَم - لأجل عدم إيمانكم - أن يسوع هو رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق. فكما أن ملكي صادق كان كاهن العليّ - كما كتب موسى - وكان كاهن للذين في الغرلة وبارك إبراهيم المختون الذي قدَّم له العشور، وهكذا أعلن الله أن كاهنه إلى الأبد الذي دُعِي ربًّا بواسطة الروح القدس هو كاهن للذين في الغرلة. وأما المختونون الذين يقتربون إليه مؤمنين به ويطلبون بركاته فسيقبلهم ويباركهم. وكلمات المزمور الأخيرة: "يشرب في الطريق من الوادي لذلك يرفع رأسه[٤٦]" تُثبِت أن المسيح سيكون رجلًا متضعًا ثم يتمجدً."

---

[٤٤] مز ١٠٩: ١ - ٧ س (في البيروتية مز ١١٠: ١ - ٧).
[٤٥] مز ١٠٩: ٤ س (في البيروتية مز ١١٠ : ٤).
[٤٦] مز ١٠٩: ٧ س (في البيروتية مز ١١٠: ٧).

الفصل الرابع والثلاثون

"ولأظهر لكم جهلكم بالكتب المقدسة، سأشير إلى مزمور آخر قاله الروح القدس بواسطة داود وأنتم ترون خطأ أنه يشير إلى سليمان ملككم في حين أنه يشير إلى مسيحنا، ولكنكم تُضِلون أنفسكم بتفسيركم الخاطئ للعبارات التي قد تحمل أكثر من معنى. فعندما يقال إن "ناموس الرب بلا عيب[٤٧]"، أنتم لا تفهمون أن هذا ينطبق على الناموس المزمع أن يأتي بعد موسى بل تعتقدون أنه ينطبق على [ناموس] موسى ذاته، مع أن الله نفسه وعد بناموس جديد وعهد جديد. وعندما يقول المزمور: "يا الله أعطِ أحكامك للملك[٤٨]"، تدَّعون أنتم أنها تشير إلى الملك سليمان لأنه كان هو الملك في ذلك الوقت بينما تشير الكلمات بوضوح إلى الملك الأبدي أي المسيح. وسأُثبِت لكم من جميع الكتب المقدسة أن المسيح يُشار إليه كملك وكاهن وإله و رب وملاك وإنسان وقائد وصخرة وطفل مولود تحمَّل الآلام ثم صعد إلى السماء وسيعود بمجد ويكون له ملكوت أبدي. ولتفهموا ما أقول سأستشهد بكلمات المزمور القائل: "يا الله أعطِ أحكامك للملك و برَّك لابن الملك ليحكم شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام بِرًّا. يقضي لفقراء الشعب ويُخلِّص أبناء البائسين ويسحق الظالم. يدوم كالشمس وقدام القمر إلى جيل الأجيال. ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيث الذارف على الأرض. يشرق في أيامه البر، وكثرة السلام إلى أن يزول القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. يسقط أمامه الإثيوبيون وأعداؤه يلحسون التراب.

---

[٤٧] مز ١٨: ٧ (في البيروتية مز ١٩: ٧).

[٤٨] مز ٧١: ١ (في البيروتية مز ٧٢: ١).

ملوك ترشيش والجزائر يقدمون تقدمات. ملوك العرب وسبأ يقدمون تقدمات. ويسجد له كل ملوك الأرض وكل الأمم تتعبد له لأنه نجَّى الفقير من الجبار والمسكين الذي لا معين له. يرحم الفقير والمسكين ويُخلِّص أنفس المساكين. ومن الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويُكرم اسمه أمامهم. ويعيش ويُعطَى من ذهب العربية. ويُصلّون لأجله دائمًا. اليوم كله يباركونه. وتكون معونة في الأرض على أعالي الجبال. تعلو على لبنان ثمرته ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. يكون اسمه مباركًا إلى الدهر ويدوم أكثر من الشمس وتتبارك فيه كل قبائل الأرض. كل الأمم يطوبونه. مبارك الرب إله إسرائيل الصانع العجائب وحده ومبارك اسم مجده إلى الدهر وإلى دهر الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين آمين[٤٩]". وفي ختام المزمور مكتوب: "تمت مزامير داود بن يسى".

ونحن جميعًا نعلم أن سليمان كان ملكًا عظيمًا وهو الذي بُني في عهده هيكل أورشليم، ولكن من الواضح أنه لم يحدث لسليمان أي من الأشياء التي قيلت في هذا المزمور، فلم تتعبد له كل الملوك ولم يمتد سلطانه إلى أقاصي الأرض كما أن أعداءه لم يسقطوا أمامه ويلحسوا التراب. وإنني لا أتردد في الاستشهاد بما جاء في سفر الملوك حيث مكتوب أن سليمان عبد الأوثان في صيدون[٥٠] من أجل امرأة. وعلى عكس ذلك، فإن الأمم التي تعرف الله خالق العالم من خلال يسوع المصلوب يفضلون احتمال الآلام والعذابات وحتى الموت على عبادة الأصنام أو أكل ما ذبح للأصنام".

[٤٩] مز ٧١: ١ - ٢١ س (في البيروتية مز ٧٢: ١- ٢١).

[٥٠] لم يذكر سفرا الملوك هذه المعلومة، بالرغم من أنها قد تكون حدثت بالفعل. ويعتقد البعض أن كلمة "في صيدون" كانت موجودة كحاشية ولكن أحد النساخ أدخلها في النص فيما بعد. وربما يشير ق. يوستينوس إلى الآلهة التي عبدها سليمان في زمان شيخوخته؛ إذ يقول الكتاب في ١مل ١١ :٥ "فذهب سليمان وراء عشتاروث إلهة الصيدونيين".

الفصل الخامس والثلاثون

وهنا قاطعنى تريفون قائلًا: "أعلم أن كثيرين يعلنون إيمانهم بيسوع ويُعتَبرون مسيحيين ولكنهم يَّدعون أنه لا ضرر من أكل اللحوم المذبوحة للأوثان."

فأجبته قائلًا: "إن وجود مثل هؤلاء الذين يتظاهرون بأنهم مسيحيون ويعترفون بيسوع المصلوب ربًّا ومسيحًا وهم لا يحفظون تعاليمه بل يتبعون أرواحًا خاطئة يجعلنا نحن، تلاميذ التعليم الحقيقي النقي الذي ليسوع المسيح، أكثر إيمانًا وثباتًا في الرجاء الذي أعلنه لنا. فإن الأعمال التي سبق وأخبرنا أن البعض سيفعلونها باسمه نراها تحدث الآن. فقد قال: "سيأتي كثيرون باسمي مرتدين ثياب حملان من الخارج ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة[٥١]." وأيضًا: "ستحدث انشقاقات وبدع[٥٢]." وكذلك "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة[٥٣]" و"يقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة كثيرون ويُضِلون الكثير من المؤمنين[٥٤]" وهذا هو ما قد حدث بالفعل يا أصدقائي. فقد أتى أناس كثيرون باسم الرب يسوع وعلَّموا تعاليم وأعمال تجديف وإلحاد ونحن نُسمِّي كل واحدة من هذه البدع باسم الشخص الذي بدأها لأن كُلًّا منهم له طريقته الخاصة لتعليم التجديف على خالق الكون إله إبراهيم وإسحق ويعقوب وعلى المسيح الذي أتى منه. ونحن لا نشترك مع هؤلاء في شيء لأننا نعرف أنهم ملحدون بعيدون عن التقوى وخطاة وأشرار، يعترفون بيسوع بشفاههم ولكنهم لا يعبدونه

[٥١] انظر مت ٢٤: ٥ و ٧: ١٥.
[٥٢] انظر ١ كو ١١: ١٨.
[٥٣] انظر مت ٧: ١٥.
[٥٤] مت ٢٤: ١١ - ٢٤.

في قلوبهم ومع هذا يُسمون أنفسهم مسيحيين مثلما ينقش الأمم اسم الله على تماثيلهم ثم ينغمسون في كل نوع من أنواع الطقوس الإلحادية الشريرة. ومن بين هؤلاء الهراطقة الماركيونيون[٥٥] والفالنتيون والباسيليديون والساترنيليون وغيرهم ممن يُدعَون بأسماء أخرى بحسب اسم مؤسس كل تعليم. إذ، كما ذكرت في بداية المناقشة أن كُلًّا منهم يعتبر نفسه فيلسوفًا يحمل اسم الفلسفة التي يتبعها وفقًا لمؤسس هذه الفلسفة. ومن هذه الأحداث نحن نُقِر، كما قلت، بأن يسوع كان يعلم مسبقًا بما سيحدث له، كما تنبأ أيضًا بأحداث أخرى كثيرة ستحدث لمن يؤمن ويعترف بأنه هو المسيح، وقد تنبأ حتى بالآلام التي لا بد أن نتحملها من أهل بيتنا عندما يسلموننا إلى الموت. وبالتالي، فنحن لا نجد أي عيب لا في كلامه ولا في أعماله. ولهذا نحن نصلي لأجلكم ولأي أحد يكرهنا لكي تتوبوا معنا وتكفوا عن التجديف على يسوع المسيح الذي هو بلا لوم في كل أعماله وفي المعجزات التي تُجرى حتى الآن باسمه وفي تعاليمه والنبوءات التي جاءت بشأنه. نحن نصلي أيضًا لكي تؤمنوا بيسوع المسيح حتى إذا جاء منتصرًا في مجيئه الثاني يخلصكم ولا يدينكم ويسلمكم لنار جهنم."

الفصل السادس والثلاثون

ثم قال تريفون: "قد يكون الأمر كما تقول، أي أن الأنبياء قد تنبأوا بأن المسيح سوف يتألم ويُدعى صخرة وأن مجيئه الأول الذي سيظهر فيه متألمًا سيعقبه مجيء آخر في مجد يكون فيه ديَّانًا لكل البشر وكاهنًا وملكًا أبديًّا. ولكن أثبِت لنا أن يسوع هذا هو مَن تنبأ عنه الأنبياء."

---

[٥٥] Μαρκιανοί هنا لا تشير إلى تلاميذ مرقس الغنوسي الڤالنتي، بل إلى تلاميذ ماركيون.

فقلت: "كما تريد، يا تريفون، سأقدم الأدلة التي تطلبها في الوقت المناسب. ولكن الآن اسمحوا لي أن أذكر النبوءات التالية التي توضح أن الروح القدس بالمثل دعا المسيح: الله، و رب الجنود، وإله يعقوب. والله نفسه يقول عن مفسريكم أنهم جاهلون[٥٦]، لأنهم يدَّعون أن هذه النبوءات لا تشير إلى المسيح بل إلى سليمان عندما نقل تابوت العهد إلى الهيكل الذي بناه. وقد قال داود في المزمور: "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها. هو على البحار أسسها وعلى الأنهار هيأها. من يصعد إلى جبل الرب أو من يقوم في موضع قدسه. الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف لقريبه غشًّا. هذا يأخذ بركة من عند الرب ورحمةً من الله مخلِّصه. هذا هو جيل طالبي الرب، طالبي وجه إله يعقوب. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار في القتال. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد[٥٧]." ومن الواضح أن سليمان ليس رب الجنود. أما مسيحنا فعندما قام من الأموات وصعد إلى السماوات أمر الله الرؤساء السمائيين أن يفتحوا أبواب السماء ليدخل ملك المجد ويجلس عن يمين الآب حتى يضع أعداءه موطئًا لقدميه[٥٨] كما هو مذكور في مزمور آخر. وعندما رأى هؤلاء الرؤساء السمائيون مظهر المسيح بلا جمال أو كرامة أو مجد لم يتعرفوا عليه فسألوا "من هو هذا ملك المجد؟" فأجاب الروح القدس إما باسمه أو باسم الآب قائلًا: "رب الجنود هو ملك المجد" وإنني على يقين أن الكل يعترف بأنه ما كان أحد من حراس أبواب هيكل أورشليم ليجرؤ أن يقول عن

---

[٥٦] انظر إر ٤: ٢٢.
[٥٧] مز ٢٣: ١ - ١٠ س (في البيروتية مز ٢٤: ١ - ١٠).
[٥٨] انظر مز ١٠٩: ١ س (في البيروتية مز ١١٠: ١).

سليمان - بالرغم من عظم مجده كملك - أو عن تابوت العهد "من هو هذا ملك المجد؟"

الفصل السابع والثلاثون

واستطردت قائلًا: "إن المزمور ٤٦ أيضًا يصف المسيح؛ إذ يقول: "صعد الله بتهليل والرب بصوت البوق. رتلوا لإلهنا رتلوا. رتلوا لملكنا رتلوا. لأن الله هو ملك الأرض كلها. رتلوا بفهم. الله ملَكَ على الأمم. الله جلس على كرسيه المقدس. رؤساء الشعوب اجتمعوا مع إله إبراهيم. لأن أعزاء الله قد ارتفعوا على الأرض جدًّا[٥٩]." وفي مزمور ٩٨ يوبِّخكم الروح القدس ويعلن أن الذي ترفضون الاعتراف به كملك لكم هو ملك و رب صموئيل وهارون وموسى وكل إنسان آخر، وها هي كلمات المزمور: "الرب قد ملك فلترتعد الشعوب. الجالس على الشاروبيم فلتتزلزل الأرض. الرب العظيم في صهيون وهو عالٍ على كل الشعوب. ليعترفوا لاسمك العظيم لأنه مهوب ومقدس. وكرامة الملك أن يحب الحق. أنت ثبت الاستقامة أنت أجريت حقًّا وبرًّا في يعقوب. ارفعوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه فإنه قدوس. موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون بإسمه. دعوا الرب وهو استجاب لهم. بعمود السحاب كان يكلمهم. حفظوا شهاداته والفريضة التي أعطاهم. أيها الرب إلهنا أنت استجبت لهم. كنت غفورًا لهم وديانًا لكل أفعالهم. ارفعوا الرب إلهنا واسجدوا في جبل قدسه لأن الرب إلهنا قدوس[٦٠]." "

[٥٩] مز ٤٦: ٦- ١٠ س (في البيروتية مز ٤٧: ٦ -١٠).
[٦٠] مز ٩٨: ١- ٩ س (في البيروتية مز ٩٩: ١ - ٩).

الفصل الثامن والثلاثون

ثم قال تريفون: "من الأفضل لنا أن نطيع معلِّمينا الذين حذرونا من الاستماع إليكم أيها المسيحيون ونهونا عن التحدُّث معكم في هذه الموضوعات لأنكم جدَّفتم مرَّات عديدة وأنتم تحاولون إقناعنا أن هذا الرجل المصلوب كان مع موسى وهارون وتحدَّث معهما في عمود سحاب وأنه تأنس وصُلِب وصعد إلى السماء وسوف يعود مرَّة أخرى إلى الأرض وتسجد له الشعوب."

فأجبته قائلًا: "إنني أدرك أن هذه الحكمة العظيمة التي لله ضابط الكل مخفيَّة عنكم كما تشهد على ذلك كلمة الله. ولذلك أنا أشفق عليكم وأجاهد لأساعدكم على فهم تعاليمنا التي تبدو لكم متناقضة. وحتى إن فشلت في ذلك فلا أقع تحت المحاسبة في يوم الدينونة. وسأسرد لكم معلومات عن عقائد أخرى قد تبدو لكم أكثر غرابة ولكن لا تنزعجوا وبدلًا من أن تنصرفوا كونوا أكثر حماسًا وحبًّا في المعرفة. وفي الوقت نفسه اتركوا تقليد معلِّميكم لأنهم مدانون من روح النبوءة بأنهم غير قادرين على فهم الحقائق التي تكلّم بها الله مفضِّلين نشر آرائهم الخاصة. إن المزمور الرابع والأربعين[٦١] يتحدَّث هكذا عن المسيح: "فاض قلبي بكلام صالح. إني أخبر الملك بأفعالي. لساني قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار. ببهائك وجمالك استله وانجح واملك. من أجل الحق والدعة والبر وتهديك بالعجب يمينك. نبلك مسنونة في قلب أعداء الملك. أيها الجبار شعوب تحتك يسقطون. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة هو

[٦١] وهو يقابل المزمور رقم ٤٥ في الترجمة البيروتية.

قضيب ملكك. أحببتَ البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك. مر و عود سليخة من ثيابك. من قصور العاج التي أبهجتك. بنات ملوك في كرامتك. قامت الملكة عن يمينك بثوب موشى بالذهب مزينة بأنواع كثيرة. اسمعي يا ابنة وانظري وأميلي أذنك. وانسي شعبك وبيت أبيكِ، فيشتهي الملك حسنك لأنه هو ربكِ وله تسجدين. و تسجد له بنت صور بالهدايا، ويطلب وجهكَ أغنياء الأرض. كل مجد ابنة الملك من داخل. متزينة بأشكال كثيرة تدخل إلى الملك عذارى في إثرها، قريباتها إليك يُقدَّمن. يُقدَّمن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك. يكون بنوك عوضًا عن آبائك، تقيمهم رؤساء على كل الأرض. أذكر اسمك في كل جيل فجيل. من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الدهر[٦٢]." "

الفصل التاسع والثلاثون

ثم استطردت قائلًا: "لا عجب في أنكم أنتم اليهود تكرهوننا نحن المسيحيين الذين أدركنا معنى هذه الحقائق ونوبخكم على تعنتكم. وقد قال إيليا عندما تشفع لكم أمام الله: "يا رب لقد قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي". فأجابه الرب: "قد أبقيت سبعة آلاف رجلًا لم يجثوا للبعل[٦٣]." وكما أن الله لم يظهر غضبه بسبب هؤلاء السبعة آلاف رجل فهكذا أيضًا لم يحكم عليكم حتى الآن لأنه يعلم أنه في كل يوم يترك البعض منكم طريق الضلال ليصيروا تلاميذ باسم المسيح وبهذا الاسم هم

[٦٢] مز ٤٤: ١ ـ ١٨ س (في البيروتية مز ٤٥: ١ ـ ١٨).

[٦٣] ٣ مل ١٩: ١٨ س (في البيروتية ١ مل ١٩: ١٠ ، ١٨). ومن الجدير بالذكر أنه يوجد في في الترجمة السبعينية أربعة أسفار باسم سفر الملوك وهي تقابل سفرَي صموئيل وسفرَي الملوك في النص العبري الماسوري الذي أخذت عنه الترجمة البيروتية.

يستنيرون ويأخذون نعمًا من الله حسب استحقاق كل واحد، فواحد يأخذ روح الحكمة وآخر روح المشورة وآخر روح الثبات وآخر روح الشفاء وآخر روح التنبؤ وآخر روح التعليم وآخر روح مخافة الله."

قال تريفون: "أ لا تلاحظ أنك تهذي بقولك هذه الأشياء؟"

قلت: "اسمع، يا هذا، فإنني لست أهذي ولم يجانبني الصواب لأنه قيل أن المسيح بعد صعوده إلى السماء سوف يحررنا من الضلال وينعم لنا بهذه المواهب كما جاء في النبوءة: "صعد إلى العلاء وسبى سبيًا وأعطيت عطايا للناس[٦٤]." والآن بعد أن أخذنا مواهب من المسيح الذي صعد إلى السماء نستطيع أن نبيِّن لكم من النبوءات أنكم أنتم "الحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم" (إش ٥: ٢١) في حقيقة الأمر أغبياء لأنكم تكرِّمون الله ومسيحه بشفاهكم فقط. أما نحن الذين تعلَّمنا الحقيقة كاملة فنكرِّم الله بأعمالنا ومعرفتنا وقلوبنا حتى إلى الموت. والسبب في ترددكم في الاعتراف بأن يسوع هو المسيح - وهي الحقيقة التي تشهد لها الكتب المقدسة والمعجزات التي صارت باسمه - قد يكون رغبتكم في تجنب الاضطهاد العنيف الذي يقوم به المسئولون بإيعاز من الحيَّة - ذلك الروح الشرير الغادر - وهم لن يكفوا عن اضطهاد وقتل الذين يعترفون باسم المسيح حتى يأتي ثانية ليبيدهم جميعًا ويجازي كل واحد كما يستحق."

أجاب تريفون مقاطعًا: "أثبت لنا أن هذا الرجل الذي تدَّعون أنه صُلب وصعد إلى السماء، هو مسيح الله. لقد أثبت لنا بنبوات الكتب المقدسة أن المسيح لا بد أن يتألم وأنه سوف يأتي ثانية في مجد ليملك ملكًا أبديًّا على جميع الأمم وأن كل مملكة سوف تخضع له. ولكن ما نريد أن تثبته لنا هو أن يسوع المسيح هذا هو المسيح الذي تحدَّثَتْ عنه النبوءات."

---

[٦٤] مز ٦٧: ١٩ س (في البيروتية مز ٦٨: ١٨).

فقلت: "أيها السادة، أي أحد له أذنان يعلم أنني قد أثبتُّ بالفعل هذه النقطة بعينها، ويمكن معرفتها أيضًا من الحقائق التي اعترفتم بها أنتم أنفسكم. ولكن لئلا تظنوا أنني غير قادر على تقديم ما يثبت أن يسوع هو المسيح فإني أجدد وعدي بتقديم مزيد من البراهين في حينها. والآن أود أن أواصل الحديث في الموضوع الذي كنا نناقشه."

الفصل الأربعون

"إن سر الخروف الذي أمَرَكم الله أن تقدِّموه ذبيحة فصح هو في الحقيقة رمز للمسيح الذي بدمه تُمسَح منازل المؤمنين، أي ذواتهم بحسب إيمانهم به. أنتم جميعًا تعلمون أن آدم الذي هو خليقة الله كان مسَكنًا لروح الله. وأستطيع أن أبيِّن لكم أن وصية الله بالنسبة لخروف الفصح كانت بصفة مؤقتة، فالله لا يسمح بذبح خروف الفصح سوى في مكان يُذكَر فيه اسمه لأنه يعلم أنه سيأتي وقت بعد آلام المسيح فيه يأخذ أعداؤكم منكم المكان الذي كنتم تقدمون فيه خروف الفصح [أي الهيكل] في أورشليم وحينئذ تبطل جميع الذبائح. وهذا الخروف الذي أُمِرتم أن تشووه صحيحًا كان رمزا لآلام المسيح على الصليب، فإن الخروف وقت شيِّه يشبه شكل الصليب لأنه مُثبَّت بشوكة من أجزائه السفلية حتى الرأس، وبشوكة أخرى تخترق الظهر وتحمل رجليه الأمامية. هكذا أيضًا الكبشان المتطابقان[٦٥] اللذان كان عليكم تقديمهما خلال الصوم - أحدهما كان يُطلق [كبش الفداء] والآخر كبش الذبيحة - هما إعلان لمجيئي المسيح، ففي المجيء الأول أبعده كهنتكم وشيوخكم ككبش فداء وقبضوا عليه وأسلموه للموت، والمجيء الثاني لأنكم في نفس المكان بأورشليم سوف

[٦٥] لم يذكر الكتاب المقدس أن الكبشين لا بد أن يكونا متطابقين، لكن هذا الأمر كان من العادات اليهودية.

تتعرفون عليه أنه هو الذي أسلمتموه للعار فصار ذبيحة مُقدَّمة لجميع الخطاة الذين يريدون أن يتوبوا عاملين بهذا الصوم الذي قال عنه إشعيا "حل قيود الشر" (إش ٥٨ : ٦) وعاملين أيضًا بكل الوصايا الأخرى التي يلتزم بها كل مسيحي مؤمن. وأنتم تعلمون جيدًا أن تقدمة الكبشين التي كانت لا بد أن تتم خلال الصوم لا يجوز أن تُقدَّم في أي مكان خارج أورشليم."

الفصل الحادي والأربعون

وأكملت: "وأيضًا أيها السادة تقدمة الدقيق التي كان لا بد أن تقدَّم لأجل الذين طهروا من البرص كانت رمزًا لخبز الإفخارستيا الذي أمَرَنا الرب يسوع المسيح أن نُقدِّمه تذكارًا للآلام التي تحملها لأجل نفوس جميع الذين تطهَّروا من الخطية وأيضا لنشكر الله لأنه خلق العالم وكل ما فيه لأجل البشر ولأنه خلَّصَنا من الخطية التي وُلِدنا بها، ولإبطال قوى الشر بالمسيح الذي تألم بإرادته. هكذا - كما قلت قبلًا - تكلّم الله بفم ملاخي أحد الأنبياء الاثني عشر بخصوص الذبائح التي كنتم تقدِّمونها له فقال: "ليست لي مسرة بكم يقول الرب ولا أقبل ذبائحكم من أيديكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغاربها قد تعظم اسمي بين الأمم، وفي كل مكان يُقدَّم لاسمي بخورًا وذبيحة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم يقول الرب أما أنتم فقد نجستموه" (ملا ١ : ١٠ - ١٢). وبالإشارة إلى الذبائح التي نقدِّمها نحن الأمم إليه في كل مكان - أي خبز وخمر الإفخارستيا - سبق الله وأخبرنا أننا سوف نمجِّد اسمه، في حين تنجسونه أنتم. أما وصية الختان التي تأمركم بختان أبنائكم في اليوم الثامن فهي رمز للختان الحقيقي الذي به نختتن من الشر والخطية بالرب يسوع المسيح الذي قام من الأموات في اليوم الأول من الأسبوع. فهذا اليوم [أي

الأحد] بالرغم من كونه أول كل الأيام إلّا أنه يُسمَّى باليوم الثامن تبعًا لعدد أيام الدورة [أي الأسبوع] ، لكنه يظل هو اليوم الأول."

الفصل الثاني والأربعون

"إن الأجراس الاثنا عشر[٦٦] المثبتة على رداء رئيس الكهنة كانت ترمز للاثني عشر رسولا المتّكلون على قوة المسيح الكاهن إلى الأبد. فمن خلال أصوات هؤلاء [الرسل] امتلأ العالم أجمع بمجد ونعمة الله ومسيحه. وقد شهد داود لهذه الحقيقة بقوله "في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقطار المسكونة أقوالهم[٦٧]." ويتحدَّث إشعيا كما في شخص الرسل - عندما يحكون للمسيح أن الناس آمنوا ليس من خلال كلامهم بل بقوة الذي أرسلهم - ويقول: "يا رب من صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب؟ خبَّرنا قدامه كصبي وكجذر في أرض عطشى" (إش ٥٣: ١ - ٢). وعندما يقول النص الذي قيل باسم كثيرين "خبَّرنا قدامه" ويضيف "كصبي" فهذا يعني أن الخطاة سيخضعون له والكل سوف يصيرون كطفل في عينيه. ويوجد مثال لذلك في جسم الإنسان الذي مع أنه يتكوَّن من أعضاء كثيرة إلّا أنه يُدعى جسمًا واحدًا. وهكذا أيضًا بالنسبة لشعب الكنيسة فبالرغم من كونهم أفرادًا كثيرين إلّا أنهم يشكلون جسدًا واحدًا ويُدعون باسم واحد. وهكذا أيها السادة أنا أستطيع - إن عدَّدتُ لكم جميع وصايا موسى الأخرى - أن أبيِّن لكم أنه يوجد أمثال ورموز ونبوات لما كان سيحدث للمسيح ولهؤلاء الذين سيؤمنون به وكذلك لأعمال المسيح ذاته. ولكن بما أنني قد ذكرت عددًا كافيًا من الأمثلة فسأنتقل الآن إلى النقطة التالية في ترتيب حديثنا."

---

[٦٦] (خر ٢٨: ٣٣ - ٣٤) لا يذكر عدد الأجراس بالضبط، وربما كان ق. يوستينوس يقصد الأحجار الاثني عشر التي على صدر رداء رئيس الكهنة.

[٦٧] مز ١٨: ٥ س (في البيروتية مز ١٩: ٤).

الفصل الثالث والأربعون

"فكما أن الختان بدأ بإبراهيم، فهكذا أيضًا بدأت السبوت والذبائح والتقدمات والأعياد بموسى. وقد بيَّنت لكم أن شعبكم أُمر بحفظ هذه الأشياء من أجل قساوة قلوبهم. هكذا كان من الضروري بحسب إرادة الآب أن تُبطَل هذه الأمور في الابن الذي وُلِد من عذراء من نسل إبراهيم ومن سبط يهوذا ومن عائلة داود، أي في المسيح ابن الله الذي أعلنت النبوءات التي ذكرناها قبلًا أنه يأتي ليصير هو الناموس الأبدي والعهد الجديد للعالم أجمع. ونحن الذين أتينا بواسطته إلى الله لم نختتن ختانًا جسديًا بل اختتنا روحيًا كما هو الحال مع أخنوخ وأمثاله. لأنه برحمة الله نحن اختُتِنا عن طريق المعمودية لأننا كنا خطاة، وينبغي أن ينالها جميع الناس مثلنا. ولكن الموضوع الذي يجب أن نهتم به الآن هو سر ميلاد المسيح. وقد قال إشعيا النبي إن طبيعته لا يُمكِن لإنسان أن يصفها "وميلاده مَن يُخبِر به لأنه تُنزع من الأرض حياته لأجل آثام شعبي" (إش ٥٣ : ٨). وهكذا أعلن روح النبوة أن طبيعة ذلك الذي سوف يُضرَب ويموت لأجل خلاصنا نحن الخطاة لا يمكن وصفها. وأيضًا أعلن روح النبوة ذاته للمؤمنين من خلال إشعيا عن كيفية ميلاد المسيح ومجيئه إلى هذا العالم. وها هي كلمات النبوءة: "ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلًا: أُطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عمِّق طلبك أو ارفعه إلى فوق. فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب. فقال إشعيا اسمعوا يا بيت داود. هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الرب أيضًا. لذلك يعطيكم السيد نفسه آية. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل. زبدًا وعسلاً يأكل قبل أن يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير. لأنه قبل أن يَعرف الصبي الخير والشر هو يرفض الشر ليختار

الخير وتؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة أمام ملك أشور وتُخلى الأرض التي أنت خائف من ملكَيْها. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال افرايم عن يهوذا أي ملك أشور" (إش ٧: ١٠ - ١٧). وهنا يتضح أنه لم يولد أحد قط أو قيل أنه سيولد من عذراء سوى مسيحنا. وبما أنكم أنتم ومعلّميكم تقولون بإن كلمات إشعيا الحقيقية لم تكن "هوذا العذراء تحبل" بل "هوذا الشابة تحبل وتلد ابنًا" وإن هذه النبوءة تشير إلى الملك آحاز، فسأحاول أن أشرح وأبيِّن لكم أن هذه النبوءة تنطبق على ذلك الذي نعترف به أنه مسيحنا."

الفصل الرابع والأربعون

"سأحاول أن أقنعكم بكل دليل ممكن لكي أكون بريئًا تمامًا من جهتكم. ولكن إن كنتم مصرِّين على قساوة قلوبكم وضعف عقولكم أو إن رفضتم قبول الحقيقة خوفًا من الموت[٦٨] الذي ينتظر كل مسيحي فسوف يقع اللوم عليكم وحدكم. كما أنكم مخطئون إن ظننتم أنكم سوف تشتركون في ميراث البركات التي سيوزعها المسيح حسب وعد الله لمجرَّد أنكم من نسل إبراهيم بالجسد، فلا أحد يستطيع أن يشترك في هذه البركات بأي شكل من الأشكال سوى هؤلاء الذين لهم قوة إيمان إبراهيم والذين يقبلون جميع الأسرار. وأقول إن بعض الوصايا أُعطيت لعبادة الله وممارسة الفضيلة، في حين أُعطيت وصايا وتقاليد أخرى للإشارة إلى سر المسيح أو لقساوة قلوب شعبكم. ولإثبات ذلك يقول الله بفم حزقيال: "إن أرسلت وبأً على تلك الأرض وسكبت غضبي عليها ... وفي وسطها نوح ودانيال وأيوب فحي أنا يقول السيد الرب إنهم لا يخلِّصون ابنًا ولا

---

[٦٨] هذه إشارة إلى عقوبة الموت التي كانت تنتظر كل مسيحي وذلك بسبب كونه فقط مسيحيًّا.

ابنة إنما يخلِّصون أنفسهم ببرهم" (حز ١٤: ١٩، ٢٠). و يقول إشعيا النبي نفس الشيء: "ويخرجون ويرون جثث الناس العصاة لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ ويكونون رذالة لكل جسد" (إش ٦٦: ٢٤). وبما أنكم أناس قد نزعتم عن أنفسكم هذا الرجاء، فعليكم أن تعرفوا كيف تنالون غفرانًا لخطاياكم ورجاء المشاركة في البركات الموعودة. ولا يوجد طريق آخر سوى أن تعرفوا المسيح وأن تعتمدوا بالمعمودية التي تطهِّركم من الخطية كما شهد إشعيا النبي وبهذا تعيشون حياة حرَّة من الخطية."

الفصل الخامس والأربعون

وقال تريفون مقاطعًا: "على الرغم من إصرارك على عرض نقاط حديثك بحسب الترتيب الذي سبقتَ وعينته، اسمح لي أن أقاطعك هنا لأطرح عليك سؤالًا في غاية الأهمية."

قلت: "اسألني كما تشاء، ثم بعد انتهاء الأسئلة والإجابات سأواصل حديثي وأحاول تكملته."

قال: "قل لي إذن، هل الذين يعيشون وفقًا لناموس موسى سيحيون مرة أخرى مع يعقوب وأخنوخ ونوح في قيامة الأموات أم لا؟"

قلت: "يا سيدي، عندما ذكرت القول الذي جاء في سفر حزقيال بأن نوح ودانيال وأيوب إذا طلبوا لأجل [خلاص] أبنائهم أو بناتهم فلن يُعطى لهم، بل أن كل واحد سوف يخلص ببره، قلت أيضًا إن الذين يطيعون ناموس موسى سوف يخلصون أيضًا. لأن الوصايا التي في ناموس موسى هي صالحة ومقدسة وعادلة في طبيعتها، وقد كُتبت لأجل من سيطيعونها [أي المسيحيين] كما كُتبَت وصايا أخرى لسبب قساوة قلوب شعب إسرائيل، وقد عمل بهذه الوصايا مَن هم تحت الناموس. وبما أن هؤلاء الذين عملوا الأفعال الصالحة بحسب البديهة

والطبيعة والأبدية هم مُرضيّون لله فهكذا سوف يخلصون في القيامة مع أجدادهم الأبرار نوح وأخنوخ وأيوب وغيرهم ممن يؤمنون بالمسيح ابن الله الكائن قبل كوكب الصبح وقبل القمر، إلّا أنه صار جسدًا ووُلِد من العذراء التي من نسل داود لكي بذلك التدبير يهزم الحيَّة والملائكة الذين سقطوا في الخطية. وفي المجيء الثاني سيُبطِل الموت فلا يعود له قوة على الذين يؤمنون به [أي بالمسيح] ويرضونه وسوف يدان البعض ويعذبون في النار الأبدية، في حين يتحرَّر الآخرون من العذاب والفساد والحزن ويحيَون إلى الأبد."

الفصل السادس والأربعون

ثم استفسر تريفون قائلًا: "ولكن إن أراد البعض أن يعيشوا بحسب شريعة موسى مع أنهم يؤمنون بأن يسوع المصلوب هو مسيح الرب وله أعطي أن يدين كل إنسان بدون إستثناء، فهل سيخلصون أيضًا؟"

قلت: "دعنا نفحص هذا الأمر معًا لترى ما إذا كان من الممكن لأحد الآن أن ينفذ جميع ما جاء في شريعة موسى."

قال: "لا، لأننا ندرك كما قلت إنه من المستحيل أن نقدِّم خروف الفصح في أي مكان آخر، أو أن نقدِّم الماعز المطلوب للصوم أو أيَّة تقدمات أخرى."

فقلت: "إذن أرجوك أن تقل لي بعض الوصايا التي يمكن تنفيذها ومن هنا يمكن أن تقتنع بأن الإنسان حتى إذا لم يكن يمارس أو ينفذ ما تسمونه بالوصايا الأبدية فهو يستطيع بالتأكيد أن ينال الخلاص."

أجاب تريفون: "حفظ السبت وممارسة الختان والاحتفال بالشهور والاغتسال بعد لمس أي شيء حرَّمه موسى أو بعد العلاقات الجنسية."

قلت: "إذن، هل تظن أن إبراهيم وإسحق ويعقوب ونوح وأيوب وجميع أولئك الذين أتوا قبلهم أو بعدهم وكانوا أيضًا أبرارًا أمثال سارة زوجة إبراهيم ورفقة زوجة إسحق وراحيل زوجة يعقوب وليئة ونساء أخريات مثلهن حتى وقت أم موسى الخادمة الأمينة ـ وجميعهم لم يعرفوا هذه الوصايا ـ سيخلصون؟"

أجاب تريفون: "أ لم يختتن إبراهيم ونسله؟"

قلت: "أنا أعلم أن إبراهيم ونسله قد اختتنوا، ولكن كما ذكرت لك بإسهاب قبلًا السبب من وراء عرض الختان عليهم. وإن كان ما قلته لم يسبب حرجًا لك، دعنا نواصل الحديث في هذا الموضوع مرة أخرى. أنت تعلم جيدًا أن أحدًا من هؤلاء الأبرار الذين عاشوا قبل زمن موسى لم ينفذ ولم يُطلب منه أن ينفذ أيًّا من هذه الشرائع باستثناء الختان الذي بدأ مع إبراهيم."

قال: "هذا نعلمه ونعترف بأنهم نالوا الخلاص."

قلت: "وأنت تعلم أيضًا أنه بسبب غلاظة قلوبكم فرض الله عليكم هذه الوصايا من خلال موسى لكي بتنفيذها يكون الله أمام عيونكم على الدوام ولكي تمتنعوا عن كل عمل فيه ظلم أو شر، ولذا أمركم بارتداء هدب أحمر[٦٩] حتى تتذكروه على الدوام. وللغرض ذاته أمركم الله بارتداء عَصابة صغيرة[٧٠] بها رقائق منقوش عليها كلمات مقدسة. وهذه الأوامر تحثكم على تذكُّر ما يوبِّخكم به الله في قلوبكم على الدوام. وعلى الرغم من ذلك لم تهتموا بالتقوى الإلهية بل استمررتم في عبادة الأوثان. ففي أيام إيليا عندما أحصى الله الذين لم يسجدوا للبعل لم يجد سوى سبعة آلاف

[٦٩] انظر عد ١٥: ٣٨ ـ ٤١.

[٧٠] العصابة هي صندوق صغير به رقائق منقوش عليها بالعبرية هذه الآيات: خر ١٣: ١ ـ ١٦؛ تث ٦: ٤ ـ ٩؛ ١١: ١٣ ـ ٢١. وكانوا يربطون هذه العصابة على الذراع الأيسر أو الجبهة بأربطة من جلد وقت الصلاة.

شخص. وفي سفر إشعيا يوبخكم الله لأنكم قدَّمتم أطفالكم ذبائح للأوثان. أما نحن المسيحيون فنتكبَّد أقصى العقوبات لأننا نرفض تقديم الذبائح لآلهة كنا نعبدها سابقًا. ونفرح بعقوبة الموت لأننا نؤمن أنه في يوم ما سيقيمنا الله بالمسيح وسيحررنا من الفساد والألم والموت الأبدي. ونحن على يقين أن الوصايا التي فُرِضت عليكم بسبب غلاظة قلب شعبكم لن تؤدي بأي شكل من الأشكال إلى أعمال بر وتقوى."

الفصل السابع والأربعون

فقال تريفون معترضًا: "ولكن إذا عرف المرء أن ما تقوله هو حق واعترف بأن يسوع هو المسيح ويؤمن به ويطيعه ومع ذلك يريد أن يحفظ وصايا شريعة موسى، فهل سيخلص مثل هذا؟"

قلت: "في رأيي أقول إن مثل هذا الإنسان سوف يخلص ما لم يسع لإقناع الآخرين ـ أعني أهل الأمم الذين ختنهم المسيح مخلصًا إياهم من كل خطية ـ بممارسة الطقوس التي يمارسها هو معلمًا إياهم أنهم لن يخلصوا بدونها. أنت نفسك فعلت هذا في بداية مناقشتنا عندما قلت إنني لن أخلص ما لم أحفظ وصايا موسى."

قال تريفون ملحًا: "لماذا إذن قلت "في رأيي مثل هذا الإنسان سوف يَخلص"؟ فهذا يعني أنه لا بد أن يكون هناك [مسيحيون] آخرون يرون أن مثل هؤلاء [المتهوِّدون] لن يخلصوا."

قلت: "نعم، يا تريفون، هناك مسيحيون يرفضون بشدة أن يتحدثوا أو يأكلوا مع مثل هؤلاء، وأنا لا أتفق مع هؤلاء المسيحيين. ولكن إن أراد بعض المسيحيين الذين هم من أصل يهودي أن يحفظوا أكبر قدر من وصايا موسى ـ خاصة تلك الوصايا التي نعتقد أنها وُضعت بسبب قساوة قلوب شعبكم ـ وفي الوقت نفسه يضعون رجاءهم في

المسيح ويعملون أعمال البر والتقوى ويعيشون معنا نحن المسيحيين المؤمنين دون أن يحولوا إقناعنا بأن نختتن مثلهم كما قلت أو أن نحفظ السبت وغيرها من الممارسات، ففي رأيي أننا نحن المسيحيين يجب علينا أن نقبلهم ونخالطهم كأهل وإخوة. ولكن، يا تريفون، إن اعترف أحد منكم بإيمانه بالمسيح وفي الوقت نفسه أجبر المسيحيين من الأمم على أن يحفظوا ناموس موسى أو رفض أن يختلط بهم فأنا بالتأكيد لا أوافق على مثل هذا. وإنني أظن أن هؤلاء الأممين الذين أُجبروا على حفظ الناموس اليهودي مع أنهم يعلنون إيمانهم بمسيح الله سوف يخلصون على الأرجح. أما الذين آمنوا واعترفوا علانية أن يسوع هو المسيح ثم لسبب ما أنكروا الإيمان وتحولوا إلى ناموس موسى فهؤلاء لا يمكن أن يخلصوا ما لم يتوبوا قبل أن يموتوا. كذلك مَن هم مِن نسل إبراهيم ويحفظون الناموس ويرفضون الإيمان بالمسيح إلى النفس الأخير، فهؤلاء لن يخلصوا خاصةً الذين منهم قد لعنوا ولا زالوا يلعنون في مجامعهم مَن آمنوا بالمسيح لكي ينالوا الخلاص ويهربوا من عقاب النار. إن صلاح الله ورحمته وغناه الذي لا يُحَد يعتبر أن الخاطي الذي يتوب قد صار باراً وبريئاً، كما أعلن من خلال حزقيال النبي[٧١]. أما مَن يحيد عن طريق البر والتقوى ليسير في طريق الظلم وعدم التقوى فيعتبره الله من الخطاة الظالمين الأشرار. ولذلك يحذرنا ربنا يسوع المسيح بقوله: "الحال التي آخذكم فيها سأحاسبكم عليها[٧٢]." "

---

[٧١] انظر حز ٣٣: ١١ - ٢٠.

[٧٢] هذه الكلمات ليست موجودة في العهد الجديد وقد استخدمها القديس كليمندس السكندري في كتاب (Quis dives salvetur) ويعتقد البعض أنها مُقتبسَة من أحد أناجيل الأبوكريفا مثل إنجيل العبرانيين. وربما كانت هذه الجملة أحد أقوال المسيح التي تم نقلها من خلال التقليد الشفاهي.

الفصل الثامن والأربعون

أجاب تريفون مقاطعًا: "لقد سمعنا رأيك في هذه الأمور، والآن أكمل كلامك من حيث توقفت، لأنه يبدو لي أن الكلام لا يُعقَل على الإطلاق، بل ويفتقر تمامًا إلى دليل. إن قولك بأن هذا المسيح هو الله الكائن قبل كل الدهور الذي ارتضى أن يولد ويصير إنسانًا مع أنه ليس من أصل بشري لا يبدو مجرد كلام متناقض بل منافٍ للطبيعة والعقل أيضًا."

قلت: "إننى أدرك أن قولي هذا لا بد أن يبدو متناقضًا عندكم أنتم معشر اليهود، لأنكم لا تهتمون قط بمعرفة الله أو عمل ما يرضيه، بل تهتمون فقط بأمور معلميكم كما يشهد الله نفسه عليكم. ولكن، يا تريفون، كون هذا الرجل مسيح الله فهذا أمر لا يمكن إنكاره، حتى لو لم أستطع أن أثبت أنه وهو الله، كان كائنًا كابن لخالق الكون، وقد صار إنسانًا عن طريق عذراء. وبما أنني قد أثبت أنه هو مسيح الله بلا أدنى شك وسيظل هو هكذا حتى وإن لم أستطع إثبات أنه كائن قبل كل الدهور وقد رضي أن يصير إنسانًا له جسد ومشاعر مثلنا بحسب مشيئة الآب، ففي هذه النقطة فقط تقدر أن تقول بحق إنني مخطئ. ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنه هو المسيح حتى وإن كان ظاهريًا من أصل بشري لأنه صار مسيحًا باختيار الآب. وهناك أيها الأصدقاء بعض الناس من بني جنسكم[٧٣] يعترفون بأن يسوع هو المسيح ولكنهم يدَّعون أنه من أصل بشري خالص. وإنني أختلف بالطبع مع هؤلاء الأشخاص ولن أتفق معهم حتى وإن كان غالبية من يتفقون معي في آرائي يقولون بهذا،

[٧٣] في الأغلب يقصد ق. يوستينوس الإبيونيين (وهي كلمة عبرية تعني الفقراء) وقد كانوا يؤمنون بأن يسوع هو المسيح لكنه إنسان عادي وليس إلهًا وقد دُعيوا بذلك الاسم إشارة إلى فقر معتقدهم في الله.

لأن المسيح ذاته قال لنا ألَّا نتبع تعاليم الناس بل فقط تعاليم الأنبياء القديسين وتعاليمه هو."

الفصل التاسع والأربعون

قال تريفون: "يبدو لي أن الذين يقولون إنه مِن أصل بشري قد مُسح بالاختيار [ليكون المسيح] يقدِّمون عقيدة أكثر قبولاً من عقيدتكم. ونحن اليهود نتوقع أن المسيح سوف يكون إنسانًا من أصل بشري فقط، وأن إيليا سوف يأتي ليمسحه. وإذا كان هذا الرجل هو المسيح فلا بد أن يكون من نسل بشري، ولكن بما أن إيليا لم يأتِ بعد، فلا بد أن أؤكد أن هذا الرجل ليس هو المسيح."

فسألته: "أ لم يذكر سفر زكريا[٧٤] أن إيليا سوف يأتي قبل يوم الرب العظيم والمخوف؟"

قال: "بكل تأكيد."

قلت: "إذن الكتاب يأمركم بالاعتراف بمجيئين للمسيح حسب النبوءات في المجيء الأول يكون متألما وبلا كرامة ولا جمال، وفي المجيء الثاني يعود في مجده ليدين جميع الناس كما أثبتُّ لكم بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس، ومن هنا ألَّا يجب أن نفهم أن كلمة الله تخبرنا عن مجيء إيليا كسابق لليوم العظيم والمخوف، أي يوم مجيئه الثاني؟"

قال: "بالتأكيد."

قلت: "لقد علَّمنا الرب نفسه هكذا أن إيليا سوف يأتي ونحن نعلم أن هذا سيحدث عندما يوشك الرب يسوع المسيح على المجيء من السماء في مجده، وقد سكن روح الله الذي كان في إيليا في شخص يوحنا النبي الذي مِن جنسكم الذي لم يظهر بعده أي نبي

---

[٧٤] ليس زكريا بل ملاخي ٤: ٥.

بينكم والذي جاء كسابق في وقت المجيء الأول للسيد المسيح. وقد صرَّح يوحنا وهو جالس عند نهر الأردن: "أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ[٧٥]".
وقد حبس ملككم هيرودس يوحنا النبي، وفي حفلة عيد ميلاده سر الملك برقص ابنة أخيه، حتى إنه وعدها بإعطائها كل ما تريد. وبتحريض من أمها طلبت الشابة رأس يوحنا السجين. وعلى ذلك أمر هيرودس بإحضار رأس يوحنا على طبق. فماذا قال المسيح، الذي كان على الأرض في ذلك الوقت، ردًّا على القائلين بأن إيليا لا بد أن يأتي قبل ظهور المسيح، قال: "إن إيليا يأتي أولا ويرد كل شيء. ولكني أقول لكم ان إيليا قد أتى ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا" (مت ١٧ : ١١ - ١٢). ثم يضيف الإنجيل "حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (مت ٧ : ١٣)."

قال تريفون: "يبدو لي أن كلامك متناقض هنا أيضًا، أي عندما تقول إن روح النبوَّة الذي كان في إيليا كان في يوحنا أيضًا."

قلت: "أ لا تعترف أن الشيء ذاته حدث في حالة يشوع بن نون الذي خَلَفَ موسى في قيادة الشعب؟ فعندما أمر الله موسى أن يضع يده على يشوع قال الله نفسه: "وأنا أجعل من روحك عليه[٧٦]"."

قال تريفون: "أعترف بذلك."

قلت: "إذن، كما أن الله أخذ مِن الروح الذي كان في موسى عندما كان بين الناس ونقله إلى يشوع، فهكذا هو يستطيع أن ينقل مِن الروح الذي كان في إيليا إلى يوحنا. حتى إنه كما أن المسيح

---

[٧٥] مت ٣: ١١ - ١٢ ؛ لو ٣: ١٦ - ١٧.

[٧٦] ربما يكون ق. يوستينوس قد خَلَط بين قصة اختيار الشيوخ السبعين في (عد ١١: ١٧) وبين اختيار يشوع في (عد ٢٧: ١٨) وفي (تث ٣٤: ٩).

أخلى ذاته من المجد في مجيئه الأول، هكذا أيضًا ظهر إيليا في مجيئه الأول بغير مجدٍ وهو الذي فيه كان الروح طاهرًا[٧٧]. ويُقال إن الرب سيحارب عماليق بيد خفية، وعليكم الإعتراف بأن عماليق قد سقط. ولكن إن كانت الحرب سوف تشن ضد عماليق عند المجيء الثاني للمسيح في مجده فكيف يتوافق هذا مع كلام الكتاب "الله يحارب عماليق بيد خفية"[٧٨]؟ أنتم ترون إذن أن قوة الله الخفية كانت في المسيح المصلوب الذي أمامه ترتعد الشياطين وكل القوات والسلطات على الأرض."

الفصل الخمسون

قال تريفون: "يبدو أنك تناقشت مع أشخاص كثيرين في جميع الموضوعات وبالتالي فأنت على استعداد لإجابة أي سؤال من أسئلتي. قُل لي أولًا، كيف تقدر أن تثبت أنه يوجد إله آخر إلى جانب خالق العالم وأنه تنازل ليُولَد من عذراء؟"

قلت: "اسمح لي أولًا أن أذكر بعض النصوص من سفر إشعيا عن يوحنا المعمدان الذي كان أيضا نبيًّا والذي كان المُبشِر بربنا يسوع المسيح."

قال: "تفضل."

قلت: "ها هي نبوءات إشعيا عن يوحنا كسابق للمسيح: "فقال حزقيا لإشعيا جيد هو قول الرب الذي تكلمتَ به، فإنه يكون سلام وأمان في أيامي. عزوا شعبي. أيها الكهنة طيِّبوا قلب أورشليم وعزوها فإن اتضاعها قد كثر. إن خطيتها قد عُفي عنها فإنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخٍ في البرية أعدوا طرق

---

[٧٧] المقصود أن شخص إيليا لم ينقسم عندما انتقل الروح القدس الذي كان حالًّا فيه إلى يوحنا.
[٧٨] خر ١٧: ١٦.

الرب. اجعلوا طرق إلهنا مستقيمة. كل وِطء يرتفع وكل جبل وأكمة تنخفض ويصير كل معوج مستقيمًا والعراقيب طرقًا سهلة فيُرى مجد الرب ويرى كل جسد خلاص الله لأن فم الرب تكلَّم، صوتٌ قائل نادِ. فقلتُ بماذا أنادي؟ كل جسد عشب وكل مجد الإنسان كزهر عشب. يبس العشب وسقط زهره أما كلمة الرب فتبقى إلى الدهر. اصعد على جبل عال يا مبشر صهيون. ارفع صوتك بقوة يا مبشر أورشليم. ارفعوا لا تخافوا. قولوا لمدن يهوذا هوذا إلهكم. هوذا الرب يأتي بقوة وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعمله قدامه. كراعٍ يرعى قطيعه ويجمع الحملان بذراعه ويعزِّي الحبالى منها. مَن قاس المياه بكفه وقاس السماوات بالشبر وكال تراب الأرض كلها بقبضته ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان؟ مَن عَلِم فكر الرب ومن صار له مشيرًا فأفهمه أو مع مَن تشاور فأفهمه أو من أرشده إلى الحق أو عرَّفه سبيل الفهم؟ كل الأمم حُسِبَت كنقطة من دلو وكغبار الميزان وتُحسَب كبصاق. أما لبنان فليس كافيًا للإيقاد والحيوانات ليست كافية لمحرقة وكل الأمم كلا شيء وقد حُسِبَت كلا شيء" (إش ٣٩: ٨؛ ٤٠: ١ - ١٧)."

الفصل الحادي والخمسون

وبعد أن انتهيت من الكلام قال تريفون: "يا صديقي، إن كلمات هذه النبوءة غير واضحة وهي بالتأكيد لا تثبت ما تريد أن تثبته."

قلت: "لو أن الأنبياء، يا تريفون، استمروا في الظهور عندكم بعد يوحنا، لكنتم بلا شك اعتبرتم كلامي عن المسيح غير واضح. ولكن يوحنا جاء كسابق للمسيح يحث الناس على التوبة، ثم جاء المسيح وأتم نبوءة يوحنا ومعموديته بنهر الأردن وبشر هو بذاته بالإنجيل وأكد أن ملكوت السماوات قد اقترب وأنه لا بد أن يتألم كثيرا

على يد الكتبة والفريسيين وأن يُصلَب ويقوم في اليوم الثالث، ويظهر في أورشليم ويأكل ويشرب مع تلاميذه؛ وقد تنبأ المسيح بأن أنبياء كذبة وهراطقة سوف يأتون باسمه قبل مجيئه الثاني . وقد تحقق هذا بالفعل . فكيف تتحدثون عن عدم الوضوح في حين أن الحقائق تتحدث عن نفسها؟ وقد ذكر المسيح أيضًا أنه لن يكون أنبياء بعد بين شعبكم وأن الناس سيعترفون بأن العهد الجديد الذي وعد به الله منذ القديم صار أمرًا واقعًا، أي أن المسيح ذاته هو ذلك العهد الجديد. وها هي كلماته: "الناموس والأنبياء كانوا حتى أيام يوحنا المعمدان ومنذ ذلك الوقت ملكوت السماوات يغصب والغاصبون يختطفونه وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. من له أذنان للسمع فليسمع" (مت ١١: ١٢ - ١٥ ؛ لو ١٦: ١٦) "

الفصل الثاني والخمسون

وواصلت حديثي قائلًا: "أبونا يعقوب أيضًا تنبأ بأنه سيكون هناك مجيئان للمسيح، وأنه في المجيء الأول سيتعرض للآلام وبعد ذلك لن يكون لشعبكم نبي أو ملك، وأن الأمم الذين يؤمنون بآلام المسيح سوف ينتظرون مجيئه الثاني. ولذا تكلَّم الروح القدس عن هذه الأمور بطريقة غير معلنة بأمثال عندما قال: "يهوذا إياك حَمدَ إخوتك. يداك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا شبل أسد. من فريسة صعدتَ يا ابني. جثا وربض كأسد وكلبؤة، من ينهضه؟ لا يزول رئيس من يهوذا ولا مدبِّر من بين فخذيه حتى يأتي ما ذُخِّرَ له. وهو يصير رجاء الشعوب، رابطًا بالكرمة جحشه وبالتينة ابن أتانه غاسلًا بالخمر رداءه وبدم العنقود ثوبه. عيناه مبتهجتان من الخمر وأسنانه بيضاء كاللبن" (تك ٤٩: ٨ - ١٢) وأنتم لا تجسرون أن تقولوا ولا تقدرون أن تثبتوا أن شعبكم كف عن أن يكون له نبي

أو ملك منذ بدايته وحتى ميلاد وآلام يسوع المسيح. ومع أنكم تدَّعون أن هيرودس الذي بعد ملكه تألم المسيح كان من اشقلون - أي أنه لم يكن يهوديًّا - لكنكم تعترفون أنه كان لكم رئيس كهنة من شعبكم يقدم ذبائح ويحفظ شعائر ناموس موسى. وبما أنه كان لكم تسلسل متواصل من الأنبياء حتى يوحنا - حتى في أيام سبي بابل حين دمرت أراضيكم بسبب الحرب وحُمِلت أوانيكم المقدسة بعيدًا عنكم - لم يكن هناك وقت لم يقم بينكم نبي يحكم ويقود الشعب. وحتى ملوككم كان يمسحهم الروح الذي في هؤلاء الأنبياء. ولكن منذ مجيء وموت يسوع المسيح في وسطكم، لم يكن لكم نبي، وليس لكم الآن. وأيضًا ليس لكم ملك وأرضكم صارت خرابًا مهجورة "كمظلة في كَرْم" (اش ١ : ٨). وكلمات يعقوب أنه "هو يكون رجاء الأمم" (تك ٤٩ : ١٠) تشير رمزيًّا إلى مجيئَي المسيح وإيمان الأمم به، وهو ما تحقق بالفعل، لأننا نحن المسيحيين من جميع الأمم قد صرنا أتقياء بإيماننا بالمسيح ونتطلع إلي مجيئه الثاني."

الفصل الثالث والخمسون

"إن عبارة "رابطًا بالكرمة جحشه وبالتينة ابن أتانه" (تك ٤٩ : ١١) هي نبوءة عن الأعمال التي عملها المسيح في مجيئه الأول وإيمان الأمم به. لأن الأمم مثل الأتان التي لم تُشد عليها عدة ولا وُضِع على عنقها نير إلى أن جاء المسيح وأرسل تلاميذه ليعلِّموا الأمم الإيمان. وهؤلاء [الأمم] حملوا نير الكلمة وأحنوا ظهورهم لاحتمال الصعاب لأنهم نظروا إلى المكافأة التي لا تقدر بثمن التي وعدهم الله بها. وعندما كان ربنا يسوع المسيح مزمعًا أن يدخل أورشليم أمر تلاميذه أن يُحضروا له أتانًا وجحشًا ابن أتان وكانا كلاهما مربوطين في

باب في مدخل قرية اسمها بيت فاجي، وركب على الجحش عند دخوله أورشليم، وهو ما قالت النبوءة إن المسيح سيفعله، وبما أن يسوع قد أتم هذا فقد قدم برهانًا واضحًا أنه هو المسيح. وعلى الرغم من حدوث كل هذه الأشياء والتي سبق أن أنبأتكم بها الكتب المقدسة، إلا أنكم ما زلتم تصرون على رفض الإيمان. إن زكريا أحد الأنبياء الاثني عشر تنبأ عن هذا الحدث عندما قال: "ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون. اهتفي وبشّري، يا ابنة أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو بار ومُخلّص ومتواضع وراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان" (زك ٩: ٩) وقد كان ما ذكره روح النبوّة وأيضًا أبونا يعقوب عن الأتان وابن الأتان وأن المسيح سيستخدم كليهما. وأيضًا طلب المسيح من تلاميذه أن يُحضِروا إليه الاثنين معًا كما ذكرتُ. كل هذا كان إشارة إلى أن المزمعين أن يؤمنوا به سيكونون مِن اليهود ومِن الأمم معًا. فكما أن ابن الأتان الذي لم يركبه أحد كان رمزًا للأمم، فهكذا كانت الأتان التي اعتادت حمل النير رمزًا للمزمعين أن يؤمنوا من شعبكم، لأن لديكم الناموس الذي وضعه عليكم الأنبياء مثل النير. وقد تنبأ زكريا النبي بأن المسيح سوف يُضرَب وأن تلاميذه سوف يتفرقون وهذا قد حدث بالفعل. لأن بعد صلبه تفرق تلاميذه حتى قام من بين الأموات وأثبت لهم أنه كان لا بد له أن يتألم. وعندما اقتنعوا بذلك خرجوا إلى العالم كله يبشرون بهذه الأمور[٧٩]. وهكذا نحن ثابتون في إيماننا به وبتعاليمه، لأن إيماننا قائم على أساس الأنبياء والرسل الذين عبدوا الله علانية في كل العالم بإسم المصلوب. وقد قال زكريا النبي: "استيقظ أيها السيف على راعيَّ وعلى رجل شعبي يقول رب الجنود. اضرب الراعي فتتفرق خرافه" (زك ١٣: ٧).

---

[٧٩] انظر مر ١٦: ٢٠.

الفصل الرابع والخمسون

"إن كلمات يعقوب النبوية التي سجلها موسى "يغسل بالخمر رداءه وبدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩ : ١١) تشير إلى أنه سيغسل بدمه كل الذين يؤمنون به. لأن الروح القدس يدعو الذين غفر المسيح خطاياهم "ثوبه"، فهو حاضر بينهم على الدوام بقوته ويحضر معهم بشخصه في مجيئه الثاني. وعبارة "دم العنقود" تشير مجازيًا إلى أن دم المسيح ليس من زرع بشر بل مِن قوَّة الله. فكما أن الله وليس الإنسان هو الذي صنع دم الكرمة فهكذا تنبأ [الكتاب] أن دم المسيح لن يكون من زرع بشر بل من قوة الله. إن هذه النبوءة التي ذكرتها أيها السادة تثبت أن المسيح ليس إنسانًا [عاديًا] من نسل بشري وليس مولودًا بالطريقة البشرية المعتادة."

الفصل الخامس والخمسون

قال تريفون: "سنتذكَّر تفسيرك هذا إذا استطعت أن تثبت كلامك بإثباتات أخرى. أما الآن فلنعُد إلى موضوعنا الأصلي لتثبت لنا ما إذا كان روح النبوة قد قال في أي وقت بوجود إله آخر إلى جانب الله خالق جميع الأشياء. واحذر من أن تذكر الشمس والقمر التي تقول لنا الكتب أن الله ترك الأمم يعبدوها كآلهة[٨٠]. وكثيرًا ما استخدم الأنبياء هذه الطريقة في السرد مثلما قيل: "الرب إلهك هو إله الآلهة و رب الأرباب" وكثيرًا ما كانوا يضيفون "العظيم والجبار والمهوب"[٨١]. فإن استخدام هذا التعبير لا يعني أنه حقًا توجد آلهة أخرى بل أن الإله الحقيقي خالق الكل هو وحده رب كل الذين يُعتبَرون

[٨٠] ربما يقوم اليهود بتفسير هذه الآية (تث ٤: ١٩) بهذه الطريقة، ولكن ق. يوستينوس يثبت من خلال كلمات الأنبياء أن الله وحده هو من تجب عبادته.
[٨١] تث ١٠: ١٧.

خطأً آلهة أو أربابًا. ولكي يقنعنا الروح القدس بهذا يقول بفم داود إن "آلهة الأمم أصنام شياطين"[٨٢] وليست آلهة، كما أنه يلعن هؤلاء الذين يصنعون أو يعبدون هذه الأصنام."

قلت: "يا تريفون، هذه ليست الإثباتات التي كنت سأقدِّمها لأنني أعلم أن مَن يعبدون هذه الأشياء يدانون بعدل، ولكنني مستعد أن أقدم براهين لا يمكن لأحد أن ينقاضها، وقد تبدو غير مألوفة لكم رغم أنكم تقرأونها كل يوم. ولذا نحن نفهم أن الله - بسبب خطاياكم - أخفى عنكم القدرة على فهم الحكمة في كلامه ما عدا قلة منكم حفظهم بعظيم رحمته بذرةً للخلاص كما قال إشعيا لئلا يهلك شعبكم تمامًا مِن هذه الأرض كما كان الحال مع شعب سدوم وعمورة. استمعوا إذن لهذه النصوص الكتابية التي لا تحتاج إلى تفسير بل فقط إلى استماع."

الفصل السادس والخمسون

"يقول لنا موسى خادم الله الأمين والمبارك إن مَن ظهر لإبراهيم عند بلوطات ممرا هو الله الذي أُرسِل بصحبة ملاكين ليدين سدوم من قِبل آخر، [وهذا الآخر] هو مَن يسكن في سماء السماوات والذي لم يره ولم يتحدث معه إنسان قط والذي ندعوه الآب خالق الكل. وها هي ذي كلمات موسى: "وظهر له الله عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت الظُهر. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال ..."[٨٣] إلى أن تصل لهذه الكلمات: "وبكَّر إبراهيم في الغد إلى

---

[٨٢] انظر مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥) وكلمة δαίμων التي كان اليونانيون يقصدون بها إلهًا أو وثنًا كان المسيحيون يقصدون بها شيطانًا وكان هذا يتفق مع الفكر السائد بأن الأوثان تسكنها شياطين.

[٨٣] تك ١٨: ١ - ٢.

المكان الذي وقف فيه أمام الرب وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر وإذا دخان يصعد مِن الأرض كدخان الأتون"[٨٤]".

وهنا سألتهم إذا كانوا قد فهموا هذا النص فأجابوا أنهم يعرفون معنى الكلام ولكن لا يجدون فيه ما يثبت أنه يوجد إلى جانب خالق العالم أي إله أو رب آخر يذكره الروح القدس.

قلت: "إذن بما أنكم تفهمون هذه النصوص من الكتاب المقدس، سأحاول إثبات ما أقوله، أي أنه يوجد إله و رب آخر تحت الله خالق كل الأشياء[٨٥] كما هو مذكور في الكتاب المقدس، وهو يُسمَّى أيضًا ملاكًا[٨٦] لأنه يعلن للإنسان كل ما يريد خالق الكل - الذي لا يوجد إله آخر فوقه - أن يعلنه لهم."

وبعد أن أعدت ذكر النصوص السابقة سألت تريفون ما إذا كان يؤمن أن الله ظهر لإبراهيم تحت بلوطات ممرا كما يقول الكتاب.

قال: "نعم، بالتأكيد."

قلت: "هل كان هو أحد الثلاثة الذين يقول روح النبوة إن إبراهيم رآهم كرجال؟"

قال تريفون: "لا، بل الله ظهر له قبل أن يرى ثلاثة الرجال. وهؤلاء الثلاثة الذين يقول عنهم الكتاب رجالاً هم ملائكة. وكان الله قد كلف اثنين منهم لإهلاك سدوم في حين أرسل الثالث لإبلاغ سارة بأنه سيكون لها ابن وقد انصرف بعد انتهاء مهمته."

قلت: "كيف تفسِّر إذن قول واحد من الثلاثة، الذي كان في

---

[٨٤] تك ١٩: ٢٧ - ٢٨.

[٨٥] تعبير "إله آخر" هنا، ليس المقصود به وجود إلهين، بل الحديث عن أقنوم الكلمة وتعبير "تحت الله خالق كل الأشياء" إنما يعني "الذي به خلق الآب كل شيء". والجدير بالذكر أن هذه تعبيرات هي تعبيرات بدائية عن عقيدة الثالوث التي عبَّرت عنها الكنيسة فيما بعد بتعبيرات أدق وأوضح.

[٨٦] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣، حاشية ١٧٢.

الخيمة، "إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة إمرأتك ابن[٨٧]" وأنه رجع بالفعل بعد أن ولدت سارة ابنًا؟ أ لم تؤكد النبوءة أنه الله؟ ولاستبيان حقيقة كلامي بشكل أوضح، استمع لكلمات موسى الواضحة: "ورأت سارة ابن هاجر الجارية المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح مع اسحق ابنها فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جدًا في عين إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينك من أجل الغلام والجارية، فاسمع لسارة في كل ما قالته لك، لأنه بإسحق يدعى لك نسل"[٨٨]. أ لا ترى إذن أن الذي وعد تحت البلَوطة أنه سيعود قد عاد بالفعل حسب الكتب لأنه كان يعلَم أن إبراهيم سيحتاج إلى مشورة ليفعل ما تريده سارة، وأنه هو الله كما تشير هذه الكلمات: "فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام والجارية"؟ (تك ٢١ : ١٢)"

قال تريفون: "هذا صحيح، ولكنك لم تثبت بعد أنه يوجد إله إلى جانب الله[٨٩] الذي ظهر لإبراهيم والآخرين من البطاركة والأنبياء. كل ما أثبتَّه هو أننا كنا مخطئين في قولنا أن الثلاثة الذين كانوا في الخيمة مع إبراهيم هم جميعًا ملائكة."

قلت: "إذا كنت لم أستطِع أن أثبت لكم من الكتاب المقدس أن أحد هؤلاء الثلاثة هو الله وهو أيضًا يُدعى ملاكًا - أي مُعلِن لأنه قد أعلن ما أراد خالق الكل أن يعلنه كما سبق أن قلت - وأن هذا الذي ظهر لإبراهيم على الأرض في شكل رجُل مع الملاكين هو بالحقيقة

---

[٨٧] تك ١٨: ١٠.

[٨٨] تك ٢١: ٩ - ١٢.

[٨٩] رد تريفون هنا يُظهِر أن مفهوم الثالوث وتمايز الأقانيم لم يكونا واضحين بالنسبة للعقلية اليهودية التي يعبِّر عنها تريفون، رغم الإعلانات الواضحة عن هذه العقيدة في نصوص كثيرة من العهد القديم. راجع أيضًا عب ١: ١، ٢.

الله الكائن قبل كل الخليقة، هل من المنطق أن تتمسكوا بما يعتقده عامة شعبكم؟"

قال: "بلا شك، لأن هذا هو إيماننا حتى الآن."

قلت: "دعنا نعود إلى الكتاب المقدس، وسأحاول إقناعك أن الذي قيل إنه ظهر لإبراهيم ويعقوب وموسى ويُدعى إلهًا، هو يتمايز عن الله خالق الكل، وذلك من جهة العدد وليس من جهة الإرادة. وإنني أقرُّ أنه لم يفعل شيئًا أو يقول شيئًا قط بخلاف ما يريد أن يفعله أو يقوله خالق الكون الذي لا يعلو عليه أي إله آخر."

قال تريفون: "أثبِتْ لي أنه موجود حتى نتفق معًا على هذا لأنك تنفي أنه يفعل أو يقول شيئًا مخالفًا لإرادة خالق الكل."

قلت: "النصوص الكتابية التي ذكرتها ستوضح لك هذا. ها هي ذي الكلمات: "وأشرقت الشمس على الأرض ودخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا مِن عند الرب مِن السماء وقلَبَ تلك المدن وكل الدائرة" (تك ١٩ : ٢٣ - ٢٥)."

وتكلَّم الصديق الرابع لتريفون وهو الذي ظل معه قائلًا: "لا بد إذن من الاعتراف بأن أحد الملاكين اللذين نزلا إلى سدوم، والذي يسميه موسى في الكتاب ربًّا، يختلف عن الأول - الذي هو الله - الذي ظهر لإبراهيم."

قلت: "علينا أن نعترف بأنه بالإضافة إلى خالق الكل يوجد آخر يسميه الروح القدس ربًّا، ليس بسبب هذا النص فقط. وليس لأن هذا هو ما شهد به موسى فقط، بل أيضًا داود عندما قال: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك"[٩٠] وفي موضع آخر يقول: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلْكِك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله

[٩٠] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك"[٩١]. أجيبوني هل الروح القدس في رأيكم يدعو إلهًا وربًّا غير الآب ومسيحه، فقد أخذت على عاتقي أن أثبت لكم من الكتب المقدسة نفسها أن المدعو ربًّا ليس أحد الملاكَيْن اللذين نزلا إلى سدوم بل ذاك الذي رافقهم والذي دُعي إلهًا وتراءى لإبراهيم."

قال تريفون: "أسرعِ وقدِّم الإثبات إذن لأن الوقت قد مضى كما ترى ونحن لسنا مستعدين لإعطاء إجابات متسرعة لأننا لم نسمع أحدًا قط يبحث ويستقصي ويشرح هذه الأمور. وفي الواقع لم نكن لنسمع لك حتى الآن لو لم تكن على الدوام تأتي بشواهد من الكتاب المقدس لإثبات وجهه نظرك ولو لم تقل إنه لا يوجد إله يعلو على خالق العالم."

قلت: "أنتم بالتأكيد تعرفون أن الكتاب يقول: "فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في هذا الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن" (تك ١٨: ١٣ - ١٤). ونقرأ بعد قليل: "ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وعمورة وكان إبراهيم ماشيًا معهم ليشيعهم. فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم عبدي ما أنا فاعله؟" (تك ١٨: ١٦ - ١٧) وأيضًا: "قال الرب صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدًّا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إليَّ أم لا كي أعلَم. وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما إبراهيم فكان واقفًا أمام الرب. فاقترب إبراهيم وقال أ فتهلك البار مع الأثيم؟" (تك ١٨: ٢٠ - ٢٣). (إلى آخر هذه الآيات، فأنا لا أرى أنه من الضروري أن أكرر الكلام الذي كتبته قبلًا بل سأذكر فقط الإثباتات المهمة التي قلتها لتريفون وأصدقائه).

---

[٩١] مز ٤٤: ٧ - ٨ (في البيروتية مز ٤٥: ٦ - ٧).

ثم وصلت إلى الكلمات التالية من الكتاب المقدس: "وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه. فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالسًا عند باب سدوم" (تك ١٨: ٣٣ ؛ ١٩: ١). وما يلي ذلك حتى: "فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب" (تك ١٩: ١٠) وما يليها حتى: "أمسك الرَّجُلان بيده وبيد امرأته وبأيدي ابنتيه لشفقة الرب عليه. وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنهم قالوا نجِّ، نجِّ نفسك. لا تلتفت إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك. فقال لهما لوط: أرجوك، يا سيد، هوذا عبدك وجد نعمة في عينك وعظَّمتَ لطفك الذي صنعت إليَّ باستحياء نفسي. أمَّا أنا فلا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعل شرًّا يدركني فأموت. هوذا المدينة الصغيرة هذه قريبة للهرب إليها، أهربُ إلى هناك فإنها صغيرة فتحيا نفسي. فقال له إنني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضًا أن لا أقلب المدينة التي تكلمتَ عنها أسرع وأهرب إلى هناك لأنني لن أستطيع أن أفعل شيئًا حتى تدخل إلى هناك. لذلك دُعيَ اسم المدينة صوغر. وإذ أشرقت الشمس دخل لوط إلى صوغر فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء. وقلَبَ تلك المدن وكل الدائرة" (تك ١٩: ١٦ - ٢٦)."

حينئذ سألتهم: "أ لا ترون، يا أصدقائي، أن واحدًا من الثلاثة هو إله و رب وسفير لمن هو في السماء وهو رب الملاكين؟ لأنهما عندما ذهبا إلى سدوم، مكث هو [الرب] ليتحدث مع إبراهيم كما ذكر موسى. ثم انصرف بعد أن فرغ من الحديث ورجع إبراهيم إلى مكانه. وعندما جاء إلى سدوم لم يكن هناك الملاكان بل الرب هو الذي تكلَّم مع لوط كما يتضح من نص الكتاب. إنه هو بالفعل الرب الذي كُلِّف من الرب الذي في السماء - أي الله خالق الكل - بإنزال

هذه العقوبة على سدوم وعمورة كما يقول الكتاب: "أمطر الرب على سدوم وعموره كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩ : ٢٤).”

الفصل السابع والخمسون

وبعد أن انتهيت مِن الكلام اعترف تريفون قائلا: ”الكتاب المقدس يضطرنا لأن نتفق معك، ولكنك لا بد أن تبرر حيرتنا إزاء القول بأن الرب أكل الطعام الذي أعده وقدمه له إبراهيم.“

قلت: ”إنه مكتوب بالفعل أنهم أكلوا. ولكن قيل إن الثلاثة أكلوا وليس الاثنين فقط اللذين كانا ملاكين وطعامهم في السماء ليس الطعام نفسه الذي يأكله البشر، لأن الكتاب يقول عن المن الذي أكلَه آباؤكم في البرية أنهم "أكلوا طعام الملائكة"[٩٢]، وعندما يؤكد الكتاب أنهم أكلوا فإننا نفهم هذا التعبير كما نفهم القول بأن النيران تلتهم كل شيء لا بمعنى أنهم أكلوا بمضغ الطعام بالأسنان والفك. ولذا لا يوجد ما يُحيِّر إذا كانت لنا معرفة ـ ولو قليلة ـ باستخدام أساليب التعبير المجازي.“

قال تريفون: ”إن تفسيرك لطريقة الأكل قد يحل اللغز بشأن ضيوف إبراهيم الذين قيل إنهم أكلوا الطعام المُقدَّم لهم. والآن واصل حديثك لإثبات أن الله هذا الذي ظهر لإبراهيم، والذي هو في خدمة خالق الكون، قد وُلِد من عذراء وصار إنسانًا ـ كما تدَّعي ـ وتألَّم مثل البشر.“

قلت: ”قبل أن أقدم الدليل الذي تريدونه، اسمحوا لى أن أذكر شواهد أخرى عن موضوع مناقشتنا لعلكم تقتنعون.“

قال: ”تفضَّل، فهذا يروق لي.“

[٩٢] انظر مز ٧٧: ٢٥ (في البيروتية مز ٧٨: ٢٥)

الفصل الثامن والخمسون

قلت: "أود أن أورد لكم نصوصًا من الكتاب المقدس لتعضيد ما أقول حتى وإن كنت غير حاذق في الحديث لأنني أفتقر لهذه المهارة ولكنني قد أُعطيتُ هذه النعمة من الله أن أفهم كتابه المقدس وأنا أدعو كل واحد ليشارك فيها بوفرة وبلا حدود لئلا أُحاسَب في يوم الدينونة الذي سوف يقيمه الله خالق الكل بربي يسوع المسيح."

قال تريفون: "بعملك هذا أنت تظهر تقوى حقيقية نحو الله. ولكن عندما تقول إنك ليس عندك موهبة في فن الجدال فأنا أظن أنك تتظاهر فقط بعدم المعرفة."

قلت: "إذا كان هذا ما تظن فليكن مع أنني أظن أنني تكلمت بالصدق. لكن انتبهوا لما أقول حتى أعرض لكم بقية الإثباتات."

قال: "تفضَّل."

قلت: "يا أصدقائي، ذكر موسى أن الذي يُدعَى الله والذي ظهر للآباء دُعيَ أيضًا ملاكًا وربًّا حتى إنكم، بهذه العبارات، تعرفوه كخادم لأبي الكل. وهذا ما اعترفتم به بالفعل وسوف تؤمنون به بأكثر ثبات عندما تسمعون بقية الدلائل. إن كلمات الله كما سجَّلها موسى تتحدث عن يعقوب حفيد إبراهيم على النحو التالي: "وحدث في وقت توحُّم الغنم أني نظرت بعينيَّ في حلم وإذا الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة. وقال لي ملاك الله في الحلم يعقوب، يعقوب. فقلت هأنذا. فقال ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخطَّطة ورقطاء ومنمَّرة. لأنني قد رأيت كل ما يصنع بك لابان. أنا الله الذي ظهر لك في بيت إيل [أي بيت الله] حيث مسحتَ لي عمودًا وحيث نذرتَ لي نذرًا. والآن قُم واخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك وسأكون معك"

(تك ٣١: ١٠ - ١٤). وفقرة أخرى تتحدث هكذا عن يعقوب: "ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق . أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز كل ما كان له. فبقي يعقوب وحده. وصارعه ملاك حتى الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه. فانخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال له: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال: له ما اسمك. فقال: يعقوب. فقال: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك لأنك مع الله انتصرت ومع الناس أنت قوي. وسأله يعقوب وقال: أخبرني ما اسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعى يعقوب اسم المكان وجه الله" [فنيئيل] قائلًا لأنني نظرت الله وجهًا لوجه ونجَت نفسي" (تك ٣٢: ٢٢ - ٣١).

وفي مكان آخر نقرأ عن يعقوب أيضًا: "فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان، وهي بيت إيل هو وجميع القوم الذين كانوا معه. وبنى هناك مذبحًا ودعا ذلك المكان بيت إيل لأن هناك ظهر له الله عند هروبه من وجه أخيه. وماتت دبورة مُرضعة رفقة ودُفِنَت تحت بيت إيل تحت البلُّوطة. فدعا يعقوب اسمها بلُّوطة النحيب. وظهر الله ليعقوب أيضًا في لوز حين جاء مِن بين نهري سوريا[٩٣] وباركه وقال له الله: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل" (تك ٣٥: ٦ - ١٠).

ثم قلت: "هو يُدعى الله، فهو الله وسيظل كذلك إلى الأبد."

وعند سماعهم هذه الكلمات أومأوا جميعًا برؤوسهم علامة الموافقة، فقلت: "إنني أرى أنه من المناسب هنا أن أورد النص الكتابي الذي يُثبِت أن الملاك والرب والإله الذي ظهر لإبراهيم في هيئة رجُل

[٩٣] ورد اسم هذه المنطقة في النص العبري الماسوري: "فدان آرام" وعنه أخذت الترجمة البيروتية.

وصارع يعقوب في شكل إنسان هو ذاته الذي تراءى ليعقوب عند هروبه من أخيه عيسو. وها هي كلمات النص: "فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكانًا واضطجع هناك لأن الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان. ورأى حلمًا وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله كانوا يصعدون وينزلون عليها. وهوذا الرب واقف عليها. فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. لا تخَف، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض وها أنا معك وأحفظك حينما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل كل ما كلمتك به. فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقًّا إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلّا بيت الله وهذا باب السماء. وبكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عمودًا وصب عليه زيتًا على رأسه ودعا يعقوب اسم ذلك المكان بيت إيل [أي بيت الله] وقد كان اسم المدينة أولاً لوز" (تك ٢٨ : ١٠ - ١٩)."

الفصل التاسع والخمسون

ثم استطردت قائلا: "اسمحوا لي الآن أن أبيِّن لكم من كلمات سفر الخروج كيف أن هذا الذي كان ملاكًا وإلهًا وربًّا وإنسانًا والذي رآه إبراهيم ويعقوب قد ظهر أيضًا لموسى وتكلّم معه من لهيب عليقة مشتعلة". وعندما أكّدوا لي أنهم يرحبون بالاستماع لي بسرور، واصلت حديثي قائلًا: "مكتوب في سفر الخروج: "وحدث بعد تلك الأيام الكثيرة أن مات ملك مصر وتنهد بنو إسرائيل من العبودية

وصرخوا" (خر ٢: ٢٣) وبقية الكلام حتى قال الرب لموسى "اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقُل لهم الرب إله آباكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب تراءى لي قائلًا قد افتقدتكم افتقادًا وكل ما صُنع بكم في مصر" (خر ٣: ١٦)" ثم سألتهم: "أ لا ترون أيها السادة أن الملاك الذي قال موسى أنه كلَّمه مِن العليقة المشتعلة هو نفسه الذي قال لموسى أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب؟"

الفصل الستون

قال تريفون: "من الكلمات التي ذكرتها نستطيع أن نصل إلى استنتاج وحيد ألَا وهو أن ملاكًا هو الذي تراءى لموسى في العليقة المشتعلة ولكن الله هو الذي تكلّم مع موسى، فلقد كان في المشهد في الحقيقة شخصان معًا ـ الملاك والله."

قلت: "حتى لو كان الأمر كذلك أن الله ظهر لموسى مع ملاك، فكما نرى من النصوص التي ذكرناها قبلًا أن الله الذي قال لموسى أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ليس هو الله خالق الكل، بل هو الله الذي رآه إبراهيم ويعقوب كما أثبت لكم، وهو الذي يعمل إرادة خالق الكل ونفَّذ إرادته في الحكم على سدوم. ولذا حتى لو كان هناك شخصان، كما تدَّعون ـ أي الله وملاك ـ فلن يستطيع أحد أن يتجاسر ويقول إن الله الآب والخالق ترك ملكوته في أعلى السماوات ليتراءى في بقعة صغيرة على الأرض."

قال تريفون موافقًا: "لقد تبيَّن لنا بالفعل أن الذي ظهر لإبراهيم ودُعيَ إلهًا وربًّا كان ينفذ مهمة كُلِّف بها مِن الرب في السماء لعقاب سدوم. وحتى لو كان الله الذي ظهر لموسى كان في صحبة ملاك فنحن لا نستطيع أن نقول إن الله الذي تكلَّم مع موسى من العليقة هو الله خالق الكل بل هو الذي ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب والذي

يُعتبَر ملاك [أو مُعلِن] الخالق لأنه أعلن[٩٤] للناس إرادة الآب خالق الكل."

قلت: "أريد الآن، يا تريفون، أن أثبت لك أن الذي دُعيَ ملاكًا في الرؤيا التي نتحدث عنها هو الله، وهو وحده الذي رآه موسى وتكلم معه. وها هو الدليل من الكتاب المقدس: "تراءى له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه اقترب لينظر ناداه الرب من وسط العليقة" (خر ٣: ٢ - ٤) والآن كما أن الكتاب يشير إلى الذي ظهر ليعقوب في الحلم كملاك ثم يؤكِّد أن هذا الملاك قال ليعقوب في الحلم "أنا هو الله الذي ظهرت لك في بيت إيل عند هربك من وجه أخيك عيسو"[٩٥]، كما يشير الكتاب أيضًا إلى أنه في دينونة سدوم في أيام إبراهيم، نفذ الرب إرادة الله الذي في السماوات، كذلك عندما يشير هنا إلى أن ملاك الرب ظهر لموسى ثم يعلن أنه هو الرب الإله، فالمقصود هو نفس الشخص الذي عرفناه في شواهد أخرى قد أوردتها في السابق أنه سفير الله الذي هو فوق العالم ولا يوجد إله أعلى منه."

الفصل الحادي والستون

قلت: "الآن، يا أصدقائي، سأُبيِّن لكم من الكتاب المقدس أن الله قد وَلَد قوةً عاقلة كبدء[٩٦] قبل كل خليقة؛ إذ يشير الروح القدس إلى هذه القوة بصفات كثيرة، مثل: مجد الرب أو الابن أو حكمة أو ملاك أو إله أو رب أو كلمة. وفي إحدى المرات دعا نفسه "رئيس جند الرب" عندما ظهر كإنسان ليشوع بن نون. وهو بالحقيقة يستحق كل

[٩٤] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣، حاشية ١٧٢.

[٩٥] انظر تك ٣٥: ٧.

[٩٦] الكلمة اليونانية ἀρχή تعني "بدء" وليس "في البدء".

هذه الصفات لأنه يصنع إرادة الآب ولأنه وُلِد بإرادة الآب[٩٧]. ولكن أ لا يحدث شيء مشابه معنا نحن البشر؟ فعندما ننطق بكلمة نستطيع أن نقول إننا نلد الكلمة، لكن ليس بعزلها عنا، بمعنى أن قدرتنا على نطق الكلام سوف تزول. ونحن نلاحظ مثلاً مشابهًا في الطبيعة عندما تبدأ نار في إشعال نار أخرى[٩٨] دون أن تفقد النار الأولى شيئًا بل تظل كما هي. وتظل النار التي تم إشعالها قائمة بذاتها ومُضيئة دون أن تنقِص من وهج النار الأولى. ويشهد لي كلمة الحكمة وهو ذاته الإله المولود مِن أبي الكل، وهو كلمة مَن وَلدَه وحكمته وقدرته ومجده. وها هي ذي كلماته بفم سليمان: "وإن عرَّفتكم ما يحدث يومًا فيوم فسأذكر ما كان منذ البدء: الرب قناني أول طُرُقِه لأجل أعماله. قبل الدهر أسَّسني، في البدء قبل أن يخلق الأرض وقبل أن يخلق الهاوية، قبل أن توجَد ينابيع الغمر وقبل أن تُثبَّت الجبال، وقبل أن تكون كل التلال وَلَدَني. صنع الله مُدُنًا وقفارًا ومرتفعاتٍ مسكونةً تحت السماء. عندما أعدَّ السماء كنت أنا معه. وعندما وضع عرشه على الرياح، عندما صنع سُحُبًا قوية في العلاء وشدَّد ينابيع الغمر، عندما ثبَّت أساسات الأرض كنت عنده صانعًا وكنت أنا مَن يُفرحه كل يوم مبتهجًا دائمًا قُدَّامه، لأنه سُرَّ؛ إذ أكمل المسكونة وفَرِحَ مع بني آدم. فالآن يا ابني اسمع لي. فطوبى لمن يسمع لي وللإنسان الذي يحفظ طرقي ساهرًا كل يوم عند أبوابي حارسًا قوائم مداخلي. لأن مخارجي هي مخارج الحياة وإرادتي قد أُعِدَّت مِن قِبَل الرب. ومَنْ يخطئون إليَّ يعصون على أنفسهم. ومُبغضيَّ يحبون الموت" (أم ٨: ٢١ - ٣٦).

---

[٩٧] لم يكن ق. يوستينوس يفرق بين الولادة بالطبيعة من جوهر الآب والولادة بإرادة الآب وهو ما يبدو واضحًا من كلامه التالي، فعلى الرغم من أنه يقول عن الإبن إنه ولد بإرادة الآب إلا انه يصفه بأنه كلمة الآب وحكمته وقدرته ومجده وهذا في الحقيقة يتماشى مع التعليم بأن الإبن مولود بالطبيعة وليس بالإرادة من جوهر الآب. وهذا الأمر قد حسمه الآباء في مجمع نيقية فيما بعد حيث أكدوا أن الإبن مولود بالطبيعة من جوهر الآب وليس بإرادة الآب.

[٩٨] هذا يشابه تعبير "نور من نور" الذي تبناه قانون الإيمان النيقيّ.

الفصل الثاني والستون

وقلت: "يا أصدقائي، قال الله بفم موسى هذا الكلام ذاته عندما أعلن لنا أنه حين خلق الله الإنسان قال: "فلنخلق الإنسان على صورتنا وشبهنا فيتسلَّطون على سمك البحر وطيور السماء والبهائم، على جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم الله قائلًا أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها" (تك ١ : ٢٦ - ٢٨). ولئلا يخطئوا في تفسير هذه الكلمات بترديد ما يقوله معلموكم الذين يقولون إنه إما أن الله قال لنفسه: "نعمل الإنسان" كما نقول نحن أحيانًا لأنفسنا: "لنعمل"، أو أن الله قال: "نعمل" لعناصر الطبيعة أي للأرض أو المواد المختلفة التي نعتقد أن الإنسان قد تكوَّن منها. وهنا أود أن أذكر ما قاله موسى لقطع الشك باليقين، أن الله كان يتكلّم مع شخص له عقل، ويختلف عنه من جهة العدد. وها هي ذي كلمات موسى: "وقال الرب الإله هوذا آدم قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر" (تك ٣: ٢٢) إن عبارة "كواحد منا" تشير بوضوح إلى أنهم عدد من الأشخاص معًا أوعلى الأقل أنهم اثنان. وأنا لا أقبل بالبدعة التي يُقال بإنها عندكم والتي تقول بإن هذه الكلمات كانت موجهة إلى الملائكة، أو إن الجسم البشري هو مِن عمل ملائكة. لكن هذا المولود الحقيقي من الآب، كان مع الآب قبل كل الخليقة وتكلَّم معه الآب كما يذكر الكتاب المقدس بفم سليمان الذي يقول إن هذا الابن أو الحكمة كما يدعوه سليمان قد وُلِد كبداءة وكمولود مِن الله قبل كل أعماله. وقد شهد الله لهذه الحقيقة عند ظهوره ليشوع بن نون. ولتقتنعوا تمامًا، استمعوا لهذه الكلمات من سفر يشوع: "وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل

واقف قبالته فسار يشوع إليه وقال له: هل أنت لنا أم لأعدائنا فقال: أنا رئيس جند الرب، الآن أتيت. فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له: يا سيد ماذا تطلب مِن عبدك؟ فقال رئيس جند الرب ليشوع: اخلع نعليك من رِجليك لأن المكان الذي أنت واقف عليه أرض مُقدَّسة. وكانت أريحا مُغلقة ومُحصَّنة ولم يكن أحد يخرج منها. فقال الرب ليشوع: انظر. هوذا أدفع أريحا ليدك وملكها الذي فيها مع جبابرة البأس" (يش ٥: ١٣ - ١٦ ؛ ٦: ١ - ٢)."

الفصل الثالث والستون

قال تريفون: "يا صديقي، أنت قد قمت بإثبات هذه الأمر ببراهين كثيرة وقوية. والآن أثبت لنا أنه تنازل ليصير إنسانًا [مولودًا] مِن عذراء وفقًا لإرادة أبيه وليُصلَب ويموت. أثبت لنا أيضًا أنه قام من الموت وصعد إلى السماء."

قلت: "أيها السادة، لقد أثبتُّ ذلك بالفعل من نبوات سبق أن ذكرتها لكم، ولكن لكي تقتنعوا سأذكرها ثانية وأشرحها لكم. أ لم يقُل إشعيا "وميلاده مَن يُخبِر به لأنه تُقطَع مِن الأرض حياته" (إش ٥٣: ٨) أ لا ترى أن ما قيل يُشير إلى أن الذي سلَّمه الله [الآب] للموت من أجل خطايا الشعب لم يكن مِن أصل بشري؟ وموسى أيضًا في حديثه عن دم المسيح في مَثَل سبق أن ذكرناه قال "يغسل ثوبه بدم العنقود"[٩٩] لأن دمه لم ينشأ مِن زرع بشر بل مِن إرادة الله. وأيضًا يقول داود: "في بهاء قديسيك. من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك. أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق"[١٠٠]. أ لا تثبت هذه الكلمات أنه منذ القِدَم كان قصد

---

[٩٩] انظر (تك ٤٩: ١١).

[١٠٠] مز ١٠٩: ٣ - ٤ (في البيروتية مز ١١٠: ٣ - ٤).

الله الآب أن يُولَد ابنه مِن رحم بشري؟ وفي مكان آخر سبق أن ذكرته يقول الله: "كرسيك، يا الله، إلى دهر الدهور. قضيب الاستقامة هو قضيب مُلكِك. أحببت البر وأبغضت الإثم مِن أجل ذلك مسحك الله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك. المر والعود والسليخة مِن ثيابك. ومِن قصور العاج التي أبهجتك. بنات ملوك في كرامتك. قامت الملكة عن يمينك بثوب مُوَشًّى بالذهب مُزيَّنة بأنواع كثيرة. اسمعي يا ابنة وانظري وأميلي أذنك. وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك لأنه هو ربك وله تسجدين"[١٠١]. وهذه الكلمات توضح أيضًا أن الله الآب الذي صنع كل هذه الأشياء شهد بأن يسوع ينبغي أن يُسجَد له كإله وكمسيح. كما توضِّح هذه الكلمات أيضًا أن كلمة الله يتحدث إلى المؤمنين به كنفس واحدة وكنيسة واحدة كما إلى ابنة، التي هي الكنيسة، التي أسسها على اسمه وتشارك في هذا الاسم - لأننا كلنا نُدعى مسيحيين - وهكذا نحن مُطالَبون بأن ننسى عادات أجدادنا القديمة كما تقول الكلمات التالية: "اسمعي يا ابنة وانظري وأميلي أذنك. وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك لأنه هو ربك وله تسجدين." "

الفصل الرابع والستّون

قال تريفون: "أنتم الذين من الأمم تُدعَون مسيحيين على اسمه وبإمكانكم أن تعترفوا به كرب ومسيح وإله كما تفيد الكتب ولكن نحن اليهود الذين نعبد الله الذي صنع المسيح[١٠٢] لسنا مضطرين أن نعترف به أو نعبده."

---

[١٠١] مز ٤٤: ٧ - ١٢ (في البيروتية مز ٤٥: ٦ - ١٢).

[١٠٢] إن تعبير "الله الذي صنع المسيح" قد يعني هنا أن الله هو خالق طبيعته البشرية مثلما فسر ق. أثناسيوس الآية "الرب قناني أول طرقه". ومن الجدير بالذكر أن هذا التعبير جاء على لسان تريفون وليس ق. يوستينوس.

قلت: "يا تريفون، لو أنني كنت محبًا للجدال وضحل العقل مثلكم لكنت قد أنهيت النقاش منذ وقت طويل، لأنك لا تحاول أن تفهم ما أقوله بل تُجهِد عقلك بالرد بأي كلام. ولكن الآن، في مخافة من دينونة الله، لن أتجاسر أن أقر ما إذا كان أحد من جنسك قد يخلص بنعمة رب الصباؤوت. ومع أنكم مستمرون في المراوغة سأستمر في الإجابة على أي اعتراض أو صعوبة لديك كما مع أي شخص من أي جنس يطلب مني رأيًا أو نصيحة. ولو أنك انتبهت باهتمام للفقرات التي ذكرتها لك من أسفار الكتاب، لفهمت أن هؤلاء اليهود الذين نالوا الخلاص قد نالوه بالمسيح وهم موالون له. إن كنت تفهم هذا الأمر لما وجَّهت لي مثل هذه الأسئلة. ولأجل منفعتك، سأكرر كلمات داود وأرجوك أن تنتبه لكي تفهم بدلاً من الاعتراض عليها بخبث. وها هي ذي كلمات داود: "الرب قد مَلَك فلترتعد الشعوب. الجالس على الشاروبيم فلتتزلزل الأرض. عظيم هو الرب في صهيون ومتعالٍ على كل الشعوب. فليعترفوا لاسمك العظيم لأنه مرهوب وقدوس وكرامة الملك أن يُحِب العدل أنت هيأت الاستقامة أنت أجريت القضاء والعدل في يعقوب. ارفعوا الرب إلهنا واسجدوا لموطئ قدميه فإنه قدوس هو. موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه، كانوا يَدْعون الرب فيستجيب لهم، بعمود الغمام كان يكلِّمهم. لأنهم حفظوا شهاداته، والأوامر التي أعطاهم"[١٠٣]. ومن النصوص الأخرى لداود والتي وجِّهَت "إلى سليمان" ولذا أنتم تدَّعون بجهل أنها تشير إلى سليمان مع أنها لا تتحدث عنه، بل تشير إلى أن المسيح موجود قبل الشمس وأن الذين يخلصون من أبناء شعبكم سيخلصون به. وها هي ذي كلمات داود: "اللهم أعطِ أحكامك للملك وبرَّك لابن الملك. ليدين شعبك بالعدل ومساكينك

[١٠٣] مز ٩٨: ١ - ٧ (في البيروتية مز ٩٩: ١ - ٧).

بالحق. لتحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام برًّا. يقضي لمساكين الشعب يُخلِّص بني البائسين ويُذل الظالم. يدوم كالشمس وقُدَّام القمر إلى جيل الأجيال"[١٠٤] والبقية حتى هذه الكلمات: "يدوم اسمه قُدَّام الشمس وتتبارك به كل قبائل الأرض، كل الأمم يطوبونه. مُبارَك الرب إله إسرائيل الصانع العجائب وحده. مبارك اسم مجده إلى الأبد ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين آمين"[١٠٥] وتذكَّر أيضًا أنه مِن كلمات أخرى لداود ذكرتها من قبل يمكن إثبات أنه سيأتي من أعلى السماوات وسيصعد ثانية إلى هناك حتى تعلَم أنه أتى كإله من الأعالي وصار إنسانًا وعاش في وسط الناس وسوف يعود إلى الأرض في يوم ما، حينئذ سينظر ويبكي الذين طعنوه. وها هي ذي الكلمات: "السماوات تحدِّث بمجد الله والفَلَك يُخبِر بعمل يديه. يوم إلى يوم يُبدي قولاً وليل إلى ليل يُظهِر علمًا. لا قول ولا كلام. الذين لا تُسمَع أصواتهم في كل الأرض خرج منطقهم. وإلى أقصاء المسكونة خرَجَت أقوالهم. جعل في الشمس مظلته. مثل العريس الخارج مِن خدره. يتهلل مثل الجبار الذي يسرع في طريقه. مِن أقصى السماء خروجها، ومنتهاها إلى أقصى السماء ولا شيء يختفي مِن حرارتها[١٠٦]."

الفصل الخامس والستون

قال تريفون: "أنا في حيرة مِن هذه النصوص الكثيرة مِن الكتاب المقدس ولست أعرف كيف أفسر تلك الفقرة من إشعيا حيث يقول الله إنه لا يعطي مجده لآخر: "أنا الرب الإله هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر" (إش ٤٢ : ٨)."

قلت: "لو أنك، يا تريفون، ذكرت هذه الفقرة بأمانة وبدون خبث

[١٠٤] مز ٧١: ١ - ٥ (في البيروتية مز ٧٢: ١ - ٥).
[١٠٥] مز ٧١: ١٧ - ١٩ (في البيروتية مز ٧٢: ١٧ - ١٩).
[١٠٦] مز ١٨: ١ - ٦ (في البيروتية مز ١٩: ١ - ٦).

وتوقَّفت قبل أن تذكر الكلمات التي قبلها وبعدها لكان لك عذر. ولكن للأسف أنت تخطئ إذا كنت تقول هذا أملاً في إحراجي لكي أعترف أن بعض النصوص في الكتاب المقدس تناقض بعضها البعض؛ إلّا إنني لن أتجاسر أن أقول أو أتخيل هذا الأمر. إذا كان مثل هذا النص يبدو مُناقضًا لنص آخر - وأنا واثق تماما بأنه لا يوجد تناقض بين نصوص الكتاب المقدس وبعضها - كنت بالأحرى أعترف بصراحة أنني لا أعرف معنى النص، وأحاول قدر استطاعتي أن يشاركني الرأى هؤلاء الذين يظنون أن الأسفار المقدسة بها تناقضات. إن الله وحده يعلم لماذا أثرتَ هذه المسألة الأخيرة ولكن سأعيد على مسمعك النص كما هو بالضبط لكي ترى أن الله يعطي مجده هذا لمسيحه فقط. وسأضيف، يا سادة، بعض الكلمات من النص الذي ذكره تريفون وما يليه مباشرة. وهذه الكلمات ليست من إصحاح آخر بل من النص ذاته ولذا أطلب منكم التأمل فيها: "هكذا يقول الرب الإله خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض وما فيها، مُعطي الشعب الذي عليها نسمة والماشين عليها روحًا: أنا الرب الإله قد دعَوتُك بالبر فأمسك بيدك وأقويك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العُمي وتُخرِج المأسورين مِن القيود والجالسين في الظلمة مِن بيت السجن. أنا الرب الإله هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوْلَيَات قد أتت والحديثات أنا مُخبِر بها. قبل أن تنبُت أُعلِمكم بها. سبِّحوا للرب تسبحة جديدة بدايتها مِن أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكَّانها لتفرح البريَّة ومدنها ومساكنها وليفرح سكَّان قيدار. ليهتف سكَّان صخرة على أعالي الجبال. ليعطوا الرب مجدًا ويُخبِروا بتسبيحه في الجزائر. الرب إله القوات يخرُج يسحق الحرب ويُنهِض غيرة. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه" (إش ٤٢ : ٥ - ١٣)."

ثم استطردتُ: "أ لا ترون أن الله يؤكد أنه سيعطي مجده للذي عيَّنه وحده ليكون نورًا للأمم، وليس كما يدَّعي تريفون أنه سيحتفظ بمجده لذاته فقط؟"

قال تريفون: "سوف نرى ذلك والآن أكمل كلامك في الموضوع."

الفصل السادس والستون

فبدأت كلامي مِن حيث توقفت؛ إذ كنت أُثبِت لهم أن المسيح وُلِد مِن عذراء وأن إشعيا قد تنبَّأ بذلك، وكررت لهم كلمات النبوءة كما وردت: ""ثم عاد الرب فكلَّم آحاز قائلًا: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك، عمِّق طلبك أو ارفعه إلى فوق. فقال آحاز: لا أطلب ولا أجرِّب الرب. فقال إشعيا: اسمعوا يا بيت داود هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الرب أيضًا؟ لذلك يعطيكم السيد ذاته آية. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويدعون اسمه عمانوئيل. زبدًا وعسلاً يأكل قبل أن يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير. لأنه قبل أن يَعرف الصبي الخير والشر هو يرفض الشر ليختار الخير، وتؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة أمام ملك أشور وتُخلى الأرض التي أنت خائف من ملكَيْها. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وبيت أبيك أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال إفرايم عن يهوذا أي ملك أشور" (إش ٧: ١٠ - ١٧)."

وأضفت قائلًا: "الكل يعرف أنه مِن بين جميع نسل إبراهيم بالجسد لم يُولَد أحد من عذراء قط، أو حتى ادَّعى أنه وُلِد هكذا، سوى مسيحنا."

الفصل السابع والستون

فقال تريفون معترضًا: "إن النص ليس "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا"، بل "هوذا الشابة تحبل وتلد ابنًا" إلى آخر النص كما ذكرته،

غير أن النبوءة ككل تشير إلى حزقيا لأن الأحداث المذكورة فيها تحققت في هذا الملك. وأيضًا يوجد في الأساطير الإغريقية قصة تتحدث عن كيفية ولادة بيرسيوس من دناي وهي عذراء عندما نزل عليها المدعو زيوس في هيئة وابل مِن المطر الذهبي. وأنتم المسيحيون يجب أن تستحوا مِن ترديد مثل هذه القصص ويجب عليكم بالأحرى أن تعترفوا بأن يسوع هذا هو مجرد إنسان من أصل بشري. وإذا كنت تقدر أن تُثبِت مِن أسفار الكتاب أنه هو المسيح فلتعترف بأنه حُسِب أهلًا ليكون المسيح بسبب حفظه الكامل للناموس ولكن حذار أن تتحدث عن معجزات لئلا تُتهَموا بالحماقة مثل الإغريق."

قلت: "يا تريفون، أريد أن تتأكد أنت وغيرك مِن الناس أنك حتى إذا لجأت إلى التوبيخ والسخرية فلن تستطيع أن تثنيني عن إيماني الثابت وسأستمر في استخدام الكلمات والأمثلة ذاتها التي ذكرتها أنت كدليل على آرائك والنصوص مِن الكتاب المقدس لإثبات صحة ما أقوله. ولكنك لم تكن منصفًا أو صادقًا عندما حاولت تجاهل النقاط التي اتفقنا عليها بالفعل مثل بعض أحكام الناموس التي وضعها موسى من أجل قساوة قلوب شعبكم، لأنك قلت إنه إذا ثبت أن يسوع هو بالحقيقة المسيح فإن ذلك بسبب تمسكه الكامل بناموس موسى."

قال تريفون: "ولكنك اعترفت بأن يسوع قد اختتن وحفظ بقية أحكام ناموس موسى."

قلت: "نعم قلتُ هذا[١٠٧] ولا أزال أعترف به، ولكنني لا أعترف بأنه خضع لهذه الأُمور [أي الختان والناموس] من أجل تبرير ما، بل فقط لتتميم خطة الفداء وفقًا لإرادة أبيه رب وإله وخالق كل الأشياء. وإنني أُقِر أيضًا أنه تنازل ليصير إنسانًا وأنه صلب ومات بعد احتمال كل

[١٠٧] هذه هي أول إشارة يذكرها ق. يوستينوس إلى موضوع ختان يسوع المسيح وحفظه للناموس حيث لم يتعرَّض لهذا الموضوع مِن قبل.

الآلام التي وقعت عليه من قِبَل شعبكم. والآن، يا تريفون، بما أنك تنكر النقاط التي سبق وأن اعترفت بها، قل لي ما إذا كان هؤلاء الأبـرار والبطاركة الذين عاشوا قبل موسى - وبالتالي لم يحفظوا الأحكام التي جاء بها موسى - قد نالوا الخلاص وميراث القديسين؟"

قال تريفون: "الكتاب المقدس يضطرني أن أعترف بأنهم قد نالوه."

قلت: "أجِب عن هذا السؤال أيضًا: هل أمر الله أجدادكم بتقديم ذبائح وتقدمات لأنه في حاجة إليها أم بسبب قساوة قلوبهم وميولهم لعبادة الأوثان؟"

قـال: "الكتاب المقدس أيضا يضطرني إلى أن أعـترف بالسبب الثاني."

قلت: "هل هذا الكتاب نفسه تنبأ بأن الله أعلن عن عهد جديد غير ذلك العهد الذي قطعه على جبل حوريب؟"

قال: "نعم، تنبأ بهذا."

قلت: "أ لم يُعطَ هذا العهد القديم لأجدادكم وسط خوف ورعدة حتى إنهم لم يستمعوا لله؟"

قال: "هذا أيضًا صحيح."

قلت: "إذن لماذا تجادل؟ إن الله قد وعد بعهد آخر مختلف عن العهد القديم وسيُعطى لهم وهم بغير خوف أو رعدة أو برق، وهذا سيشير إلى الأحكام والأعمال التي يعلم الله أنها أبدية وتناسب جميع الأجناس من ناحية، وتلك الأحكام التي صدرت لتناسب فقط قساوة قلوب الشعب كما أعلن الله من خلال أنبيائه، من ناحية أخرى."

قال تريفون: "مَن يحب الحق لا الجدال لا بد أن يتفق معك تمامًا."

قلت: "لست أعلم لماذا تتهمون آخرين بحب الجدال في حين أنكم كثيرًا ما تسيرون في هذا الاتجاه عينه، لأنكم في العديد مِن المرات تناقضون ما كنتم موافقين عليه قبلًا."

الفصل الثامن والستون

قال تريفون: "إنك تحاول أن تُثبِت ما هو غير معقول وغير قابل للتصديق، وهو أن الله تنازل لكي يُولَد ويصير إنسانًا."

قلت: "لو أنني حاولت أن أُثبِت هذا فقط مِن تعاليم الناس لكنتم على حق في عدم الاستماع. ولكنني ألجأ دائمًا لنصوص كثيرة مِن الكتاب المقدس لأُثبِت ما أريده وأتوسل إليكم أن تفهموا هذه النصوص، إلا أن عنادكم يمنعكم مِن معرفة تدبير الله وإرادته. وإذا كنتم ترفضون التغيير فلن يضيرني شيء، ولكن لأنني متمسك بمعتقداتي فسوف أمضى في طريقي."

قال تريفون معترضًا: "يا صديقي، تذكَّر أنك قد أُعطيتَ أن تفهم هذه الحقائق بعد تعب وعناء. وبالتالي يجب علينا نحن أيضًا أن نفحص بتدقيق شديد كل ما يقابلنا قبل أن نوافق على ما تقوله الأسفار المقدسة."

قلت: "أنا لا أسألكم أن تمتنعوا عن الفحص الدقيق لكل نقطة في مناقشتنا، ولكن أرجوكم ألَّا تنكروا ما كنتم قد اعترفتم به بالفعل عندما تكونون في حيرة مما تجيبون به."

قال تريفون: "سنحاول أن نعمل ما تريده."

قلت: "والآن لكي ننتهي مِن هذه المناقشة على وجه السرعة، أريد أن أوجِّه لكم بعض أسئلة أخرى."

قال: "تفضل واسأل."

قلت: "هل يوجد في رأيكم إله آخر يستحق العبادة ويُدعى في الأسفار المقدسة ربًّا وإلهًا غير خالق العالم والمسيح الذي صار إنسانًا كما هو مثبَت في نصوص كتابية كثيرة؟"

قال تريفون: "كيف نعترف بمثل هذا القول في حين لم نتأكد

بعد من خلال مناقشتنا المطوَّلة ما إذا كان يوجد إله آخر غير الآب؟"

قلت: "لا بد من أن أسأل هذا السؤال لكي أعرف ما إذا كان لديكم رأي مختلف عما اعترفتم به بالفعل."

قال: "لا، ليس لدينا رأي مختلف."

قلت: "بما أنكم تعترفون بصحة هذه الأمور، وبما أن الكتاب يقول "وميلاده مَن يُخبِر به؟" (إش ٥٣ : ٨) أ لا يجب أن توافقني على الفور أنه ليس من أصل بشري؟"

قال تريفون: "كيف إذن يقول الكتاب إنه من نسل داود سيتخذ الله لنفسه ابنًا ويثبِّت مملكته ويُجلسه على عرش مجده؟"

قلت: "يا تريفون، إذا كانت نبوءة إشعيا "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا" لم تنطبق على بيت داود بل على بيت آخر من الأسباط الاثني عشر، فالمشكلة قد تكون صعبة ولكن بما أن النبوءة ذاتها تنطبق على بيت داود، فقد شرح إشعيا بدقة كيف يتحقق ما قاله الله في سر لداود. لعلكم، يا أصدقائي، لا تدركون أن كثيرًا مِن الأقوال التي عبَّر عنها الكتاب مجازيًّا أو بشكل رمزي قد شرحها الأنبياء الذين جاءوا بعد الذين نطقوا بها."

قال تريفون: "لا شك في هذا."

قلت: "وإن أثبتُّ لكم حقيقة أن نبوءة إشعيا هذه تتحدث عن مسيحنا وليس عن حزقيا كما تدَّعون، هل تشكُّون في معلميكم الذين يتجاسرون على القول بأن ترجمة الأسفار المقدسة التي قام بها سبعون من شيوخكم في بلاط الملك بطليموس هي غير دقيقة في بعض الأحيان؟ لأنه عندما يظهر في الأسفار المقدسة نقض واضح لما يعتقدونه في غباء وكبرياء، يبادرون بالتأكيد على أن هذا الكلام لم يُكتَب هكذا في النص الأصلي. ويتآمرون على تحوير عبارات أخرى لتتواءم مع أعمال بشرية مُدَّعين أنها لا تشير إلى مسيحنا

يسوع بل إلى مَن يحاولون تفسير النبوءة عنه. فعلى سبيل المثال، هم علَّموكم أن هذه النبوءة التي نتحدَّث عنها تشير إلى حزقيا، ولكنني سأُثبِت لكم أن هذا خطأ كما وعدت. ولكنهم يضطرون تحت الضغط أن يوافقوا على أن بعض النصوص التي ذكرناها، والتي تثبت بوضوح أن المسيح لا بد أن يتألم ويُسجَد له ويُدعى إلهًا، تشير إلى المسيح. ولكن معلميكم ينكرون بجسارة أن الذي نعبده هو المسيح ولكنهم يعترفون أن مسيحًا سوف يأتي ويتألم ويحكم ويُسجَد له كإله. وسأثبت لكم أن هذا الرأي منافٍ للعقل ولا معنى له. وحيث إنني مضطر للإجابة أولاً عما تقولونه في سخرية فسأجيبكم أولاً ثم أنتقل بعد ذلك إلى إثبات أمور أخرى."

الفصل التاسع والستون

قلت: "فلتطمئن، يا تريفون، أن معرفتي بالأسفار المقدسة وإيماني بها إزداد ثباتًا بسبب الأعمال المزيفة التي قدَّمها الشيطان في الأساطير التي انتشرت بين اليونانيين مثلما فعل من خلال السحرة المصريين والأنبياء الكذبة في أيام إيليا. فعندما يقولون إن ديونيسوس وُلِد نتيجة تزاوج زيوس مع سيميلي ويروون أنه هو الذي اكتشف الكرمة، وبعد أن قُطِّع إربًا ومات، قام ثانيةً وصعد إلى السماء، وعندما يستخدمون الخمر في طقوسهم، أ ليس واضحًا أن الشيطان يحاكي النبوءة التي سبق أن ذكرتها لكم عن يعقوب كما سجَّلها موسى؟ وعندما يُقال أن هرقل[١٠٨] بن زيوس وألكِميني، كان جبارًا وقد جاب الأرض كلها، وأنه بعد موته صعد أيضًا إلى السماء، أ ليست هذه محاكاة لما جاء في الكتاب المقدس عن المسيح أنه "مثل

[١٠٨] يعترض ق. يوستينوس هنا على قصة هرقل، ويرد على تريفون بوضوح أكثر في الفصل القادم عندما يتحدث عن أسطورة برسيوس.

الجبار الذي يسرع في طريقه[١٠٩]"؟ وعندما يقدم الشيطان أسكلِبيوس كإنسان يقيم الموتى ويشفي الأمراض، أ لا نقول إنه (أي الشيطان) يحاكي النبوءات عن المسيح؟ وبما أنني لم أذكر لكم بعد نصًّا مِن الكتاب المقدس يُثبِت أن المسيح سيقوم بهذه الأعمال، فلا بد أن أذكر لكم نصًّا منه لكي تدركوا مِن خلاله كيف أن الكتاب المقدس تنبأ بأن هؤلاء الذين أعوزهم معرفة الله - أي الأمم الذين كانت لهم أعين ولا يبصرون وقلوب ولا يفهمون ولذا عبدوا الأصنام - هؤلاء سوف يتركون أصنامهم ويضعون رجاءهم في المسيح. وها هو ذا النص: "لتفرح الأرض العطشى وليبتهج القفر ويُزهِر كالنرجس. وتزهر وتفرح براري الأردن. فيُدفع إليها مجد لبنان وبهاء الكرمل ويرى شعبي عزة الرب ومجد الله. تشدَّدي أيتها الأيادي المسترخية والرُكَب المشلولة. اطمئنوا يا صغيري القلوب، تشدَّدوا ولا تخافوا. هو ذا إلهنا يجلب انتقامًا. هو يأتي ويخلِّصنا. حينئذ تنفتح أعيُن العميان وتسمع آذان الصم. حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت مياه في البرية وأنهار في القفر. ويصير القفر أجمًا والأرض العطشى ينبوع ماء." (إش ٣١: ١ - ٧)"

ثم أكملت قائلا: "إن ينبوع الماء الحي الذي تفجَّر مِن عند الله على الأرض التي تفتقر إلى معرفة الله - أى أرض الأمم - هو مسيحنا الذي جاء مِن جنسكم وشفى العمي والصم والعرج منذ ولادتهم. شفاهم بكلمة حتى إنهم مشوا وسمعوا وأبصروا. وبإقامة الموتى مِن الموت جعل الناس في ذلك الزمان أن يعرفوه ولكن على الرغم مِن أنهم رأوا هذه المعجزات بعيونهم إلا أنهم نسبوها إلى أعمال السحر حتى إنهم تجاسروا واعتبروه ساحرًا يُضِل الشعب. أما هو فقد عمل هذه الأعمال لإقناع أتباعه في المستقبل بأنه حتى إذا كان لأحدهم إعاقة

---

[١٠٩] مز ١٨: ٦ (في البيروتية مز ١٩: ٥).

في الجسد ينبغي أن يظل أمينًا لتعاليمه لأنه سوف يُقيمه معافى تمامًا عند مجيئه الثاني، وسوف يحرره من الموت ومن الفساد والألم إلى الأبد."

الفصل السبعون

"والآن عندما يدَّعي أتباع الإله ميثراس أنه وُلِد مِن صخرة ويسمون المكان الذي يُقبَل فيه مؤمنيه كهفًا، أ ليس صحيحًا أن نقول إنهم يقلِّدون قول دانيال "قُطِع حجر بغير يدين مِن جبل كبير" (دا ٢ : ٣٤) وحاولوا بطريقة مماثلة محاكاة جميع أقوال إشعيا، فإن الشياطين دفعوا كهنة ميثراس لاقتباس كلمات إشعيا التي تحث على فعل البر. وها هي ذي كلمات إشعيا لكي تعلموا أن الأمر هكذا: "اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت واعرفوا أيها القريبون قوَّتي. ارتعب الخطاة الذين في صهيون. أخذت الرعدة المنافقين. مَن يرشدكم إلى الموضع الأبدي؟ السالك بالبر والمتكلم بالاستقامة الراذل الإثم والمعصية النافض يديه من الرشوة الذي يسد أذنيه عن سمع قضاء سفك الدماء ظلمًا ويغمض عينيه لكي لا يرى شرًّا. هذا يسكن في مغارة عالية في صخرة قوية. يُعطَى له خبزًا ومياهه مأمونة. الملك ببهائه تنظرون، وعيونكم تنظر بعيدًا. نفسكم تتطلب خوف الرب. أين الكاتب؟ أين المشير؟ أين الذي يعدُّ الآكلين؛ صغار وكبار الشعب؟ الذين لم يستشيروه ولم يعرفوا عمق الأصوات حتى إنهم لم يسمعوا. شعب مُحتقَر، ليس فهم لمَن يسمع" (إش ٣٣: ١٣ - ١٩). مِن الواضح أن هذه النبوءة تشير أيضًا إلى الخبز الذي أعطانا مسيحنا إياه لنصنعه ذكرى تجسُّده لأجل الذين يؤمنون به والذين تألَّم لأجلهم، كما تشير إلى الكأس التي علَّمنا أن نصنعها في سر الإفخارستيا تذكارًا لدمه. وتقول النبوءة إننا سوف نرى هذا الملك في

بهاء مجده وأن الذين سوف يؤمنون به في المستقبل سيكون لديهم مخافة الله. أما الذين يظنون أنهم يعرفون كل حرف من الكتب المقدسة ويستمعون إلى النبوءات فهم لا يفهمون شيئًا منها. وأنا عندما أسمع، يا تريفون، أن برسيوس وُلِد مِن عذراء أعلم أن هذه أكذوبة أخرى من أكاذيب الحية المخادعة."

الفصل الحادي والسبعون

"إنني بالتأكيد لا أثق في معلميكم؛ إذ لا يعترفون بصحة ترجمة الأسفار المقدسة التي قام بها السبعون شيخًا في بلاط بطليموس ملك مصر ويحاولون عمل ترجمة أخرى خاصة بهم. ويجب أن تعلموا أيضًا أنهم حذفوا أجزاء كثيرة من النسخة التي ترجمها هؤلاء الشيوخ الذين كانوا مع بطليموس؛ تلك الأجزاء التي تشير بوضوح إلى أن المصلوب هو إله وإنسان وأنه سيُصلَب ويموت. وبما أنني أعلم أنكم كيهود تنكرون هذه الأجزاء فلن أجادلكم في هذا الموضوع بل سأكمل نقاشي باستخدام الأجزاء التي تقرونها. وحتى الآن أنتم تعترفون بصحة جميع النصوص التي ذكرتها ما عدا "هوذا العذراء تحبل وتلد" وتدَّعون أن العبارة هي "هوذا الشابة تحبل وتلد" وأنا عند وعدي أن أُثبِت لكم أن هذه النبوءة لم تكن تشير إلى حزقيا كما تقولون بل إلى المسيح."

قال تريفون مُقاطِعًا: "قبل هذا نريد منك أن تذكر بعض النصوص التي تقول إنها حُذِفَت تمامًا مِن ترجمة الشيوخ السبعين."

الفصل الثاني والسبعون

"سأفعل كما يحلو لكم؛ لقد حذفوا هذا الجزء مِن الفقرات التي يتحدَّث فيها عزرا عن قانون الفصح: "وقال عزرا للشعب: هذا الفصح هو مخلِّصنا وملجأنا وإذا فهمتم ودخل هذا قلبكم أننا سوف نهينه

على الصليب وبعد ذلك نضع رجاءنا فيه، فإن هذا المكان لن يُترك إلى الدهر يقول رب القوات، لكن إن لم تؤمنوا به ولم تستمعوا لتعاليمه ستكونون سخرية للأمم"[١١٠] ومِن سفر إرميا حذفوا: "وأنا كحمل يُساق إلى الذبح. فكَّروا عليَّ أفكارًا قائلين هلموا نضع خشبة في خبزه ونقطعه مِن أرض الأحياء فلا يُذكَر اسمه بعد"[١١١]. وبما أن هذه الفقرة من سفر إرميا ما زالت توجد في بعض النسخ في المجامع اليهودية - لأنها قد حُذِفَت منذ زمن قصير - وبما أن هذه الكلمات تشير إلى تآمر اليهود على قتل المسيح بالصلب، فقد أُعلن أنه "كخروف يُقتاد إلى الذبح"[١١٢] كما تنبأ إشعيا، وقد مُثل هنا "كحمل بلا عيب". ومثل هذه الكلمات قد أربكتهم إلى درجة أنهم لجأوا للتجديف. وأيضًا حذفوا هذه الكلمات من سفر إرميا "الرب الإله تذكَّر موتاه مِن بني إسرائيل الراقدين في القبور ونزل إليهم ليبشرهم بخلاصه"[١١٣]."

الفصل الثالث والسبعون

"وفي المزمور ٩٥ [١١٤] تم حذف عبارة "على خشبة" ففي حين أن النص يقول "قولوا بين الأمم: الرب قد ملك على خشبة"[١١٥] فقد تركوا فقط:

---

[١١٠] إن أصل هذا النص غير معروف ولو أن لاكتانتيوس يستشهد به أيضًا في *Inst. div.* 4.18

[١١١] إر ١١: ١٩.

[١١٢] انظر إش ٥٣: ٧.

[١١٣] هذه الفقرة غير موجودة في نص الكتاب المقدس مع أن ق. إيرينيوس ذكرها في (*Adv haereses* 3, 20) وينسبها لإشعيا النبي، لكن في (*Preaching* 78) ينسبها لإرميا النبي. وهذه الفقرة تتفق في المعنى مع ما كتبه بطرس الرسول: "بُشِّر الموتى أيضًا" (١بط ٤: ٦) وما كتبه بولس الرسول: "إنه نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى" (أف ٤: ٩).

[١١٤] وهو يقابل المزمور ٩٦ في الترجمة البيروتية.

[١١٥] مز ٩٥: ١٠ (في البيروتية مز ٩٦: ١٠) عبارة "على خشبة" - أي على الصليب - كثيرًا ما استشهد بها الآباء اللاتين مثل ما جاء في ترنيمة (*Vexilla Regis*) التي كتبها فورتوناتوس (Fortunatus) في نهاية القرن السادس، وهي موجودة أيضًا في كل

"قولوا بين الأمم: الرب قد ملك". والآن، لا يوجد أحد من شعبكم قيل إنه ملك كإله وملَكَ على الأمم سوى المسيح المصلوب الذي يشهد له الروح القدس في المزمور نفسه أنه تحرر مِن الموت بقيامته. وهكذا أظهر أنه ليس مثل آلهة الأمم لأن "آلهة الأمم أصنام شياطين". ولتوضيح هذه النقطة سأعيد على مسامعكم المزمور كله: "سبِّحوا الرب تسبيحًا جديدًا، سبِّحي الرب يا كل الأرض، سبِّحوا الرب وباركوا اسمه. بشِّروا مِن يوم إلى يوم بخلاصه. حدِّثوا في الأمم بمجده وبين جميع الشعوب بعجائبه، لأن الرب عظيم ومُسبَّح جدًّا. مرهوب هو أكثر مِن كل الآلهة. لأن كل آلهة الأمم شَيَاطين، أما الرب فصَنَعَ السماوات. الجلال والبهاء قدَّامه، الطُّهر والجمال العظيم في قدسه. قدِّموا للرب، يا جميع قبائل الأمم، قدِّموا للرب مجدًا وكرامةً، قدِّموا للرب مجدًا لاسمه. احملوا الذبائح وادخلوا دياره، اسجدوا للرب في دياره المقدسة. فلتتزلزل الأرض كلها من أمام وجهه. قولوا بين الأمم إن الرب قد مَلكَ على خشبة، وأيضًا ثبَّت المسكونة فلن تتزعزع. يُدين الشعوب بالاستقامة. فلتفرح السماوات ولتبتهج الأرض وليعج البحر وملئه، تفرح الوديان وكل ما فيها، حينئذ يبتهج كل شجر الغاب أمام وجه الرب لأنه يأتي، يأتي ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بحقِّه[116]".

قال تريفون: "الله وحده يعلم ما إذا كان معلمونا قد حذفوا أجزاء من الكتاب المقدس كما تقول أم لا، لكن هذا القول يبدو غير معقول".

قلت موافقا إياه: "نعم يبدو بالفعل غير معقول لأنه عمل يفوق في

مخطوطات الترجمة القبطية البحيرية، لكنها ليست موجودة في النص العبري وفي باقي ترجمات ومخطوطات السبعينية إلّا في مخطوطة واحدة تعود للقرن السادس هي (Codex Veronensis).

[116] مز ٩٥: ١ - ١٣ (في البيروتية مز ٩٦: ١ - ١٣).

شناعته إقامة العجل الذهب الذي صنعوه وهم متخمون بالمن الذي نزل على الأرض، كما يفوق في بشاعته تقديم أطفالهم ذبائح للشياطين أو ذبح الأنبياء. ويبدو أنك لم تسمع حتى عن الكتب المقدسة التي قمتم ببترها كما قلت. ولكن تكفي النصوص الكثيرة التي ذكرتها لكم بالفعل بالإضافة إلى تلك التي احتفظتم بها، لإثبات النقاط التي نختلف عليها."

الفصل الرابع والسبعون

قال تريفون: "نحن نعلم أنك ذكرت لنا هذه النصوص بناء على طلبنا. أما مزمور داود الذي ذكرته للتو فيبدو أنه لا يشير سوى للآب الذي خلق السماوات والأرض. ولكنك تقول إنه يشير إلى ذاك الذي تألَّم والذي تريد أن تبرهن لنا أنه هو المسيح."

قلت متوسلاً: "أرجوكم أن تفكِّروا مليًّا في كلمات الروح القدس في هذا المزمور وستفهمون أن حديثي ليس بدافع الخبث أو الخداع. وعندما تختلون بأنفسكم ستستوعبون أقوالاً أخرى قالها الروح القدس. يقول المزمور: "سبِّحوا الرب تسبيحًا جديدا، سبِّحي الرب يا كل الأرض، سبِّحوا الرب وباركوا اسمه. بشِّروا مِن يوم إلى يوم بخلاصه. حدِّثوا في الأمم بمجده وبين جميع الشعوب بعجائبه"[١١٧]. بهذه الكلمات يأمر الرب جميع سكان هذا الكون الذين يعرفون سر الخلاص - الذي تمَّ بآلام المسيح - الذي به نالوا الخلاص أن يرنموا ويسبِّحوا على الدوام لله الآب فهم يعلمون أنه مخوف ومسبَّح وهو خالق السماوات والأرض وفادي البشرية لأنه بعد أن مات على الصليب استحق أن يملك على العالم أجمع. وأيضًا . . . [١١٨] "وقال الرب لموسى

[١١٧] مز ٩٥: ١ - ٣ (في البيروتية مز ٩٦: ١ - ٣).

[١١٨] النص هنا قد فقد، ولا يمكن معرفة الكمية المفقودة، فالبعض يظن أنها عدة كلمات، لأن الموضوع ذاته تتم مناقشته في الكلمات التالية، ولكن آخرون يعتقدون أن الجزء المفقود

ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويزني وراء آلهة الأجنبيين أهل الأرض التي هو داخل إليها ويتركونني وينكثون عهدي الذي قطعته لهم في ذلك اليوم. فأتركهم وأحجب وجهي عنهم فيكون مأكَلَة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم: لأن الرب إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور. وأنا أحجب وجهي عنهم احتجابًا في ذلك اليوم لأجل جميع الشرور التي عملوها؛ إذ التفتوا إلى آلهة أخرى" (تث ٣١: ١٦ - ١٨)."

[نهاية مناقشات اليوم الأول]

الفصل الخامس والسبعون

"في سفر الخروج يشير موسى النبي بشكل سرِّي إلى أن اسم الله ذاته - الذي يقول إنه لم يعلنه لإبراهيم أو يعقوب - هو يسوع؛ إذ إنه مكتوب: "وقال الرب لموسى قُل لهذا الشعب هوذا أنا أُرسِل ملاكي أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته لك. احترز منه واسمع له ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عنك لأن اسمي فيه" (خر ٢٣: ٢٠ - ٢١) فكِّروا جيدًا، مَن قاد آباءكم إلى أرض الموعد؟ أ ليس هو الذي سُميَ أولاً أوسس [أو هوشع] ثم فيما بعد سُميَ يسوع [أو يشوع][١١٩]؟ إذا فهمتم هذا فستعرفون أن اسم ذاك الذي قال لموسى إن "اسمي فيه" (خر ٣: ٢١) هو يسوع. وقد سُميَ أيضًا إسرائيل وهو الاسم الذي منحه ليعقوب. وقد تعلَّمنا من إشعيا أن الأنبياء الذين أُرسِلوا ليحملوا رسائل الرب للناس كانوا يُدعَون ملائكة ورسل الله لذلك يستخدم إشعيا عبارة "أرسِلنيّ (إش ٦: ٨)

طويل لأن ق. يوستينوس لم يذكر نهاية مناقشات اليوم الأول وبداية مناقشات اليوم الثاني. وربما تكون مناقشات اليوم الأول قد انتهت هنا والنص المفقود ليس إلا فصلًا واحدًا يتحدث عن نهاية المناقشات، ومعه بقية مناقشات المتعلقة باليوم السابق.

[١١٩] لقد قام موسى بتغيير اسم هوشع إلى "يشوع" عندما أرسله لتجسس أرض الميعاد. واسم "يسوع" هو الطريقة اليونانية لنطق الاسم العبري "يشوع".

ومِن الواضح للجميع أن الذي سُمي يسوع [يشوع] صار نبيًّا عظيمًا وقويًّا. وإذا كنا على يقين أن الله ظهر في أشكال كثيرة لإبراهيم ويعقوب وموسى فكيف نشك أو لا نؤمن أنه وفقًا لإرادة الآب يستطيع أن يولَد كإنسان مِن عذراء، خاصة مع وجود نصوص كثيرة مِن الكتاب المقدس تُظهِر بوضوح أن هذا حدث بإرادة الآب؟"

الفصل السادس والسبعون

"أ لم يُشِر دانيال إلى هذه الحقيقة ذاتها عندما قال إن الذي له الملكوت الأبدي هو "شبه ابن إنسان" (دا ٧: ١٣)؟ فعبارة "شبه ابن إنسان" تدل على أنه سوف يصير إنسانًا ولكنه لن يُولَد مِن زرع بشر. ويقرر دانيال الحقيقة ذاتها مجازيًّا عندما يدعو المسيح "حجر قُطِع بغير يدين" (دا ٢ : ٣٤) مما يعني أنه لم يكن نتاج عمل بشري بل نتاج إرادة الله الآب الذي ولده. وعندما يقول إشعيا "وميلاده مَن يُخبِر به لأنه تُقطع من الأرض حياته" (إش ٥٣: ٨) فهو يعني أن جنسه لا يُوصَف فلا يُمكِن لابن بشر أن يكون مِن أصل غير موصوف. وعندما يؤكد موسى أنه "غسل بدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩: ١١) أ لم يتنبأ بما ذكرته لكم مرارًا وهو أن المسيح سيكون له دم، ولكن ليس مِن أصل بشري كما أن الله وليس إنسان هو الذي أعطى دمًا للعنب. وعندما يدعوه إشعيا "ملاك المشورة العظمى" (إش ٩: ٦) أ ليست هذه نبوءة بأن المسيح سيكون مُعلِّمًا لتلك الحقائق التي علَّمها بالفعل عندما جاء إلى الأرض؟ لأنه هو وحده الذي علَّم الناس كاشفًا الأحكام [أو المشورات] التي أرادها الله للذين أرضوه وللذين سوف يرضونه، وأيضًا لهؤلاء الناس والملائكة الذين ابتعدوا عن إرادته. وها هي ذي كلمات تعليمه: "وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت

السماوات. وأما بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١١ - ١٢). وأيضًا: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أ ليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين؟ باسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (مت ٧: ٢٢ - ٢٣) كما أنه بكلمات أخرى سيدين المسيح جميع الذين لا يستحقون الخلاص؛ فهو يقول: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥ : ٤١) ويقول أيضًا: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو ١٠ : ١٩). نعم، نحن نؤمن بالرب يسوع الذي صُلِبَ في عهد بيلاطس البنطي وأخرج كل الشياطين والأرواح الشريرة وأخضعهم تحت سلطاننا. فإذا كان الأنبياء قد أعلنوا بطريقة خفية أن المسيح سيتألم أولاً ثم يكون ربًّا للكل، فإن ذلك [الإعلان] لم يكن من الممكن لأحد أن يستوعبه إلى أن قام هو [أي المسيح] بنفسه بإقناع رسله بأن هذه الأمور أُعلِنَت بوضوح في الأسفار المقدسة. لأنه قال قبل صلبه: "إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيرًا ويُرفَض مِن الشيوخ ورؤساء الكهنة ويُقتَل وبعد ثلاثة أيام يقوم" (مر ٨: ٣١) وقد تنبأ داود بأنه يُولَد مِن البطن قبل الشمس والقمر بحسب إرادة الآب وأعلن أنه المسيح ولذا فهو الله القدير المسجود له."

الفصل السابع والسبعون

قال تريفون: "أنا أعترف أن البراهين التي تقدمها كثيرة وقوية لدرجة إنني متحير، ولكنني ألفِت نظرك مرة أخرى إلى أنني أريد دليلًا على ذلك النص [الكتابي] كما وعدت. فأرجو منك الآن أن تواصل حديثك لترينا أن ذلك النص يشير إلى مسيحك وليس إلى حزقيا كما نعتقد نحن اليهود."

قلت: "سأفعل كما تريدون، ولكن أولًا أثبت لي أن حزقيا هو المقصود بهذه الكلمات: "قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي أو يا أمي تُحمَل قوة دمشق وغنائم السامرة قُدَّام ملك آشور" (إش ٨: ٤) وأنا بالطبع لن أقبل تفسيركم أن حزقيا شن حربًا على شعب دمشق والسامرة في وجود ملك آشور لأن النبوءة تقول إنه "قبل" أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي أو يا أمي تؤخَذ قوة دمشق وغنائم السامرة قُدَّام ملك آشور. ولو لم تقل النبوءة على سبيل الإضافة "قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي أو يا أمي تؤخَذ قوة دمشق وغنائم السامرة قُدَّام ملك آشور" بل اقتصرت فقط على القول "وهي تلد ابنًا وهو سيأخذ قوة دمشق وغنائم السامرة" لكان بإمكانكم أن تقولوا أن الله قال إنه [أي حزقيا] سيأخذها لأنه عرف ذلك بسابق عِلمه، ولكن النبوءة أضافت "قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي أو يا أمي تؤخَذ قوة دمشق وغنائم السامرة" والآن أنتم لا تقدرون أن تثبتوا أن هذا حدث قط لأحد من اليهود، ولكننا نحن المسيحيين نقدر أن نبيِّن أن هذا حدث مع المسيح. لأنه في وقت ميلاده جاء مجوس مِن العربية[١٢٠] وسجدوا له بعد أن تقابلوا مع هيرودس ملك البلاد في ذلك الزمان والذي يدعوه إشعيا ملك أشور بسبب شرِّه وعدم تقواه. وأنتم تعلمون جيدًا أن الروح القدس يتحدث في كثير من الأحيان بأمثال وتشبيهات مثلما فعل مع شعب أورشليم عندما يقول عنهم كثيرًا: "أبوك أشوري وأمك حثية" (حز ١٦: ٣)."

الفصل الثامن والسبعون

"عندما جاء المجوس مِن إقليم العربية إلى الملك هيرودس قائلين: "علمنا من النجم الذي رأيناه في السماء أنه قد وُلِد ملك في بلادكم

[١٢٠] هو أحد أقاليم الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت وكان يقع شرق فلسطين.

وقد أتينا لنسجد لـه"[١٢١]، سأل الملك شيوخ الشعب وعـرف منهم أن المسيح سيُولَد في بيت لحم، فقد أجابوه بأنه مكتوب بالنبي القائل "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منكِ يخرج مدبِّر يرعى شعبي إسرائيل"[١٢٢]. هؤلاء المجوس أتوا مِن العربية إلى بيت لحم وسجدوا للمولود وقدَّموا له هدايا ذهبًا ولبانًا ومرًّا. وبعدما سجدوا له في بيت لحم أُوحيَ لهم [في حلم] أن لا يرجعوا إلى هيرودس. وأيضًا يوسف خطيب مريم - الذي كان قد قرر أن يتخلى عنها ظنًّا منه أنها حبلى مِن تزاوج بشري أي مِن زنا - أُوحيَ له في رؤيا ألّا يفعل هذا؛ إذ ظهر له ملاك وقال له إن الذي في بطنها هو مِن الروح القدس. فخاف يوسف ولكنه لم يتخل عنها. وعندما كان كيرينيوس[١٢٣] يُجري أول تعداد في اليهودية، سافر يوسف مِن الناصرة مكان سكناه إلى بيت لحم - مسقط رأسه - لكي يُكتتب لأنه كان بحسب الميلاد مِن سبط يهوذا الذي سكن في هذه المنطقة. ثم أوحي له في رؤيا أن يذهب مع مريم والطفل إلى مصر وأن يظلوا هنالك حتى يُوحى لهم أن يرجعوا إلى اليهودية. أما بالنسبة لميلاد الطفل في بيت لحم كما تعلمون فعندما لم يجد يوسف أي مكان لهم في القرية ذهب إلى مغارة قريبة حيث ولدت مريم الطفل ووضعته في المذود حيث وجده المجوس الذين مِن العربية. وأنا قد ذكرت لكم كلمات إشعيا التي تنبأ فيها عن العلامة [أي النجم] التي قادتهم إلى الكهف ولكن لأجل الذين انضموا إليك اليوم فسأعيد عليكم هذا النص."

ثم كررت لهم كلمات إشعيا التي ذكرْتَها قبلًا وقلت: "إن الكهنة الذين يقومون بطقوس ميثراس كانوا يقولون - بإيحاء مِن الشياطين - إن ميثراس نفسه هو الذي أسسها في المكان الذي

---

[١٢١] انظر مت ٢: ٢.

[١٢٢] ميخا ٥: ٢ ؛ مت ٢: ٥ - ٦.

[١٢٣] كان مبعوث الإمبراطور في سوريا، راجع الدفاع الأول، فصل ٣٤.

يسمونه الكهف. وبعد أن عزف المجوس عن العودة إلى هيرودس كما طلب منهم وانصرفوا إلى بلادهم مِن طريق آخر كما قيل لهم، وبعد قدوم يوسف ومريم والطفل إلى مصر كما أُوحيَ إليهم مِن الله، أمر هيرودس بقتل جميع الأطفال الذين في بيت لحم بدون استثناء؛ إذ لم يعرف مَن هو الصبي الذي جاء المجوس ليسجدوا له. وهذا أيضًا قد تنبأ به إرميا عندما تكلم الروح القدس بفمه قائلاً: "صوت سُمِع في الرامة نوح وبكاء كثير. راحيل تبكي أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (إر ٣١: ١٥) ولأجل الصوت الذي سُمِع على بعد مسافة طويلة حتى الرامة أي في العربية - فحتى اليوم يوجد مكان في العربية يُدعى الرامة - وصَلَ النواح المكان حيث ترقد راحيل زوجة يعقوب الذي دُعيَ إسرائيل - أي في بيت لحم - إذ ناحت النساء على أطفالهن الذين ذُبِحوا وليس لهن عزاء على ما حدث. أما كلمات إشعيا "تؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة" (إش ٨: ٤) فهي تعني أن قوة الشيطان الشرير الذي سكن دمشق سيسحقها المسيح عند مولده. وهذا ما حدث لأن المجوس المُستعبَدين لكل عمل شرير بقوة هذا الشيطان، أعلنوا تمردهم على هذه القوة التي تملكتهم كغنيمة، والتي يقول عنها الكتاب مجازيًا إنها كانت في دمشق وظهر تمردهم في مجيئهم للسجود للمسيح. وعلى سبيل التشبيه سُميَت هذه القوة الشريرة السامرة. ولا ينكر أحد بينكم أن دمشق هي جزء مِن أرض العربية مع أنها الآن تابعة لفينيقية سوريا (Syrophoenicia). ولذا فمن الأفضل، يا أصدقائي، أن تتعلموا ما لا تفهمونه، منّا نحن المسيحيين الذين نلنا نعمة الله، وأن لا تحاولوا جاهدين أن تدافعوا عن تعاليمكم الخاصة مزدرين تعاليم الله. ويبيِّن إشعيا لماذا منع الله عنكم هذه النعمة وأعطانا إياها بقوله: "لأن هذا الشعب يقترب إليَّ بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده بعيدًا عني. وصارت

مخافتهم لي باطلة؛ وصايا أناس وتعليم معلمين. لذلك هأنذا أعود أنزع هذا الشعب، أنزعهم وأبيد حكمة حكمائه وأمحو فهم فهمائه" (إش ٢٩: ١٣ - ١٤)."

الفصل التاسع والسبعون

وكان تريفون غاضبًا كما بدا على وجهه لكنه احترم الكتاب المقدس وقال لي: "إن كلمات الله هي بالتأكيد مقدسة ولكن تفسيركم لها ليس فقط تفسيرًا سطحيًّا كما هو واضح مِن الأمثلة التي ذكرتها، بل أيضًا يُعتبَر تجديفًا لأنك تقول إن بعض الملائكة أخطأوا وعصوا الله."

ورغبة مني في الاحتفاظ بانتباهه. أجبته بلهجة لطيفة: "يا سيدي، إني أحترم تقواك، وأسأل أن يكون لك هذا الشعور ذاته تجاه الله الذي تخدمه الملائكة، كما يقول دانيال: "شبه ابن إنسان اقترب إلى قديم الأيام فأُعطيَ له كل المُلك إلى أبد الأبد"[١٢٤]. ولكي أريك، يا صديقي، أنه ليس من باب الاجتراء نقول بهذا التفسير الذي تنتقده، أود أن أدلل على ما أقوله مِن كلمات إشعيا النبي نفسه الذي قال إن الملائكة الأشرار سكنوا ولا يزالون يسكنون مدينة تانيس المصرية. وها هي ذي كلمات إشعيا: "ويل للبنين المتمردين يقول الرب. قد أجريتم مشورة ليست مني. واتفقتم اتفاقًا ليس بروحي لتزيدوا خطية على خطية. الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوني ليلتجئوا إلى فرعون ويحتموا بظل مصر فيصير لكم حصن فرعون خزيًا وللمُتوكلين على المصريين عارًا. لأن الرؤساء فى تانيس ملائكة أشرار. باطلًا يتعبون لأجل شعب لا ينفعهم. ليس للمعونة ولا للمنفعة بل للخزي والعار" (إش ٣٠: ١ - ٥) وحتى زكريا يؤكد كما قد

---

[١٢٤] انظر دا ٧: ١٣، ١٤.

ذكرت أنت نفسك ويقول "وأراني يهوشع[١٢٥] الكاهن العظيم قائمًا قُدَّام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه يقاومه. فقال للشيطان لينتهرك الرب الذي إختار أورشليم" (زك ٣: ١، ٢). وها هي ذي أيضًا شهادة أيوب: "وجاء الملائكة ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضًا في وسطهم"[١٢٦]. وفي بداية سفر التكوين يقول موسى إن الحية خدعت حواء ولذا لُعِنَت. كما أننا نعلَم أيضًا أنه كان في مصر سحرة حاولوا عمل نفس المعجزات التي عملها الله بواسطة عبده الأمين موسى. وقد قال داود: "لأن كل آلهة الأمم شياطين[١٢٧]".

الفصل الثمانون

قال تريفون: "يا سيدي، لقد قلت لك قبلًا إنك حريص جدًّا على الالتزام الشديد بالكتاب المقدس في كل ما تقوله. ولكن قل لي بصدق هل تؤمن حقًّا أن أورشليم سيُعاد بناؤها، وهل تتوقع فعلًا أنكم أنتم المسيحيون ستجتمعون هناك لتعيشوا بفرح مع المسيح عندما يأتي ومع الآباء والأنبياء وقديسي شعبنا وهؤلاء الذين اهتدوا إلى الله قبل مجيء مسيحكم، أم أنك تقول هذا كي تظهر كأنك انتصرت علينا في المناقشة؟"

قلت: "يا تريفون، أنا لست مراوغًا لهذه الدرجة حتى أقول غير ما اؤمن به. وكما قلت لك قبل ذلك[١٢٨] إنني وكثيرين معي نؤمن أن هذا سيحدث وقد ذكرت أيضًا أن كثيرين مِن المسيحيين الأتقياء لا يشاركوننا هذا الرأي. وقد قلت إن هناك مسيحيين بالاسم فقط وفي حقيقة الأمر هم هراطقة[١٢٩] بعيدون عن الإيمان والتقوى ينادون

---

[١٢٥] اسم يهوشع في اللغة اليونانية له نفس نطق اسم يسوع.

[١٢٦] انظر أي ١: ٦ ؛ ٢: ١.

[١٢٧] مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥).

[١٢٨] ربما ورد ذلك في الجزء المفقود من الحوار.

[١٢٩] يقصد الإبيونيين والغنوسيين . . . إلخ.

بتعاليم تجديف وإلحاد وحماقة. وعلى أيه حال، لكي أطمئنكم أنني لا أقول هذا الكلام أمامكم فقط، أعدكم أن أدوِّن حوارنا هذا كله في كتاب بشكل جيد على قدر المستطاع، وفيه سأذكر ما قلته لكم للتو لأنني لا أريد أن أتبع البشر وتعاليمهم بل الله وتعاليمه. وإذا قابلتم أي أحد يُدعى مسيحيًّا ولا يعترف بهذه العقيدة [الحكم الألفي] بل يجدِّف على إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب بإنكاره قيامة الأموات ويقول إن النفس تُرفَع إلى السماء في لحظة الموت، فلا نعتبر مثل هذا مسيحيًّا حقيقيًّا مثلما أنه لا يمكن للمرء بعد فحص دقيق أن يعتبر الصدوقيين[١٣٠] ومَن يشابههم مِن هرطقات الجِنِستاي (Genistæ) والمِرِستاي (Meristæ) والجليليين والهللينيين (Hellenists) والفريسيين والمعمدانيين[١٣١] هم مِن اليهود ـ لا تؤاخذوا صراحتي إذ أقول ما أعتقد ـ فهؤلاء يُعتبَرون يهودًا وأبناءً لإبراهيم بالاسم فقط مُقدِّمين عبادة شفهية لله، في حين قلوبهم مبتعدة بعيدًا عنه. أما أنا وكل مسيحي قويم الاعتقاد فنؤمن بقيامة الجسد يتبعها ألف سنة[١٣٢] في مدينة أورشليم التي ستُبنى مِن جديد بشكل أوسع وأجمل كما يعلن الأنبياء حزقيال وإشعيا وغيرهم."

---

[١٣٠] كان الصَدُّوقيون ينكرون قيامة الأجساد بعد الموت.

[١٣١] هذه الطوائف ليس معروف عنها الكثير؛ الجِنِستاي: ربما دُعيوا بهذا الاسم لنقاء سلالتهم، لأنهم لم يتزوجوا من الأمم على الإطلاق، وبخاصة في أيام السبي البابلي. المِرِستاي: ربما تشير إلى اليهود القدريين الذين اقتطعوا أجزاء من الكتاب المقدس. الجليليون: هم أتباع يهوذا الجليلي الذي قام بثورة يهودية ضد الرومان في عام ٦ ميلادية. الهللينيون: ربما هم أنفسهم من كانوا يشتهرون باسم الهيرودسيين، الذين كانوا يدعمون الحكم الروماني في فلسطين.

[١٣٢] لم يكن الاعتقاد بالحكم الألفي منتشرًا كما توحي كلمات ق. يوستينوس. وقد كان بابياس من هيرابوليس، وإيرينيوس هما الوحيدين اللذين أيّدا هذه العقيدة. ولقد اعترض كثيرون من الكتاب المسيحيين على هذه العقيدة التي تؤمن بألف سنة من السعادة الأرضية مع المسيح في أورشليم بعد القيامة من الأموات. وعلى كل فقد أعلن ق. يوستينوس منذ بداية هذا الفصل أن أراءه تلك لا يشاركه فيها الجميع.

الفصل الحادي والثمانون

"ها هي ذي كلمات إشعيا عن فترة الألف عام: "لأنه تكون سماءً جديدة وأرضًا جديدة فلا يَذكُرون الأولى ولا تخطر على بال. بل يجدون فيها فرحًا وابتهاجًا كل ما أنا خالقٌ، لأنني هأنذا خالق أورشليم بهجةً وشعبها فرَحاً. فأبتهج بأورشليم وأبتهج بشعبي ولا يُسمَع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. ولا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه. لأن الصبي يكون ابن مائة سنة أما الخاطئ فيموت ابن مائة سنة ويكون ملعونًا. ويبنون بيوتًا وهم يسكنون فيها ويغرسون كرومًا وهم يأكلون أثمارها. لا يبنون وآخرون يسكنون ولا يغرسون وآخرون يأكلون. لأنه كأيام شجرة الحياة تكون أيام شعبي وستدوم أعمال تعب أيديهم. فإن مُختاريَّ لا يتعبون باطلاً ولا يلدون للعَن لأنهم يكونون زرعًا بارًّا ومباركين مِن قِبَل الرب ونسلهم معهم. ويكون قبلما يدعون أنني استجيب لهم وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع. عندها سترعى الذئاب والحملان معًا والأسد يأكل التبن كالثور. أما الحية فالتراب لها كالخبز. لا يُؤذون ولا يُهلِكون في كل جبل قدسي يقول الرب." (إش ٦٥: ١٧ - ٢٥) وفي الكلمات التالية: "لأنه كأيام شجرة الحياة تكون أيام شعبي وستدوم أعمال تعب أيديهم" إشارة إلى الألف سنة في تعبير مجازي. وعندما قيل عن آدم أنه "يوم يأكل منها موتًا يموت" (تك ٢: ٧) لم يكن آدم قد بلغ ألف سنة مِن العمر. ونحن أيضًا نعتقد أن الآية التي تقول أن "يوم الرب كألف سنة"[١٣٣] تقود إلى النتيجة نفسها. وقد كان بيننا رجل يُدعى يوحنا وهو أحد رسل المسيح وقد رأى رؤيا بأن أتباع المسيح سيعيشون في أورشليم لمدة ألف

---

[١٣٣] مز ٨٩: ٤ (في البيروتية مز ٩٠: ٤).

سنة ثم بعد ذلك قيامة الأموات والأبدية والدينونة[١٣٤]". وقد شهد بذلك الرب نفسه عندما قال: "لا يزوِّجون ولا يزوَّجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة." (لو ٢٠: ٣٥ - ٣٦)."

الفصل الثاني والثمانون

"وفي وقتنا هذا نجد أن مواهب النبوة تتواجد بيننا نحن المسيحيين وأن المواهب التي كانت توجد بين شعبكم قد تحولت وصارت لنا الآن. وكما كان يوجد أنبياء كذبة في أيام أنبيائكم القديسين، هكذا يوجد الآن أيضًا في وسطنا معلمون كذبة كثيرون، الذين حذَّرَنا منهم الرب نفسه كي نكون مستعدين لأي شيء؛ إذ كان يعلَم مسبقًا ما كان سيصيبنا بعد قيامته مِن الأموات وصعوده إلى السماوات. فقد تنبأ الرب بأننا سنكون مكروهين من أجل اسمه وأننا سنُقتَل وأن أنبياء كذبة كثيرين ومسحاء كذبة سوف يأتون باسمه ويُضلُّون كثيرين، وهو ما قد حدث بالفعل. فقد قام كثيرون بنشر تعاليم إلحاد وتجديف وشر واضعين اسمه على هذا كله كما أنهم علَّموا وما زالوا يقولون كل ما يخطر على بالهم بإيحاء من الشيطان ذلك الروح النجس. ونحن نعمل على قدر استطاعتنا لتحذيرهم وأنتم أيضًا لئلا ينخدعوا لأننا نعرف بالتأكيد أن مَن يقدر أن يتكلم بالحق ولا يتكلم فهذا سيدينه الله الذي قال بفم حزقيال: "قد جعلتك رقيبًا لبيت يهوذا. إذا أخطأ الخاطئ وما أنذرته أنت فهو يموت بإثمه. أما دمه فمنك أطلبه. أما إن أنذرته فتكون بريئًا"[١٣٥] ولذلك نحن نحرص على التكلم بكلام الكتب المقدسة لا حبًا في

---

[١٣٤] يقصد رؤ ٢٠: ٤ - ٦.

[١٣٥] انظر حز ٣: ١٧ - ١٩.

الغنى أو المجد أو المتعة بل خوفًا مِن الدينونة القادمة. ولا يستطيع أحد أن يتهمنا بحق بارتكاب مثل هذه الرذائل. كما أننا لا نريد محاكاة حياة قادتكم الذين يوبخهم الله قائلاً: "رؤساؤكم لغفاء لصوص. يحبون الرشوة ويتبعون العطايا" (إش ١: ٢٣) وإذا صادفت مثل هؤلاء الناس بيننا نحن المسيحيين فلا تجدفوا على المسيح بسببهم ولا تحاولوا أن تفسِّروا الكتب المقدسة وفقًا لأهوائكم."

الفصل الثالث والثمانون

"فإن معلميكم قد تجاسروا أن يفسِّروا هذه الآية: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك"[١٣٦] كأنها تشير إلى حزقيا، كما لو كان الرب يأمر حزقيا أن يجلس عن يمين الهيكل عندما أرسل له ملك آشور رجالًا يحملون رسائل تهديد وقال له إشعيا ألّا يخاف. والآن نحن نعلم جميعًا ونعترف أن ما تنبأ به إشعيا قد حدث بالفعل وأنه في أيام حزقيا مُنِع ملك أشور مِن شن الحرب على أورشليم وأن ملاك الرب أمات نحو ١٨٥ ألف رجل مِن معسكر أشور. ولكن مِن الواضح أن هذا المزمور لا يشير إلى حزقيا إذ يقول: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. قضيب قوة يرسل لك الرب من صهيون فتسود وسط أعدائك. معك الرئاسة في يوم قوتك في بهاء القديسين. من البطن قبل كوكب الصبح ولَدتُك. أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق"[١٣٧]. والآن مَن يستطيع أن ينكر أن حزقيا ليس كاهنًا إلى الأبد على طقس ملكي صادق؟ ومَن يقدر أن يقول إنه هو فادي أورشليم؟ ومَن يدَّعي أن حزقيا أرسل قضيب قوة إلى أورشليم أو

---

[١٣٦] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

[١٣٧] مز ١٠٩: ١ ـ ٤ (في البيروتية مز ١١٠: ١ ـ ٤).

ساد في وسط أعدائه؟ ومَن لا يعرف أن الله هو الذي حوَّل الأعداء عن حزقيا في حين كان يبكي وينوح؟ أمَّا مسيحنا يسوع فبالرغم مِن أنه لم يأتِ بعد في مجده إلَّا أنه أرسل إلى أورشليم قضيب قوة أي الدعوة إلى التوبة لكل الأمم التي كانت تحت حكم الشياطين كما يشهد داود قائلاً: "كل آلهة الأمم شياطين"[١٣٨] وقد دفعت قوة كلمة الله الكثيرين لترك الشياطين الذين كانوا يطيعونهم قبلًا ودفعتهم أيضًا للإيمان بالله ضابط الكل مِن خلال المسيح "لأن آلهة الأمم شياطين". ولقد أثبتنا في وقت سابق أن هذه الكلمات: "في بهاء القديسين مِن البطن قبل كوكب الصبح ولَدتُك"[١٣٩] تشير إلى المسيح."

الفصل الرابع والثمانون

"وكذلك كلمات النبوءة التي تقول في بدايتها "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا" (إش ٧: ١٤) تُشير إلى المسيح. وإذا كان الذي يشير إليه إشعيا لم يُولَد مِن عذراء فإلى مَن يشير الروح القدس في قوله: "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا"؟ وإذا كان سيُولَد عن طريق اتصال جنسي مثل أي ابن بكر، فلماذا يعلن الله بأسلوب مهيب أنه يعطينا علامة غير مألوفة لأي ابن بكر؟ أمَّا هذه العلامة الحقيقية والبرهان الدافع هو أن بكر كل خليقة سيُولَد من رحم عذراء ويتخذ له جسدًا ويصير بالحقيقة إنسانًا وهذا ما سبق وعرفه روح النبوة قبل أن يحدث وقد تنبأ عنه بطُرُق مختلفة كما شرحت لكم. وفي الواقع هو يتنبأ عن هذا حتى إنه متى حدث يكون مفهومًا للكل أنه حدث بقوة وقصد خالق العالم، مثلما خُلِقت حواء من أحد ضلوع آدم وخُلِقت جميع الكائنات الحية بكلمة الله

[١٣٨] مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥).
[١٣٩] مز ١٠٩: ٣ (في البيروتية مز ١١٠: ٣).

منذ البدء. ولكنكم تتجاسرون على تغيير ترجمة هذا النص والتي قام بها شيوخكم في بلاط بطليموس الملك المصري مؤكدين على أن المعنى الحقيقي للنص ليس كما ترجمه هؤلاء الشيوخ بل: "هوذا الشابة تحبل" كما لو كان أمرًا عجيبًا أن تحبل امرأة بعد الاتصال الجنسي كما يحدث مع كل امرأة شابة ما عدا العاقر. وحتى أولئك قد يلدن إذا أراد الله، فأُم صموئيل التي كانت عاقرًا ولدت ابنًا بفضل إرادة الله، وكذلك سارة زوجة إبراهيم، وأليصابات التي ولدت يوحنا المعمدان وكثيرات أخريات. ولذا يجب أن ندرك أن الله قادر على فعل أي شيء حسب إرادته وخاصة عندما توجد نبوءة أن هذا سيحدث، فلا تحاولوا حذف أو إساءة تفسير النبوءات لأنكم بهذا تسيئون إلى أنفسكم وليس إلى الله."

الفصل الخامس والثمانون

"وأيضًا يتجاسر البعض منكم على القول بأن الكلمات التالية "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد"[١٤٠] تشير إلى حزقيا، في حين يقول آخرون إنها تشير إلى سليمان. ولكن لا يُمكن لأحد أن يُثبت أن هذه الكلمات تشير إلى هذا أو ذاك أو إلى أي ملك آخر مِن ملوككم، بل هي تشير إلى مسيحنا الذي ظهر بلا كرامة ولا جمال - كما يشهد بذلك إشعيا وداود وجميع الكتب المقدسة - وهو رب الجنود بإرادة أبيه الذي وهبه هذه الكرامة، وهو مَن قام مِن الأموات وصعد إلى السماء، كما جاء في المزمور وفي نصوص كتابية أخرى معلنة أنه هو رب الجنود. وأنتم تقدرون أن تروا بسهولة صحة هذا الكلام فقط إذا فتحتم أعينكم لتبصروا الأشياء التي تحدث حولكم. فكل الشياطين تنهزم وتخضع

[١٤٠] مز ٢٣: ٧ (في البيروتية مز ٢٤: ٧).

عند انتهارها باسم ابن الله بالحقيقة، الذي هو بكر كل الخليقة المولود مِن عذراء، وهو الذي تألم وصُلِب بواسطة شعبكم في عهد بيلاطس البنطي ومات وبعد قيامته مِن الأموات صعد إلى السماوات. وعندما تحاولون انتهار الشياطين باسم أي إنسان مولود بينكم سواء ملك أو رجل بار أو نبي أو أحد الآباء البطاركة، فلن تخضع لكم ولكن إذا انتهرها أحدكم باسم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب فربما تخضع لكم. أما بعض السحرة عندكم فهم كما سبق أن ذكرت يخاطبون الشياطين بواسطة فن السحر كما يفعل الأمم مستخدمين الأبخرة والتعاويذ. وإن كلمات داود توضح أن هناك ملائكة وقوات تتلقى الأوامر، كما أشارت نبوءة داود، بأن ترفع الأبواب ليدخل يسوع المسيح رب الجنود القائم مِن الأموات بإرادة الآب. ولأجل هؤلاء الذين لم يكونوا حاضرين معنا أمس سأُعيد على مسامعكم نبوءة داود وسألخِّص لكم غالبية ما قيل في ذلك الوقت. والآن إن قلت لكم هذه [الآيات] - بالرغم مِن أنني قد كررتها على مسامعكم مِن قبل - إلا أنني أعرف أن هذا ليس في غير محله. فإنه مِن السُّخْف أن نراقب الشمس والقمر والنجوم وهي تدور في أفلاكها فتتوالى فصول السنة بغير تغيُّر، أو ننظر إلى متخصص في الرياضيات وهو يجيب على الدوام بالرقم أربعة كلما يُسأل عن حاصل ضرب اثنين باثنين، ونستمع للحديث المتكرر عن الحقائق الثابتة والتي قد ثبتت صحتها، ولكننا عندما نتحدث عن تفسير النبوءات الموجودة في الكتاب المقدس نفضل ألّا نذكر النص ذاته بل نظن أننا قادرون على المجيء بكلمات تفوق كلمات الأسفار المقدسة. وها هو ذا النص الذي فيه يظهر الله لنا أنه يوجد ملائكة وقوات في السماء: "سبحوا الرب مِن السماوات. سبحوه في الأعالي. سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده" (مز ١٤٨: ١ - ٢).

وهنا قال أحد الرجال الذين انضموا إلينا في اليوم الثاني ويُدعى مناسياس: "نحن نُقدِّر جدًّا تعبك في إعادة هذه النصوص لأجلنا."

قلت: "يا أصدقائي، استمعوا إلى النص الكتابي الذي يدعوني لعمل هذا. إن يسوع أمرنا أن نحب حتى أعداءنا كما تنبأ أيضًا إشعيا في الكثير مِن الآيات التي تحدَّث فيها أيضًا عن سر الميلاد الجديد الذي سيكون لنا ولكل من يتطلع إلى مجيء المسيح في المجد في أورشليم ويجاهد لإرضائه في كل شيء. يقول إشعيا: "اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه. قولوا يا إخوتنا للذين يكرهوننا ويبغضوننا قد تمجَّد اسم الرب وقد ظهر لفرحكم وأما هم فيخزون. صوت صراخ مِن المدينة، صوت مِن الهيكل صوت الرب مُجازيًا المستكبرين. قبل أن يأخذها الطلق ولدت. قبل أن يأتي عليها المخاض ولدت ذكرًا، مَن سمع أمرًا كهذا؟ ومَن رأى أمرًا كهذا؟ هل تمخض الأرض في يوم واحد؟ أو تلِد أُمَّة دفعة واحدة؟ فقد مخضت صهيون وولدت بنيها. قد أعطيت هذا الوعد حتى لِمَن لا تلِد قال الرب. افرحي يا أورشليم وابتهجوا يا جميع محبيها. افرحوا يا جميع النائحين عليها لكي ترضعوا وتشبعوا من ثديّ تعزياتها لكي ترضعوا وتتلذذوا من مَدخَل مجدها" (إش ٦٦: ٥ - ١٣)."

الفصل السادس والثمانون

وبعد ذكر هذا النص استطردت: "والآن أيها السادة أريدكم أن تفهموا أن الذي قال عنه الكتاب إنه سيأتي ثانيةً في مجده بعد الصلب رُمِز له بشجرة الحياة التي في الفردوس وبالأحداث التي ستحدث لجميع الأبرار[١٤١]. فعندما أرسل الله موسى بعصا لينقذ

[١٤١] هذه الأحداث مذكورة في خر ٤: ٧ ؛ ١٤: ١٦ - ٢١ ؛ ١٥: ٢٣ - ٢٥ ؛ ١٧: ٥ - ٦ ؛ تك ٢٨: ١٢ - ١٨ ؛ ٣٠: ٣١ - ٤٢ ؛ ٣١: ١٣.

الشعب، أمسكها بيديه وهو في مقدمتهم وشق البحر. وبهذه العصا ضرب الصخرة فخرج منها ماء. وأيضًا طرح موسى شجرة في مياه مارة المُرَّة فصارت عذبة. كذلك وضع يعقوب قضبانًا أمام مساقي الماء مما جعل غنم خاله تتوحم حتى يستولي على صغارها. ويفتخر يعقوب بأنه عبر النهر بعصاه وأنه رأى سلمًا والله جالس عليها، كما يقول الكتاب - وقد بيَّنا أن هذا لم يكن الله الآب - وقد صبَّ يعقوب زيتًا على الحجر الذي مسحه عمودًا في نفس المكان إكرامًا لله الذي تراءى له كما شهد الله ذاته الذي تراءى له. وقد أثبتنا أنه في نصوص كتابية كثيرة يُشار إلى المسيح رمزيًّا بالحجر، وأن كل مسحة سواء بالزيت أو المُر أو أي خليط مِن البلسم كانت إشارة له (أي للمسيح)، لأن الكتاب يقول: "أَحَببت البر وأبغضت الإثم لأجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر مِن رفقائك"[١٤٢]. فجميع الملوك والمسحاء نالوا منه نصيبهم في أسمائهم كملوك ومسحاء، كما أنه هو ذاته أخذ من الآب لقب ملك ومسيح وكاهن وملاك وغيرها مِن هذه الألقاب التي له. وهارون عندما أزهرت عصاه أظهرت أنه هو رئيس كهنة، وقد تنبأ إشعيا بأن المسيح سيأتي كعصا مِن أصل يسى. كما أن داود أعلن أن البار "كالشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في حينه وورقها لا يندثر" (مز ١ : ٣) وأيضًا أن الصديق "كالنخلة يزهو"[١٤٣]. وظهر الله لإبراهيم مِن شجرة كما هو مكتوب "عند بلوطات ممرا" (تك ١٨ : ١) وبعد أن عبر الشعب الأردن وجدوا سبعين شجرة صفصاف واثني عشر ينبوع ماء. ويقول داود إن "عصا الله وعكازه هما يعزيانه"[١٤٤]. وأليشع عندما ألقى قطعة خشب في نهر الأردن، طفا رأس الفأس الحديد على الماء وكان أبناء الأنبياء قد بدأوا

[١٤٢] مز ٤٤ : ٨ (في البيروتية مز ٤٥: ٧).
[١٤٣] مز ٩١: ١٣ (في البيروتية مز ٩٢: ١٣).
[١٤٤] انظر مز ٢٢: ٤ (في البيروتية مز ٢٣: ٤).

يقطعون الخشب بالفؤوس لتشييد المبنى[١٤٥] الذي كان مِن المُقرَّر أن يقرأوا ويدرسوا شريعة الله فيه، وكذلك المسيح بصلبه على خشبة الصليب وتقديسنا نحن المسيحيين بالماء [أي المعمودية]، أقامنا نحن الذين كنا منغمسين في وحل خطايانا وجعلنا بيوت صلاة وعبادة. وأخيرًا، العصا هي التي دلَّت على أن يهوذا هو أبو التوأم الذيَن وُلِدا لثامار بسر عظيم."

الفصل السابع والثمانون

وبعد أن انتهيت من الكلام قال تريفون: "والآن أسألك السؤال التالي ولكن أريدك أن تعلم أنني أسأله ليس لكي أناقضك بل فقط لأحصل على معلومات بشأن هذا الموضوع الذي أسأل عنه؛ اشرح لي كلمات إشعيا هذه: "ويخرج قضيب مِن أصل يسى وتنبت زهرة من جذوره ويرتاح فيه روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى وتملأه مخافة الرب" (إش ١١: ١ - ٣) وأنت قد اعترفت أن هذه الكلمات تشير إلى المسيح الذي تدَّعي أنه سابق الوجود كإله، وتجسَّد بإرادة الله مولودًا مِن عذراء. فكيف تقدر أن تُثبِت أنه سابق الوجود في حين أنه قد ملأته مواهب الروح القدس التي ينسبها إليه هذا النص من إشعيا كما لو كانت تنقصه؟"

أجبت: "لقد طرحتم سؤالاً معقولاً وذكيًّا جدًّا وقد يبدو كأنه مشكلة، ولكن إن أردتم حلاً لهذا الأمر فأرجو أن تصغوا لي. إن الكتاب المقدس يذكر أنه قد أُعطِيَت له مواهب الروح القدس هذه ليس لأنه كان محتاجًا إليها بل لأنها سترتاح فيه، أي تجد كمالها فيه، حتى لا يكون بعد أنبياء آخرون بين شعبكم كما كان في

[١٤٥] انظر ٤مل ٦: ١ - ٨ (في البيروتية ٢مل ٦: ١ - ٨) انظر الحوار مع تريفون، فصل ٣٩، حاشية ٦٣.

القديم، وهو ما يمكنكم أن تلاحظوه. أرجو أن تنتبهوا جيدًا لما أقوله حتى تدركوا أن كل واحد من أنبيائكم بعد أن نال موهبة أو موهبتين مِن الله قال وفعل ما نعلمه من الكتاب المقدس. فسليمان كان له روح الحكمة، ودانيال روح الفهم والمشورة، وموسى روح القوة والتقوى، وإيليا روح المخافة، وإشعيا روح المعرفة. وهكذا فإن لكل نبي موهبة أو إثنتين وأيضًا إرميا والأنبياء الإثني عشر وداود، وباختصار جميع أنبيائكم. إذن فالروح حلَّ أي توقف عندما جاء المسيح. وبعد أن أتمَّ الفداء، أُبطِلَت هذه المواهب بينكم بتوقفها فيه وأُعطِيَت، كما قال هو، للمؤمنين به كلٌ حسب استعداده[١٤٦]. وقد قلت مِن قبل وأقول ثانيةً إنه قد تُنُبِّئَ بأنه سوف يفعل هذا بعد صعوده إلى السماء كما جاء في النبوءات: "صعد إلى العلاء وسبى سبيًا وأعطى عطايا لبني البشر"[١٤٧]. وأيضًا في نبوءة أخرى يقول: "ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم." (يوئيل ٢ : ٢٨ - ٢٩)"

الفصل الثامن والثمانون

"وإذا نظرتم حولكم يمكنكم أن تروا مِن بين المسيحيين رجالاً ونساءً قد أخذوا مواهب مِن روح الرب. إذن لم يكن المسيح محتاجًا إلى هذه المواهب التي تنبأ إشعيا أنها ستحل عليه بل فقط لأنها لن يكون لها وجود بعد ذلك. وكدليل آخر، تذكروا ما قلته لكم عن المجوس كيف أنهم أتوا مِن العربية بعد ميلاد المسيح مباشرةً وسجدوا له لأنه حتى في وقت مَولِده كانت له قوته [الإلهية]، لكنه نما مثل باقي البشر الآخرين مستخدمًا ما يناسب كل مرحلة مِن

[١٤٦] كان تعليم ق. يوستينوس عن حلول الروح القدس على المسيح يتفق مع بقية الآباء في كون المسيح لم يكن يحتاج إليه (لأنه هو الابن) ولكنه لم يتوصل إلى السبب في الحلول الذي قدمه آباء القرن الرابع وهو أنه كان لا بد أن يحل على الطبيعة البشرية المتحدة بالإبن حتى نستطيع أن نستقبله نحن في أنفسنا.

[١٤٧] مز ٦٧: ١٩ (في البيروتية مز ٦٨: ١٨).

مراحل نموه ومتغذيًا بكل نوع مِن أنواع الطعام حتى بلغ الثلاثين مِن عمره، عندما تقدَّم يوحنا كسابق أمامه معلنًا عن مجيئه ومبشرًا بمعموديته كما ذكرت لكم قبلاً. وعندما أقبل يسوع إلى نهر الأردن حيث كان يوحنا يُعمِّد، نزل في الماء فاشتعلت نار في مياه الأردن[١٤٨] وعند صعوده من الماء حلَّ الروح القدس عليه في شكل حمامة كما يشهد بذلك رسل المسيح نفسه. ونحن نعلم بالطبع أنه لم يأتِ إلى النهر لأنه كان محتاجًا إلى المعمودية أو إلى حلول الروح القدس عليه في شكل حمامة. كذلك فإن المسيح لم يتنازل ويُولَد ويُصلَب لأنه كان محتاجًا للميلاد أو الصلب بل فعل هذا فقط لأجل الإنسان الذي منذ وقت آدم وهو ساقط تحت سلطان الموت وغواية الحية؛ إذ كان لكل إنسان تعدياته وشروره الخاصة. وإذ أراد الله أن يفعل الملائكة والناس ما أعطاهم القدرة على أن يفعلوه، وهبهم حرية الإرادة والقدرة على الاختيار حتى إنهم إذا اختاروا أن يفعلوا ما يرضيه يحفظهم للحياة الأبدية بلا دينونة، ولكن إذا فضلوا أن يفعلوا الشر فهو يعاقب كل واحد كما يشاء. ولم يكن حدث دخوله إلى أورشليم على أتان - كما أوضحنا أنه مذكور في النبوءة - هو الذي أعطاه السلطان أن يكون المسيح بل أن هذا الحدث أثبت للناس أنه هو المسيح بالفعل، كما أن الناس في أيام يوحنا المعمدان أرادوا دليلًا لمعرفة مَن هو المسيح لأن يوحنا كان يلبس رداءً من وبر الإبل ويأكل فقط الجراد والعسل البرى وهو جالس بجانب نهر الأردن مبشرًا بمعمودية التوبة فظنوه أنه هو المسيح، ولكنه أقرَّ أمام سامعيه "أني لست أنا المسيح ... أنا صوت صارخ في البرية ... يأتي بعدي مَن هو أقوى مِني الذي لستُ أهلًا أن أحمل حذاءه"[١٤٩]. وعندما أقبل يسوع إلى الأردن ظنوه أنه ابن

---

[١٤٨] ربما يكون ق. يوستينوس قد تعلَّم ذلك إما من التقليد أو من كتابات الأبوكريفا مثل إنجيل الإبيونيين أو (Praedicatio Pauli) واللذان يذكران هذه الظاهرة.

[١٤٩] يو ١: ٢٠ و ٢٣ ؛ مت ٣: ١١.

يوسف النجار إذ لم يكن له شكل ولا منظر. لأنه وهو على الأرض بالجسد كان يعمل نجارًا[150] يصنع المحراث والنير معطيًا درسًا في ضرورة أن نعمل وأن نحيا حياة البر. وقد حلَّ عليه الروح القدس، كما ذكرت، في شكل حمامة لأجل البشر وفي نفس اللحظة صار صوت مِن السماء ينطق بكلمات كان داود قد سبق أن تنبأ بها عمَّا سيقوله الآب فيما بعد للمسيح "أنت ابني أنا اليوم ولدتك" (مز ٢ : ٧) وبقوله "أنا اليوم ولدتك" يعني أن ميلاده بدأ بالفعل بالنسبة للناس عندما أدركوا مَن هو."

الفصل التاسع والثمانون

قال تريفون: "أنت تعلم جيدًا أننا نحن اليهود نتطلع جميعًا إلى مجيء المسيح ونعترف أن جميع النصوص الكتابية التي ذكرتها تشير إليه. وأنا أيضًا أعترف أن اسم يسوع [أو يشوع] الذي أُعطيَ لابن نون جعلني أميل لهذا الرأي، ولكننا نشك في ضرورة صلب المسيح بهذا الشكل المشين لأن الناموس يقول أن مَن يُصلَب فهو ملعون[151]. وبالتالي ليس من السهل إقناعي بهذه النقطة. ومع أن الأسفار المقدسة تذكر أن المسيح ينبغي أن يتألَّم ولكن عليك أن توضح لنا - إن أمكن - ما إذا كان هذا الألم مِن النوع الذي لعنه الناموس."

قلت له: "إن لم يكن مِن الضروري للمسيح أن يتألَّم ولم يتنبأ الأنبياء أنه سيموت بسبب خطايا الناس بعد أن يُهان ويُعذب ويُحسَب بين الخطاة ويُساق كحمل للذبح وهو الذي لا يقدر أحد أن يصِف ميلاده - كما يقول النبي - لكان لاستغرابكم مُبِّرر. أمَّا إذا كانت هذه الأمور هي خصائص فريدة تُميِّزه أمام الجميع فكيف لا نؤمن

---

[150] انظر لو ٣: ١٦.

[151] انظر تث ٢١: ٢٣.

به بكل ثقة؟ وكل مَن فَهِم معنى كلمات الأنبياء بأنه سوف يُصلَب يؤكِّد على الفور أنه هو المسيح وليس آخر سواه."

الفصل التسعون

قال تريفون: "إذن أرِنا هذا مِن الكتاب المقدس حتى نصدِّق نحن أيضًا ما تقوله. ونحن بالفعل على يقين أنه كان لا بد له أن يتألَّم وأن يُساق كحمل للذبح. ولكن ما نريد أن تُثبِته لنا هو أنه كان لابد له أن يُصلَب وأن يموت هذه الميته المشينة المخزية التي لعنها الناموس. إذ أننا نرى مثل هذا مستحيل."

قلت: "أنتم تعلمون، كما اعترفتم لنا، أن كل ما قاله أو فعله الأنبياء كان بأمثال ليخفوا الحقائق التي تحتويها، وبالتالي لا يكون سهلًا على الجموع أن يفهموا كل ما علَّمه الأنبياء، بل فقط الذين يجتهدون في طلب المعاني."

قال: "لم نشك في ذلك قط."

قلت: "إذن أرجو أن تستمعوا لما سأقوله. إن موسى كان أول مَن أعلن عن هذه اللعنة بالنسبة للمسيح، وذلك بأعمال رمزية قام بها."

قال تريفون: "أية أعمال تقصد؟"

قلت: "عندما حارب شعبكم عماليق وكان يسوع [أو يشوع] بن نون قائد المعركة، مد موسى يديه وصلَّى إلى الله طالبًا منه المعونة. وقام حور وهارون برفع يديه طوال اليوم لئلا يتعب وينزلهما وكان رفع يديه على شكل صليب. ولما كان موسى ينزل يديه كان الشعب ينهزم ـ كما يشهد بذلك موسى نفسه ـ في حين إذا ظل موسى في وضع رفع اليدين كان الشعب ينتصر على عماليق، وكان الأقوياء يستمدون قوتهم من الصليب. وفي الواقع لم يكن الشعب ينتصر بفضل صلاة موسى بل بفضل اسم يسوع [أو يشوع] الذي كان في مقدمة المعركة

وهو ذاته صنع علامة صليب. ومَن منكم لا يعلم أن الصلاة المرضية أمام الله هي تلك التي تُرفَع بانسحاق ودموع، وبركب منحنية، أو جسد منبطح على الأرض؟ ولكن في هذه المناسبة لم يصلِّ موسى ولا غيره بهذه الطريقة وهو جالس على حَجَر. وقد سبق لي أن بيَّنت لكم أن الحجر هو رمز للمسيح."

الفصل الحادي والتسعون

"لقد أظهر الله قوة سر الصليب بشكل آخر عندما قال بفم موسى في البركة التي منحها ليوسف: "مُبارَكة مِن الرب أرضه بفصول السماء، وبالندى وباللُّجة الرابضة تحت. والثمار بحسب فصول الشمس ومرور الشهور ومِن هامات الجبال القديمة ومِن هامات الآكام ومِن الأنهار الأبدية وامتلاء ثمار الأرض ورِضَى مَن ظهر في العُلِّيقة. فلتأتِ على رأس يوسف وعلى هامته، ليتمجَّد بين إخوته. جماله كبِكر ثور وقرناه قرنا وحيد قرن بهما ينطح الشعوب معًا حتى إلى أقصى الأرض" (تث ٣٣: ١٣ - ١٧) والآن، لا يقدر أحد أن يُثبت أو يؤكِّد أن قرني هذا الحيوان يمثلان شكلًا آخر غير شكل الصليب فأحدهما مستقيم ومنه يرتفع القرن الآخر ليقاطعه والجزء المثبت في منتصف الصليب حيث يُعلَّق جسد المصلوب أيضًا يبرز مثل القرن ويشبهه عندما يلتصق بالقرن الآخر. وإن هذه الكلمات "بهما ينطح الشعوب معًا حتى إلى أقصى الأرض" تشير بوضوح إلى ما يجري الآن في جميع الأمم لأن جميع الأمم قد دُفِعوا بواسطة القرنين إلى وخز الضمير والتوبة بفعل سر الصليب، وتركوا أصنامهم الباطلة والشياطين ليتحولوا إلى عبادة الله. ولكن بالنسبة لغير المؤمنين فإن علامة الصليب هذه ذاتها هي سبب هلاكهم ودينونتهم. فعندما خرج الشعب من مصر، هُزِم عماليق وانتصر إسرائيل بعلامة يدي موسى

المدودة واسم يسوع [يشوع] الذي أُطلِق على ابن نون. وكذلك شكل العلامة التي أُقيمَت لإبطال تأثير الحيات التي لدغت شعب إسرائيل كان المقصود منها خلاص الذين آمنوا بأن هذه العلامة تشير إلى أنه بالمسيح المصلوب يأتي الموت للحية والخلاص للذين لُدِغوا منها واحتموا في ذلك الذي أرسل ابنه إلى العالم لكي يُصلَب. إن روح النبوة بفم موسى لم يعلِّمنا أن نؤمن بالحية؛ إذ إنه يعلِّمنا أن الحية ملعونة مِن الله منذ البدء، ويعرِّفنا بفم إشعيا أنها ستُقتَل كعدو بالسيف العظيم الذي هو المسيح".

الفصل الثاني والتسعون

"ما لم ينعم الله على الإنسان بنعمته الجزيلة ليفهم كلام الأنبياء وأعمالهم سيكون مِن العبث أن يتحدث عنهم وعن أعمالهم، حيث إنه لا يستطيع أن يقدِّم تفسيرًا لما يقولون أو يفعلون، وهل لا يكون كلام الأنبياء وعملهم موضع ازدراء لغالبية الناس إذا رواه أشخاص لا يفهمونه؟ فإن سألكم أحد: إذا كانت حياة أخنوخ ونوح وأولاده وغيرهم مرضية أمام الله دون أن يكونوا قد اختتنوا أو حفظوا السبت، فلماذا إذن أراد الله بموجب ناموس آخر ورؤساء آخرين بعد أجيال كثيرة أن يبِّرر بالختان جميع الذين عاشوا ما بين إبراهيم وموسى، ويبرر الذين جاءوا بعد موسى بالختان، بالإضافة إلى شرائع أخرى كحفظ السبت وتقديم الذبائح والقرابين؟ فإذا لم توضحوا هذه النقطة قد يُلام الله بغير وجه حق. وكما قلت قبل ذلك أن الله بسابق علمه كان يدرك أن شعبكم يستحق أن يُطرَد مِن أورشليم ولا يدخلها ثانية. وكما قلت قبلًا إن ما يميزكم هو ختان اللحم فقط. لقد حسب الله إبراهيم بارًّا ليس بسبب ختانه بل بسبب إيمانه، فقَبْل أن يختتن، قيل عنه "فآمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برًّا" (تك ١٥: ٦)

ونحن أيضًا بسبب إيماننا بالله في المسيح حتى ولو لم نختتن بالجسد فلنا الختان المفيد أي ختان القلب، ولنا رجاء أن نحيا في البر وأن نرضي الله لأننا قد أخذنا بالفعل هذه الشهادة منه مِن خلال كلمات الأنبياء. ولكنكم أنتم اليهود قد أُمِرتم أن تحفظوا السبت وتقدموا الذبائح وسُمِح لكم أن تشيدوا مكانًا تطلبون الله فيه حتى لا تعبدوا أصنامًا وتنسوا الله فتصيرون عديمي الإيمان والتقوى. وهكذا حالكم على الدوام. ولهذا السبب بالتحديد أصدر الله أوامره بالنسبة للسبوت والتقدمات كما أثبت لكم في كلماتي السابقة ولكن لأجل الذين انضموا إلينا اليوم، يفضل أن أعيد عليكم معظم هذه الإثباتات . وإن لم يكن السبب هو إنقاذكم من الوثنية، فقد يتهم البعض الله بأن ليس له سابق علم ولا يعلِّم جميع الناس أن يعرفوا ويحفظوا الشرائع العادلة ذاتها . لأنه كان يوجد بالتأكيد أجيال كثيرة من الناس قبل موسى. وقد يحكم البعض أيضا على الأسفار المقدسة بأنها باطلة في قولها "إن جميع سبله عدل. إله أمين لا جور فيه"[١٥٢] وبما أن الكتاب المقدس صادق بلا شك فإن الله لا يريد أن تظلوا على الدوام في جهل وكبرياء كما أنتم الآن، بل أن تخلصوا بالمسيح الذي أرضى الله كما أوضحت لكم مِن كتابات الأنبياء القديسين."

الفصل الثالث والتسعون

"إن الله يُظهِر لكل جنس البشر في كل زمان ومكان ماهية البر، وكل إنسان يعرف أن الزنا والفسق والقتل وما يشابهها هو شر. وعلى الرغم مِن أن جميع الأشرار يرتكبون مثل هذه الأفعال إلا أنهم يعلمون أنهم يخطئون كلما أقدموا على فعل ذلك، ما عدا هؤلاء

---

[١٥٢] تث ٣٢: ٤ ؛ مز ٢٤: ١٠ ؛ ٩١: ١٦ (في البيروتية مز ٢٥: ١٠ ؛ مز ٩٢: ١٥).

الذين بهم روح نجس أو فسدت عقولهم بسبب تعاليم وعادات رديئة وقواعد شريرة أفقدتهم الشعور الطبيعي بالذنب. والمُلاحظ أن هؤلاء الأشخاص لا يريدون تحمُّل ما يُبتلَى به الآخرون. وبضمير خبيث ينتقدون الآخرين لأجل أشياء هم أنفسهم يفعلونها. ولذا فإنني أرى أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح شرح بشكل مناسب للغاية مبدأ أن البر والتقوى يتلخصان في هاتين الوصيتين: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ... وتحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢: ٣٧ - ٣٩)، لأن مَن يحب الله بكل قلبه وكل فكره يكون عقله مكرَّسًا لله ولن يعبد آخر سواه بل يعبد المسيح الذي أرسله الرب الإله لأن هذه هي إرادة الله. والإنسان الذي يحب قريبه كنفسه سيتمنى له البركات ذاتها التي يتمناها لنفسه. والمرء لا يتمنى الشر لنفسه. وبالتالي فمَن يحب قريبه سيصلي ويعمل لكي ينال قريبه البركات ذاتها التي ينالها هو. ومَن هو قريب الإنسان إلا ذلك المخلوق الذي له عقل ومشاعر مثل ما له، أي الإنسان. إذن فإن البر يوجَّه نحو هدفين وهما الله والناس، لأن الكتاب يقول إن كل من يحب الرب الإله بكل قلبه وبكل قدرته ويحب قريبه كنفسه لا بد أن يكون بارًّا. أما أنتم اليهود فلم تُبرهِنوا بأعمالكم على وجود أية صداقة أو محبة نحو الله أو الأنبياء أو نحو بعضكم البعض بل دائمًا ما تظهرون أنفسكم على أنكم عبَدَة أوثان وقتلة الأبرار، حتى إنكم رفعتم أيديكم على المسيح ذاته. بل إنكم تستمرون في طريق الشر حتى يومنا هذا لاعنين مَن يُثبِت لكم أن الذي صلبتموه هو المسيح. والأكثر مِن هذا أنكم تدَّعون أنه صُلِب كعدو ملعون من الله، مما يدل على عدم سلامة قواكم العقلية. ومع أن لديكم الأساس لتفهموا أن هذا الإنسان هو المسيح مِن خلال العلامات التي أعطاها موسى، لكنكم لا تريدون أن تفهموا، والأكثر مِن هذا

تتصورون أنكم توقعوننا في حيرة وإرتباك فتسألون أية أسئلة تخطر على بالكم، في حين تعوزكم الحجة السليمة كلما واجهتم إنسانًا مسيحيًا قوي الحجة."

الفصل الرابع والتسعون

"قولوا لي، أ لم يحرِّم الله صناعة تمثال أو صورة ما مما في السماء أو على الأرض، ومع هذا فهو الذي أمر موسى بعمل حية نحاسية في البريِّة تُقام علامةً لشفاء كل مَن لدغته حية، وكان الله بلا لوم في هذا العمل؟ وبهذا - كما قلت - أعلن الله سرًّا سوف يكسر به شوكة الحية التي أغوت آدم ليخطئ، ويُنجِّي كل الذين يؤمنون به من لدغات الحية - أي الأعمال الشريرة وعبادة الأوثان والخطايا الأخرى - لأنه يموت بواسطة هذه العلامة أي الصليب. وإن لم يكن هذا تفسيرًا لهذا الحدث، أعطوني سببًا واحدًا لإقامة موسى الحية النحاسية على علامة [صليب[١٥٣]] وأمر كل الذين لُدغوا أن ينظروا إليها وقد شفوا على الرغم من أنه [أي الله] هو نفسه قد حرَّم عمل تمثال أو صورة لأي شيء على الإطلاق."

فقاطعني أحد الذين كانوا قد انضموا إلينا في اليوم الثاني قائلًا: "أنت على حق. ليس لدينا سبب. وأنا شخصيًا قد سألت معلمينا عن هذا الموضوع في عدة مناسبات، ولكن لم يقدر أحد أن يعطيني إجابة معقولة. ولذا أرجو أن تواصل كلامك في هذا الموضوع ولك كل انتباهنا لأنك تكشف سر تناقضات يتعرض بسببها تعليم الأنبياء إلى إفتراء."

قلت: "كما أن الله أمر بعمل علامة على شكل الحية النحاسية ومع هذا كان بغير ملامة [بالرغم من أن الحية هي تمثال منحوت]،

---

[١٥٣] يتضح من هذا أن ق. يوستينوس قد افترض أن الحية النحاسية كانت معلقة على خشبة على شكل صليب.

كذلك في الناموس وُضِعَت لعنة على كل مَن يُصلَب مِن الناس ولم تُوضَع هذه اللعنة على مسيح الرب؛ إذ هو الذي به ينال الخلاص كُل مَن عمل أعمالاً تستوجب اللعنة".

الفصل الخامس والتسعون

"فالجنس البشري كله واقع تحت لعنة، لأنه مكتوب في ناموس موسى "ملعون كل مَن لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها" (تث ٢٧: ٢٦)، ولا حتى أنتم تتجاسرون أن تقولوا إن أحدًا استطاع أن يعمل كل ما جاء في الناموس، علمًا بأن البعض عمل به أكثر مِن غيرهم، ولكن إذا كان الذين يخضعون للناموس هم بالتأكيد تحت لعنة لأنهم لم يعملوا بكل أحكام الناموس، فكم بالحري اللعنة على كل الأمم لأجل عبادتهم للأوثان وإفسادهم للأطفال وأعمالهم الشريرة الأخرى؟ وإن كان الله الآب أراد لمسيحه أن يأخذ على نفسه لعنة الجنس البشري كله عالمًا أنه سيُقيمَه ثانية بعد صلبه وموته، فلماذا تتهمون مَن احتمل هذه الآلام حسب إرادة الآب بأنه إنسان ملعون، بدلاً من أن تحزنوا على خطاياكم؟ وعلى الرغم مِن أنه تألم من أجل البشر وفقًا لمشيئة الآب ذاته إلا أن تسببكم في آلامه لم يكن طاعةً لمشيئة الله. كما أنكم لم تفعلوا برًّا بقتلكم الأنبياء. ولا يقدر أحدكم أن يقول إنه بما أن الآب أراد له [أي المسيح] أن يتألَّم حتى يَشفي الجنس البشري بجراحاته، فإننا لم نخطئ في الحكم عليه بالموت. ولكن إذا قلتم هذا وأنتم تُقدِّمون توبة عن أعمالكم الشريرة وتعترفون بأن يسوع هو المسيح وتعملون بوصاياه، ففي هذه الحالة ستنالون غفرانًا لخطاياكم. ولكن إن لعنتموه ولعنتم مَن يؤمن به، وحكمتم على المؤمنين به بالموت كلما استطعتم، فكيف لا تنالون جزاءكم لإلقاء القبض عليه مُظهِرين

أنفسكم كأثمة ظالمين عديمي الإحساس والحكمة؟"

الفصل السادس والتسعون

"إن ما قيل في الناموس إنه "ملعون كل مَن عُلِّق على خشبة" (تث ٢١: ٢٣) يقوِّي رجاءنا القائم على المسيح المصلوب ليس لأن المصلوب ملعون مِن الله، بل لأن الله سبق وأخبرنا بما كنتم ستفعلونه أنتم أيها اليهود وأيضًا الذين لا يدركون مثلكم، أنه قبل كل شيء هو كاهن الله الأبدي، والملك، والمسيح. والآن أنتم ترون بوضوح أن هذا قد حدث بالفعل ومع هذا تلعنون في مجامعكم كل الذين آمنوا به وصاروا مسيحيين. والأمم ينفذون رغبتكم بقتل الذين يعترفون بأنهم مسيحيون. أما نحن فنقول لكل مضطهدينا: "أنتم إخوتنا، أدركوا بالأحرى حق الله". ولكن عندما لا تستمعون إلينا بل تعملون بكل طاقتكم لإجبارنا على إنكار المسيح فلنا أن نقاومكم ونحتمل الموت واثقين أن الله سوف يعطينا كل البركات التي وعدنا بها المسيح. والأكثر من ذلك، نحن نصلي لأجلكم حتى تختبروا رحمة المسيح الذي علَّمنا أن نصلي حتى لأجل أعدائنا. فقد قال "كونوا رحماء كما أن أباكم السماوي أيضًا رحيم"[١٥٤] "فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين"[١٥٥] ولكنه سوف يدين الجميع كما علَّمنا."

الفصل السابع والتسعون

"وكما أن موسى النبي ظلَّ حتى المساء واقفًا على شكل صليب رافعًا ذراعيه بمساعدة هارون وحور فكذلك أيضًا ظلَّ الرب

---

[١٥٤] انظر لو ٦: ٣٦.

[١٥٥] انظر مت ٥: ٤٥.

على الصليب حتى المساء تقريبًا إلى أن دُفِن. ثم قام من الأموات في اليوم الثالث كما تنبأ داود حينما قال "بصوتي إلى الرب صرخت فاستجاب لي مِن جبل قدسه. أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت لأن الرب عضَّدني" (مز ٣: ٤، ٥) وإشعيا أيضًا تنبأ عن طريقة موته في هذه الكلمات "بسطتُ يديَّ إلى شعب متمرد معاند سائر في طريق غير صالح" (إش ٦٥: ٢) وعن قيامته يقول إشعيا "في دفنه يُرفَع مِن الوسط" (إش ٥٧: ٢) وأيضًا "سأجازي الأغنياء عن موته" (إش ٥٣: ٩) أمَّا داود فيشير في المزمور الحادي والعشرين إلى آلامه على الصليب في إشارة سرِّية "ثقبوا يديَّ ورجليَّ أحصوا كل عظامي. هم نظروا وتفرَّسوا فيَّ اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قُرعةً"[١٥٦]. لأنهم لما سمَّروه على الصليب ثقبوا يديه ورجليه والذين صلبوه قسَّموا ثيابه بينهم مقترعين عليها فأخذ كل واحد حسب ما اختار. وهكذا يتضح أنكم بالحقيقة عميان إذ تنكرون أن المزمور السابق يتكلَّم عن المسيح وأنتم ترون أنه لا أحد من شعبكم قد دُعيَ ملكًا وثُقبَت يديه ورجليه وهو حي ثم مات بهذا السر - أي الصليب - سوى يسوع وحده."

الفصل الثامن والتسعون

"اسمحوا لي أن أقرأ لكم المزمور كله حتى تروا كيف كان [الابن] يبجِّل الآب وينسب له كل الأشياء. كما كان يُصلِّي أن ينقذه من هذه الميتة مُشيرًا إلى نوعية أعدائه ومؤكدًا أنه بالحقيقة صار إنسانًا قابلًا للألم. وها هي ذي كلمات المزمور: "إلهي إلهي، استمع إليَّ. لماذا تركتني؟ لا تُبعِد خلاصك عني ولا تتجاهل صرخاتي. إلهي في النهار أصرخ إليك فلا تستجيب وفي الليل أيضًا ولا أدرك لذلك

---

[١٥٦] مز ٢١: ١٧ - ١٩ (في البيروتية مز ٢٢: ١٦ - ١٨).

سببًا [لعدم استجابتك]. وأنت الجالس في القُدس يا تسبيح إسرائيل. عليك اتكل آباؤنا، اتكلوا فنجَّيتَهم. إليك صرخوا فخلصوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان، عار الناس ومُحتقَر الشعب. كل الذين يرونني استهزأوا بي. تكلَّموا بالشفاه وحرَّكوا الرأس [قائلين] اتَّكل على الرب فلينجِه، ليخلِّصه لأنه يريده. فإنك أنت مَن جذبتني مِن البطن، ومَن كنت رجائي منذ ثديي أمي. عليك أُلقيتُ مِن الرحم ومِن بطن أمي أنت هو إلهي. لا تبتعد عني لأن الضيق قريب، فإنه لا معين لي. أحاطت بي عجول كثيرة، اكتنفتني ثيران سمان. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مُفترِس مُزمجِر. كالماء انسكَبْتُ وتفرَّقَتْ كل عظامي. صار قلبي كالشمع الذائب في داخلي. يبِسَتْ مثل شقفة قوَّتي ولصق لساني بحَلْقي وإلى تراب الموت أحضرتني. لأنه قد أحاطت بي كلاب كثيرة، جماعة الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ، أحصوا كل عظامي. نظروا وتفرَّسوا فيَّ. اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قُرعةً. أما أنت يا رب فلا تُبعِد معونتك عني، التفِت إلى معونتي، أنقذ من السيف نفسي ومِن يد الكلب ابنك الوحيد. خلِّصني مِن فم الأسد وأنقِذ اتضاعي من قرون بقر الوحش. أُخبِّر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبِّحك. يا خائفي الرب سبِّحوه، مجِّدوه يا كل نسل يعقوب، وخافوه يا كل نسل إسرائيل[١٥٧]." "

الفصل التاسع والتسعون

واستطردتُ قائلًا: "والآن سأُبيِّن لكم بالشرح والتكرار أن المزمور كله يشير إلى المسيح؛ الكلمات التي بدأ بها المزمور "إلهي إلهي، استمع إليَّ. لماذا تركتني؟" أعلنَت منذ القِدَم ما كان المسيح مزمعًا

---

[١٥٧] مز ٢١: ١ - ٢٥ (في البيروتية مز ٢٢: ١ - ٢٣).

أن يقوله فقد صرخ وهو على الصليب قائلا: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مت ٢٧ : ٤٦) والآيات التي تليها "لا تُبعِد خلاصك عني ولا تتجاهل صرخاتي. إلهي في النهار أصرخ إليك فلا تستجيب وفي الليل أيضًا ولا أدرك لذلك سببًا" تصوِّر الأشياء ذاتها التي كان مزمعًا أن يعملها. إذ إنه في اليوم الذي صُلِب فيه أخذ ثلاثة من تلاميذه إلى جبل الزيتون قبالة هيكل أورشليم وصلى هكذا: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" ثم ختم صلاته قائلًا: "ولكن ليس كما أريد بل كما تريد أنت" (مت ٢٦ : ٣٩) موضحًا أنه قد صار بالحقيقة إنسانًا مُعرَّضًا للألم. وللرد على الادعاء الباطل أنه لم يكن يعرف في ذلك الحين أنه سيتألَّم يضيف على الفور في المزمور: "ولا أدرك لذلك سببًا" كما أنه ليس بسبب عدم المعرفة أن الله قد سأل آدم "أين أنت؟" (تك ٣ : ٩) وسأل قايين "أين هابيل؟" (تك ٤ : ٩) ولكن ليُظهِر لكل منهما خطأه ويعرفنا كل شيء مِن خلال كتابه المقدس؛ ولذا أوضح المسيح أن نقص الفهم ليس عنده بل عند هؤلاء الذين رفضوا الإيمان بأنه المسيح وظنوا أنهم عندما يميتوه سوف يبقى في الجحيم كإنسان عادى."

الفصل المئة

"إن كلمات المزمور التي تقول: "أنت الجالس في القُدس يا تسبيح إسرائيل" تدل على أنه سوف يفعل شيئًا يستحق التسبيح والإعجاب وكان هذا عندما قام مِن الموت بواسطة الآب في اليوم الثالث بعد الصلب. ولقد ذكرت لكم مسبقًا أن المسيح يُدعى يعقوب وأيضًا إسرائيل، وأن النبوءات عنه لم تكن فقط في مباركة يوسف ويهوذا بل أيضًا مكتوب في الإنجيل أنه قال "كل شيء قد دفع إليَّ مِن أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومَن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١ : ٢٧) هكذا كشف لنا جميعًا أننا

قد تعلَّمنا بنعمته مِن الكتب المقدسة أن نعرفه كابن الله الوحيد المولود منه قبل كل الخليقة، وكابن الآباء البطاركة لأنه تجسَّد مِن عذراء مِن جنسهم وتنازل ليصير إنسانًا لا جمال له ولا منظر وعُرضة للألم. فهو قد أشار إلى آلامه الوشيكة بقوله: "إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيرًا ويُرفَض مِن الكتبة والفريسيين ويُصلَب وبعد ثلاثة أيام يقوم"[158]. وقد دعا نفسه ابن الإنسان إما لأنه ولد من العذراء التي من نسل داود ويعقوب وإسحق وإبراهيم، أو لأن آدم ذاته كان أبًا لكل هؤلاء الآباء البطاركة الذين مِن نسلهم جاءت مريم. ومِن الواضح أن آباء البنات يُعتبرون آباء الأبناء الذين يولدون لبناتهم. وقد غيَّر المسيح اسم أحد تلاميذه من سمعان إلى بطرس[159] عندما عرف باستنارة من الآب أن المسيح هو ابن الله. وبما أنه مكتوب في مذكرات الرسل [أي الأناجيل] أنه هو ابن الله، وبما أننا ندعوه بهذا الاسم ذاته فإننا نفهم أنه هو بالحقيقة الذي خرج مِن عند الآب قبل كل الخليقة بقوته وإرادته، وقد دُعيَ في الكتابات النبوية بطرق مختلفة؛ الحكمة والنهار والشرق والسيف والحجر والعصا ويعقوب وإسرائيل. كما أننا نؤمن أنه مولود مِن عذراء لكي يزيل العصيان - الذي تسببت فيه الحية - بالطريقة نفسها التي نشأ بها هذا العصيان. لأن حواء وهي عذراء عفيفة حبلت كلمة الحية وولدت العصيان والموت، ولكن العذراء مريم الممتلئة إيمانًا وفرحًا عندما أعلن لها الملاك البشارة بأن روح الرب يحل عليها وقوة العلي تظللها والمولود منها يدعى ابن الله قالت: "ليكن لي كقولك" (لو ١ : ٣٥) وبالفعل ولدت الذي أشار إليه الكتاب المقدس كثيرًا والذي به يسحق الله الحية، ويسحق هؤلاء الملائكة والناس الذين صاروا مثل الحية، ويحرر مِن الموت هؤلاء الذين يتوبون عن خطاياهم ويؤمنون به."

---

[158] انظر مت ١٦: ٢١ ؛ مر ٨: ٣١ - ٣٩ ؛ لو ٩: ٢٢ - ٢٧.

[159] انظر مت ١٦: ١٥ - ١٨.

الفصل الأول بعد المئة

"وما يلي ذلك في المزمور: "عليك اتكل آباؤنا، اتكلوا فنجيتهم. إليك صرخوا فخلصوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان. عار الناس ومُحتَقَر الشعب". هذه الفقرة تثبت أنه [السيد المسيح] اعترف بأن آباءه هم أولئك الذين اتكلوا على الله فنجوا والذين كانوا أيضًا آباء العذراء التي منها وُلِد وتأنَّس وهو يذكر أيضًا أن الله سينجيه وفي تواضعه لا يدَّعي أنه يفعل شيئًا بإرادته أو قوته الذاتية. وقد فعل الشيء ذاته عندما كان على الأرض؛ إذ سأله أحد أتباعه قائلاً: "أيها المعلم الصالح .... فقال له لماذا تدعوني صالحًا. ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" (مت ١٩: ١٦، ١٧) وعندما قال: "أنا دودة لا إنسان، عار الناس ومُحتَقَر الشعب" كان يتنبأ بما سيحدث له بوضوح. فهو في كل مكان سبب لومنا مِن الجميع نحن الذين نؤمن به، كما أنه مُحتَقَر مِن شعبكم وقد تحمل كل المهانة منكم. وفي الكلمات التالية: "كل الذين يرونني استهزأوا بي. تكلَّموا بالشفاه وحرَّكوا الرأس [قائلين] اتكل على الرب فلينجِه ليخلِّصه لأنه يريده"، يخبرنا الرب أيضًا بما كان سيحدث له. فالذين رأوه على الصليب كانوا يهزون رؤوسهم ويحركون شفاههم باستهزاء ويرفعون أنوفهم قائلين كما جاء في مذكرات الرسل "دعا نفسه ابن الله فلينزل من الصليب ويمشي ولينقذه الله[١٦٠]"."

---

[١٦٠] انظر مت ٢٧: ٣٩ - ٤٣ ؛ لو ٢٣: ٣٥ - ٣٧. كلمة "ويمشي" أضافها ق. يوستينوس.

الفصل المئة والثاني

"ثم يقول المزمور: "أنت رجائي منذ ثديي أمي. عليك أُلقيت مِن الرحم ومِن بطن أمي أنت هو إلهي. لا تبتعد عني لأن الضيق قريب، فإنه لا معين لي. أحاطت بي عجول كثيرة، اكتنفتني ثيران سمان. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مُفترِس مُزمجِر. كالماء انسكبَتْ وتفرَّقَت كل عظامي. صار قلبي كالشمع الذائب في داخلي. يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحَلْقي". هذه الفقرة أيضا نبوءة عن أحداث قادمة. ويمكن شرح عبارة "أنت رجائي منذ ثديي أمي" هكذا: بمجرد أن وُلِد المسيح في بيت لحم - كما ذكرتُ قبلًا - علم هيرودس الملك عنه من المجوس ودبر لقتله ولكن يوسف أخذ الصبي مع مريم بأمر مِن الله وذهب إلى مصر[١٦١]. لأن خطة الآب أن يموت ابنه الوحيد بعد أن يكون قد بلغ سن الرجولة وبشَّر الناس. وإن سأل أحد لماذا لم يقتل الله هيرودس، نقول: هل منذ البدء لم يكن يقدر أن يقتل الحية بدلاً مِن أن يقول "أضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلك ونسلها" (تك ٣: ١٥) أ لم يقدر الله أن يخلق في الحال جمهورًا كبيرًا مِن البشر؟ ولكن ما رآه حسنًا فذاك فعله؛ خلق الملائكة والناس أحرارًا في عمل البر وقد وضع حدًّا للزمن الذي يعلم أنه خير للناس أن يتمتعوا بحرية الإرادة. وهكذا أيضًا، لأنه يعلم ما هو لخير الإنسان، وضع أحكامًا عامة وخاصة يحمي بها حرية الإنسان. ففي وقت وَضْع أساس برج بابل بلبل الله ألسنة الشعب، وفي هذا يقول الكتاب: "قال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما يحاولون أن يعلموه" (تك ١١: ٦) كما أن عبارة "يبُسَتْ مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحَلْقي" كانت نبوءة

---

[١٦١] انظر مت ٢.

عما سيفعله المسيح وفقًا لإرادة أبيه، لأن قوة كلمته العظيمة التي بها انتهر المسيح الكتبة والفريسيين بل وجميع معلمين جنسكم الذين ناقضوه، توقفت مثل ينبوع كبير أغلقت مياهه بغته عندما ظل صامتًا ولم يعد يجاوب متهميه أمام بيلاطس كما نقرأ في كتابات الرسل، وذلك لكى تثمر كلمات إشعيا القائل: "الرب يعطيني لأعرف متى ينبغي أن أتكلَّم" (إش ٥٠: ٤) وعبارة "أنت هو إلهي فلا تبتعد عنيّ" تعلِّمنا أن نضع كل اتكالنا على الله خالق كل الأشياء وأن نطلب المعونة والخلاص منه وحده ولا نتصور كما يفعل البعض أننا نستطيع أن ننال الخلاص بواسطة نسب أو ثروة أو قوة أو حكمة. وهذا بالتحديد هو ما تفعلونه لأنكم في مرة صنعتم عجلًا مِن ذهب كما أنكم على الداوم تبدون غير شاكرين وقتلة الأبرار، منتفخين في كبريائكم بسبب نسبكم. وإذا كان ابن الله يقول بوضوح إنه لا بسبب أنه ابن، ولا بسبب قدرته وحكمته بل ومع أنه بلا خطية ـ فإن إشعيا النبي يقول إنه لم يخطئ ولو بكلمة "لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش" (إش ٥٣: ٩) ـ فهو لا يستطيع أن يخلص بدون الله الآب[١٦٢]، فكيف تتوقعون أنتم أو غيركم أن تخلصوا بدون هذا الرجاء وكيف لا تدركون أنكم تخدعون أنفسكم؟"

الفصل المئة والثالث

"وكلمات المزمور التالية "لأن الضيق قريب، فإنه لا معين لي. أحاطت بي عجول كثيرة، اكتنفتني ثيران سمان. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مُفترِس مُزمجِر. كالماء انسكبَتْ وتفرَّقَت كل عظامي" هي نبوءة عن الأمور التي حدثت معه لأنه في تلك الليلة التي فيها قابله

[١٦٢] الكلام هنا عن الطبيعة البشرية المتحدة بالابن، حيث المقصود أن الابن قد أتم العمل الخلاصي في جسده هو أولًا ووحده بأبيه "ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا" (يو ١٧: ٢١) ثم ينقل إلينا بعد ذلك كل ما أتمه في جسده الخاص.

قوم مِن أُمتكم الذين أرسلهم الكتبة والفريسيون عند جبل الزيتون أحاطوا به كما يقول الكتاب مثل ثيران ذوي قرون مُهلِكة. وعبارة "اكتنفتني ثيران سمان" تنبئ عن أعمال الذين تصرفوا مثل الثيران عندما اقتادوه أمام مُعلِّميكم. ويصف الكتاب المقدس هؤلاء الناس بأنهم مثل الثيران وكما نعلم فإن الثور هو أبو العِجل، وبما أن الأمر هكذا فمعلموكم كانوا السبب في ذهاب أولادهم إلى جبل الزيتون لإلقاء القبض على المسيح وتسليمه لهم. وعبارة "فإنه لا معين" تشير إلى الأحداث التي كانت مزمعة أن تحدث؛ إذ لم يوجد شخص واحد هناك ليعينه مع أنه هو بلا خطية. كما أن عبارة "فغروا عليَّ أفواههم كأسد مُفترِس مُزمجِر" تشير إلى هيرودس[١٦٣] [أنتيباس] - ملك اليهود في ذلك الحين - خليفة هيرودس الآخر [أي هيرودس الكبير] الذي قتل كل أطفال بيت لحم الذين وُلِدوا في وقت ميلاد المسيح اعتقادًا منه أن الطفل يسوع الذي تحدَّث عنه المجوس سيكون بالتأكيد مِن بينهم. ولكنه لم يكن على دراية بخطة الله ضابط الكل الذي أمر يوسف ومريم أن يأخذا الصبي ويذهبا إلى مصر ويظلَّا هناك إلى أن يعلن لهما متى يعودان إلى بلدهما. وبعد ذهابهما إلى مصر مكثا هناك حتى موت هيرودس [الكبير] قاتل أطفال بيت لحم. وأرخلاوس الذي خلفه مات أيضًا قبل أن يتمم المسيح خطة الآب لخلاصنا بالصليب. وبعد أرخلاوس جاء هيرودس [أنتيباس] الذي تسلَّم السلطة فأراد بيلاطس أن يجامله بإرسال يسوع له مُقيَّدًا[١٦٤] كما أعلمنا الله بسابق معرفته قائلًا "وأحضَروه للأشوري، هديةً للملك" (هو ١٠: ٦) وقد

[١٦٣] يوجد في العهد الجديد ثلاثة ملوك لهم اسم هيرودس وهم هيرودس [الكبير] وهو مَن قتل أطفال بيت لحم، وهيرودس [أرخيلاوس] الذي خلف أباه هيرودس الكبير كحاكم على اليهودية، وهيرودس [أنتيباس] الذي ورد ذكره في قصة صلب السيد المسيح. ولمنع الالتباس فقد أوردنا في المتن لقب كل منهم بين قوسين.

[١٦٤] انظر يو ١٨: ٢٤.

يكون المقصود بالأسد المزمجر هو الشيطان نفسه الذي دعاه موسى بالحية، وأسماه أيوب وزكريا: إبليس، ويسوع سماه "شيطان"[١٦٥] وهو اسم مُركَّب يدل على الأعمال التي يعملها؛ إذ إن المقطع "ساطان" في اللغتين العبرية والسريانية تعني "مُرتَد"، في حين المقطع "ناس" يعني "حية" وهما يشكلان كلمة واحده هي "ساطاناس". وقد جاء في كتابات الرسل أنه بمجرد خروج يسوع من نهر الأردن، وسماعه صوتًا يقول له "أنت ابني أنا اليوم ولدتك"[١٦٦]، جاء الشيطان ليجربه إلى درجة أنه قال ليسوع "اسجد لي" فأجابه المسيح: "اذهب عني يا شيطان فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت ٤ : ١٠) وكان الشيطان قد نجح في خداع آدم فظن أنه يستطيع أن يؤذي المسيح أيضًا بشكل ما. إن عبارة: "كالماء انسكبَت وتفرَّقَت كل عظامي. صار قلبي كالشمع الذائب في داخلي" كانت نبوءة عن تلك الليلة التي فيها جاءوا إلى جبل الزيتون لإلقاء القبض عليه. ففي كتابات الرسل [أي الأناجيل] ومَن جاء بعدهم مكتوب أن عرقه كان يتصبب منه مثل قطرات الدم وهو يصلي قائلاً: "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس" (لو ٢٢ : ٤٤) وكان قلبه يرتجف وأيضًا عظامه، وصار قلبه كالشمع الذائب في داخله، وذلك لكي نفهم أن الآب أراد له أن يتحمل هذه الآلام الشديدة لأجلنا ولكي لا نظن أنه بكونه ابن الله لا يشعر بما يجري له وبما يصيبه مِن ألم[١٦٧]. كما أن عبارة "يبسَتْ مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحلْقي" هي نبوءة عن صمته؛ إذ إن

---

[١٦٥] الكلمة باليونانية هي σατανᾶς وتُنطَق ساطاناس ويعكس هذا التفسير خبرة ق. يوستينوس المحدودة باللغة العبرية وربما يكون قد نقل هذا التفسير عن أرسطو من بيللا (Aristo of Pella).

[١٦٦] مز ٢: ٧ وربما كانت الآية التي يقصدها ق. يوستينوس هي: " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت ٣: ١٧)؛ انظر الحوار مع تريفون، فصل ٨٨.

[١٦٧] هنا يرد ق. يوستينوس على مذهب الدوسيتيين (أي الخياليين) الذين يقولون بأن تجسُّد المسيح لم يكن حقيقيًا وبالتالي كانت آلامه ظاهرية وليست حقيقية.

الذي أثبت أن جميع معلميكم تعوزهم الحكمة، لم يجب بكلمة دفاعًا عن نفسه."

الفصل المئة والرابع

"وكلمات المزمور: "إلى تراب الموت أحضرتني. لأنه قد أحاطت بي كلاب كثيرة، جماعة الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ، أحصوا كل عظامي. نظروا وتفرَّسوا فيَّ اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قُرعةً" كانت نبوءة - كما أوضحت لكم مِن قبل - عن نوع الميتة التي كان سيُحكم عليه بها من قِبل جماعة الأشرار الذين يدعوهم كلابًا وصيادين مؤكِدًا أن الذين ذهبوا ليصطادوه اتحدوا معًا ليستخدموا كل طريقة ممكنة لكي يدينوه. وهذا الحدث أيضًا مكتوب في كتابات الرسل. وقد ذكرت لكم أنه بعد صلبه اقتسم صالبوه ثيابه بينهم."

الفصل المئة والخامس

"والكلمات التي تليها في المزمور: "أما أنت يا رب فلا تبعد معونتك عني، التفت إلى معونتي، أنقذ من السيف نفسي ومِن يد الكلب ابنك الوحيد. خلِّصني من فم الأسد وأنقِذ اتضاعي من قرون بقر الوحش" وتظهِر هذه الكلمات الحال الذي سيكون عليه وما سيجري له. وقد أثبتُّ لكم أنه هو الابن الوحيد لأبي الكون كله، وُلِد منه؛ إذ هو كلمته وقوته. ثم صار إنسانًا ووُلِد مِن عذراء كما نعلم من كتابات الرسل[١٦٨]. وقد سبق فأخبرنا بموته عن طريق الصليب في هذه الكلمات: "أنقذ من السيف نفسي ومِن يد الكلب ابنك الوحيد. خلِّصني من فم الأسد ومن قرون وحيد القرن اتضاعي".

---

[١٦٨] انظر يو ١: ١٨.

فهذه الكلمات تُظهِر بأي ألم كان مُزمِعًا أن يموت - أي بالصلب. وقد شرحت قبلًا أن "قرون وحيد القرن" ليست سوى شكل صليب. إن توسُّل المسيح أن تُنقَذ نفسه مِن السيف ومن فم الأسد ويد الكلب كانت هي طِلبته وذلك حتى لا يقوى أحد على أن ينتزع نفسه [أي نفس السيد المسيح البشرية]. وهذا يعلِّمنا أننا عندما نقترب إلى نهاية العمر نرفع هذه الطلبة إلى الله الذي يقدِر أن يمنع كل ملاك صفيق وشرير مِن سرقة نفوسنا. وقد أثبتُّ لكم أن النفس تحيا بعد الموت بدليل أن شاول طلب مِن عرَّافة استدعاء نفس صموئيل ويبدو أن أنفُس أبرار آخرين وأنبياء كانت عُرضة لمثل هذه القوى كما يتضح من حالة هذه العرَّافة. والله يعلِّمنا بواسطة ابنه - فإنه لأجلنا حدثت هذه الأمور - أن نعمل على الدوام ما في وسعنا لنصير أبرارًا وأن نصلِّي قبل الموت ألّا نقع في قبضة أي قوة أخرى؛ إذ تقول لنا كتابات الرسل إن المسيح وهو يُسلِم الروح على الصليب قال: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" (لو ٢٣ : ٤٦) وأيضًا طلب مِن تلاميذه أن يفوق برُّهم على برِّ الفريسيين محذِّرًا إياهم أنهم إن لم يفعلوا هذا فلن يخلصوا. فيقول لهم في كتابات الرسل: "إن لم يزِد برُّكم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ٥ : ٢٠)"

الفصل المئة والسادس

"ويوضح باقي المزمور أن المسيح يعلم أن أباه سيلبي كل طِلباته ويقيمه مِن الموت وهو يشجع كل خائفي الله على تسبيحه لأنه بواسطة سر المصلوب يرحم الله المؤمنين مِن جميع الأجناس، وقد وقف في وسط إخوته الرسل وذكَّرهم بعد قيامته من الأموات بما قاله لهم قبل آلامه إنه كان لا بد أن يتألم كما تنبأ الأنبياء فندموا ندمًا شديدًا لأنهم تركوه وقت صلبه. وفيما كان معهم سبَّح الله

كما جاء في كتابات الرسل. ها هي كلمات المزمور: "أخبِّر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبِّحك. يا خائفي الرب سبِّحوه، مجِّدوه يا كل نسل يعقوب، وخافوه يا كل نسل إسرائيل" ونحن نعلم مِن كتابات الرسل أن المسيح غيَّر اسم واحد من الرسل إلى بطرس كما غيَّر اسمَي الأخوين ابني زبدي إلى بوانرجس الذي يعني "ابني الرعد" مما يدل على أنه هو أيضًا الذي أعطى يعقوب اسم إسرائيل وأعطى هوشع [ابن نون] اسم يسوع [يشوع] الذي قاد الأحياء ممن خرجوا مِن أرض مصر إلى الأرض الذي وعد الله الآباء البطاركة بها. وقد تنبأ موسى بأن المسيح سوف يظهر مثل النجم مِن نسل إبراهيم؛ إذ قال: "يبزغ نجم من يعقوب ومُدبِّر مِن إسرائيل" (عد ٢٤: ١٧) وفي مكان آخر نقرأ: "هوذا الرجل. الشرق اسمه" (زك ٦: ١٢) ولذا عندما سطع نجم في السماء في وقت مولده كما يؤكد الرسل[١٦٩] علم المجوس بالحدث من هذه العلامة وجاءوا ليسجدوا له."

الفصل المئة والسابع

"وتشهد كتابات الرسل أيضًا أن المسيح قام مِن الأموات في اليوم الثالث بعد صلبه فقد أجاب اليهود المشاكسين الطالبين أن يريهم آية قائلا: "جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي" (مت ١٢: ٣٩) ومع أن هذه الكلمات كانت غامضة إلا أن سامعيه استطاعوا أن يفهموا أنه سوف يقوم من الأموات في اليوم الثالث بعد صلبه. وبيَّن أيضًا أن جيلكم كان أكثر شرًّا وفسقًا مِن أهل نينوى الذين أعلنوا صومًا لجميع الناس والحيوانات مع مسوح ونواح وتوبة صادقة وعزم ثابت لترك الخطية بإيمان أن الله رحوم وخيِّر لجميع الذين يبتعدون عن الخطية. وكان يونان ـ بعد أن قُذِف إلى البر من

---

[١٦٩] انظر مت ٢: ١٠ ـ ١١.

بطن الحوت في اليوم الثالث ـ قد أنذر أهل نينوى أنهم سوف يهلكون جميعًا في خلال ثلاثة أيام ـ وفي نسخ أخرى في خلال أربعين يوما[١٧٠] ـ حتى إن ملك هذه المدينة وعظماءها أيضًا لبسوا المسوح وصاموا وصلوا كثيرًا حتى أُنقِذَت المدينة. وعندما تضايق يونان لأن المدينة لم تهلك في اليوم الثالث كما أعلن، نبتت يقطينة مِن الأرض بتدبير مِن الله وجلس يونان تحتها يستظل من حرارة الشمس ـ وقد كانت اليقطينة قد نبتت مِن تلقاء ذاتها ليستظل يونان تحتها ولم يكن هو الذي غرسها أو رواها ـ وعندما يبست اليقطينة بتدبير مِن الله حزن عليها يونان، فوبخه الله على حزنه لنجاة مدينة نينوى قائلًا له: "أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أ فلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يسكن فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من يسارهم وبهائم كثيرة؟" (يونان ٤ : ١٠ - ١١)."

الفصل المئة والثامن

وأنتم أيها اليهود على دراية جيدة بهذه الحقائق في حياة يونان وبالرغم من أن السيد المسيح أعلن لكم أنه سيعطيكم آية يونان طالبًا منكم أن تتوبوا عن خطاياكم على الأقل بعد قيامته من الأموات وأن تنوحوا أمام الله كما فعل أهل نينوى حتى لا تهلك أُمتكم ومدينتكم كما حدث ولكنكم لم ترفضوا التوبة بعد علمكم بقيامته من الأموات فحسب، بل أيضًا ـ كما قلتُ من قبل ـ اخترتم بعض الرجال وكلفتموهم ليطوفوا المسكونة جمعاء ويقولوا: "إن هرطقة كافرة ومخالفة للناموس أسسها رجل جليليٌّ مُضِل يُدعى

[١٧٠] الترجمة السبعينية تحدد عدد الأيام بثلاثة، ولكن النسخة العبرية تحدد عددها بأربعين. ويستشهد ق. يوستينوس هنا بنص السبعينية وقد يكون نص الجملة الإعتراضية هو إضافة من أحد نساخ كتابات ق. يوستينوس.

يسوع وقد صلبناه ولكن سرق تلاميذه الجسد من القبر ليلًا ـ حيث كان قد وُضِع بعد أن أُنـزِل من على الصليب ـ وهـم يحـاولـون الآن خداع الناس بتأكيدهم أنه قام مِن الأمـوات وصعد إلى السماوات"، كما أنكم تتهمونه بأنه علَّم هؤلاء التلاميذ تعاليمَ كافرة ومخالفة للناموس وشريرة، وأيضًا توجِّهون هذه التهم لكل الذين يعترفون به كمسيح ومعلِّم وابن لله. وأنتم تتوجون حماقتكم برفضكم حتى الآن أن تتوبوا بل تتحدونه وتلعنونه هو وأتباعه حتى بعد أن أُخِذَت مدينتكم ودُمِـرَت كل بلادكم. أما بالنسبة لنا نحن المسيحيون، فنحن لا نكرهكم ولا نكره الذين صدَّقوا الإشاعات المغرضة التي روَّجتموها ضدنا، بل على العكس نحن نصلِّي لكي تُصلِحوا طرقكم فتجدوا رحمة عند الله الرؤوف كثير الرحمة أبي الكل."

الفصل المئة والتاسع

"اسمحوا لي الآن أن أذكـر بعض الفقرات من سفر ميخا أحد الإثني عشر [الأنبياء الصغار]، لأثبت لكم أن الأمـم سيتوبون عن حياتهم الخاطئة بعد سماعهم لتعاليم الرسل مِن أورشليم. وها هي ذي كلمات النبوءة: "وفي آخر الأيـام يكون جبل الرب ظاهرًا وثابتًا على أعالي الجبال ومُرتفعًا فوق التلال وتجـري إليه شعوب وتأتي أمم كثيرة ويقولون هلموا نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيُظهِر لنا طريقه ونسلك في سبُله لأنـه مِن صهيون تخـرج شريعة وكلمة الرب مِن أورشليم فيقضي بين شعوب كثيرة ويدين أممًا قوية حتى إلى أرض بعيدة فيكسرون سيوفهم ويجعلونها محاريثَ ورماحهم يجعلونها مناجل ولا ترفع بعد أُمَّة سيفًا على أُمَّة ولا يتعلمون الحرب فيما بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرتعب لأن فم رب الجنود تكلَّم. لأن جميع الشعوب يسلكون

باسم آلهتهم أما نحن فنسلك باسم الرب إلهنا إلى الأبد. ويكون في ذلك اليوم أنني أجمع المنسحقة وأضم المطرودة والتي أضيرت. وأجعل للمنسحقة بقية والمُضطهَدة أُمَّة قوية ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن وإلى الأبد" (مي ٤: ١ - ٧)."

الفصل المئة والعاشر

ثم قلت: "أيها السادة، إنني أعلم أن مُعلِّميكم يعترفون بأن هذا النص بأكمله يشير إلى المسيح، كما أعلم أنهم يقولون إن المسيح لم يأتِ بعد، وحتى لو كان قد جاء فلا أحد يعرف مَن هو حتى يظهر بمجد فحينئذ يعرفه الناس. وعندئذ - كما يقولون - سوف تتحقق النبوءة المذكورة في هذا النص، كما لو أنه لم يتحقق شيء منها حتى الآن. يا للحماقة! فهم لم يفهموا ما أثبتته الفقرات المذكورة أ لا وهو إعلان مجيئين للمسيح. الأول حين يكون متألمًا ومصلوبًا بلا مجد أو كرامة، والثاني فيه يأتي بمجده من السماء وحينئذ يحاول "إنسان الخطية"[١٧١] - الذي يتكلم بأمور عجيبة على العليّ"[١٧٢] - أن يرتكب بجسارة أعمالاً شريرة على الأرض ضدنا نحن المسيحيين. أما نحن الذين قد عرفنا عبادة الله بالحقيقة مِن الناموس ومِن الكلمة التي خرجَت من أورشليم عن طريق رسل المسيح فقد أسرعنا للاحتماء في إله يعقوب وإله إسرائيل. وبعد أن كنا قبلًا نُسَرُّ بالحرب ويذبح بعضنا البعض وبكل أنواع الخطية في أنحاء العالم قد صرنا نحوِّل أسلحة الحرب إلى أدوات سلام وسيوفنا إلى أنصال محاريث ورماحنا إلى مناجل، نزرع التقوى والعدل والمحبة الأخويَّة والإيمان والرجاء. وكل هذا نستمده مِن الآب بالمُخلِّص المصلوب،

---

[١٧١] انظر ٢ تس ٢: ٣.
[١٧٢] انظر دا ١١: ٣٦.

فكلٌّ منا يجلس تحت كرمته، أي يعيش مع زوجة واحدة فقط. وكما تعلمون أن النبوءة تقول: "امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك"[١٧٣]. ومن الواضح الآن أن لا أحد يقدر أن يُخيفنا أو يقهرنا نحن الذين نؤمن بيسوع في كل الأرض. وبالرغم مِن أننا نتعرض للصلب والذبح ونُطرَح للوحوش والنيران ونقيَّد بقيود إلا أننا لن نتراجع عن إعلان إيماننا، وكلما يزدد علينا الاضطهاد يزدد أكثر فأكثر عدد الذين يدخلون الإيمان ويعبدون الله باسم يسوع. وكما أن الأغصان المثمرة للكرمة عندما تُقطَع تنبت وتنمو أغصان وثمار غيرها، هكذا الحال معنا نحن المسيحيين. لأن الكرمة التي غرسها الله والمسيح المُخلِّص هي شعبه. أما بقية النبوءة فستتحقق عند مجيئه الثاني. إن عبارة "أجمع المنسحقة وأضم المطرودة" - أي المطرودة من العالم - تشير إلى أنكم على قدر استطاعتكم أنتم وغيركم تطردون كل إنسان مسيحي ليس فقط من ممتلكاته بل أيضًا مِن العالم كله لأنكم لا تسمحون لمسيحي أن يحيا. وأنتم تعترضون على أن هذا المصير نفسه قد أصاب شعبكم. ولكن بما أنكم طُرِدتم بعدما هُزِمتم في معركة فإن هذه الآلام هي عقوبة مُستحَقة، كما يشهد بهذا الكتاب المقدس. أما نحن الذين لم نرتكب مثل هذه [الجرائم] بعد أن عرفنا الحق الإلهي فيشهد لنا الله أننا سوف نؤخذ من الأرض مع المسيح البار الطاهر الوحيد الذي بلا خطية. ويقول إشعيا: "انظروا كيف يهلك البار وليس من يضع ذلك في قلبه والناس الأبرار يُقتَلون وليس من يتفكر" (إش ٥٧ : ١).

---

[١٧٣] مز ١٢٧: ٣ (في البيروتية مز ١٢٨: ٣).

الفصل المئة والحادي عشر

"لقد أشرت فيما سبق[١٧٤] إلى الإعلان في زمن موسى عن مجيئي المسيح والذي تم بشكل رمزي مِن خلال الكباش التي كانت تُقدَّم أثناء الصوم. كما أن تصرفات وأقوال موسى ويشوع كانت بمثابة تنبؤات عن حقيقة مجيئَي المسيح. فموسى جلس على تل حتى المساء وذراعاه مرفوعتان ومحمولتان ـ على شكل لا يمكن أن يكون سوى صليب ـ في حين أن الآخر الذي تغيَّر اسمه مِن هوشع إلى يسوع [يشوع] كان يقود المعركة التي فيها انتصر بنو إسرائيل. ولم يفهم أحد أن هذه الأعمال تمت بواسطة هؤلاء القديسين وأنبياء الله لأن أحدهما لم يكن ليقدر أن يحمل هذين السرَّيْن معًا، أي شكل الصليب ومثال الاسم. لأن هذه القدرة كانت وستظل صفة الله وحده الذي عند ذِكْر اسمه ترتعد كل قوة وتتعذب عذابًا شديدًا لأنه سوف يدمرها. إن مسيحنا المُتألِّم المصلوب لم يلعنه الناموس بل أظهر أنه هو وحده الذي يخلِّص كل الذين يتمسكون بالإيمان به كما أن دم الفصح الذي مسح على القائمتين والعتبة العليا خلَّص الذين نجوا في مصر والذين أفلتوا من الموت الذي ضرب كل بكر من أبناء المصريين. والفصح كان بالحقيقة هو المسيح الذي قُدِّم ذبيحة كما تنبأ إشعيا قائلاً: "كحمل يُساق إلى الذبح" (اش ٥٣ : ٧) ومكتوب أيضًا أنه في عيد الفصح أمسكتموه وفي هذا اليوم صلبتموه. فكما أن دم الفصح خلَّص الذين كانوا في مصر فهكذا أيضًا دم المسيح يُنقِذ مِن الموت كل الذين يؤمنون به. فهل كان الله سيخطئ [في التعرُّف على مَن سيُخلِّصهم] لو أن هذه العلامة لم تُوضَع على الأبواب؟ لا أقول هذا بل أقول إن الله كان سبق وأخبرنا أنه بدم المسيح سوف يصير الخلاص

[١٧٤] انظر الحوار مع تريفون، فصل ٤٠.

لجنس البشر. وأيضًا الحبل الأحمر الذي أعطاه الجواسيس ـ الذين أرسلهم يشوع بن نون ـ لراحاب الزانية في أريحا طالبين منها أن تربطه في الكوة التي أنزلتهما منها للهرب من أعدائهم، هذا كان أيضًا رمزًا لدم المسيح الذي به تنال الفداء جميع الأمم؛ التي زنت وأخطأت وتحصل على مغفرة الخطايا السابقة ويكفُّون عن فعل الخطية."

الفصل المئة والثاني عشر

"ولكنكم تفسِّرون هذه النصوص بطريقة منفِّرة؛ إذ تنسبون لله كل نوع من أنواع الضعف عندما تفسرونها تفسيرًا سيئًا دون تحليل لروح الكلمات. وحتى موسى قد تعتبرونه مخالفًا للناموس لأنه بعد أن أمر بعدم صنع صورة لأي شيء مما في السماء أو على الأرض أو في البحار صنع بنفسه حية نحاسية وأقامها كعلامة آمرًا كل الذين لدغتهم الحيات أن ينظروا إليها. وهؤلاء الذين نظروا إليها شفوا. فهل يُقال إذن إن الحية أنقذت الشعب في ذلك الوقت؟ فإن الحية ـ كما ذكرت في السابق ـ قد لعنها الله منذ البداية وقتلها بسيفه العظيم كما يشهد إشعيا[١٧٥]. فهل نقبل مثل هذه التفسيرات الغبية التي يقدمها معلموكم بدلًا من أن نعتبر هذه الأمور رموزًا؟ أ لا ينبغي أن نرى في هذه العلامة إشارة إلى صورة يسوع المصلوب عندما حقق موسى النصر لشعبكم بذراعيه الممدودتين وبالمدعو يسوع [يشوع]؟ فلا يكون لدينا شك بعد بالنسبة لأعمال المشرِّع [أي موسى]؛ إذ إنه لم يخالف الله عندما حث الشعب ليضع رجاءه في حيوان كان سبب سقوط الإنسان في خطية عدم الطاعة. حقًا، إن هذه [الأشياء] كلها قالها وفعلها النبي المبارك بتفكير كثير ومعان خفيِّة. ولا يقدر أحد أن يدين بحق أيًّا مِن كلام أو أعمال الأنبياء لو كانت

---

[١٧٥] انظر إش ٢٧: ١.

له المعرفة التي لديهم. ولكن إن كان كل ما يستطيع معلموكم - على كثرة عددهم - تفسيره هو لماذا ذُكِرت إناث الجِمال في هذا الجزء مِن الكتاب المقدس ولم تُذكَر في ذلك الجزء الآخر؟[176] أو لماذا يُستخدَم كذا كيل مِن الدقيق الناعم وكذا كيل من الزيت في التقدمات؟ وهم يفسِّرون حتى هذه الأمور بشكل وضيع وتافه، في حين إنهم لا يذكرون ولا يفسرون الأمور الهامة التي تستحق الشرح. وبعملهم هذا أ لا يستحقون سماع كلمات الرب يسوع المسيح عنهم بأنهم "قبور مُبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ... تعشرون النعنع والشبت ... وتبلعون الجمل ... أيها القادة العميان"[177]؟ فلن تستفيدوا قط من الكتابات النبوية ما لم تبغضوا تعاليم هؤلاء المعلمين المتكبرين الذين يريدون أن يُنادَوا "ربي .. ربي"[178] وتطيعوا بإصرار وفهم كلمات الأنبياء وتحتملوا الإهانات ذاتها من شعبكم كما تحمَّلها الأنبياء."

الفصل المئة والثالث عشر

"وها هو مثال لما أريد أن أقوله. إن يسوع [يشوع] الذي كان اسمه هوشع - كما قلت قبلاً - قد سمَّاه موسى يسوع عندما أرسله كجاسوس مع كالب إلى أرض كنعان. وأنتم لا تتساءلون لماذا فعل موسى ذلك ولم تبحثوا عن السبب. ولذا فأنتم لم تكتشفوا المسيح، وعندما تقرأون عنه لا تفهمون وعندما تسمعوننا نقول إن يسوع هو مسيحنا لا تبحثون لتكتشفوا أنه أُعطي هذا الاسم بتدبير وليس مصادفةً. وبدلاً من ذلك أنتم تجرون مناقشة لاهوتية للبحث في مسألة

---

[176] تساءل معلمو اليهود لماذا ذُكِرت إناث الجِمال فقط في (تك ٣٢: ١٥)، بينما ذُكِرت الحيوانات الأخرى بنوعيها.

[177] انظر مت ٢٣: ٢٧.

[178] أي "يا معلِّم" انظر يو ١: ٣٨.

إضافة حرف الألف لاسم أبرآم والراء لاسم سارة[١٧٩]. ولكنكم لا تبحثون في مسألة تغير اسم هوشع بن نون الذي أعطاه له أبوه إلى يسوع [يشوع] الذي لم يتغير اسمه فقط بل هو أيضًا قد خَلَف موسى ومن بين معاصريه الذين نجوا مِن مصر كان هو وحده الذي قاد بقية الشعب إلى الأرض المقدسة. وكما أن يسوع [يشوع] وليس موسى هو الذي قاد الشعب إلى الأرض المقدسة وقسَّمها بالقرعة بين من دخلوها، هكذا أيضا يسوع المسيح سوف يجمع الشعب المتفرق ويوزع عليهم الأرض الجيدة ولكن ليس بذات الشكل، لأن يشوع أعطاهم ميراثًا لزمن معين فقط، إذ لم يكن هو المسيح إلهنا ولم يكن ابن الله. أما يسوع فقد أعطانا بعد قيامته المقدسة ميراثًا أبديًّا. وكان يسوع [يشوع] قد جعل الشمس تتوقف لأنه لُقِّب باسم يسوع [المسيح] ونال قوة من روحه القدوس. وقد أثبتُّ لكم أن يسوع هو الذي ظهر لموسى وإبراهيم وباختصار لجميع الآباء البطاركة وتحدث معهم بحسب إرادة أبيه، وهو أيضًا صار إنسانًا مِن مريم العذراء ويحيا إلى الأبد. وبعد مجيئه سوف يجدد الآب به السماء والأرض فهو الذي سيضيء في أورشليم كنور أبدي، وهو ملك ساليم وكاهن العليّ إلى الأبد على طقس ملكي صادق. ومِن المعروف أن يشوع أمر بختان الشعب للمرة الثانية بسكاكين من حجر صوان[١٨٠] . وقد كان هذا رمزًا لذلك الختان الذي به ختننا يسوع المسيح ذاته بفصلنا عن الأصنام المصنوعة من حجر ومن مواد أخرى . كما أن يشوع جمع غير المختونين . من خطايا العالم . وختنهم بحجر صوان أي بكلمات ربنا يسوع. وكما سبق أن قلت لكم إن الأنبياء كانوا يرمزون إليه بالحجر والصخر.

---

[١٧٩] بحسب الترجمة السبعينية فإن اسم ابرام (Αβραμ) باليونانية قد تغير إلى ابرآم (Αβρααμ) بإضافة حرف α واسم سارة (Σαρα) تغير إلى سارَّة (Σαρρα) بإضافة حرف ρ

[١٨٠] انظر يش: ٥: ٢ ؛ والحوار مع تريفون، الفصلين ٢٤ و ٩٤.

وبالتالي فإننا نفهم أن حجر الصوان هو إشارة إلى كلامه الذي به خُتن كثيرون ممن أخطأوا وخُتنوا بختان القلب. ومنذ ذلك الحين أمر الله مِن خلال يشوع أن الذين خُتنوا بالختان الذي بدأ بإبراهيم عليهم أن يختتنوا ثانية بختان القلب لأنه أمر يشوع بأن يُجري ختانًا ثانيًا بسكاكين مِن صوان للذين دخلوا الأرض المقدسة."

الفصل المئة والرابع عشر

"لقد أجرى الروح القدس في بعض الأحيان أمورًا كانت بمثابة مثال لما سيحدث في المستقبل. فقد تحدَّث أحيانًا عن أمور المستقبل كما لو كانت تحدث أو قد حدثت بالفعل. وما لم يعتَد القراء هذا الأسلوب في الحديث فلن يستطيعوا أن يفهموا المعنى الكامل لكلام الأنبياء. ولتوضيح هذه النقطة سأذكر بعض كلمات قالها الروح القدس بفم إشعيا: "كخروف أُقتيد إلى الذبح وكحمل صامت أمام مَن يجزُّه" (إش ٥٣ : ٧) هنا يتكلم إشعيا النبي كما لو كانت آلام المسيح قد حدثت بالفعل، وحين يقول: "بسطتُّ يديَّ إلى شعب متمرد ومعاند" (إش ٦٥ : ٢) وأيضا "يا رب مَن صدَّق خبرنا؟" (إش ٥٣ : ١) فهو يتحدث عن أحداث كما لو كانت قد تمت بالفعل. وقد ذكرتُ من قبل أن المسيح كثيرًا ما دُعيَ حجرًا بشكل رمزي وأيضًا دُعيَ يعقوب وإسرائيل بشكل مجازي. وعندما يقول "أرى السماوات عمل أصابعك" (مز ٧ : ٤) فإن لم أدرك عمل كلمته [الذي هو المسيح] فلن أسمع بفهم وحينئذ أكون مثل معلميكم الذين يتصورون أن أبا الكل الله غير المولود له يدان ورجلان وأصابع ونفس مثل أي مخلوق مُركَّب. وبسبب هذا الاعتقاد هم يُعلِّمون بان الآب ذاته هو الذي ظهر لإبراهيم ويعقوب. فطوبى لنا نحن الذين اختتنا بالختان الثاني بسكاكين من صوان فإن ختانكم الأول كان وما زال يُجرى بأدوات حديدية تمشيًا

مع قساوة قلوبكم. وأما ختاننا الثاني الذي جاء بعد ختانكم فهو يختننا ويقطعنا عن عبادة الأوثان وعن كل خطية أخرى بواسطة أحجار حادة أي بكلمات نَطقَها رسل ذاك الذي هو حجر الزاوية وأيضًا الحجر الذي قُطِع بغير يد إنسان. حقًّا إن قلوبنا قد خُتِنَت عن الخطية حتى إننا نفرح حين نموت لأجل هذه الصخرة الكريمة التي تدفق منها ماء حي للقلوب التي تحب الآب السماوي من خلاله [أي المسيح] لأنه يقدِّم ماء الحياة لكل من يريد. إنكم لا تدركون معنى كلامي لأنكم لا تعرفون الأعمال التي سيعملها المسيح حسب النبوءات ولا تصدقوننا عندما نوجهكم للكتاب المقدس. في هذا الصدد يقول إرميا النبي: "ويل لكم إذ تركتم ينبوع المياة الحية وحفرتم لأنفسكم أبارًا مشققة لا تقدر أن تضبط ماء" (إر ٢ : ١٣) فهل يصير موضع جبل صهيون قفرًا؟ لأن الرب يقول أيضًا "قد أعطيت إسرائيل كتاب طلاقها قُدَّامكم" (إر ٣ : ٨)."

الفصل المئة والخامس عشر

"وعليكم أن تصدقوا زكريا عندما يصف سر المسيح بمثل ويبشر به بشكل خفي فيقول: "تهللي وافرحي يا ابنة صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطِك يقول الرب. فتجتمع أمم كثيرة إلى الرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبًا فأسكن في وسطِك فيعلمون أن رب الجنود قد أرسلني إليكِ. والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم أيضًا. فليخشع كل جسد قُدام الرب لأنه قام من بين سحبه المقدسة. وأراني يسوع [ويُنطَق في العبرية يهوشع] الكاهن العظيم قائمًا قُدَّام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب الذي اختار أورشليم. أ فليس هذا شعلة منتشلة من النار" (زك ٢ : ١٠ - ١٣؛ ٣ : ١ - ٢)."

وإذ كان تريفون على وشك أن يجيب معترضًا، قلت: "انتظر واسمع ما سأقول، فأنا لن أفسر هذا النص كما تظن، وكأنه لم يكن هناك قط كاهن يُدعى يسوع [يهوشع] في بابل حيث كان شعبكم مسبيًّا. وحتى لو كنت سأفسره كذلك، لأثبت لكم أنه إذا كان هناك كاهن يُدعى يسوع [يهوشع] من بين شعبكم فإن النبي لم يره في الرؤيا، كما أنه لم ير الشيطان أو ملاك الرب بعينيه لأنه أثناء الرؤيا لم يكن في حالة طبيعية بل في حالة دَهش. وأنا أقول إنه كما قال [الكتاب] إنه باسم يسوع [يشوع] الذي أُطلِقَ على ابن نون، جرت قوَّات وعظائم أخرى تشير إلى ما سيعمله ربنا يسوع، كذلك الرؤيا التي حدثت بين شعبكم في بابل في أيام يسوع [يهوشع] الكاهن كانت نبوءة لما سيفعله كاهننا وإلهنا ومسيحنا ابن الآب."

ثم استطردت قائلًا: "لقد دُهِشت حقًّا أنكم منذ قليل التزمتم الصمت ولم تعارضونني عندما قلت إن ابن نون كان الوحيد - بين معاصريه الذين نجوا مِن مصر - الذي دخل الأرض المقدسة مع من وُصِفوا بأنهم الأصغر مِن ذاك الجيل. ولأنكم تحتشدون معًا على القروح مثل الذباب فأنتم تتغاضون عن عشرة آلاف كلمة صحيحة وتنقضّون على كلمة واحدة صغيرة تزعجكم لأنها غير واضحة أو غير دقيقة، عاملين ما في وسعكم لجعلها تبدو كلمة شر وتجديف. فعندما يدينكم الله بنفس الدينونة التي تدينون بها غيركم، سيكون عليكم أن تُقدِّموا حسابًا عسيرًا عن جرائمكم الفاضحة سواء كانت أعمال آثمة أو تفسيرات خاطئة وباطلة للكتاب المقدس "لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون" (مت ٧ : ٢)."

الفصل المئة والسادس عشر

"ولكي أشرح لكم بشكل أوضح إعلان يسوع المسيح القدوس سأواصل كلامي بالقول بأن رؤيا زكريا المذكورة من قبل قد أُعطِيَت لنا نحن الذين نؤمن بالمسيح رئيس الكهنة المصلوب. نحن الذين كنا قبلًا قد مارسنا الفسق وكل نوع من أنواع النجاسة والآن قد نزعنا عنا ثياب الخطية[١٨١] بالنعمة التي أنعم علينا بها يسوع المسيح بحسب إرادة أبيه. وعلى الرغم من أن الشيطان يقف بالقرب منا مستعد لمقاومتنا ولأسرنا جميعا له، إلا أن ملاك الرب - أي القوة التي أرسلت لنا بواسطة يسوع المسيح[١٨٢] - ينتهره فيذهب عنا. فنحن قد انتُشِلنا كما من نار عندما طهرنا الله مِن خطايانا السابقة وأنقذنا من نار التجارب التي يجربنا بها الشيطان وأعوانه. ومِن مثل هذه الأخطار ينتشلنا يسوع ابن الله، فهو قد وعد بأن يُلبِسنا الثياب المُعَدَّة لنا إن حفظنا وصاياه وسيكافئنا بملكوت أبدي. فكما أن يسوع [يهوشع] الذي دعاه زكريا النبي كاهنًا كان لابسًا ثيابا قذرة - لأنه قد قيل إنه تزوج بزانية[١٨٣] - والذي دُعيَ "شعلة منتشلة من النار" (زك ٣: ٢) لأن خطاياه قد غُفِرَت عندما انتهر الرب الشيطان الذي قاومه، هكذا نحن أيضًا الذين آمنا كرجل واحد بالله خالق الكل وباسم يسوع ابنه البكر، قد نُزِعَت عنا ثيابنا القذرة أي خطايانا. وبما أن نار دعوته قد اشتعلت فينا فنحن الآن النسل الكهنوتي الحقيقي الذي لله كما يشهد الله ذاته عندما يقول إنه "في كل

---

[١٨١] انظر زك ٣: ٣ - ٤.

[١٨٢] لا يتضح هنا المقصود بالضبط بالقوة المرسلة لنا من المسيح؛ فهل هي فعلًا ملاك أم المقصود هنا هو الروح القدس.

[١٨٣] ربما اختلط الأمر على ق. يوستينوس بين يهوشع بن يهوصاداق الكاهن وهوشع النبي، أو أنه يشير هنا إلى التقليد اليهودي بأن الملابس القذرة توحي بزواج غير شرعي، أو إلى خطايا شعبه، أو إلى ذل السبي.

مكان في الأمم تُقدَّم إليه ذبائح طاهرة مرضية"[184] والله لا يقبل الذبائح من أحد إلا من خلال كهنته."

الفصل المئة والسابع عشر

"إن الله يشهد أن كل الذبائح التي تُقدَّم بهذا الاسم ليسوع المسيح] والتي أوصى يسوع بتقديمها التي هي الخبز والكأس في سر الأفخارستيا والتي يُقدِّمها المسيحيون في جميع أنحاء العالم هي مرضية أمامه ولكنه يرفض قبول ذبائحكم وتلك التي يقدمها كهنتكم؛ إذ يقول: "لا أقبل تقدماتكم من أيديكم لأنه من مشرق الشمس إلى مغاربها اسمي عظيم بين الأمم ... أما أنتم فنجستموه" (ملا ١: ١٠ - ١٢). وحتى الآن، بسبب حب الجدال، تقولون إن الله لم يقبل ذبائح الذين كانوا يسكنون حينئذ في أورشليم وقد دُعيوا إسرائيليين وإنه قال إن صلوات اليهود الذين كانوا في الشتات في ذلك الوقت كانت مرضية أمامه وإنه يدعوها ذبائح. وأنا أيضًا أعترف بأن الصلوات وتقدمات الشكر التي يقدِّمها الأبرار تُعتبَر الذبائح الوحيدة الكاملة والمرضية أمام الله وقد طُلِب مِن المسيحيين تقديم مثل هذه الصلوات فقط - حتى عند تقديم الشكر على أغذيتهم - كتذكار لذبيحة الآلام التي تحملها ابن الله لأجلنا. ولكن رؤساء كهنتكم ومعلميكم تسببوا في أن يُجَّدف على اسمه ويُنجَّس في العالم أجمع. وأما هذه الثياب القذرة - أي الأباطيل - التي تضعونها على كل الذين يصيرون مسيحيين باسم يسوع فسوف يطرحها الله عنا عندما يقيمنا جميعًا الى عدم الفساد والخلود والتحرر من الألم في ملكوت أبدي لا يفنى ويطرد الآخرين إلى عذاب النار الأبدي. ولكنكم أنتم ومعلميكم تخدعون أنفسكم عندما تفسرون هذا

[184] انظر إش ٦٦: ٢١ ؛ رو ١٥: ١٥ - ١٧ ؛ ١بط ٢: ٩.

النص مِن الكتاب على أنه يشير إلى يهود الشتات مؤكدين أن النص يقول إن صلواتهم وتقدماتهم كانت طاهرة ومرضية في كل مكان. فعليكم أن تدركوا أنكم تكذبون وتحاولون بكل وسيلة أن تخدعوا أنفسكم. أولاً، لأن أمتكم الآن لا تمتد مِن مشارق الشمس إلى مغاربها، لأنه توجد أمم لم يحيا بينها أي واحد مِن جنسكم حتى الآن. ولكن لا يوجد جنس واحد من الناس؛ سواء البربر أو اليونانيون أو أيًّا كان اسمهم، مِن البدو أو المتشردين أو الرعاة ساكني الخيام، لا يُقدِّمون صلوات وتشكرات باسم يسوع المصلوب إلى الآب خالق الكل. وثانيًا لأن الكتاب المقدس يُرينا بوضوح أنه في ذلك الزمن حين كتب ملاخي النبي هذا الكلام لم يكن الشتات على وجه الأرض قد حدث بعد لشعبكم كما هو حادث الآن".

الفصل المئة والثامن عشر

"فالأفضل لكم أن تتركوا الجدل والمعارضة وتتوبوا قبل أن يأتي عليكم يوم الدينونة العظيم حينئذ تنوح جميع قبائلكم التي صلبت المسيح، كما بيَّنتُ لكم من الكتاب المقدس[١٨٥]. والآن قد شرحت لكم معنى الآية التي تقول "أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق"[١٨٦]. كما بيَّنتُ أيضًا أن نبوءة إشعيا: "وفي دفنه يُرفَع مِن الوسط" (إش ٥٣ : ٨) تشير إلى أن المسيح سيُدفَن ويقوم ثانيةً. وقد ذكرت بالتفصيل أن المسيح ذاته سيدين الأحياء والأموات. وقد تحدَّث ناثان عنه لداود قائلاً: "أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا ... ولكن رحمتي لا أنزعها منه كما نزعتها مِن الذين قبله بل أُثبِّته في بيتي وفي مملكته إلى الأبد"[١٨٧]. ويقول حزقيال

---

[١٨٥] انظر الحوار مع تريفون، فصل ٣٣.

[١٨٦] مز ١٠٩: ٤ (في البيروتية مز ١١٠: ٤).

[١٨٧] ٢ مل ٧: ١٤ ـ ١٥ (في البيروتية ٢ صم ٧: ١٤ ـ ١٥) انظر الحوار مع تريفون، فصل

النبي[188] إنه سيكون الرئيس الوحيد في البيت لأنه هو الكاهن المختار والملك الأبدي والمسيح لأنه هو ابن الله. ولا تظنوا أن إشعيا أو الأنبياء الآخرين يتحدثون عن ذبائح دموية أو تقدمات تُقدَّم على المذبح في مجيئه الثاني بل فقط ذبائح تسبيح روحية حقيقية وذبائح شكر. نحن لم نؤمن عبثًا ولم يضلنا معلمونا، ولكننا بعناية إلهية عجيبة وُجِدنا أكثر فهمًا وتدينًا منكم وذلك من خلال دعوة العهد الجديد الأبدي - أي دعوة المسيح - مع أنكم مِن المفترض أن تكونوا أناسًا أذكياء محبين للرب ولكنكم لستم كذلك. ويقول إشعيا في تعجب: "يسد ملوك فمهم لأن من لم يُخبَّروا به ومَن لم يسمعوا فهموا. يا رب من صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب؟" (إش ٥٢: ١٥ ؛ ٥٣: ١)".

وواصلتُ كلامي قائلًا: "يا تريفون أنا أحاول على قدر الإمكان أن أكرر بإيجاز وتركيز ما سبق أن قلته لكم لأجل الذين جاءوا معكم اليوم".

قال تريفون: "حسنًا، وحتى إذا كررت الكلام ذاته بإسهاب، تأكد أننا كلنا سوف نستمع إليك بسرور".

الفصل المئة والتاسع عشر

قلت: "هل تظنون أيها السادة أننا نقدر أن نفهم معنى هذه النصوص مِن الكتاب المقدس بدون نعمة خاصة مِمَن أوحى بهذه النصوص لكي تتحقق الكلمات التي تكلَّم بها موسى قائلًا: أغاروني بالأجانب وأغاظوني بأرجاسهم. ذبحوا لشياطين لم يروها أحداث قد جاءت من قريب لم يعرفها آباؤهم. الله الذي ولدك تركته

٣٩، حاشية ٦٣.

[188] انظر حز ٤٤: ٣.

ونسيت الله الذي ربَّاك. فرأى الرب وغار واغتاظ بسبب بنيه وبناته وقال أحجب وجهي عنهم وأريهم ماذا تكون آخرتهم. فإنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم هم أغاروني بما ليس إلهًا. أغاظوني بأوثانهم وأنا أغيرهم بما ليس أُمَّة بأُمَّة غبية أغيظهم. فإنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد حتى إلى الهاوية وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال. سأجمع عليهم شرورًا" (تث ٣٢: ١٦ - ٢٣) وبعد موت يسوع البار صرنا شعبًا آخر ونمونا مثل سنابل جديدة مزدهرة[١٨٩]، وكما يقول النبي: "فتجتمع أمم كثيرة إلى الرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبًا" (زك ٢: ١١) ونحن المسيحيون لسنا شعبًا فقط بل شعب مُقدَّس كما بيَّنا قبلًا "ويدعونهم شعبًا مقدسًا مفديي الرب" (إش ٦٢: ١٢) إذن فنحن لسنا شعبًا محتقرًا ولا قبيلة مِن البربر ولا مجرد أُمَّة مثل أُمَّة الكاريين (Carian) والفريجيين (Phrygian) بل شعب مختار من الله الذي صار ظاهرًا للذين لم يطلبوه، وقال الله هأنذا لأمة لم تدعو باسمه"[١٩٠]. لأن هذه هي بالحقيقة الأمة التي وعد الله بها إبراهيم عندما قال له إنه سيجعله أبًا لأمم كثيرة ليس للعرب أو للمصريين أو للآدوميين كما صار إسماعيل أبًا لأمة عظيمة وأيضًا عيسو وكما يوجد الآن جمهور كبير مِن العمونيين. وكان نوح أبًا لإبراهيم وبالأحرى لجميع الناس. فما هي إذن عظمة النعمة التي أنعم بها المسيح على إبراهيم؟ فقد ناداه بصوته طالبًا منه أن يترك الأرض التي كان يعيش فيها وبهذا الصوت نفسه نادانا نحن أيضًا فتركنا طريق حياتنا الأولى حيث كنا نمارس الشر مثل أهل العالم. ولكن لأننا بالإيمان صرنا أولادًا لإبراهيم فسوف نرث الأرض المقدسة مع إبراهيم في ميراث أبدي. فكما أنه سمع لصوت الله وآمن به فحُسبَ له برًّا

[١٨٩] انظر هوشع ٢: ٢٣ ؛ وأيضا حز ١٧: ٢٤.

[١٩٠] انظر إش ٦٥: ١.

هكذا نحن أيضًا سمعنا صوت الله ـ الذي تكلَّم به لنا رسل المسيح وكرز به الأنبياء ـ وآمنا به ورذلنا كل الأمور العالمية حتى الموت. وقد وعد الله إبراهيم بأمة بارة وتقية لها إيمان مماثل لإيمانه وتكون موضع سرور للآب ولكن هذه الأمة ليس أمتكم فأنتم "أولاد لا أمانة فيهم" (تث ٣٢: ٢٠)."

الفصل المئة والعشرون

"لاحِظوا كيف أعطى الله الوعود ذاتها لإسحق ويعقوب فيقول لإسحق: "تتبارك في نسلك كل أمم الأرض" (تك ٢٦: ٤) ويقول ليعقوب "تتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض" (تك ٢٨: ١٤) ولكن الله لا يوجِّه هذه البركة لعيسو أو لرأوبين أو لأي شخص آخر بل فقط لأولئك الذين من نسلهم يأتي المسيح مولودًا مِن العذراء مريم بحسب التدبير الإلهي لفدائنا. وإذا تأملتم البركة التي أُعطِيَت ليهوذا ستفهمون القصد مما أقول، فإن النسل انقسم بعد يعقوب نزولاً إلى يهوذا وفارص ويسى وداود، وكانت هذه علامة أن بعض اليهود منكم سيكونون بالتأكيد أولادًا لإبراهيم ويشاركون في نصيب المسيح ولكن البعض الآخر الذين هم أيضًا أولاد إبراهيم سيكونون كرمل البحر في الكثرة والانتشار، ولكنهم مثل أرض قاحلة بلا ثمر على الإطلاق يشربون مِن ماء البحر. هذا هو الحال بالنسبة لغالبية شعبكم لأنكم جميعا تشربون تعاليم مُـرَّة غير إلهية محتقرين بهذا كلمة الله. فبالنسبة ليهوذا يقول النص: "لا يزول رئيس من يهوذا ولا مدبِّر من بين فخذيه حتى يأتي مَن ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم" (تك ٤٩: ١٠) ومِن الواضح أن هذا الذي قيل لم يكن لأجل يهوذا بل لأجل المسيح، لأننا نحن الأمم لم ننتظر يهوذا بل يسوع الذي أنقذ أجدادكم أيضًا من مصر. فالنبوءة تشير إلى مجيء المسيح "حتى يأتي

من ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم". إذن فالمسيح قد جاء كما أثبتُّ لكم بالتفصيل، ومن المنتظر أن يأتي ثانيةً على السحاب. سيأتي هذا الذي قد نجستُم اسمه وتسعون للتجديف عليه في العالم أجمع. وقد كنت قادرًا أيها السادة أن أجادلكم بخصوص النص الذي تترجمونه هكذا "حتى تأتي الأشياء المُذخَّرة له" بالرغم من أن السبعين لشيخًا] لم يترجموها هكذا بل ترجموه: "حتى يأتي مَن ذُخِّرَ له" وبما أن العبارة التي تلي هذا تشير بوضوح إلى المسيح "وهو رجاء الأمم" فأنا لا أريد أن أدخل في مجادلة لفظيَّة معكم، كما أنني لم أعتمد في الإثباتات التي أوردتها عن المسيح على النصوص الكتابية التي لا تعترفون بها - والتي اقتبستها مِن إرميا وعزرا وداود - بل اعتمدتُ حتى الآن على تلك النصوص التي تعترفون بها[١٩١] والتي لو كان معلموكم قد فهموها لحذفوها بالتأكيد كما فعلوا مع النصوص التي تصف موت إشعيا الذي نشرتموه أنتم أيها اليهود إلى نصفين بمنشار[١٩٢]. وقد كان هذا الحدث أيضًا رمزًا للمسيح الذي سوف يقسم أمتكم إلى نصفين، يدخل النصف المستحق إلى ملكوته الأبدي مع الأنبياء والبطاركة القديسين، أما الآخرون فسيحكم عليهم بلهيب نار أبدية مع جميع الأمم الرافضة للطاعة والتوبة. فقد قال الرب "إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١١ - ١٢) و ليس لي في كلامي هذا سوى هدف واحد وهو أن أقول الحق وفي هذا لن أخاف حتى إذا مزقتموني إربًا. حيث إني

---

[١٩١] في هذه الفقرة يوضح ق. يوستينوس سبب عدم اقتباسه حتى هذه الفقرة من أسفار العهد الجديد أو الأسفار التي لا يعترف بها اليهود مِن العهد القديم حتى لا يدخل في مجادلات جانبية مع اليهود بشأن قانونية الأسفار كي يصل مباشرةً إلى هدفه، وهو إثبات أن يسوع هو المسيح.

[١٩٢] انظر عب ١١: ٣٧ ؛ وأيضًا (*Martyrdom of Isaias*) و(*Ascension of Isaias*)

لم أخاف أيًّا مِن شعبي - أي السامريين - عندما كتبت[193] إلى قيصر مؤكدًا أنهم قد ضلوا؛ إذ صدَّقوا سيمون الساحر الذي يعتبرونه إلهًا فوق كل رئاسة وسلطان وقوة."

الفصل المئة والحادي والعشرون

وإذ ظلوا صامتين استطردتُ قائلًا: "أيها السادة حينما يتكلم الكتاب بفم داود عن المسيح فلا يقول بعد "في نسله تتبارك الأمم" بل "فيه" فمثلًا يقول المزمور "اسمه إلى الدهر يشرق أكثر من الشمس وتتبارك فيه كل الأمم"[194]. وإذا كانت جميع الأمم تتبارك فيه إذن فهو المسيح ونحن نتبارك به لأنه مكتوب[195] أن الله ترك أناسًا ليعبدوا الشمس، ومع هذا لم نسمع أن أحدًا مات لأجل إيمانه بالشمس في حين أن أناسًا من كل جنس قد تألموا وما زالوا يتألمون بكل أنواع الألم لأجل اسم المسيح بدلاً مِن أن ينكروا إيمانهم به. فإن كلمة الحق والحكمة تضيء وتتوهج أكثر من قوة الشمس وتخترق أعماق القلب والفكر. ويقول الكتاب "اسمه يشرق أكثر من الشمس"[196]. ويقول زكريا النبي إن "الشرق اسمه" (زك ٦: ١٢) وأيضًا "تنوح كل قبيلة" (زك ١٢: ١٢) ولكن إذا كان منيرًا وقديرًا بهذا المقدار في مجيئه الأول - بالرغم من أنه كان مرذولاً وبلا كرامة ولا منظر - حتى إنه عُرِف في كل أمة وتاب إليه أناس من كل الأجناس تاركين طريق الشر في حياتهم، وحتى الشياطين خضعت لاسمه، وأيضًا كل القوات والممالك يخافون اسمه أكثر من خوفهم من الموت، أ فلا يُهلك عند مجيئه الثاني في المجد كل الذين

---

[193] انظر الدفاع الأول، فصل ٢٦، والدفاع الثاني، فصل ١٥.
[194] مز ٧١: ١٧ (في البيروتية مز ٧٢: ١٧).
[195] انظر تث ٤: ١٩ ، رو ١: ٢٨.
[196] مز ٧١: ١٧ (في البيروتية مز ٧٢: ١٧).

أبغضوه بحقد أو رفضوه وينعم على أتباعه المؤمنين بالراحة وبكل بركة أخرى ينتظرونها؟ فهو إذن قد منحنا نعمة خاصة لكي نسمع ونفهم، لكي نخلص بالمسيح ونعرف جميع الحقائق التي كشفها الآب ولذلك يقول له "أنت أعظم مِن أن تُدعى عبدًا لي لإقامة أسباط يعقوب ورد متفرقي إسرائيل. فقد جعلتك نورًا للأمم لتكون خلاصهم إلى أقصى الأرض" (إش ٤٩ : ٦)."

الفصل المئة والثاني والعشرون

"وأنتم تفترضون أن هذا النص يشير إلى الدخلاء[١٩٧] ولكنه بالحقيقة يشير إلينا نحن المسيحيين الذين استترنا بيسوع، ولا شك أن المسيح كان من الممكن أن يشهد لهم، ولكنكم قد صرتم أبناء لجهنم أكثر منكم مضاعفين[١٩٨] كما قال هو. ولذا فالنبي إشعيا لا يتحدث عنهم بل عنا نحن الذين يشهد لنا الكتاب قائلًا: "أقود العمي في طريق لم يعرفوها وفي مسالك لم يدروها يمشون" (إش ٤٢ : ١٦) "وأنا شاهد يقول الرب الإله وعبدي الذي اخترته" (إش ٤٣ : ١٠) لمن يشهد المسيح إذن، بالتأكيد لمن قد آمنوا ، أما الدخلاء فهم غير مؤمنين، ليس هذا فقط، بل أيضًا يجدِّفون على اسمه ضعف ما تفعلون، لأنهم هم أيضا يسعون لتعذيبنا وقتلنا نحن المؤمنين به، متتبعين خطواتكم في كل شيء. وفي موضع آخر يقول: "أنا الرب قد دعوتك بالبر فأُمسك بيدك وأقويك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العمي لتُخرِج المأسورين من الحبس" (إش ٤٢ : ٦ - ٧) أيها السادة، إن هذه الكلمات أيضًا قيلت عن المسيح وتخص الأمم المستنيرين، أم تدَّعون هنا أيضًا أنه يتكلم عن الناموس والدخلاء؟"

---

[١٩٧] الدخلاء هم الذين اعتنقوا الديانة اليهودية من غير اليهود.

[١٩٨] انظر مت ٢٣: ١٥.

فبدأ بعض الذين جاءوا في اليوم الثاني يرفعون أصواتهم كما لو كنا في مسرح قائلين: "ولمَ لا؟ أ لا يقصد هنا الناموس والذين استناروا به؟ هؤلاء بالطبع هم الدخلاء."

قلت وأنا أنظر إلى تريفون: "لا، لأنه لو كان للناموس قدرة على تنوير الأمم وجميع الذين يقتنون الناموس، لما كانت هناك حاجة لعهد جديد. ولكن بما أن الله أخبرنا بأنه سيرسل عهدًا جديدًا وناموسًا ووصية أبدية فلا ينبغي أن نفهم هذا الكلام كأنه عن الناموس القديم ودخلائه بل عن المسيح ودخلائه، أي عنا نحن الأمم الذين استنرنا به كما يقول هو: "هكذا يقول الرب: في وقت مقبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك. وجعلتك عهدًا للأمم لإقامة الأرض، لإرث ميراث البراري" (إش ٤٩ : ٨) ما هو إذن ميراث المسيح؟ أ ليسوا الأمم؟ وما هو عهد الله؟ أ ليس هو المسيح؟ فهو يقول في مكان آخر في الكتاب "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وسلطانك إلى أقاصي الأرض" (مز ٢ : ٧ - ٨)"

الفصل المئة والثالث والعشرون

"والآن بما أن جميع هذه النصوص تشير إلى المسيح والأمم، فعليكم أن تسلِّموا بأن النصوص الأخرى أيضًا تشير إليه. لأن دخلاءكم لا يحتاجون إلى عهد جديد، وناموس واحد يحكم المختونين الذين يقول عنهم الكتاب: "يقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب" (إش ١٤ : ١) إن دخلاءكم لا يحتاجون إلى عهد جديد، لأن الدخيل الذي يختتن لكي يدخل ضمن جماعة الشعب اليهودي يُعتبَر كأنه مولود يهودي، وأما نحن الذين حُسِبنا مستحقين أن نُدعى شعبًا إلّا أننا ما زلنا مِن الأمم لأننا غير مختونين. فضلاً عن ذلك فإنه من السخيف أن تتصوروا أن عيون الدخلاء مفتوحة، في

حين عيونكم غير مفتوحة أي أنكم عميان وصم وهم مستنيرون، والأكثر سخفًا هو القول بأن الناموس أُعطيَ للأمم وأنكم لا تعرفون هذا الناموس. ولو كان الأمر هكذا لخفتم من غضب الله ولما كنتم أبناء ضالين بلا ناموس، بل أبناء خائفين أن تسمعوه يقول مرارًا وتكرارًا "أولاد لا أمانة فيهم" (تث ٣٢: ٢٠) وأيضًا "من هو أعمى إلا عبيدي وأصم إلا قادتهم؟ قد عمي عبيد الرب، تنظرون كثيرًا ولا تلاحظون، آذانكم مفتوحة ولا تسمعون" (إش ٤٢: ١٩ - ٢٠) هل يمدحكم الله؟ هل شهادة الله عنكم تليق بكم كعبيد له؟ ومع أنكم كثيرًا ما تسمعون مثل هذه إلا أنكم لا تستحون ولا ترتجفون عندما يهددكم الله لأنكم شعب غبي ومعاند. لذلك يقول الرب "لذلكِ هأنذا أعود وأُبعِد هذا الشعب، سأبعدهم وأنزع حكمة حكمائهم وأخفي فهم فهمائهم" (إش ٢٩: ١٤) وهو بعدل يفعل هذا لأنكم بلا حكمة وبلا فهم، بل تتسمون بالمكر والغدر. لكم الحكمة فقط في الأعمال الشريرة ولا تصلحون لمعرفة مشورة الله الخفية أو عهد الله الصادق ولا لأن تجدوا الطرق الأبدية. ولهذا السبب يقول: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم على بيت إسرائيل وبيت يهوذا زرع إنسان وزرع حيوان" (إر ٣١: ٢٧) وبفم إشعيا يتحدث الله عن إسرائيل آخر: "في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثالثًا للمصريين والأشوريين. مُبارَكًا في الأرض التي باركها رب الجنود قائلًا: مبارك شعبي الذي في مصر وفي آشور وميراثي إسرائيل" (إش ١٩: ٢٤ - ٢٥) وبما أن الله يبارك هذا الشعب ويدعوه إسرائيل ويعلن بوضوح أنه ميراثه، فلماذا لا تشعرون بالندم على خداع أنفسكم في تصوركم أنكم وحدكم إسرائيل لاعنين هؤلاء الذين باركهم الله حتى إنه قال لأورشليم والمنطقة المحيطة "أُمشِّي الناس عليكم شعبي إسرائيل فيرثونكم فتكونون لهم ميراثًا ولا تعود بعد تثكلهم" (حز ٣٦:١٢).

قال تريفون: "هل تعني بقولك هذا أنكم أنتم إسرائيل وأن الله يقول كل هذا عنكم؟"

قلت: "لو أنني لم أكن قد ناقشت هذه المسألة من كل ناحية لظننت أنك تسأل هذا السؤال عن جهل، ولكنني قدمت براهين قد وافقت أنت عليها، ولذا لا أستطيع أن أصدق أن سؤالك جاء عن جهل بما قلته أو عن رغبة في المراوغة، بل هو من باب التحدي لكي أكرر هذه البراهين لأجل الذين انضموا إلينا موخرًا."

وبعدما أومأ برأسه بالموافقة استطردت قائلاً: "إن كان لكم آذان اسمعوا الله في سفر إشعيا يتكلَّم عن المسيح برمز ويدعوه يعقوب وإسرائيل: "يعقوب عبدي أعضده، إسرائيل مختاري أضع روحي عليه فيُخرِج الحق للأمم. لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مُدخِّنة لا يطفئ. بل يجعل الحكم للحق. يُشرِق ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وعلى اسمه تتكل الأمم." (إش ٤٢: ١ - ٤) إذن كما دُعيَ جميع شعبكم باسم أبيكم وهو يعقوب المُلقَّب إسرائيل، فهكذا نحن أيضًا الذين نطيع وصايا المسيح دُعينا باسم المسيح الذي ولدنا لله مثل يعقوب وإسرائيل ويهوذا ويوسف وداود، ونحن نُدعى ونكون أبناء حقيقيين لله."

الفصل المئة والرابع والعشرون

وعندما لاحظت أن مستمعيَّ قد أقلقهم القول بأننا نحن المسيحيين أبناء الله، فقلت لهم قبل أن يعترضوا: "أيها السادة، اسمعوا الروح القدس يقول إن هذا الشعب جميعه أبناء العلي وإن المسيح سيكون حاضرًا في مجمعهم يصدر حكمًا على جميع الشعوب. وها هي ذي كلماته بفم داود كما تترجمونها[١٩٩] "الله قائم في مجمع

[١٩٩] في الأغلب يقصد ق. يوستينوس الترجمة التي قام بها أكيلا من النص العبري حوالى

الله. في وسط الآلهة يقضي: حتى متى تقضون جورًا وترفعون وجوه الأشرار؟ اقضوا للذليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجُّوا المسكين والفقير. مِن يد الأشرار أنقذوا. لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يمشون. تتزعزع كل أسس الأرض. أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم. لكنكم مثل إنسان[٢٠٠] تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون. قم يا الله دِن الأرض لأنك أنت تمتلك كل الأمم"[٢٠١]. وفي الترجمة السبعينية مكتوب "مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون" إشارة إلى عصيان الناس - أي آدم وحواء - وسقوط أحد الرؤساء أي الحية التي سقطت سقوطا عظيمًا لأنها خدعت حواء. ولكنني لا أنوي أن أخوض في هذه النقطة بل أن أثبت لكم أن الروح القدس يوبِّخ الناس الذين خُلِقوا على صورة الله، متحررين من الألم والموت بشرط إطاعة وصاياه، وحُسِبوا مستحقين أن يُدعَوا أبناء الله ولكنهم مثل آدم وحواء جلبوا الموت على أنفسهم، فلكم أن تفسروا المزمور السابق كما شئتم. لقد بيَّن لنا المزمور أنهم حُسِبوا مستحقين أن يصيروا آلهة ويكون لهم السلطان أن يصيروا أبناء العلي[٢٠٢]، إلا أنهم سقطوا تحت الحكم والدينونة كما حدث مع آدم وحواء. كما أثبتُّ لكم بإسهاب أن الروح القدس يدعو المسيح الله."

---

١٣٠ م ليستخدمها اليهود الناطقين باليونانية بدلًا مِن الترجمة السبعينية التي تراجع اليهود عن استخدامها بسبب استخدام المسيحيين لها. ومن الملاحظ أن هذا الاقتباس يتطابق مع النص العبري وترجمته الموجودة في النسخة البيروتية المتداولة.

[٢٠٠] (ὡς ἄνθρωπος) "مثل إنسان" هي الترجمة الصحيحة للكلمة العبرية (כְּאָדָם) وقد استخدمها ق. يوستينوس في الاقتباس الذي أورده مع أن معظم الترجمات المتداولة للنص العبري الماسوري توردها "مثل الناس".

[٢٠١] مز ٨١: ١ - ٨ في السبعينية (في البيروتية مز ٨٢: ١ - ٨).

[٢٠٢] انظر يو ١: ١٢.

الفصل المئة والخامس والعشرون

قلت: "أيها السادة، أتمنى أن تُعرِّفوني مغزى اسم "إسرائيل"."

ولما لم يُجِب أحد واصلت كلامي: "حسنًا سأخبركم بما أعرفه لأنني أعتقد أنه لا يصح ألّا أشارك الآخرين شيئًا مما أعرف، كما لا يصح أن أشعر بالقلق باستمرار بسبب الشك في أنكم تعرفون إجابة سؤالي ولكنكم تخدعون أنفسكم بدافع الحسد أو التظاهر بعدم المعرفة. وأنا لا أتردد لحظة في أن أصارحكم ببساطة ووضوح كما قال ربي: "خرج الزارع ليزرع. وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق ... وسقط آخر على الأماكن المحجرة ... وسقط آخر على الشوك ... وسقط آخر على الأرض الجيدة" (مت ١٣: ٣ - ٨) ولذا على المرء أن يتحدث آملاً في أن يقع كلامه على أرض جيدة. لأن إلهي القوي القدير سيطلب عند مجيئه ما له مِن الجميع، فهو لن يرفض ذلك العبد الذي وضع وزناته عند الصيارفة لأنه يعلم أن إلهه قوي وسوف يجيء ثانية ليطلب عائد ما له، فلم يمضِ ليخفي وزنته في الأرض مهما كان السبب[٢٠٣].

إن اسم إسرائيل يعني "إنسانًا يتغلب على قوة" لأن "إسرا" تعني إنسان يتغلب، و "إيل" تعني قوة[٢٠٤]. وقد جاءت نبوءة بأن المسيح سوف يفعل هذا عندما يتجسد، وهذه النبوءة تتمثل في سر صراع يعقوب مع الله الذي ظهر له، مما يشير إلى أن المسيح خدم إرادة الله مع أنه هو الله بكونه بكر كل الخليقة. فبعد تجسده ـ كما ذكرت قبلاً ـ جاءه إبليس ـ أي تلك القوة المدعوَّة أيضًا الحية والشيطان ـ ليجرِّبه ويحاول أن يتغلب عليه طالبًا منه أن يسجد له. ولكن المسيح تغلَّب

---

٢٠٣ انظر مت ٢٥: ١٨ ـ ٢٧.

٢٠٤ انظر الحوار مع تريفون فصل ١٠٣.

عليه وسحقه تمامًا وأدانه على شره ومخالفته للكتب المقدسة؛ إذ طلب أن يُسجَد له ومن ثم صار مرتدًّا عن إرادة الله، فكان هذا رد المسيح "مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت ٤: ١٠) فتركه إبليس بعدما صار مهزومًا وموبَّخًا. وعندما ضرب المسيح حُق فخذ يعقوب كان يشير إلى أنه هو أيضا سيُضرب ـ بآلام نفسية وجسدية ـ عند صلبه.

ولكن اسم المسيح منذ القديم كان إسرائيل، هذا الاسم الذي منحه ليعقوب المُبارَك عندما باركه باسمه معلنًا بذلك أن جميع الذين يأتون إلى الآب به هم جزء مِن إسرائيل المبارك. أنتم لم تفهموا شيئًا من هذا ولا تحاولون أن تفهموا، بل فقط لكم ثقة في أن تخلصوا لمجرد أنكم من نسل يعقوب بالجسد، وفي هذا أيضًا أنتم تخدعون أنفسكم كما أوضحت مرارًا وتكرارًا".

الفصل المئة والسادس والعشرون

قلت: "ولكن، يا تريفون، لو كنت تعلم من هو الذي دعاه حزقيال ذات مرة "ملاك المشورة العظمى"[٢٠٥] ومرة أخرى دعاه إنسانًا، ودعاه دانيال ابن إنسان ودعاه إشعيا طفلًا ودعاه داود مسيحًا وربًّا مسجودًا له، ودعاه أنبياء كثيرون مسيحًا وحجرًا، ودعاه سليمان الحكمة، ودعاه موسى "يوسف" و "يهوذا" و "نجمًا" ودعاه زكريا الشرق، ودعاه إشعيا أيضًا المتألِّم ويعقوب وإسرائيل والعصا والزهرة وحجر الزاوية وابن الله. لو كنت تعلم من هو لما جدَّفتَ عليه، وهو الذي أتى واتخذ طبيعة بشرية وتألَّم وصعد إلى السماء وسيأتي ثانية، حينئذ تبكي وتنوح عليه أسباطكم الاثنا عشر. حقًّا لو أنكم فهمتم كلمات الأنبياء لما أنكرتم أنه الله والابن الوحيد لله

---

[٢٠٥] هذا الوصف جاء في سفر إشعيا وليس حزقيال.

غير الموصوف غير المولود[٢٠٦]. فإن موسى النبي يقول في سفر الخروج: "ثم كلَّم الله موسى وقال له أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بكوني إلههم. ولم أُعرِّفهم اسمي وأقمت عهدي معهم" (خر ٦: ٢ - ٤) وأيضًا في قوله إن يعقوب "صارعه إنسان" فهو يؤكد أن هذا الإنسان هو الله؛ إذ يقول يعقوب "لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونجَت نفسي" (تك ٣٢: ٢٤ - ٣٠) كما يشهد موسى أن يعقوب دعا المكان الذي ظهر له الله فيه وصارعه وباركه "وجه الله". ويعلن موسى أيضًا أن الله ظهر لإبراهيم قرب بلوطات ممرا وهو جالس عند باب خيمته وقت الظهر فيقول: "فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم" (تك ١٨: ١ - ٢) وبعد قليل وعد أحدهم إبراهيم بابن "فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: أ فبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن" (تك ١٨: ١٣ - ١٤) ثم يقول [الكتاب] عنهم أيضًا: "ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم" (تك ١٨: ١٦) ثم قال الكائن والذي كان لإبراهيم "هل أخفي عن عبدي إبراهيم ما أنا فاعله؟ (تك ١٨: ١٧)."

ثم اقتبست باقي كلمات موسى التي تلت هذه وشرحتها[٢٠٧]، وواصلت كلامي قائلاً: "مِن هذه النصوص قد ثبت بشكل نهائي أن الذي ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب وبطاركة آخرين ودُعيَ إلهًا قد عُيِّن من قِبَل الله الآب ليتمِّم به مشيئته[٢٠٨]."

ثم أضفت ما لم أكن قد ذكرته من قبل: "وهكذا أيضًا، عندما اشتهى الشعب أن يأكل لحمًا ولم يكن لموسى إيمان بالذي يُدعى ملاك عندما وعد أن الله سيعطيهم [لحمًا] حتى الشبع، هذا الذي

[٢٠٦] انظر الدفاع الأول، فصل ١٤.

[٢٠٧] انظر الحوار مع تريفون، فصل ٥٦.

[٢٠٨] انظر يو ٥: ٣٠.

هو ملاك وإله[209] أرسله الآب ليقول ويفعل كل هذا، فيقول الكتاب المقدس: "فقال الرب لموسى هل تقصر يد الرب؟ الآن ترى أ يوافيك كلامي أم لا" (عد ١١: ٢٣). وفي مكان آخر: "الرب قال لي لا تعبر هذا الأردن. الرب إلهك الذي يسير قُدَّامك. هو يبيد هؤلاء الأمم" (تث ٣١: ٢ - ٣)".

الفصل المئة والسابع والعشرون

"والأقوال الأخرى التي قالها معطي الناموس والأنبياء تتشابه مع هذه التي ذكرتها، وأظن أنني أوضحت بما فيه الكفاية أنه عندما يقول الله "صعد الله عن إبراهيم" (تك ١٧: ٢٢) أو "إن الرب كلم موسى" (خر ٦: ٢٩) أو "نزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما" (تك ١١: ٥) أو "وأغلق الرب الفلك على نوح مِن الخارج" (تك ٧: ١٦) فلا ينبغي أن تظنوا أن الله الآب ذاته هو الذي نزل وصعد لأن الآب غير الموصوف و رب الكل لا يأتي إلى أي مكان ولا يمشي ولا ينام ولا يقوم، بل يظل على الدوام في مكانه أينما كان هذا المكان ناظرًا وسامعًا بكل دقة ليس بعيون أو آذان بل بقوة تفوق الوصف، فهو يعاين كل الأشياء ويعرف كل الأشياء ولا يستطيع أحد منا أن يغيب عن نظره. وهو أيضًا لا يتحرك؛ إذ لا يحويه مكان ولا حتى الكون كله لأنه موجود قبل خلق الكون، فكيف يتكلَّم مع أحد أو يراه أحد أو يظهر في مكان ما من العالم في حين أن الشعب لم يستطع رؤية مجد ذاك الذي أرسله هو في سيناء؛ ولم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع التي بناها عندما ملأها بهاء مجد الله، ولم يقدر الكاهن أن يظل واقفًا أمام القدس عندما أدخل سليمان تابوت العهد إلى البيت الذي قد بناه له في أورشليم؟ فلا

[209] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣.

إبراهيم ولا إسحق ولا يعقوب ولا أي إنسان آخر رأى الآب غير الموصوف و رب كل الخليقة و رب المسيح ذاته[٢١٠]، ولكنهم قد رأوا ابن الله، الملاك الذي خدم إرادة الآب ومشيئته، هذا الذي بإرادته وُلِدَ مِن عذراء وهو الذي ظهر في شكل نار عندما كلَّم موسى مِن العليقة وما لم نفسِّر الأسفار المقدسة بهذه الطريقة فسنضطر إلى القول بأن الآب و رب الكل لم يكن في السماء عندما حدث ما وصفه موسى "فأمطر الرب على سدوم نارًا وكبريتًا مِن عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤) وأيضًا عندما قيل بفم داود: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد"[٢١١] وأيضًا في قوله: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك[٢١٢]." "

الفصل المئة والثامن والعشرون

"لقد حرصت أن أثبت لكم بإسهاب أن المسيح هو الرب وهو الله؛ إذ إنه ابن الله وإنه في القديم ظهر بقوته كإنسان وكملاك وفي مجد النار كما في العليقة، وكان حاضرًا لتنفيذ الحكم ضد سدوم. وبعد أن أعدت على مسامعهم كل الذي ذكرته من سفر الخروج عن الرؤيا في العليقة وتسمية ابن نون "يسوع" [يشوع] أكملت قائلًا: لا تظنوا أيها السادة أنني أردد الكلام باطلًا؛ إذ أكرر ما أقول. فأنا أفعل هذا لأنني أعلم أن البعض منكم بصدد القول بأن القوة التي أرسلها أبو الكل وظهرت لموسى وإبراهيم ويعقوب دُعيَت ملاكًا لأنه أُرسِل إلى بشر - وبهذه القوة ينقل الآب رسائله إلى البشر - كما دُعيَ مجدًا لأنه يظهر أحيانًا في رؤى لا يمكن احتمالها، ودُعيَ إنسانًا

---

[٢١٠] ينبغي أن تُفهَم هذه العبارة في سياق سر الإخلاء والتدبير الإلهي لخلاصنا مثلها مثل قول المسيح على الصليب "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مت ٢٦: ٤٧).

[٢١١] مز ٢٣: ٧ (في البيروتية مز ٢٤: ٧).

[٢١٢] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

لأنه يظهر في هيئات كهذه بحسب مشيئة الآب، ودُعيَ الكلمة لأنه يعرِّف الناس كلام الآب. ولكن البعض يعلِّمون[٢١٣] بأن هذه القوة لا تنقسم أو تنفصل عن الآب، كما أن نور الشمس على الأرض لا ينقسم أو ينفصل عن الشمس في السماء؛ فعندما تغرب الشمس يختفي نورها من على الأرض. ومن هنا يدَّعون أن الآب يرسل قوته متى أراد ويرجعها ثانية متى أراد، ويُعلِّمون بأن الآب صنع الملائكة بهذه الطريقة، إلا أنه ثبت أن الملائكة يبقون على الدوام [ملائكة] ولا يعودون ثانية إلى الشكل الذي خُلِقوا منه. ولقد أوضحت بالتفصيل أن هذه القوة التي يُسمِّيها الأنبياء "اللهُ" و "ملاك" لا يُعتبر مُختلفًا فقط من حيث الاسم مثل نور الشمس بل أيضًا يتمايز مِن حيث العدد[٢١٤] كما سبق أن شرحت بإيجاز أن هذه القوة هو مَن وُلِدَ مِن الآب بقدرته وإرادته، لكن ليس عن طريق الانفصال، وليس كأن جوهر الآب انقسم لأن الأشياء إذا انقسمت لا تعود كما كانت قبل الانقسام. ولشرح هذه النقطة ذكرتُ مثال النار التي تشتعل مِن نار أخرى، علمًا بأن النيران المشتعلة تتميز عن النار الأصلية التي مع أنها تشعل نيرانًا أخرى إلا أنها تظل هي النار نفسها بلا نقصان."

الفصل المئة والتاسع والعشرون

"ولإثبات هذه النقطة سأعيد لكم الآن بعض نصوص من الكتاب المقدس كنت قد ذكرتها قبلًا. عندما يقول الكتاب المقدس: "أمطر الرب... نارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩ : ٢٤) فهو يشير إلى أنهما إثنان في العدد، أحدهما على الأرض وقد جاء

[٢١٣] المقصود هنا هم بعض اليهود مثل فيلو اليهودي (Philo Judaeus) أو بعض المسيحيين مثل هرطقة الموناركيين (Monarchians) ومن أمثلتهم نيتوس (Noetus) وبراكسياس (Praxeas) وبولس الساموساطي (Paul of Samosata)

[٢١٤] في علاقته مع أقنومي الآب والروح القدس

ليشهد على صراخ سدوم، والآخر في السماء الذي هو رب الرب الذي على الأرض وكأبيه وإلهه فهو علّة وجوده[٢١٥] وقوته وربوبيته وإلوهيته. وعندما يذكر الكتاب أن الله قال في البدء: "هوذا آدم قد صار كواحد منا" (تك ٣: ٢٢) وتعبير "كواحد منا" يدل على وجود عدد [أكثر من واحد] ولا يمكن أن تفسر هذه العبارة بطريقة مجازية كما يحاول السوفسطائيون أن يفعلوا، فهم لا يقدرون أن يعرفوا الحق ولا أن يتكلموا به. ويقول سفر الأمثال "وإن عرَّفتكم ما يحدث يومًا فيوم فسأذكر ما كان منذ البدء الرب قناني أول طُرُقِه لأجل أعماله. قبل الدهر أسَّسني، في البدء قبل أن يخلق الأرض وقبل أن يخلق الهاوية، قبل أن توجَد ينابيع الغمر وقبل أن تُثبَّت الجبال، وقبل أن تكون كل التلال وَلَدَني" (أم ٨: ٢١ - ٢٥)."

وعندما كررت هذا الكلام أضفت: "أيها السادة، إذا كنتم قد تابعتم كلامي بدقة فسترون أن الكتاب يعلن أن الابن مولود من الآب قبل كل الخليقة، وستعترفون جميعًا أن الابن المولود يتمايز عدديًا عن الآب الذي ولده[٢١٦]."

الفصل المئة والثلاثون

وبعد موافقتهم على ما قلت، واصلت كلامي قائلًا: "اسمحوا لي الآن أن أذكر بعض نصوص الكتاب المقدس التي لم أذكرها من قبل، وهي نصوص كتبها موسى الخادم الأمين بشكل رمزي، وهي كما يلي: "هللي له أيتها السماوات وليسجد له كل ملائكة الله

---

[٢١٥] أي أن الآب هو علة وجود أقنوم الابن؛ إذ هو مولود منه حسب الطبيعة. وقد أدى هذا الشرح إلى التمادي في القول بأن الآب هو عله ربوبية وألوهية الابن. وهذا بالضبط هو ما جعل ق. أثناسيوس يتجنب استخدام تعبير "العلة" ويفضل عنه تعبير "الولادة" فالله آب ليس لأنه علة وجود الابن ولكن لأنه هو أبو الابن.

[٢١٦] التركيز هنا على التمايز بين الأقانيم الثلاثة مِن حيث العدد وليس من حيث الجوهر؛ إذ هم جوهر واحد.

تهللوا أيها الأمم مع شعبه وليتقوَّى له كل ملائكة الله لأنه ينتقم لدم عبيده ويرد نقمة على أعدائه ويجازي مبغضيه ويطهِّر الرب أرض شعبه" (تث ٣٢: ٤٣) وبهذه الكلمات يشير إلينا نحن الأمم لنتهلل مع شعبه أي إبراهيم وإسحق ويعقوب والأنبياء، وفي الواقع مع كل مَن يرُضي الله مِن ذاك الشعب ـ أي اليهود ـ كما اتفقنا من قبل. ولكننا نعلم أن هذه الكلمات لا تنطبق على جميع شعبكم لأن إشعيا يقول لنا إن أجساد الخطاة سيأكلها الدود والنار التي لا تطفأ ويظلون هكذا إلى الأبد كمشهد لجميع الناس[٢١٧]. والآن يا سادة، أريد أن ألفت نظركم إلى نصوص أخرى مما كتبه موسى ومنها سترون أن الله شتت الناس إلى أجناس ولغات، ومن جميع هذه الأمم اختاركم أنتم لنفسه مع أنكم أمة شريرة عاصية وغير مؤمنة. وقد بيَّن الله أن الذين اختارهم من جميع الأمم قد صنعوا إرادته في المسيح ـ الذي يدعوه يعقوب ويلقبه إسرائيل ـ وهكذا أيضًا هؤلاء المسيحيين ينبغي أن ندعوهم يعقوب وإسرائيل كما أثبتُّ لكم بالتفصيل. وعندما يقول "تهللوا أيها الأمم مع شعبه" فهو يعطيهم نصيبًا في الميراث ذاته وينسب لهم الاسم ذاته ـ أي اسم إسرائيل ـ وإذ يقول إنهم أمم يتهللون مع شعبه، فهو يفعل هذا توبيخًا لأمتكم. فكما أنكم قد أغضبتموه بأصنامكم، هكذا اعتبر الله الأمم أهلاً لمعرفة إرادته وشركة ميراثه على الرغم من أنهم كانوا قبلًا عبدة أوثان."

الفصل المئة والحادي والثلاثون

"وها هي ذي الكلمات التي تدل على أن الله قسَّم جميع الأمم: "اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولون لك حين قسَّم العليّ الأمم، حين فرَّق بني آدم نصب تخومًا للأمم حسب عدد بني إسرائيل. إن قِسْم

---

[٢١٧] انظر إش ٦٦: ٢٤.

الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه" (تث ٣٢: ٧ - ٩) وفي السبعينية جاءت الترجمة كالتالي: "وضَعَ تخومًا للأمم بحسب عدد ملائكة الله" وبما أن هذا الفرق لا يُضعِف ما أريد إثباته فقد ذكرت ما جاء في ترجمتكم[٢١٨]. والآن إذا أردتم أن تعترفوا بالحقيقة فعليكم أن تقرُّوا بأننا نحن المسيحيين لدينا إخلاص نحو الله أكثر منكم، لأن الله قد دعانا بسر الصليب المُحتقَر والمهان لنحتمل كل شيء ولا ننكر المسيح ولو بكلمة لأنه دعانا إلى الخلاص المُعَد لنا من قِبل الآب - وبسبب إيماننا هذا والطاعة والتقوى نحن نُعاقب إلى درجة الحكم علينا بالموت بواعز مِن الشياطين وأجناد إبليس والخدمة التي تقدمونها لهم - وقد أنقذكم الله من مصر بذراع قوية ومجد عظيم عندما انقسم البحر وعبرتم على أرض يابسة، في حين أن أعداءكم الذين كانوا يلاحقونكم بأعداد غفيرة ومركبات عظيمة قتلهم الله؛ إذ انطبقت عليهم المياه التي كانت قد انفلقت لكم. ثم أضاء لكم عمودًا من نور لكي تكونوا بخلاف أي شعب آخر في العالم أصحاب نور لا يخبو ولا ينقطع. ولأجلكم أمطر الله طعامًا الذي هو خبز الملائكة السمائيين - أي المن - حتى لا تحتاجوا للبحث عن طعام. والمياه المرة التي في مارَّة جعلها لأجلكم مياهًا عذبة. كما أعطاكم علامة للذي كان مزمعًا أن يُصلَب - كما ذكرت من قبل - وذلك في شكل الحية التي رفعها موسى وأيضًا في شكل ذراعي موسى الممدودتين، واسم هوشع الذي دُعيَ يسوع [يشوع] عندما كان الشعب يحارب عماليق. وهكذا أنعم الله عليكم بكل هذه الأسرار قبل أن تتحقق، في حين أظهرتم أنتم جحودًا مستمرًّا نحوه. وقد أوصى الله بتسجيل هذه الحقيقة محذِّرًا إياكم ألَّا تنسوا اسم يسوع الذي سوف يمحو ذكرى عماليق من على وجه الأرض. ولكن من الواضح أن ذكرى عماليق

---

[٢١٨] انظر الحوار مع تريفون، فصل ١٢٤.

ظلت قائمة بعد زمن ابن نون وكان الله يريد أن يوضح أنه بالمسيح المصلوب تنهزم الشياطين وترتعد عند سماع اسمه، كما ترتجف السلطات والممالك أمامه، وأن الذين يؤمنون به من كل الأجناس سيكونون تقاة ومسالمين، والأحداث التي وقعت يا تريفون تثبت صحة هذه النبوءات. وعندما اشتهيتم اللحم أرسل الله لكم طائر السلوى بأعداد لا تُحصى. ولأجلكم تفجرت مياه مِن صخرة، كما أن سحابة ظللتكم مِن الحر ومِن البرد إشارة إلى وعد بسماء جديدة أخرى؛ ولم تتمزق أربطة أحذيتكم، كما أن ملابسكم وأحذيتكم لم تبلَ، وحتى ملابس أطفالكم كانت تكبر كلما كبروا".

الفصل المئة والثاني والثلاثون

"وعلى الرغم من كل هذا، صنعتم العجل الذهبي وأسرعتم إلى الزنى مع بنات الأجانب وإلى عبادة الأوثان. وفعلتم هذه الأمور عينها حتى بعد أن تسلمتم أرض الموعد بقوة إعجازية حتى إنكم أبصرتم الشمس تتوقف في السماء ولم تغرب لمدة ٣٦ ساعة[٢١٩] بأمر ذاك الذي دُعيَ اسمه يسوع [يشوع] كما رأيتم جميع المعجزات الأخرى التي حدثت كُلًّا في حينها لأجلكم. وأذكر الآن إحدى هذه المعجزات لأنها تساعدكم لتعرفوا من هو يسوع الذي نؤمن أنه هو المسيح ابن الله الذي صُلِب وقام مِن الموت وصعد إلى السماء وسيأتي ثانيةً ليدين كل إنسان عاش على الأرض حتى آدم ذاته. وأنتم تعلمون بالتأكيد أنه عندما حمل العدو تابوت العهد إلى أشدود[٢٢٠] ثم أصيبوا بأمراض شديدة، فقرروا أن يضعوا التابوت على عربة تجرها بقرتان ولدتا حديثًا، وذلك لمعرفة ما إذا كانوا قد ضُرِبوا بقوة الله بسبب التابوت

---

[٢١٩] انظر حكمة سيراخ ٤٦: ٥.

[٢٢٠] انظر ١صم ٥.

وما إذا كانت إرادة الله أن يعود التابوت إلى المكان الذي أخذوه منه. وعندما فعلوا ذلك اتجهت البقرتان بدون إرشاد بشري لا إلى المكان الذي أخذ منه التابوت بل إلى مزرعة رجل يُدعى هوشع ـ وهو نفس اسم هوشع الذي تغير إلى يسوع [يشوع] الذي قاد شعبكم إلى أرض الموعد وقسمها بينهم بالقرعة كما ذكرت ـ ولما أتت البقرتان إلى هذه المزرعة توقفتا[٢٢١]. وهكذا تبيَّن لكم أن الذي أرشدهم هو الاسم القوي [اسم يسوع] كما أن الناجين من بين شعبكم الذي نجا من مصر، قد دخلوا إلى أرض الموعد بإرشاد ذاك الذي تحول اسمه من هوشع إلى يسوع [يشوع]."

الفصل المئة والثالث والثلاثون

"وعلى الرغم من هذه المعجزات العظيمة وغيرها التي أُجرِيَت لأجلكم وعاينتم حدوثها إلا أن الأنبياء يوبخونكم لأنكم تُقدِّمون أطفالكم ذبائح للشياطين، بالإضافة إلى كل هذا تجاسرتم على المسيح وما زلتم تتجاسرون، ولكن الله قد يسامحكم وينعم عليكم برحمة وخلاص من عنده ومن عند مسيحه. وبما أنه يعلم مسبقًا أنكم سوف تقعون في مثل هذه التجاوزات، نطق الله هذه اللعنة ضدكم بفم إشعيا قائلا: "ويل لنفسهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم قائلين: فلنُقيِّد البار فإنه ثقيل علينا فالآن يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير فإن الشرور تأتيه بحسب عمل يديه. يا شعبي جباتكم يسرقونكم وجامعي الضرائب يتسلطون عليكم. يا شعبي مَن يطوبونكم يضلِّونكم ويقلقون طريق مسالككم. لكن الآن يقيم الرب شعبه للدينونة، والرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. أما أنتم فلماذا أحرقتم كرمي؟ سلب الفقير

---

[٢٢١] انظر ١مل ٦: ١٠ ـ ١٤.

في بيوتكم. ما لكم تظلمون شعبي وتسحقون وجوه البائسين؟" (إش ٣: ٩ - ١٥) وفي كلمات أخرى يتحدث النبي بالمعنى نفسه: "ويل لمن يجذبون خطاياهم كما بحبل طويل، وآثامهم كأنما برُبط نير العجلة، القائلين ليقترب بسرعة وليأتِ مقصد قدوس إسرائيل لنعلم. ويل للقائلين للشر خيًرا وللخير شرًّا الجاعلين النور ظلامًا والظلام نورًا. الجاعلين المر حلوًا والحلو مرًّا. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم. ويل لأقويائكم شاربي الخمر والجبابرة ومَن يمزجون المُسكِر، الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة، وأما حق البار فينزعونه. ولذلك كما يشتعل القش بلهيب النار فيحترق تمامًا باللهيب، كذلك يكون أصلهم كالهباء وزهرهم يتطاير كالغبار لأنهم رذلوا ناموس رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل. فحمي غضب رب الجنود ومد يديه عليهم وضربهم حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم كالزبل في وسط الطريق. وفي كل هذه لم يرجعوا بل ما زالت يدهم ممدودة" (إش ٥: ١٨ - ٢٥) فإن أياديكم ما زالت ممدودة لعمل الشر، وعلى الرغم من أنكم قتلتم المسيح فلم تتوبوا بل على العكس تكنون لنا الكراهية، وكلما استطعتم تقتلون الذين يؤمنون مِن خلاله بالله أبي الكل، ولا تكفون عن صب اللعنات عليه وعلى من ينتمي إليه، مع أننا نصلي لأجلكم ولأجل جميع الناس كما علَّمنا المسيح إلهنا فهو قد علَّمنا أن نصلي حتى لأجل أعدائنا وأن نحب من يكرهنا ونبارك من يلعننا[٢٢٢]".

الفصل المئة والرابع والثلاثون

"فإن كانت تعاليم الله وأنبيائه تتعبكم فيجب عليكم أن تطيعوا الله بدلًا من معلميكم العميان الأغبياء الذين يسمحون لكم

[٢٢٢] انظر مت ٥: ٤٤ ؛ لو ٦: ٢٧.

باتخاذ أربع وخمس زوجات[٢٢٣]؛ وإن رأيتم إمرأة جميلة وتريدونها لكم، يقدِّمون لكم مثلًا في يعقوب الذي هو إسرائيل وآباء آخرين للتدليل على أنه لا شر في مثل هذه الممارسات. كم هم بؤساء وجهلاء حتى في هذا الأمر، لأنه كما قلت إنه في كل من هذه [الأعمال] كانت تتحقق تدابير أسرار إلهية بشكل عجيب. وسأشرح لكم النبوءة والخطة الإلهية من وراء زيجات يعقوب لكي تعرفوا أنه حتى في هذا الأمر فإن معلميكم لم يفكروا في القصد الإلهي من كل حدث بل في الشهوات الدنيئة والفاسدة. فانتبهوا إذن لما أقول. كانت زيجات يعقوب نموذجًا لما كان المسيح مزمعًا أن يفعله فلم يكن يجوز ليعقوب[٢٢٤] أن يتزوج أختين في ذات الوقت فعمل في خدمة لابان ليزوِّجه إحدى بناته، وعندما خدعه لابان في ابنته الصغرى خدمه سبع سنوات أخرى[٢٢٥]. وكانت ليئة تمثل الشعب اليهودي والمجمع، في حين كانت راحيل تمثل الكنيسة. ولا يزال المسيح يعمل من أجل هذه وتلك، ومن أجل عبيده في المجمع وفي الكنيسة فكما أن نوحًا أعطى لابنيه نسل ابنه الثالث ليكونوا عبيدًا لهما، هكذا أيضًا المسيح جاء كي يفدي العبيد والأحرار منعمًا بالبركات نفسها على جميع الذين يحفظون وصاياه، كما أن جميع الذين وُلِدوا ليعقوب سواء مِن نساء أحرار أو من جاريات صاروا أبناءه وأُعطوا كرامة متساوية. وقد تنبأ يعقوب لكل واحد عما ستكون مكانته بحسب سابق المعرفة. قد خدم يعقوب لابان لأجل الخراف الرقطاء والبلغاء[٢٢٦]، وكذلك المسيح

---

[٢٢٣] بمقارنة هذه الجملة مع ما هو مذكور في الفصل ١٤١، يتضح أن شريعة الزوجة الواحدة كانت هي الممارسة المعروفة والمعتادة عند اليهود، بالرغم من أن بعض معلمي اليهود لم يروا ضررًا في تعدد الزوجات.

[٢٢٤] كان هذا مسموحًا به في إطار العادات والتقاليد غير المكتوبة. وقد كان ممنوعا ضمنيًا في الناموس فيما بعد في وقت موسى. انظر لا ١٨: ١٨.

[٢٢٥] انظر تك ٢٩.

[٢٢٦] انظر تك ٣٠.

خدم حتى إلى الصليب شعوبًا من كل لون وكل جنس مخلِّصًا إياهم بدمه وبسر الصليب، وكما كانت عينا ليئة ضعيفتين[٢٢٧]، هكذا أيضًا عيونكم الروحية ضعيفة للغاية. وكما سرقت راحيل آلهة لابان[٢٢٨] وخبأتها إلى يومنا هذا، هكذا نحن أيضا أزلنا عنا آلهة أجدادنا والآلهة المادية. وقد كان يعقوب مكروهًا مِن أخيه[٢٢٩] كما أننا والرب ذاته مكروهون منكم ومِن جميع الناس الآخرين مع أننا بالطبيعة إخوة. وقد لُقِّب يعقوب إسرائيل[٢٣٠] وقد ثبت أن المسيح هو إسرائيل وهو أيضًا يُدعى يسوع."

الفصل المئة والخامس والثلاثون

"وعندما يقول الكتاب "أنا الرب الإله قدوس إسرائيل، مَن أظهر إسرائيل ملككم" (تك ٣٢: ٢٨) أ لا توافقونني على أن المقصود هو المسيح الملك الأبدي؟ وأنتم تعلمون أن يعقوب بن إسحق لم يكن ملكًا قط. ولذا في شرح أي ملك يقصد باسمي يعقوب وإسرائيل يقول الكتاب: "يعقوب عبدي أعضده، وإسرائيل مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مُدخِّنة لا يطفئ. بل يجعل الحكم للحق. يُشرِق ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وعلى اسمه تتكل الأمم" (إش ٤٢: ١ - ٤) إذن هل تتكلون أنتم والأمم على يعقوب وليس على المسيح. وبما أن المسيح يُدعى إسرائيل ويعقوب فنحن أيضًا الذين قُطعنا من جنب المسيح[٢٣١] شعب إسرائيل الحقيقي. ولنسمع ما يقوله الكتاب أيضا "وأُخرِج

[٢٢٧] انظر تك ٢٩: ١٧.
[٢٢٨] انظر تك ٣١: ١٩.
[٢٢٩] انظر تك ٢٧.
[٢٣٠] انظر تك ٣٢: ٢٨.
[٢٣١] انظر إش ٥١: ١ " انظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم" فالصخر هنا يشير إلى المسيح.

نسلاً مِن يعقوب ومن يهوذا ويرث جبل قدسي فيرثها مختاريَّ وعبيدي ويسكنون هناك وتكون قطعان غنم في الغابة ووادي عخور مَربَض بقر لشعبي الذين طلبوني. أما أنتم الذين تركتموني ونسيتم جبل قدسي ورتبتم للشياطين مائدة وملأتم للشياطين خمرًا ممزوجةً فإني أعيِّنكم للسيف وتجثون كلكم للذبح لأنني دعوتكم فلم تجيبوا وعملتم الشر قُدَّامي واخترتم ما لم أُسَر به" (إش ٦٥: ٩ - ١٢). تلك هي كلمات الكتاب ومنها تقدرون أن تروا بسهولة أن نسل يعقوب المذكور هنا مختلف وليس كما يمكن أن يبدو أنه يشير إلى شعبكم لأنه من غير المعقول أن تتصور أن المولودين من يعقوب يتركون حق الدخول لنسل يعقوب أو أن الرب الذي وبخ شعبه معتبرًا إياهم غير مستحقين لميراثه يعود ويعدهم به مرة أخرى كما لو كان قد قبلهم. ولكن يقول النبي: "والآن يا بيت يعقوب هلموا فنسلك في نور الرب. فإنه رفض شعبه بيت يعقوب لأن أرضهم قد امتلأت أرضهم عرَّافين كما منذ البدء" (إش ٢: ٥، ٦) ومن هنا لا بد لنا أن نقول إنه كان ليهوذا نسلان وجنسان وليعقوب بيتان أحدهما مولود من لحم ودم والآخر بالإيمان والروح."

الفصل المئة والسادس والثلاثون

"وأنتم ترون كيف يُكلِّم الله شعبه؛ إذ يقول بعد الكلام الذي سبق ذكره: "كما أن السلاف يوجد في العنقود فيقولون لا تهلكه لأن فيه بركة هكذا أعمل لأجل عبدي حتى لا أُهلِك الكل بل أخرج نسلاً من يعقوب ومن يهوذا" (إش ٦٥: ٨ - ٩) فمن الواضح أنه برغم غضبه عليهم والتهديد بخلاص القليل منهم فقط، فهو يتعهَّد بإحضار آخرين ليسكنوا في جباله؛ هؤلاء هم الذين سيزرعهم ويلدهم. لأنكم تتجاهلونه عندما يدعو ولا تسمعونه عندما يتكلَّم

بل تصنعون الإثم في حضرته. وأسوأ خطاياكم أنكم تكرهون البار الذي قتلتموه وقتلتم أيضًا الذين هم بنعمته أتقياء وأبرار ومحبون للخير، ولهذا قال الرب: "ويل لنفسهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم قائلين: فلنطرح البار فإنه ثقيل علينا" (إش ٣: ٩) ومع أنكم لم تقدموا ذبائح للبعل كما فعل أجدادكم ولا قدمتم قرابين على المرتفعات لقوات السماء لكنكم لم تقبلوا مسيح الله، فإن مَن يجهله يجهل إرادة الله أيضًا، ومَن يزدري به ويكرهه يزدري ويكره مَن أرسله أيضًا، ومن لا يؤمن به لا يؤمن بكلام الأنبياء الذين كرزوا به وشهدوا له أمام جميع الناس."

الفصل المئة والسابع والثلاثون

"يا إخوتي، لا تتكلموا بقسوة عن المصلوب ولا تهزأوا بجراحاته، التي بها يُشفى كل أحد كما شُفينا نحن أيضًا. فيا ليتكم تطيعون كلام الكتاب وتختتنون من قساوة قلوبكم وليس بالختان الذي بحسب تقليدكم، لأن الكتاب يؤكد لنا أن الختان أُعطيَ كعلامة وليس كعمل بر. إذن، فلنتفق ألّا تهينوا ابن الله. لا تسمعوا لمعلميكم الذين هم مثل الفريسيين، ولا تزدروا بملك إسرائيل كما يأمركم بذلك رؤساء المجامع بعد الصلاة، لأنه إذا كان مَن يمس هؤلاء الذين لم يرضوا الله كمن يمس حدقة عين الله[٢٣٢] فكم بالحري يكون ذاك الذي يمس ابنه الحبيب؟ والذي أثبتنا بما فيه الكفاية أنه هو بالفعل هكذا."

وإذ ظلوا صامتين قلت: "يا أصدقائي، سأذكر لكم الآن نصًا من الكتاب وفقًا للترجمة السبعينية، فعندما ذكرت هذه الأجزاء كما هي عندكم كنت أحاول معرفة ميولكم، وعندما ذكرت

---

[٢٣٢] انظر زك ٢: ٨.

النص الذي يقول: "ويل لهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم" أضفت كلمات الترجمة السبعينية: "فلنطرح البار فإنه ثقيل علينا" مع أنني في بداية حديثي معكم ذكرت ما هو مكتوب في ترجمتكم: "فلنُقيِّد البار فإنه ثقيل علينا" ويبدو أنكم كنتم منشغلين في ذلك الوقت ولم تنتبهوا جيدًا لكلامي. ولكن بما أن النهار قد أوشك على الانتهاء والشمس على وشك أن تغرب فسأضيف ملاحظة أخرى قبل أن أختم. وعلى الرغم من أنني ذكرت هذه النقطة مِن قبل إلا أنني أرى أنها تستحق الشرح مرة أخرى."

الفصل المئة والثامن والثلاثون

ثم قلت: "أنتم تعلمون يا سادة أن الله قال لأورشليم بفم إشعيا: "في طوفان نوح أنا خلصتك"[٢٣٣] وبهذا قَصدَ الله أن يعلن سر فداء البشرية في الطوفان، وقد كان نوح مع زوجته وأبنائه الثلاثة وزوجاتهم ثمانية أشخاص مثالاً لليوم الثامن - أي اليوم الأول في الأسبوع - الذي فيه قام الرب مِن الموت. والآن بما أن المسيح هو بكر كل خليقة، فقد صار باكورة لشعب جديد تجدد بواسطته بالماء والإيمان والخشبة التي حملت سر الصليب. كما أن الخشب أنقذ نوحًا وأسرته؛ إذ حملهم آمنين على المياه. إذن عندما يقول النبي "في زمن نوح أنا خلصتك" فهو يوجه كلامه إلى أولئك الأوفياء نحو الله ولهم العلامات ذاتها. فقد قاد موسى شعبكم عبر البحر بأمان عندما أمسك العصا في يده، ومن الخطأ أن تظنوا أنه قال هذه الكلمات لشعبكم فقط وقصد أرضكم فقط. ولكن عندما يذكر الكتاب المقدس أن الطوفان أغرق كل الأرض حتى إن المياه علت خمس عشرة ذراعًا فوق كل

[٢٣٣] لم يرد هذا الكلام في سفر إشعيا، ولكنه ربما يكون مبنيًا على إش ٥٤: ٨ - ٩.

الجبـال[٢٣٤]، فمن الواضح أن الله لم يخص أرضكم فقط بل جميع المؤمنين به والذين أعد لهم مـلاذًا مريحًا في أورشليم[٢٣٥]، لأن جميع العلامات التي صحبت الطوفان تؤكد ذلك، وعبارة "التجديد بالماء والإيمان والخشب"[٢٣٦]، تشير إلى أن الذين يُعِدّون أنفسهم ويتوبون عن خطاياهم وسينجون من دينونة الله الآتية".

الفصل المئة والتاسع والثلاثون

"وهناك سر آخر تم التنبؤ به في أيام نوح وأنتم لا تدركونه، فقد بارك نوح ابنيه ولَعن ابن ابنه[٢٣٧]. لأن روح النبوة لم يكن ليلعن الابن نفسه الذي كان الله قد باركه [مع أخويه]. وبما أن عقوبة الخطية كانت ستنقسم على كل ذرية الابن الـذي ضحك على عـري أبيه فقد جعل الله العقوبة تبدأ بابن الابن. وقد تنبأ نوح أن ذرية سام سوف تمتلك مساكن وممتلكات كنعان وهـذه بدورها سوف تنتقل من الساميين إلى ذرية يافث الذين سيسلبون الساميين مثلما سلبوا هم الكنعانيين. واسمعـوا كيف تحققت هـذه النبوءة. أنتم الساميون دخلتم أرض الكنعانيين بحسب إرادة الله وملكتم عليها. ومن الواضح أيضًا أن ذرية يافث[٢٣٨] بدورهم قد استولوا على أرضكم بقضاء الله والآن يمتلكونها. وهذا ما قاله الكتاب المقدس: "فاستيقظ نوح من خمره وعلم كل ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدًا لـه. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان

---

[٢٣٤] انظر تك ٧: ١٩ - ٢٠.

[٢٣٥] قد يكون قصد. يوستنوس هنا هو أورشليم السمائية أو الحكم الألفي في الأرض بحسب تعليمه.

[٢٣٦] انظر سفر الحكمة ١٠: ٤.

[٢٣٧] انظر تك ٩: ٢٥ - ٢٧.

[٢٣٨] يقصد الرومان.

عبدًا له" (تك ٩: ٢٤ - ٢٧) إذن فالله قد بارك شعبين؛ الساميين واليافثيين وأعلن أن الساميين سيملكون على مساكن كنعان في أول الأمر، ثم بعد ذلك ستستولي ذرية يافث عليها، في حين يضطر الشعب الآخر [أي الكنعانيون] أن يصير عبدًا للإثنين. أما المسيح فقد جاء بالقوة المُعطاة له مِن الآب ضابط الكل ليدعو جميع الشعوب إلى الألفة والبركة والتوبة وحياة الشركة في هذه الأرض ذاتها التي ستكون [مِلكًا] لكل القديسين. ولذا تدرك شعوب الأرض سواء عبيد أو أحرار الذين يؤمنون بالمسيح ويعترفون بصدق كلامه وكلام الأنبياء أنهم في يوم ما سيجتمعون به في تلك الأرض حيث الميراث الأبدي لبركات لا تفنى."

الفصل المئة والأربعون

"ولذا نجد أن يعقوب، الذي هو مثال للمسيح، تزوج من جاريتين لزوجتيه الحرتين وأنجب منهما أبناء ليشير إلى أن المسيح سوف يرحب حتى بالذين من جنس يافث وينحدرون أيضًا مِن كنعان كأبناء له مساوين للأحرار وشركاء معهم في الميراث، وهو ما صرنا إليه ولكنكم لا تفهمون هذا لأنكم لم تشربوا مِن ينبوع الله الحي بل فقط مِن الآبار المشققة التي لا تضبط ماء، كما يقول الكتاب[٢٣٩]. فهي حقًّا آبار مشققة لا تضبط ماء تلك التي حفرها لكم معلموكم كما عبر عنها الكتاب "يعلِّمون تعاليمَ هي وصايا الناس" (إش ٢٩: ١٣) وهؤلاء المعلمون يخدعون أنفسهم ويخدعونكم عندما يفترضون أن ذرية إبراهيم بالجسد لا بد أن تكون لها شركة في الملكوت الأبدي حتى لو كانوا خطاة عديمي الإيمان لا يطيعون الله. وقد أوضح لنا الكتاب أن هذه افتراضات لا أساس لها من الصحة،

---

[٢٣٩] انظر إر ٢: ١٣.

وإلا لما كان إشعيا قد قال "لولا أن الرب أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وعمورة" (إش ١ : ٩) ولَما قال حزقيال إنه لو طلب نوح أو دانيال أو أيوب [أن يخلصوا] أبناء أو بنات لا يُعطى لهم ولا يهلك أب عوضًا عن ابن ولا الابن عن الأب بل كل واحد بخطيته يهلك أو بأعماله الصالحة يُخلَّص"[240]. وأيضًا يقول إشعيا "يرون جثث العصاة فإن دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ ويكونون منظرًا لكل ذي جسد" (إش ٦٦: ٢٤) ولما قال ربنا بحسب مشيئة الآب و رب الكل الذي أرسله "إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات. أما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١١ - ١٢) وقد أوضحت لكم قبلا[241] أن الذين عرفهم الله بسابق علمه كخطاة سواء كانوا أناسًا أو ملائكة فهم يصيرون هكذا ليس بسبب الله بل كل بسبب خطيته".

الفصل المئة والحادي والأربعون

"ولكي لا يكون لكم عذر تقدمونه بأنه كان لا بد للمسيح أن يُصلَب، وأن الصالبين لا بد أن يكونوا مِن جنسكم ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك، أود أن أقول إن الله على الرغم من أنه أراد للناس والملائكة أن يسيروا بحسب إرادته، إلّا أنه سُرَّ أن يخلقهم بإرادة حرة مِن جهة ممارسة الفضيلة واستخدام العقل لكيما يعرفوا خالقهم - الذي به جاءوا من العدم إلى الوجود - والذي أعطاهم ناموسًا يُحاكَمون به في حالة عمل أي شيء مناف للعقل. ولذا ما لم نتُب سريعًا فإننا - سواء أناس أو ملائكة - سنُدان بسبب خطايانا. وإذا

---

[240] انظر حز ١٤: ٢٠ ؛ ١٨: ٤ - ٢٠ ؛ تث ٢٤: ١٦.

[241] راجع الحوار مع تريفون، الفصلين ٨٨ و ١٠٢.

كانت كلمة الله تنبئ بأن بعض الناس والملائكة ستقع عليهم عقوبة، فذلك لأن الله يعلم مسبقًا بخطيتهم التي بلا توبة، وليس لأن الله خلقهم هكذا. ولذا فإن كل مَن يتوب بإرادته ينال رحمة مِن الله ويُدعى مباركًا في الكتاب المقدس الذي يقول "طوبى لمَن لا يحسب له الرب خطية"[٢٤٢]. وهذا يعني أنه عندما يتوب الإنسان عن خطاياه ينال مغفرة مِن الله، وليس كما تخدعون أنفسكم أنتم ومَن يشابهونكم[٢٤٣] في هذا، والذين يقولون إنه بالرغم مِن كونهم خطاة إلا أنهم يعرفون الله وبالتالي فلن يحسب لهم خطية. والدليل على ما أقول هو سقطة داود الوحيدة التي وقع فيها نتيجة غروره، ولكنه تاب بدموع فنال المغفرة. ولكن إن لم تُعطَ المغفرة لشخص مثل هذا الملك العظيم الممسوح والنبي إلا عندما بكى وناح على خطيته، فكيف يمكن أن يأمل الخطاة التعساء أن الرب لن يحاسبهم على خطاياهم ما لم يتوبوا بدموع ونواح؟ في الواقع، يا سادة، إن سقطة داود الوحيدة هذه مع إمرأة أوريا تبيِّن أن الآباء البطاركة أخذوا لهم زوجات كثيرات ليس كزناة أو شهوانيين، إلا أن هذه الزيجات كانت لإتمام تدبير معيَّن وأسرار كثيرة. فإذا كان من المسموح اتخاذ أية زوجة أو أي عدد من الزوجات كما يحلو للمرء، مثلما يفعل رجال أمتكم في كل أنحاء العالم حيث يقطنون؛ إذ يتَّخذون نساء تحت مُسمَّى الزواج، فبالأحرى يكون مسموحًا لداود أن يفعل هذا."

وعند هذه النقطة انتهيتُ من حديثي، أيها العزيز ماركوس بومبيوس.

---

[٢٤٢] مز ٣١: ٢ (في البيروتية مز ٣٢: ٢).

[٢٤٣] مثل الغنوسيين المناقضين (Antinomian Gnostics).

الفصل المئة والثاني والأربعون

وبعد فترة قصيرة قال تريفون: "أنت تعلم أننا بدأنا حديثنا في هذه الأمور بمحض الصدفة، غير أنني لا بد أن أعترف ببالغ سعادتي بهذا اللقاء، وأعتقد أن أصدقائي هنا يشاركونني هذا الشعور. فلقد سمعنا أشياء لم نتوقع أن نسمعها. وإذا أكثرنا مِن هذه اللقاءات وواصلنا دراستنا للكتب المقدسة فلا بد أن نستفيد استفادة أكبر، ولكن بما أنك على وشك أن تغادر المدينة وأن تبحر في أي وقت فلا تتردد في أن تذكرنا كأصدقاء بعد رحيلك."

قلت: "من جهتي، لو مكثت هنا لرغبت أن أواصل معكم هذا النقاش كل يوم، ولكن بما أنني أتوقع الإبحار في الحال بإذن الله ومعونته، أتوسل إليكم أن تبذلوا كل جهد لديكم في هذا الجهاد العظيم لأجل خلاصكم، وأن تهتموا بمعرفة مسيح الله ضابط الكل أكثر مِن معرفة معلميكم."

وبعد هذا تركوني وكانوا يتمنون لي رحلة آمنة، ونجاة من كل المخاطر. وأنا بدوري صليت من أجلهم قائلا: "أيها السادة لا أقدر أن أتمنى لكم شيئًا أعظم مِن أن تعرفوا أنه بهذا الطريق [أي المسيحية] تُعطى الحكمة لكل إنسان وتؤمنوا كما نحن أن يسوع هو مسيح الله."

نصح لليونانيين

مقدمة

يوجد نص "نصح لليونانيين" في أربعة مخطوطات يونانية أقدمها هي Arethas Codex (cod. Paris. 451) لعام ٩١٤م. ويرد في هذه المخطوطات وأيضًا في النسخة اليونانية الأصلية لهذا النص والترجمة اللاتينية الأولى له، أن هذا النص هو من أعمال ق. يوستينوس الأصلية[١]. ولكن لا يبدو أن هذا النص قد كُتِبَ بقلم ق. يوستينوس الشهيد، وذلك ليس فقط بسبب أسلوبه الأدبي بل أيضًا بسبب مضمونه الذي ينتقد فيه الفلاسفة الوثنيين. وبالرغم من أن هذا النص قد نُسِبَ منذ القرن السادس للقديس يوستينوس[٢] إلا أنه يُعَد من الكتابات المشكوك في مصدرها. أما الذين ينكرون نسبته له فيُرجِعون كتابته إلى أعوام ١٨٠-٣٦٠م[٣] أي بعد استشهاد ق. يوستينوس.

ويوضِّح ق. يوستينوس في هذا "النصح" أن الوثنيين ليس لديهم معلمون للدين يُمكِن الاعتماد عليهم، وأن حكماءهم وشعراءهم وفلاسفتهم ليس لديهم معرفة سليمة بالأمور الدينية، وأن أي شعاع للحقيقة يظهر هنا أو هناك في كتاباتهم فهو مستعار من الأنبياء اليهود الذين هم أقدم وأكثر حكمة منهم ولكي يحصلوا على معرفة كاملة بالإيمان الحقيقي يجب على اليونانيين دراسة كتابات الأنبياء وأيضًا كتابات المسيحيين الذين يعتمدون على هؤلاء الأنبياء.

---

[١] هذا هو رأي يوسابيوس القيصري أيضًا في كتابه "التاريخ الكنسي" ٤، ١٨، ١

[2] Photius, cod. 232; P.G. 103.1100 D.

[3] Ph. Haeuser, *Pseudo-Justinus Mahnrede an die Hellenen* (Bibl. D. KirchenväterBd. 33, 1917) 238f.

ويُظَن أنه نظرا لغياب أية أفكار تنتمي إلى الأفلاطونية الجديدة فإن هذا العمل قد تمت كتابته قبل عام ٢٥٠ م.

مراجع إضافية

J. R. Asmus, Ist die pseudojustinische Cohortatio ad Graecos eine Streitschrift gegen Julian, *Zeitschrift für wissenschaft. Theol.* 38 (1895) 115 – 155.

J. Dräseke , Zu Apollinarios von Laodicea Ermunterungschrift an die Hellenen *Zeitschrift für wissenschaftl. Theol.* 43 (1900) 227 – 236.

W. Gaul, *Die Abfassungsverhältnisse der pseudojustinische Cohortatio ad Graecos* (Giessen 1902).

Ph. *Haeuser, Pseudo-Justinus Mahnrede an die Hellenen* (Bibl. d, Kirchenväter, Bd. 33, 1917).

W. Widmann, *Die Echtheit der Mahnrede Justins des Märtyres an die Heiden Forschungen zur Christ. laiteratur-und Dogmengeschichte* 3, 1 (1902).

محتويات الفصول

٢٤. كل من هوميروس وأفلاطون علَّما بالتوحيد.

٢٥. أفلاطون خاف أن يذكر اسم موسى.

٢٦. أفلاطون قرأ كتابات الأنبياء.

٢٧. أفلاطون والدينونة.

٢٨. هوميروس مدين للأنبياء.

٢٩. عقيدة أفلاطون عن الشكل مستعارة من موسى.

٣٠. أفلاطون وهوميروس تبعا تعليم موسى عن أصل الإنسان.

٣١. مثال آخر لاعتماد أفلاطون على الأنبياء.

٣٢. أفلاطون يعرف الروح القدس.

٣٣. مفهوم أفلاطون للزمن مستعار من موسى.

٣٤. حتى صُنَّاع الأصنام تأثروا بالأسفار المقدسة.

٣٥. التماس لليونانيين ألَّا يتبعوا تعاليم مُضِلَّة.

٣٦. لم يكن للفلاسفة معرفة حقيقية.

٣٧. وحي سبلة.

٣٨. التماس لمراعاة سبلة والأنبياء.

الفصل الأول

إنني في بداية نصحي لكم أيها اليونانيون أتوسل إلى الله أن يعرِّفنى بالكلمات التي يجب أن أوجهها لكم حتى إنكم إذا ما تمكنتم من كبح جماح ولعكم بالمجادلة وتتحررتم من أخطاء آبائكم تستطيعون قبول ما هو لصالحكم. وإذا ما ظهر لكم أن ما اعتبرتموه بلا فائدة هو أمر مفيد، فلا تظنوا أنكم بذلك تسيئون إلى أسلافكم. لأن الفحص الدقيق كثيرًا ما يُظهِر أن أشياءً كانت تبدو ذات قيمة كبيرة ثبت أنها عكس ذلك عندما تم إخضاعها للفحص الدقيق. والآن بما أننا بصدد مناقشة الدين الحقيقي - ورأيي الذي توصلت إليه بعد دراسة، هو أن هؤلاء الذين يريدون أن يعيشوا في أمان يعتبرون أنه لا يوجد شيء أكثر أهمية مِن الدين الحقيقي لأن الدينونة التي تنتظرنا في نهاية هذه الحياة والتي أعلنها لنا ليس فقط أجدادنا من أنبياء ومشرعين بل أيضًا أناس مِن بينكم تعتبرونهم حكماء سواء كانوا شعراء أو فلاسفة، وكانوا قد أعلنوا لكم أنهم وصلوا إلى معرفة حقيقية بالله - فمن الأفضل أن نفحص معلمي الدين، كلًّا من معلميكم و معلمينا؛ من هم وفي أي وقت عاشوا وما مدى عظمتهم. وبذلك فإن الذين ورثوا دينًا باطلًا من أجدادهم بعد أن يدركوا الحقائق يستطيعون أن يتخلصوا من الخطأ القديم. بينما نستطيع نحن بهذه الطريقة أن نُظهِر أننا نمارس دين أجدادنا في الله.

الفصل الثاني

من هم إذن، أيها السادة اليونانيون، الذين تعتبرونهم معلميكم في الدين؟ هل هم الشعراء؟ بالتأكيد أنتم لن تستطيعوا أن تقروا بذلك أمام أناس يعرفون من هم الشعراء، وذلك لأنهم يعرفون ما يعتقده

الشعراء من آراء سخيفة بالنسبة لأصل الآلهة. خذوا على سبيل المثال هوميروس الشهير أمير الشعراء عندكم. فهو أولاً يقول إن الآلهة نبعت من المياه، فقد كتب هكذا: "[لنزوره هناك] والد الآلهة، أوسيانوس[٤] وتيثيس [زوجته] أم الجميع[٥]". وتذكروا أيضًا ما كتبه عمن تعتبرونه أول الآلهة والذي يدعوه أبًا للآلهة والناس، فيقول هوميروس "زيوس هو موزع الحروب على البشر".

ويدَّعي هوميروس أن زيوس لم يكن فقط يوزع الحروب على الجيش، بل أيضًا من خلال ابنته [أفروديت] تسبب في أن أهل طرواده حلفوا اليمين باطلًا. ويقوم هوميروس بتصوير زيوس وهو في حالات عشق وغضب وحسرة على قدره وكضحية لمؤامرة دبرها ضده آلهة آخرون، وأنه قال عن ابنه مرة:

"واحسرتاه، سقط من هو أحب الناس إليَّ
سقط ساربيدون مهزومًا من باتروكلوس
هكذا شاءت الأقدار"

وفي موضع آخر، يقول زيوس عن هكتور:

آه إنني أرى مقاتلًا عزيزًا عليَّ
يساق حول أسوار إيليوم وإنني لحزين
على هكتور"

وما يقوله هوميروس عن مؤامرة الآلهة الآخرين ضد زيوس يتضح من الأبيات التالية: "عندما أراد آلهة أولمبوس الآخرون - هيرا وبوسيدون وأثينا أن يقيدوه". وكان هؤلاء الآلهة المباركون حتمًا سيقيدون زيوس لو لم يخافوا هذا الذي يُدعى برياريوس. وإذا استخدمنا كلمات هوميروس نفسه فيجب أن نذكر ما يقوله عن غراميات زيوس؛ فقد

---

[٤] كلمة يونانية تعني "محيط".

[٥] الكلمات الموضوعة بين الأقواس هي من النص الأصلي لهذه الأشعار ولم ترد في اقتباس ق. يوستينوس.

قال إن زيوس خاطب هيرا قائلًا:

"لا يوجد قط إلهة أو امرأة قد

ملأت صدري بمثل هذه الفيض مِن الحب

فإني لم أعشق رفيقة إيكسيون هكذا

[تلك التي ولدت بيريثوس الحكيم كحكمتنا في السماء]

ولا أحببت أكريسيان داناي الحلوة [التي منها

جاء برسيوس أنبل من في جنس البشر]

ولا أحببت ابنة فينكس الجميلة [التي ولدت

مينوس، الذي لا يقارن إلّا بقوات العلا،

وأيضًا ردامنتوس]، ولا حتى سيميلي

ولا ألكمينا التي في تيبيس [أنجبت

هرقل الشجاع، و بالرغم من أن ابني

من سيميلي هو ديونيسوس بهجة الإنسان]

ولا أحببت كيرس الشقراء أو لاتونا

الجالسة على عرش عال في السماء - لا ولا أنت

[كما أحبك الآن و تدرك روحي

كيف تغمرها حلاوة الرغبة الشديدة"

وعلينا أن نذكر أيضًا ما يمكن للمرء أن يتعلّمه مِن قصائد هوميروس عن الآلهة الأخرى خاصة الآلام التي تحملوها على أيدي بني البشر. فمثلًا يحكي هوميروس كيف أن أريس وأفروديت قد أُصيبا بجراح على يد ديوميد. ومثال آخر لآلام آلهة أخرى عديدة نجده في قصة ديون التي تقول في مواساة ابنتها:

"يا ابنتي مهما تَبْدُ آلامك قاسية

تحمليها بصبر لأن كثيرة جدًا هي الإساءات

التي يتحملها الآلهة على أيدي البشر الدنسين.

وكم من ضربة أليمة يتحملها البشر منا
لقد تكبد أريس إساءة كبيرة عندما
قيَّده ذات مرة بإحكام أوتس وإفيالتس
ابنا أليسوس وظل ثلاثة عشر شهرًا
مُقيَّدًا في عبودية مُرَّة لحتى إن، بعد فترة، أريس الجبار
الذي كان يتغذى على الدماء هزل هزالًا شديدًا
و لكن إيريبونا الحورية الفاتنة زوجة أبيه،
أعلمت هرمس في لحظه مواتية
عن قصة آلام أريس
فمضى هرمس وسرق السجين الذي أنهكته
محنته ومرَّرته القيود].
ولم يكن ما احتملته هيرا أقل منه
أصابها قبلًا ابن أمفيتريون الشجاع برمح ثلاثي الرأس
واخترق صدرها فشعرت ببؤس
شديد من الألم العضال.
ولم تكن معاناة هاديس بأقل منهم،
وهو العملاق في كل الآلهة، على يد ألكايدس
ابن زيوس على بوابات الموت
وهو مطعون و مُعذَّب قصد بيت
زيوس وقمة أولمبوس
حزينًا ومتوجعًا من جراء إصابته بالرمح
الذي اخترق بعمق كتفه العريضة."

ومن المناسب أيضًا أن نذكر مشهدًا لآلهتكم وهم مُصطَفون للقتال مقابل بعضهم البعض فيقص شاعركم هذه القصة:

"مشهد مخيف، بصوت عظيم

اندفعت القوات الأبدية إلى المعركة
في مواجهة بوسيدون ملك الأعماق السحيقة
وقف أبوللو مدججًا بسهامه الطائرة
ووقف أريس مقابل بالاس في حين أن أرطاميس الخبيرة في الرماح
أخت فيبي تهللت بقوسها الذهبي
حتى إن صياحها دوى في الغابات
وقفت أمام هيرا، وهرمس الشهير بفنونه النافعة
وقف أمام لاتونا."

تلك الأمور علَّمها لكم ليس فقط هوميروس بل أيضًا هسيودوس (Hesiod). فإذا كنتم تصدقون شعراءكم المعروفين عندما يصفون أنساب آلهتكم فلا بد أن تصلوا إلى هذه النتيجة: إما أن آلهتكم موجودة فعلًا كما يصورها لكم شعراؤكم، أو أنها ليس لها وجود على الإطلاق.

الفصل الثالث

وإذا تركتم الاستشهاد بشعرائكم لأنكم تَّدعون أن الشعر يُجيز لهم اختلاق أساطير وتحت ستار هذه الأساطير ينسبون أشياء غير صحيحة للآلهة، فمَن لديكم أيضًا مِن معلمي الدين الآخرين؟ وما مصدر معرفتهم بالدين؟ لأنه من المستحيل معرفة مثل هذه الأمور الإلهية العظيمة ما لم يكونوا قد اكتسبوا هذه المعرفة مِن آخرين مُلمين بهذه الأمور. لا شك أنكم ستقولون أنهم الحكماء والفلاسفة لأن العادة جرت عندكم أن تسرعوا إليهم كما لسور حصين عندما يأتي ذكر آراء شعرائكم في الآلهة. فسأذكر إذن آراء حكمائكم بحسب الترتيب الزمني مِن الأقدم إلى الأحدث وسوف ترون مدى سخافة فكرهم اللاهوتي بدرجة تفوق ما يدعيه الشعراء. نبدأ أولًا

بطاليس من مليتوس (Thales of Miletus) ذلك الدارس الرائد في مجال الفلسفة الطبيعية الذي ادَّعى أن أصل كل الأشياء هو الماء، وعلَّم أن كل الأشياء جاءت من الماء وأنها تعود أخيرًا جميعها إلى الماء. ثم شخص آخر من مليتوس أيضًا يُدعى أناكسيمندر (Anaximander) قال إن مبدأ كل الأشياء هو اللامحدود الذي منه نشأ كل شيء وإليه يعود كل شيء. ثم جاء ثالث من مليتوس أيضًا يُدعى أناكسيمينس (Anaximenes) الذي ظن أن الهواء هو الأصل الذي منه نشأ كل شيء وإليه تنحل كل الأشياء. أما هيراكليتس (Heraclitus) وهيباسوس (Hippasus) كلاهما مِن ميتابونتس (Metapontus) فقالا إن النار هي العِلَّة الأولى التي منها يأتي كل شيء وإليها ينتهي كل شيء. ثم أكد أنكسجوراس من كلازومناي (Anaxagoras of Clazomenæ) أن الجزيئات المتجانسة هي أصل كل الأشياء. وبعد ذلك جاء أرخلاوس (Archelaus) ابن أبوللودوروس وهو رجل أثيني ليقول إن الهواء غير المحدود بكثافته وندرته هو أصل كل الأشياء. إن جميع هؤلاء الرجال شكلوا تسلسلًا بدأ بطاليس واتَّبعوا جميعهم ما أسموه الفلسفة الطبيعية.

الفصل الرابع

وإذا تتبعنا مدرسة فكرية أخرى لوجدنا أن فيثاغورس من ساموس (Pythagoras of Samos) ابن منساركوس يَعتبِر أن الأرقام بتناسبها وتناغمها وبالعناصر الناتجة عنها هي أساس كل شيء، وفي نظامه يضم وحدة الأرقام وثنائيتها غير المحدودة[٦]. أما إبيقور مِن أثينا، ابن نيوكليس، فقد علَّم أن العلة الأولى للكائنات هي الأجسام التي

[٦] علَّم فيثاغورس أن الرقم واحد - أي الوحدة - هو مساوٍ لله والرقم إثنان - الإثنينية غير المحدودة - هو مساوٍ للشر.

يدركها العقل، ولكنها تلك التي لا فراغ لها وغير مولودة فهي لا تنحل أو تنكسر لأنها لا تتشكل أو تتغير من أجزائها، ولذا يمكن أن يدركها العقل. ومن جهة أخرى أكد إمبيدوكليس من أجريجنتم (Empedocles of Agrigentum) ابن ميتون، أنه يوجد أربعة عناصر وهي النار والهواء والماء والتراب وقوتان رئيسيتان: الحب وهو قوة الوحدة، والكراهية التي هي قوة الانفصال. ويمكنكم أن تدركوا بسهولة مدى الارتباك الموجود بين من تدعونهم حكماء ومعلميكم الدينيين. فالبعض يقول إن الماء هو مبدأ كل الأشياء وآخرون يعتقدون أنه الهواء وغيرهم النار، في حين يوجد من يدَّعي أن عناصر أخرى غير تلك المذكورة قبلًا هي العلة الأولى للأشياء. هؤلاء الرجال قد قالوا هذا بالفعل وجميعهم استخدموا حججًا مخادعة لإثبات تعاليمهم الخاطئة وحاول كل واحد منهم أن يُظهِر أن نظريته أكثر قبولاً مِن نظرية غيره. هل لكم أن تقولوا لي أيها السادة اليونانيون كيف يستطيع مَن يبحث عن الخلاص أن يأتي إلى هؤلاء الفلاسفة ليتعلم منهم الدين الحقيقي في حين لا يقدر الفلاسفة أنفسهم على أن يتفقوا فيما بينهم على شيء بل يناقضون آراء بعضهم البعض في خلافاتهم الفلسفية؟

الفصل الخامس

قد يُصِر هؤلاء الذين يرفضون ترك خطأهم القديم على أنهم لم يتلقوا تعاليمهم الدينية ممن ذكرناهم بل تلقوها من اثنين من الفلاسفة البارعين والمشهورين، وهما: أفلاطون وأرسطو، اعتقادًا منهم أن هذين الرجلين لهما معرفة كافية بالدين الحقيقي الكامل. ولكنني أريد أولًا أن أسأل هؤلاء الذين يدَّعون هذا: من أين اكتسب أفلاطون وأرسطو هذه المعرفة؟ فلا يمكن لأحد منهما أن تكون له

هذه المعرفة وينقلها بدقة لآخرين ما لم يكن قد تعلَّم هذه الأمور الإلهية العظيمة من أحد يعرفها. ثانيًا إنني أرى أن تعاليم هذين الفيلسوفين ينبغي أن تخضع لفحص دقيق لنرى ما إذا كان هناك تناقض واضح بينهما. وفي حالة اكتشاف عدم اتفاقهما فلا بد من أن نسلِّم بأنهما هما أيضًا يجهلان هذه الأمور. فقد كان أفلاطون يتصرف وكأنه نزل توًّا من السماء بعد أن عرف وعاين كل الأمور السمائية مؤكِّدًا أن الله العلي يوجد في مادة نارية. في حين يناقض أرسطو هذا الرأي شارحًا بإسهاب فلسفته الخاصة في كتاب موجَّه للإسكندر المقدوني ويفنِّد هذا الرأي بوضوح وخبرة مُدَّعيًا أن الله لا يوجد في مادة نارية. وعلى العكس، يقول أرسطو إن الله يوجد في مادة أثيرية غير متغيِّرة أي في نوع خامس من المادة اخترعه هو؛ إذ يقول: "من الخطأ القول - كما يدَّعي البعض عن الألوهة - بأن الله موجود في مادة نارية" وهو لم يكتفِ بتجريح أفلاطون في قوله هذا لأنه استشهد على صحة نظرية الجسم الأثيري بما قاله أحد الرجال الذين كان أفلاطون قد طردهم من جمهوريته بعد أن اتهمه بالكذب وأنه المحاكي الثالث لصور الحقيقة[7] - وهذا ما قاله أفلاطون عن هوميروس - فقد كتب أرسطو قائلا: "هكذا يقول هوميرس: حصل زيوس على السماء الواسعة في الهواء والسحاب"[8] وبهذه الطريقة كان أرسطو يأمل أن يعطي ثقلًا لرأيه بالرجوع إلى شهادة هوميروس دون أن يدرك أنه إذ استخدم كلام هوميروس لإثبات صحة أقواله فسيتضح أن كثيرًا من تعاليمه باطلة. وكان طاليس من مليتوس

[7] انظر الجمهورية ١٠، ٢. الأفكار - بالنسبة لأفلاطون - يمكن أن تتأثر بثلاث طرق: أولاً الله هو سبب الفكرة، ثم يستطيع أحد الصناع أن يعطي لهذه الفكرة شكلًا ملموسًا مثل النجار الذي يصنع منضدة، وأخيرًا يمكن لشخص أن يحاكي أو يستنسخ هذا الشيء الملموس، مثل من يرسم على القماش أو شاعر يؤلف القصيدة، وهكذا يكون الشاعر محاكيًا، أي أنه الثالث الذي يعمل على الفكرة الرئيسية أو صورة الحقيقة. انظر Migne, *PG* 6.252

[8] *Iliad* 15.192

وهو أحد الفلاسفة الأوائل قد استخدم كلام هوميروس كمرجع له، ولكنه فنَّد آراء أرسطو الأولى عن علة الأشياء. فبينما أكَّد أرسطو أن الله والمادة هما الأسباب الأولى للأشياء أكَّد طاليس أقدم حكمائكم على أن الماء هو مبدأ كل الأشياء، فهي لا تأتي فقط من الماء بل تتحلل جميعها في آخر الأمر في الماء. وكان قد بنى رأيه هذا على أساس أن بذرة جميع الكائنات الحية وعلتها الحقيقية الأولى هي الرطوبة. والسبب الثاني هو أن جميع النباتات تنمو وتثمر عندما تصلها الرطوبة ولكنها تذبل وتموت عندما تحرم منها. ويبدو أن طاليس لم يكن راضيًا بهذه الأسباب تمامًا حتى إنه في النهاية استشهد بما قال هوميروس بأن "المحيط أصل كل الأشياء"[٩]، كمرجع معتمد. أ لم يكن لطاليس سبب كافٍ ليعترض على أرسطو ويقول له "لماذا يا أرسطو تعتبر هوميروس مثالاً للحق عندما تستخدم كلامه لتفنيد أراء أفلاطون، وتعتبره غير صادق عندما تعتقد اعتقادًا مخالفًا لنا؟"

الفصل السادس

ومِن الواضح أن حكماءكم العظام يختلفون في نقاط أخرى في تعاليمهم، ففي حين يقول أفلاطون إنه يوجد ثلاث علل أولية لكل الأشياء: الله والمادة والشكل ـ الله خالق كل الأشياء، والمادة موضوع التشكيل الأول للمخلوقات التي يمارس الله عليها قدرته العظيمة، والشكل أي نوع كل مخلوق من المخلوقات ـ يقول أرسطو إن الله والمادة هما المبدآن الأولان ولا يذكر الشكل على الإطلاق. ويختلف أفلاطون وأرسطو حتى في مفهومها للأمور السمائية، ففي حين يدَّعي أفلاطون أن الله الأول والأفكار تحتل المركز الأول في المجال

---

[9] Cowper, *Iliad* 14.300

الثابت لأعلى السماوات، يقول أرسطو إنه إلى جانب الله الأول لا توجد أفكار، بل آلهة معيَّنة يمكن إدراكها بالعقل فقط. فهما إذن يختلفان على أمور سمائية، ومن الواضح أنهما لا يقدران على إدراك الأمور الأرضية، وليس هذا فحسب، بل بما أنهما لا يتفقان أيضًا على مثل هذه الأمور، فلا تستحق تعاليمهما بالنسبة للأمور السمائية أي احترام. ومن كتاباتهما يتضح لنا اختلاف تعاليمهما الخاصة بالطبيعة الحالية للنفس البشرية. فبالنسبة لأفلاطون تتكوَّن النفس البشرية من ثلاثة أجزاء لكل جزء وظيفة خاصة؛ الجزء الأول العقل والثاني الإحساس والثالث الرغبة. أما أرسطو فهو على عكس أفلاطون يعلن أن النفس البشرية لها ملَكَة العقل فقط ناكرًا أن لها أجزاء أخرى قابلة للفساد. وفي حين يؤكِّد أفلاطون بشدة أن "النفس كلها خالدة"، يعلن أرسطو أنها ليست خالدة بل قابلة للموت ويسمِّيه التمام[10]. ويدَّعي أفلاطون أن النفس البشرية في حركة مستمرة، في حين يقول أرسطو إنها غير قابلة للحركة لأنها تسبق كل حركة.

الفصل السابع

مما سبق يتضح لنا أن هذين الفيلسوفين كانت لهما آراء متناقضة وبعد دراسة دقيقة لكتاباتهما نستطيع أن نرى أنهما يناقضان نفسيهما. فأفلاطون يذكر في أحد كتاباته أنه يوجد ثلاث علل أوليِّة لكل الأشياء هي الله والمادة والشكل، إلّا أنه في نص آخر يضيف علَّة رابعة: النفس الكونية. وفي مكان آخر يقول إن المادة غير مخلوقة ثم بعد ذلك يقول إنها مخلوقة. وفي أحد المواضع يقول إن الشكل هو مبدأ أولي قائم بذاته، وفي موضع آخر يقول إنه

[10] التعبير اليوناني ἐντελέχεια يعني نقطة الكمال أو النهاية التي ينبغي أن يصل إليها أي شيء كل بحسب طبيعته.

ينتمي لعالم الإدراك الحسي. وبعد أن يؤكِّد على أن جميع المخلوقات عرضة للفناء، يناقض نفسه بقوله أن بعض المخلوقات خالدة وغير قابلة للفناء. لماذا يناقض مَن تفترضون أنهم حكماء بعضهم البعض ويناقضون أنفسهم؟ لأنهم لم يتعلموا مِن الذين لديهم المعرفة بل ظنوا أنهم يستطيعون الوصول إلى معرفة كاملة للأمور السمائية بفضل حكمتهم البشرية، في حين أنهم لا يستطيعون فهم حتى الأمور الأرضية. وفي الحقيقة يؤكد بعض فلاسفتكم أن النفس البشرية في داخلنا، في حين يقول البعض الآخر إنها بالتأكيد مِن حولنا. فهم لم يتوصلوا إلى اتفاق حتى في هذا الموضوع بل انقسموا إلى جماعات كما لو كانوا يوزعون قسطًا مِن الجهل فيما بينهم. فالبعض منهم يقول إن النفس نار أو هواء في حين يدَّعي البعض الآخر أن النفس هي العقل أو الحركة أو التنفس. وآخرون يؤكِّدون أنها قوة مستمدة من النجوم، وهناك مَن يؤكد أنها رقم له القدرة على الحركة، أو أنها ماء مُخصَّب. ونتيجة لذلك تسود حالة من الفوضى ناتجة عن تعاليمهم المتناقضة، والشيء الوحيد الذي يستحقون عليه الثناء هو أنهم نجحوا في إظهار تعاليم بعضهم البعض كتعاليم خاطئة وباطلة.

الفصل الثامن

ومن المنطقي بما أنكم لا تقدرون أن تصلوا إلى الحقائق الدينية مِن معلميكم - بسبب جهلهم الواضح الناتج عن تناقضهم - أن تحوِّلوا أنظاركم إلى أسلافنا [أي أنبياء العهد القديم] الذين عاشوا قبل معلميكم بأزمنة كثيرة، ولم يكن ما علَّموه مِن تأليفهم الشخصي ولذا لم يناقِضوا أو يجاملوا بعضهم البعض، بل بدون أي نزاع سلموا لنا المعرفة التي أخذوها مِن الله. فالإنسان لا يقدر أن يُدرِك الحقائق الإلهية العظيمة بقدراته البشرية، بل بواسطة نعمة خاصة تأتي مِن

السماء على هؤلاء القديسين الذين لم يعتمدوا على بلاغة الكلام، كما أنهم لم يدخلوا في حروب كلامية بل أخضعوا أنفسهم الطاهرة لقيادة الروح القدس لكي يستخدمهم كريشة العازف على قيثارة ليكشفوا لنا الحقائق الإلهية السمائية. وهكذا وكأنهم بفم واحد ولسان واحد وبدون أن يناقضوا أنفسهم أو يناقضوا بعضهم البعض علّمونا الأمور المختصة بالله وبأصل العالم وخلق الإنسان وخلود النفس البشرية والدينونة الآتية وأشياء أخرى ينبغي أن نعرفها. وهكذا تسلّمنا منهم التعاليم الإلهية في أماكن شتى وأزمنة مختلفة.

الفصل التاسع

سأبدأ بموسى نبينا ومشرِّعنا الأول، وسأصف لكم أولاً في أي وقت من التاريخ ظهر موسى، وسأستشهد بشهادة كتَّاب تثقون أنتم فيهم، لأن هدفي ليس إثبات ما أقوله من كتبنا التاريخية المقدسة فقط، والتي ما زلتم ترفضون الاعتراف بها بسبب الأفكار الخاطئة المُتأصِّلة التي ورثتموها عن أجدادكم، بل وأيضًا من كتاباتكم التاريخية التي كما تلاحظون أنها لا تشير إلى ديننا. وهكذا، سأثبت لكم - ويساندني في هذا التاريخ اليوناني - أن موسى معلمنا الديني الأول كان أقدم مِن أي من معلميكم سواء كانوا حكماء أو شعراء أو مؤرخين أو فلاسفة أو مشرِّعين، بل أن موسى كان يتم ذكره على أنه الحاكم الأول للشعب اليهودي حتى في أيام أوجيجِس (Ogyges) وإيناخوس (Inachus) اللذين يستمدان أصلهما - حسب قول بعض شعرائكم - مِن التربة ذاتها. وتستطيعون الاطِّلاع على مراجع لهذا مثل الكتاب الأول لبوليمون (Polemon) واسمه "تاريخ اليونانيين"، وكتاب آخر كتبه أبيون (Apion) ابن بوسيدونيوس ضد اليهود، والكتاب الرابع لأبيون "التاريخ" والذي يقول فيه إنه

عندما كان إيناخوس ملكًا على أرجوس قاد موسى اليهود في ثورة على أحمس (Amasis) ملك مصر. ويذكر بطليموس المندسياني (Ptolemæus the Mendesian) هذه المعلومة ذاتها في كتابه "تاريخ مصر". ويتم تصوير موسى كقائد مهيب لليهود على يد كثير من كتاب تاريخ أثينا مثل هللنيكوس (Hellanicus) وفيلوخورس (Philochorus) وهو كاتب "تاريخ أتيكا" وكاستور وثالوس وألكسندر بوليهيستور، وأيضًا على يد مؤرخين يهود مثقفين مثل فيلو (Philo) ويوسيفوس (Josephus). وهذا الأخير ـ لكي يظهر قدم التاريخ الذي يكتب عنه ـ أعطى لكتابه العنوان التالي: "العصور اليهودية القديمة لفلافيوس يوسيفوس"، وتشير كلمة "العصور القديمة" إلى قِدم هذا العصر في التاريخ. كما أمضى مؤرخكم المعروف ديودورس ثلاثين سنة في تلخيص مجموعات متنوعة من الكتب. ولمعرفة حقيقة الأحداث بتدقيق، سافَرَ ـ كما يقول ـ إلى آسيا وأوروبا، وبعد أن رأى أشياء كثيرة بعينيه كتب أربعين كتابًا عن التاريخ. وفي كتابه الأول، أكَّد أنه علم من كهنة مصريين أن موسى هو أقدم ـ بل في الحقيقة أول ـ مُشرِّع. وها هي ذي كلمات ديودورس: "وبعد الحقبة الأسطورية في حياة مصر الاجتماعية التي شكَّلها الآلهة والأبطال، يُقال إن موسى[١١] هو أول من دفع الشعب لاستخدام القوانين المكتوبة ويصورونه كرجل صاحب شخصية عظيمة وسلطان في الأمور الاجتماعية." وعندما وضع ديودورس قائمة بالمشرعين القدامى تصدر موسى هذه القائمة. وها هي ذي كلماته بالتحديد: "قد صار العرف بين اليهود أن موسى نسب الشريعة إلى الله المدعو يهوه"[١٢] إما لأن هذه الشريعة جاءت نتيجة لخُطة إلهية عجيبة

[١١] يخلط ق. يوستينوس هنا بين الوصف التاريخي للملك مينا وموسى النبي.

[١٢] انظر Migne PG 6.529 n. 97 من المُحتمَل أن يكون هذا النص قد تمت إعادة صياغته بناء على السياق العام لما كتبه ديودوروس.

يستفيد منها أناس كثيرون، أو لأنه من المفترض أن الناس سيُقبِلون على إطاعة هذه الشريعة عندما يذكرون قوة ووقار المشرعين. ويقال إن ساسونكيس وهو رجل ذكي للغاية كان المشرع المصري الثاني، والثالث هو الملك سيسونكوزيس الذي كان قد حقق انتصارات عسكرية عظيمة، كما أنه كبح جماح هذه الأمة المولعة بالحرب وذلك بقوانين حكيمة. والمشرِّع الرابع كان الملك بوخوريس (Bocchoris)، وهو رجل حكيم وقدير للغاية. أما الملك أحمس الذي خلفه فقد قيل عنه إنه وضع النظام لحكام الأقاليم وللإدارة العامة للحكومة المصرية. ويقال إن الملك داريوس أبا الملك أحشويروش هو سادس مُشرِّع عند المصريين."

الفصل العاشر

وكما ترون يا أصدقائي اليونانيين، إن الشهادة عن قِدَم موسى جاءت مِن هؤلاء الذين لا ينتمون إلى ديننا مؤكِّدين أن معلوماتهم تم جمعها من كهنة مصريين، كان موسى قد ولد وتربى بينهم. وفي الحقيقة كان موسى قد تلقى تعليمًا مصريًّا وافيًا لأنه كان ابن ابنة الملك بالتبني، ولهذا السبب كان موضع اهتمام الجميع كما يقول أحكم المؤرخين فيلو ويوسيفوس في كتابتهما عن سيرة موسى حيث سجَّلا نَسَبه وأعماله. ففي كتاباتهم عن تاريخ اليهود يؤكد هؤلاء المؤرخون أن موسى كان من جنس الكلدانيين من مواليد مصر بعد أن هاجر أجداده من فنيقيا إلى مصر بسبب حدوث مجاعة. وبسبب فضيلته النادرة أراد الله أن يكرمه فجعله زعيمًا ومشرِّعًا لشعبه في ذلك الوقت الذي رآه الله مناسبًا لكي يترك العبرانيين أرض مصر ويعودوا إلى بلادهم. وأعطى الله موسى نعمة النبوة الإلهية التي كانت تُعطى للرجال القديسين في ذلك الوقت وجعله أول معلم ديني لنا. ومن

بعد موسى منح الله هذه النعمة ذاتها لباقي الأنبياء الذين علَّمونا نفس التعاليم في الموضوعات ذاتها. وهؤلاء الرجال هم الذين ندعوهم معلمينا لأن كل ما تعلمناه منهم كان من خلال هذه النعمة المعطاة من الله وليس من فكر خاص بهم.

الفصل الحادي عشر

وبما أنكم غير مستعدين لترك خطأ أجدادكم ولقبول تعاليم معلمينا، أطرح عليكم هذا السؤال: مَن هم معلمو الدين الموثوق فيهم لديكم؟ وكما قلت مرَّات كثيرة إن كل مَن لم يفهم هذه الأمور الإلهية العظيمة من معلمين يعرفونها، لا يستطيع أن تكون له معرفة شخصية بهذه الحقائق. وبالتالي لا يقدر أن يقود آخرين إلى معرفتها معرفة حقيقية. وكما أنكم رفضتم شعراءكم كمعلمين للدين، كذلك أيضًا رفضتم فلاسفتكم بعد أن تبيَّن بغير شك أن أقوالهم مملوءة بالجهل والمغالطة. وقد قيل لي إنكم في نهاية المطاف قد تلجأون إلى خداع العرَّافين. ولهذا فمن المناسب هنا أن أقص عليكم ما قد سمعته من شعبكم عن كلام العرَّافين. يقولون إن رجلاً سأل عرَّافًا ذات مرة عمن هم الرجال المتدينون بالحقيقة، فأجابه قائلًا: "إن الذين اكتسبوا حكمة حقيقية هم الكلدانيون والعبرانيون الذين يعبدون الله نفسه، الملك غير المولود".

وبما أنكم على قناعة أنكم تستطيعون الوصول إلى الحقيقة عن طريق العرَّافين، فعندما تقرأون كتب التاريخ وتتذكرون ما كتبه أناس خارج ديننا عن موسى، وعندما تعلمون أن موسى والأنبياء الآخرين كانوا من جنس الكلدانيين والعبرانيين، فعليكم أن تصدقوا أن رجلًا من شعب يخاف الله سائر في تقوى أجداده لا بد أن يختاره الله لنوال هذه النعمة وليكون أول الأنبياء جميعًا.

الفصل الثاني عشر

النقطة الأخرى التي يجب أن نتناولها هي الفترة التي عاش فيها فلاسفتكم لكي تدركوا كم كانت تلك الفترة حديثة وقصيرة، ومن ثم يتضح بالمقارنة قِدَم وأصالة موسى. ولكي لا أُطيل عليكم في مناقشة هذه الفترة وتقديم إثباتات كثيرة، فسأذكر الحجج الآتية كدليل كافٍ. كان سقراط معلِّمًا لأفلاطون الذي كان بدوره معلمًا لأرسطو. وهؤلاء الرجال كانوا معاصرين للملك فيليب، وابنه الإسكندر المقدوني، وخطباء أثينا كما نرى في خُطَب ديموستينيس (Demosthenes) ضد الملك فيليب [التي سُمِيَت "الفيليبيات"]. ويُثبِت كاتبو سيرة الإسكندر بوضوح أنه خلال فترة حكمه كان صديقًا لأرسطو. ومن هنا يتضح أن زمن موسى أقدم بكثير مِن كل هذه العصور. وأيضًا يجب أن تتذكروا أن اليونانيين لم يسجِّلوا تاريخهم قبل بداية عهد الأولمبياد، كما أنه لا يوجد أي عمل قديم يسجِّل أعمال اليونانيين أو البربر. ولم يكن قبل ذلك الوقت سوى تاريخ موسى النبي الذي كتبه بالوحي الإلهي باللغة العبرانية لأن اللغة اليونانية لم تكن مستخدمة بعد؛ إذ يقول مُعلِّمو اللغة إن كادموس (Cadmus) كان أول من جلب الحروف الهجائية من فينيقيا إلى اليونان. وحتى أفلاطون فيلسوفكم الأول يشير إلى الحروف الهجائية على أنها اكتشاف حديث. ويقول في كتابه طيمايوس إن سولون (Solon) أحكم الحكماء قال لكريتياس (Critias) إنه في رحلة له إلى مصر قال له كاهن مصري عجوز: "سولون، سولون، أنتم اليونانيون أطفال على الدوام، لا يوجد بينكم يوناني قديم"، ثم استطرد قائلًا: "أنتم جميعكم شباب في الروح وليس لكم أقوال تسلمتموها كتراث قديم أو كتعليم قديم قِدَم الزمان، فأنتم تظلون

في جهل جيل بعد جيل لأن أجيال تلك الأيام ماتت دون أن تعبر عن نفسها بسبب عدم وجود حروف هجائية"[١٣] ولذا تلاحظون أن التاريخ لديكم كُتِبَ بهذه الحروف الهجائية اليونانية التي تم اختراعها حديثًا، وإذا بحثتم بتدقيق سوف تجدون أن جميع شعرائكم ومشرعيكم ومؤرخيكم وفلاسفتكم وخطبائكم كتبوا أعمالهم بالحروف اليونانية.

الفصل الثالث عشر

وإن اعترض أحد قائلاً إن كتابات موسى والكتابات النبوية الأخرى كُتِبت أيضًا باللغة اليونانية، فعليه أن يذهب إلى كتب التاريخ التي كتبها هؤلاء الذين ليسوا من شعبنا، وسيجد أنه عندما أنشأ بطليموس[١٤]، الملك المصرى، مكتبة في الإسكندرية وملأها بكتب من جميع البلدان وعلم بوجود أعمال تاريخية قديمة محفوظة بعناية ومكتوبة بالعبرانية. ولكي يتعرف على مضمونها، أرسل إلى أورشليم لإحضار سبعين عالمًا يتقنون كُلا من اللغتين العبرية واليونانية، وكلَّف هؤلاء العلماء بترجمة الأسفار. وحرصًا منه على ألّا يتعطل العمل أو يعوقه أي شيء، أمر ببناء غرفة مستقلَّة لكل مترجم وذلك ليس في المدينة ذاتها بل على مسافة ميل تقريبا[١٥] حيث موقع الفاروس [أي الفنار]. والسبب الآخر لهذا هو أن يُتاح لكل عالم أن يقوم بترجمته الخاصة. وعيَّن الملك خدامًا لتلبية طلباتهم ولمنع اتصال أي واحد منهم بالآخر حتى يتأكد مِن دقة العمل واتساق عمل المترجمين. ولما علم الملك أن ترجمات السبعين كانت متوافقة في المعنى وأيضًا في

---

[13] Maran, in Minge , PG 6.265, N. 12.

[١٤] راجع الحوار مع تريفون، فصل ٣١. ويقول القديس جيروم في *Praef. In pent.* إن السبعين شيخًا قاموا بترجمة أسفار موسى الخمسة فقط.

[١٥] حرفيا "seven stadia"

الألفاظ ولم تحدث قط أية تناقضات، فقد ترجموا الأشياء بالطريقة نفسها، تعجَّب لدرجة أنه انتهى إلى أن الترجمة تمت بقدرة إلهية واعتبر أن الرجال يستحقون المديح لأنهم أعزاء لدى الله. ولذا أغدق عليهم بهدايا كثيرة عندما أرسلهم إلى بلادهم. وعندما تعجب لهذه الأسفار معتبرًا إياها أسفارًا إلهية، أفرزها جانبًا في مكتبته على أنها كتب مقدسة.

وهذا الكلام ليس روايات أو خيالات أيها اليونانيون، لأننا كنا في الإسكندرية وقد رأينا بقايا الغُرَف الصغيرة التي ما زالت موجودة بفاروس ونستطيع أن نقص عليكم ما سمعناه من أفواه السكان كجزء من تراث بلدهم. والشيء نفسه تسمعونه من آخرين أيضًا، خاصة من رجُلَين مثقفين وموقرين قاما بتسجيل هذه الحادثة وهما فيلو ويوسيفوس[١٦] وآخرين غيرهم.

وإذا اعترض أحد قائلًا إن هذه الأسفار هي خاصة باليهود ـ بما أنها محفوظة حتى الآن في معابدهم ـ وليست خاصة بنا [نحن المسيحيين] وإنه من العبث القول بأننا تعلمنا ديننا منهم، فعلى هذا المُعترِض أن يفهم من فحص هذه الأسفار أن مضمونها العقيدي يشير إلينا [نحن المسيحيين] وليس إلى اليهود[١٧]. وكون هذه الكتب التي تتضمن تعاليمنا الدينية محفوظة لدى اليهود حتى يومنا هذا، ليس إلّا عمل العناية الإلهية نيابة عنا لأننا إذا أتينا بهذه الأسفار من الكنيسة فإن ذلك سيكون فرصة لمن يريد أن يهاجمنا على الدوام لكي يتهمنا بالخداع. وبدلاً من ذلك حصلنا على هذه الأسفار من اليهود حتى يتضح جليًّا أن الشريعة التي كتبها القديسون هي بالحقيقة خاصة بنا.

---

[16] Josephus, *Antiquitates* 12.2, and Philo, *De vita Moysis.*

[17] Cf. Euseb. *Demontratio* 1.6.

الفصل الرابع عشر

عليكم أيها اليونانيون أن تفكّروا في المستقبل والدينونة القادمة التي تنبأ عنها ليس فقط الأتقياء بل وغير الأتقياء أيضًا كي لا تقعوا دون أن تدروا في نفس أخطاء أجدادكم أو تظنوا أن التعليم الخاطئ الذي تسلمتوه منهم هو الحقيقة. وعليكم أيضًا أن تدركوا خطورة مثل هذا الخطأ وتفحصوا وتتقصوا باجتهاد تعاليم من تدعونهم معلميكم، لأنهم بسبب العناية الإلهية، اضطروا بغير إرادتهم أن يقولوا أشياء كثيرة في صالحنا، خاصة أولئك الكتاب الذين زاروا مصر واستفادوا من تديُّن موسى وأسلافه. وإني على يقين أنه حتى القراءة العابرة لكتابات ديودورس (Diodorus) التاريخية وغيره ممن كتبوا في ذات الموضوع ستدفع بعضكم إلى الاعتراف بأن أورفيوس وهوميروس وسولون، كاتب قوانين أثينا، وأيضًا فيثاغورس وأفلاطون وغيرهم، بعد ما قاموا بزيارة مصر واستفادوا من تاريخ موسى، بدأوا ينشرون تعاليمًا عن الآلهة مغايرة تمامًا لآرائهم الخاطئة السابقة.

الفصل الخامس عشر

وعلى سبيل المثال، لا بد أن أتذكر ما قاله أورفيوس - وهو الذي كان أول مَن علَّم بتعدد الآلهة كما يقول البعض - فيما بعد[١٨] لابنه[١٩] موزايوس (Musæus) ولمستمعين مقربين آخرين عن الله الواحد الوحيد. وها هي ذي كلماته:

"أتحدث إلى مَن ينصتون بتقوى

أما المجدفون فليغلقوا أبوابهم

---

[١٨] أي بعد زيارته إلى مصر.

[١٩] كان موزايوس ابن أويمولبي وليس أورفيوس ، وغالبًا أن ق. يوستينوس استخدم هذه الكلمة بطريقة فضفاضة ليشير إلى تابع أو تلميذ.

وأنت يا موزايوس استمع إليَّ
أيها المولود من القمر الباعث النور
إن الكلمات التي أنطق بها الآن صادقة حقًّا
وإذا كنت قد رأيت أفكاري السابقة
فلا تدعها تسلبك الحياة المباركة
بل حوِّل أعماق قلبك
إلى حيث يسكن النور والمعرفة.
خذ الكلمة الإلهية لترشد خطواتك
في سيرك حسنًا في الطريق المستقيم
انظر إلى ملك العالم وحده
الواحد، الذاتي والوحيد
الذي منه نشأت كل الأشياء ونشأنا نحن أيضًا
كل شيء مفتوح أمام نظرته الفاحصة
في حين هو ذاته غير مرئي
حاضر هو في جميع أعماله في حين لا يمكن أن نراه
يعطي البشر الشر من الخير
مُرسلًا لهم الحروب المخيفة والأحزان التي تبكيهم
و لا يوجد آخر غير هذا الملك العظيم
تستقر السحب إلى الأبد حول عرشه
إن العيون الفانية في محاجر العيون الفانية
تعجز عن رؤية زيوس يملك على الكل
يجلس مستقرًّا في السماوات النحاسية
على عرشه الذهبي وتحت قدميه
يطأ الأرض ويمد يمينه
إلى أقاصي المحيط، وحوله

ترتعد الجبال ومجاري المياه

وأيضًا أعماق البحار الزرقاء العتيقة".

وفي نص آخر يقول:

"يوجد زيوس واحد وحده، وشمس واحدة وجحيم واحد

ديونيسوس واحد، وإله واحد في كل الأشياء

ودعني لا أتحدث عن هذه الأشياء المتعددة"

ثم نطق بهذا القسم:

"الآن أستحلفك بأعلى السماوات

عمل الله العظيم الحكيم وحده

واستحلفك بصوت الآب،

الذي نطق به أولًا عندما أسس

العالم أجمع بمشورته"[٢٠]

ماذا يقصد عندما يكتب قائلًا: "أستحلفك بصوت الآب الذي نطق به أولًا"؟ المقصود "بالصوت" هو كلمة الله الذي به صنع السماء والأرض وجميع المخلوقات كما تعلمنا مِن النبوءات الإلهية التي تنبأ بها القديسون. حقًا، إن أورفيوس ذاته بعد أن درَسَ هذه الأقوال النبوية في مصر، عَرَفَ أن كل مخلوق هو مِن عمل كلمة الله. ولذا، بعد قوله "أستحلفك بصوت الآب الذي نطق به أولاً" يضيف عبارة "عندما أسس العالم أجمع بمشورته" وهو في هذه الفقرة يدعو الكلمة [اللوغوس] "صوت" من أجل الحفاظ على وزن الشعر فقط، وهذا يتضح من الفقرات اللاحقة حيث إنه عندما سمح الوزن الشعري، يدعوه "الكلمة" عندما يقول "خذ الكلمة الإلهية لترشد خطواتك".

---

[٢٠] لمراجعة هذه الأبيات المنسوبة لأورفيوس راجع كليمندس السكندري *Prptrep* 7.74 ، ويوسابيوس "مقتطفات عن أرسطوبولس" *Praeparatio* 13.12 ، وثيئودوريت من كورش *De curandis Graec. Affect., sermo* 1 ، وتاتيان *Oratio adv. Graecos* 8

الفصل السادس عشر

ولا بد أن أذكركم أيضًا بما قالته سبلة المعمنة في القِدَم - والتي يدعوها أفلاطون وأرسطوفانيس (Aristophanes) وغيرهما بالنبية - في وحيها عن الله الواحد الوحيد:

"يوجد إله واحد وحيد غير مخلوق
كلي القدرة، غير مرئي وعالٍ جدًّا
يرى الكل ولكن لا يبصره جسد"[٢١]

و[تقول] في فقرة أخرى:

"ولكن نحن ضللنا عن طريق ذلك الخالد
وعبدنا أصنامًا بعقل فارغ كسول
أصنامًا هي عمل أيدينا
وأشكالاً وصورًا للموتى" [٢٢]

وأيضًا:

"مباركون هم الذين على الأرض
يحبون الله العظيم أكثر مِن أي شيء آخر
مباركين إياه حينما يأكلون وحينما يشربون
واثقين في تقواهم فقط.
هؤلاء الذين يَنبذون كل ما يرونه مِن هياكل [الأوثان]
ومذابح وأشكال باطلة لحجارة خرساء،
بلا قيمة ملطخة بدم حيوانات
وذبائح مِن ذوي الأربع
يعاينون مجد الله الواحد العظيم"[٢٣]

كانت هذه هي كلمات سبلة.

[21] 1.8-10 Cf., J. Brettano , *Sibyllina Oracula* (Paris, 1607).
[22] 3.721 - 722.
[23] 4.24 ff.

الفصل السابع عشر

والشاعر هوميروس، بلجوئه إلى ما تُجيزه القواعد الشعرية وبمحاكاته لاعتقاد أورفيوس بتعدد الآلهة، يذكر عدة آلهة في قالب أسطوري لئلا يبدو شِعره مختلفًا عن شعر أورفيوس الذي كان [هوميروس] حريصًا على محاكاته لدرجة أنه في أول مقطع من قصيدة الإلياذة عبر عن ولعه بأورفيوس [بمحاكاته في استخدام نفس المطلع]. فكما قال أورفيوس في بداية قصيدته: أيتها الإلهة، ترنمي لغضب ديميتر [إلهة الحصاد] جالبة الثمر، بدأ هوميروس الإلياذة هكذا: "أيتها الإلهة، ترنمي لغضب أخيل (Achilles) ابن بليوس"[٢٤]. ويبدو لي أن هوميروس هنا فضَّل عدم الالتزام بالوزن الشعري عن أن يُتهَم أنه أغفل ذِكر أسماء الآلهة في البداية، ولكنه ما لبث أن عبَّر عن أفكاره بصراحة ووضوح عن الله الواحد الوحيد عندما تحدَّث إلى أخيل هكذا في إحدى الفقرات عن طريق فينيكس (Phoenix): "حتى لو أن الله ذاته وعدَ بأن يجرِّدني مِن شيخوختي ويعيدني إلى قوة شبابي"[٢٥]. هكذا أراد الشاعر باستخدامه للضمير المفرد أن يشير إلى الله الحقيقي. وفي مكان آخر يجعل أوديسيوس يخاطب جماعة من غوغاء اليونان قائلًا "إن تَعدُّد الحكام شر، ليكن هناك حاكم واحد فقط"[٢٦]. وواصل هوميروس كلامه في إظهار أن الحُكم بواسطة حكام كثيرين هو عُرفْ سيئ غير صالح مؤكِّدًا كيف أن مِثل هذا الحُكم قد أدى إلى حروب ونزاعات وعصبيات ومؤامرات عديدة، في حين يخلو حكم الواحد من النزاعات[٢٧].

---

[24] Iliad 1.1.

[25] Cf. Cowper, Iliad 9.551.

[26] Ibid. 11.242.

[٢٧] الحديث هنا عن "الحاكم الواحد" هو في إطار الحديث عن "الإله الواحد" ولا علاقة له

الفصل الثامن عشر

وإن كنتم تظنون أنه يجب علينا أن نثبت أن كُتَّاب المسرح أيضًا قد شهدوا لوحدانية الله، فاستمعوا إلى كلمات سوفوكليس:

"يوجد إله واحد، بالحقيقة لا يوجد إلّا واحد
خالق السماء والأرض الواسعة من تحتها
وأمواج المحيطات العابرة والرياح
ولكن كثيرين منا نحن البشر نخطئ في قلوبنا
ونصنع كعزاء في أحزاننا
تماثيل لآلهة من حجر وخشب
أو منحوتات من النحاس والعاج
ونقدم لتلك صنعة أيدينا
الذبائح والطقوس العظيمة
ونظن أننا نقوم بعمل صالح" [٢٨]
كانت هذه شهادة سوفوكليس.

الفصل التاسع عشر

ويذكر الذين كتبوا سيرة فيثاغورس بن منيسارخوس الذي شرح استنتاجاته الفلسفية بواسطة رموز روحية غامضة، أن أفكارًا عن وحدانية الله كانت تراوده، تلك الأفكار ربما كانت نتيجة إقامته النافعة بمصر. فهو يُعلِّم مجازًا أنه يوجد إله واحد فقط، وأيضًا أن

بالحديث عن نظام الحكم، حيث قد تكلَّم الكثير من الفلاسفة عن أفضلية النظام الديمقراطي في الحكم في مقابل نظام الحاكم الواحد.

[٢٨] لمراجعة هذه الأبيات المزورة والمنسوبة لسوفوكليس انظر المراجع التالية:
Clement of Alexandria , Protrept. 7.74; Strom 5.14, Eusebius, Praeparatio13.13, Cyril of Alexandria, Adverus Julian 1 , Theodoret of Cyrus , De curandis Graec. Affect semo 7, Athenagoras, Legat 5.

الوحدانية هي مبدأ كل الأشياء وعِلّة كل صلاح. ويتضح هذا الفكر مِن قوله إن تعبير "الوحدانية" يختلف كثيرًا عن تعبير "الواحد". فـ "الوحدانية" تخص فئة من الكائنات المدركة بالعقل، في حين "الواحد" هو أحد الأرقام.

والآن إذا أردتم دليلًا أكثر وضوحًا عن إيمان فيثاغورس بوحدانية الله، فاستمعوا إلى هذا النص: "الله واحد وهو ليس خارج العالم كما يظن البعض بل في العالم، فهو في الدائرة الكاملة المُطِلّة على جميع الأجيال وهو أيضًا الوسيلة التي تدمج كل العصور والمُنفِّذ لقدراته وأعماله، العِلّة الأولى لكل الأشياء وأبو الكل، العقل والقوة المُحيية للكون والوسيط المُحرِّك لجميع الأجسام السمائية"[٢٩].

كانت هذه شهادة فيثاغورس.

الفصل العشرون

وعلى الرغم من أن أفلاطون ربما يكون قد وافق على تعليم موسى والأنبياء الآخرين بشأن الله الواحد الوحيد، والذي من الممكن أن يكون قد تعلَّمه خلال زيارته لمصر، إلّا أنه خاف أن يُعلِن هذا بعد ما حدث لسقراط، لئلا يتهمه أحد مثل أنيتوس (Anytus) أو مليتوس (Meletus) أمام أهل أثينا بمثل هذه الكلمات: "إن أفلاطون رجل أحمق يتدخل فيما لا يعنيه ويتسبب في إحداث ضرر كبير لأنه لا يقبل الآلهة التي تعترف بها الدولة".

وهكذا، وخوفًا من أن يُحَكم عليه [بسبب تعاليمه] بالإعدام بشُرب السم[٣٠] استطاع أفلاطون بمهارة أن يكتب مقالًا مُبهَمًا عن

[29] Cf. the Life of Pythagoras, in Photius, Biblioth. Cod. 249, and Cyril of Alexandria, Adv. Julian.

[٣٠] للاطلاع على اتهامات مماثلة انظر:
Athenagoras Apol. 2.22, Eusebius, Praeparatio 2.6,7, Cyril of Alexandria , Adv, Julian, Theodoret of Cyrus, Adv. Graecos; and St.

الآلهة، وأورد فيه اعتراف بالآلهة لمن يريدونها وإنكار لوجودها لمن لا يعترفون بها كآلهة، وهذا يتضح من فحص كلمات هذا المقال؛ فبعد أن اعترف بأن جميع المخلوقات عُرضَة للموت، أكَّد أن الآلهة مِن المخلوقات. وإذا كان الله والمادة طبقًا لأفلاطون هما أصل كل شيء فلا بد إذن أن الآلهة مخلوقة من مادة. ولكن إذا كان أصلها مِن المادة والتي يدَّعي أن الشر أيضًا نشأ منها فهو يترك لهؤلاء الذين يفكِّرون تفكيرًا سليمًا أن يستنتجوا ما هي طبيعة الآلهة التي خُلِقَت مِن المادة. ولتجنُّب هذا الاستنتاج بالتحديد، قال أفلاطون إن المادة أزلية لكي لا يبدو كأنه يقول إن الله خلق شرًّا، إلّا أنه صرح بخصوص الآلهة [أي الأوثان] التي خلقها الله قائلا: "آلهة مِن آلهة هؤلاء الذين أنا خلقتهم". ويبدو أن أفلاطون كانت لديه معرفة دقيقة بوجود الإله الحقيقي، لأنه بعد أن سمع في مصر أن الله قال لموسى قبل أن يرسله للعبرانيين: "أنا هو الكائن"[٣١] أدرك أفلاطون أن الله لم يذكر اسمه الذاتي لموسى.

الفصل الحادي والعشرون

ونحن لا يمكننا أن ندعو الله باسم[٣٢] ما لأن الأسماء تُستَخدَم لتحديد وتمييز مَن تُطلَق عليهم متى كانوا كثيرين ومتنوعين. أما الله فلم يكن أحد ما موجودًا قبل وجوده ليعطيه اسمًا، ولم يفكر الله في تسمية ذاته لأنه هو الواحد الوحيد كما أعلن هو عن ذاته من خلال أنبيائه قائلا: "أنا هو الله الأول" (إش ٤١ : ٤) وأيضًا: "سواي ليس إله آخر" (إش ٤٤ : ٦) فالله إذن ـ كما قلت ـ لم ينسب لنفسه أي

Augustine in the beginning of his De vera religione.

[٣١] خروج ٣ : ١٤ وقد أوردت الترجمة البيروتية ترجمة حرفية للعبارة: "أهيه الذي أهيه" والتي توردها الترجمة السبعينية حسب المعنى: "أنا هو الكائن ـ Ἐγώ εἰμι ὁ ὤν" وهي تقابل تعبير السيد المسيح له المجد في العهد الجديد "أنا هو ـ Ἐγώ εἰμι"

[٣٢] انظر الدفاع الأول، فصل ٦١، حاشية ١٦٧.

اسم عندما أرسل موسى لإنقاذ العبرانيين، بل بقوله: "أنا الكائن"[٣٣] أظهر بطريقة روحية أنه هو وحده الإله الواحد، مميزًا أنه هو "الكائن" بذاته بخلاف الكائنات الأخرى التي تستمد كيانها منه. وذلك حتى يقتنع - الذين سبق أن خُدِعوا - بأنهم لا يتبعون "الكائن"، بل يتبعون مَن هم ليس لهم كينونة في ذاتهم. وكان الله يعلَم أن الناس في القديم كانوا يتذكَّرون خدعة الشيطان عدو الخير التي خدع بها أسلافهم حينما قال لهم: "إن أطعتموني وخالفتم وصية الله، تصيرون كالآلهة"؛ إذ قال الشيطان بوجود آلهة - مع أنه لم يكن لها كيان في ذاتها - لكي يظن الإنسان أنه يستطيع أن يصير مِن الآلهة بما أنه يوجد آلهة أخرى. ولذا قال الله لموسى: "أنا هو الكائن" لكي يظهر الفرق بين الله الكائن وبين من هو غير كائن. وبعد أن خُدِع الإنسان وسقط فريسة للشيطان المخادع؛ إذ تجاسر وخالف وصية الله، طُرِد الإنسان من الفردوس. فالإنسان تذكر فكرة تعدُّد الآلهة، لكنه لم يعُد يتعلَّم مِن الله أنه لا توجد آلهة أخرى، لأنه لا يصح أن يستمر الله في تعليم هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يحفظوا مثل تلك الوصية الأولى السهلة بل الأحرى أن ينزل بهم عقابًا عادلًا. وبعد طردهم من الفردوس، ظنوا أن هذا كان بسبب عدم طاعتهم فقط وليس أيضًا بسبب إيمانهم بوجود آلهة لم يكن لها وجود في الواقع، فأعطوا أسماء آلهة حتى لأسلافهم. وهذه الفكرة الباطلة عن الآلهة نبعت مِن أبي الكذاب [الشيطان]. ولأن الله يعلم ما أصاب الإنسان من معرفة باطلة للآلهة فعانى كمَن يصيبه مرض خطير، أراد أن ينزع عن الإنسان هذه الفكرة ويزيلها تمامًا، فقال عندما ظهر أولًا لموسى: "أنا هو الكائن". وفي رأيي أنه كان لا بد لزعيم اليهود وقائدهم في المستقبل أن يكون أول مَن يعرف الله الحي. فبعد أن ظهر له على قدر ما يمكن أن

---

[٣٣] تعبير "الكائن" ὁ ὤν هو في صيغة اسم فاعل.

يظهر الله للبشر قال له: "أنا هو الكائن". وقد أمر الله موسى ـ عندما أرسله لليهود ـ أن يقول لهم: "الكائن أرسلني لكم".

الفصل الثاني والعشرون

وقد تعلَّم أفلاطون عن هذه الأمور في مصر وتأثَّر كثيرًا بعقيدة الله الواحد، ولكن بسبب خوفه مِن الأريوس باغوس[٣٤] لم يجرؤ أن يذكر اسم موسى لأهل أثينا لأن موسى كان قد علَّم بأنه يوجد إله واحد فقط. أما في كتابه طيمايوس المكتوب بدقة، فقد تناول أفلاطون موضوع طبيعة الله وعبَّر عن رأيه عن الله مثلما عبَّر موسى؛ إذ قال أفلاطون: "في رأيي أنه ينبغي أولاً تحديد ما هو كائن منذ الأزل وليس له بداية، وما هو الذي له بداية ولكن ليس له كينونة حقيقية". يا أصدقائي اليونانيين، ألاَ يُدرِك الإنسان الذكي أن الحديث هنا هو نفسه مع فارق وحيد؛ إذ قال موسى: "الكائن لمَن يكون [ὁ ὤν]" في حين قال أفلاطون: "الكائن لما يكون [τὸ ὤν]". وكلتا العبارتين مِن الممكن أن تنطبقا على الله الموجود على الدوام لأنه هو الوحيد الأبدي الذي ليس له بداية. وعلينا أيضًا أن ندرس كلام أفلاطون بتدقيق لمعرفة ما هو الشيء الآخر الذي يقارنه بالله الذي له وجود أبدي ويقول عنه: "الذي له بداية ولكن ليس له كينونة حقيقي". إننا سنرى أنه يقول بوضوح وبحكمة إن غير المولود هو أزلي في حين إن المولود أو المخلوق ـ الذي قيل عنه: " آلهة مِن آلهة هؤلاء الذين أنا خلقتهم" ـ يُخلَق ثم يفنى. فقد كتب أفلاطون هكذا: "في رأيي أنه ينبغي أولاً تحديد ما هو كائن منذ الأزل وليس له بداية، وما هو الذي له بداية ولكن ليس له كينونة حقيقية. الأول ندركه بالعقل

---

[٣٤] كان "الأريوس باغوس" "Ἄρειος Πάγος" مكانًا في أثينا تُجرى فيه المرافعات فيما يشبه المحكمة اليوم، انظر أع ١٧: ١٩.

والـذكـاء وهـو كـائن على الـدوام بـدون تغيير، في حين يقوم الثاني على أسـاس وجهة نظر تشكّلت بواسطة الحـواس بـدون مساعدة العقل، وليس له كينونة حقيقية لأنه يولد ويفنى باستمرار". بالنسبة للأذكياء، هـذه الكلمات لا تعني شيئا سوى الموت والفناء للآلهة المخلوقة. والجدير بالذكر أن أفلاطون لا يدعو الله بصفة الخالق، بل يدعوه صانع الآلهة، بالرغم من وجود فارق كبير بين الاثنين في رأي أفلاطون. لأن الخالق يخلق خليقته مِن العدم بقدرته وقوته ولا يحتاج لمادة [يشكّلها]. عكس ذلك فإن الصانع تتضح قدرته على العمل بوجود المادة التي يقوم بتشكيلها.

الفصل الثالث والعشرون

وربما يعترض أحد الذين يتمسّكون بتعدد الآلهة قائلًا: إن الصانع قال [في كتابات أفلاطون] لهذه الآلهة المخلوقة: أنتم عرضة للموت والفناء لأنكم من المخلوقات، إلا أنكم لن تهلكوا أو تجبروا على الموت لأنكم فزتم برضاي الذي هو أقوى وأعظم رباط". وهنا يجعل أفلاطون "الصانع" ينطق بعبارات متناقضة خوفًا من أصحاب عقيدة تعدُّد الآلهة؛ فبعد أن يقول إن كل كائن مخلوق هو عُرضة للفناء، يؤكِّد العكس. وبهذه الأقوال هو لا يستطيع الهرب من تهمة الزيف والكذب. فمن الواضح أنه قال شيئًا غير صحيح إما في أول الأمر عندما صرَّح بأن كل كائن مخلوق عُرضة للفناء، أو بعد ذلك عندما قال شيئا مناقضًا. فإذا كان لا بد أن يفنى كل كائن مخلوق، كما قال أولًا، فكيف يجعل المستحيل أمرًا ممكنًا؟ يبدو أن أفلاطون عبثًا أعطى "الصانع" قدرة يتعذر امتلاكها عندما ادَّعى أن الذين كانوا قبلًا عُرضة للفناء لأنهم خُلِقوا مِن مادة، يصيرون بقدرة الصانع غير عرضة للفناء إلى الأبد. لأن هذا يدفع للاعتقاد بأن قوة

المادة التي اعتبرها أفلاطون غير مخلوقة وبالتالي موجودة ومساوية للصانع في الأزلية، قد تقاوم إرادته. وبما أن مَن لم يخلق لا يقدر أن يتحكم في غير المخلوق [أي المادة]، فالمادة التي لا تخضع لأي عامل خارجي لا يمكن التحكم فيها. وبهذه الفكرة في ذهنه، اضطر أفلاطون أن يكتب قائلًا: "لا بد أن نعترف أن الله لا يُمكن أن يُجبَر [على فعل شيء ما]".

الفصل الرابع والعشرون

كيف يستطيع أفلاطون أن يَستبعِد هوميروس من جمهوريته[٣٥] في حين أن الشاعر [أي هوميروس] في وصفه للسفراء المُرسَلين لأخيل يصور فينيكس وهو يوجِّه هذه الكلمات للمحارب العظيم "حتى الآلهة أنفسهم من الممكن أن يتحوَّلوا"[٣٦] وكلمات هوميروس لم تنطبق على ملك أفلاطون وصانع الآلهة بل على تلك الآلهة المتعددة المُكرَّمة عند اليونانيين مما يتضح من عبارة أفلاطون "آلهة مِن آلهة". حقًّا إن هوميروس بقصته عن السلسلة الذهبية[٣٧] بيَّن أن القوة والحكم كله يكمن في الإله الواحد والأول حتى أنه اعتبر بقية الآلهة في رتبة أقل بكثير من ألوهية الله الأول بل إنه لم يتردد في وضعهم في مرتبة البشر. فعلى سبيل المثال، يُقدِّم أوديسيوس وهو يتحدث لأخيل عن هكتور على النحو التالي "وهو يثور في غضب شديد مُتكل على زيوس ولا يوقر الناس ولا الآلهة"[٣٨]. ويتضح لي هنا أن هوميروس يكشف أنه مثل أفلاطون قد استمد معرفته بالإله الواحد أثناء وجوده في مصر، وأنه قال بصراحة ووضوح أن مَن يضع

---

[٣٥] أي أن أفلاطون لم يذكر هوميروس في كتابه "الجمهورية".

[36] Iliad 9.497 (Cowper's translation, verse 616).

[37] Cf. Iliad 9.18 ff.

[38] Iliad 9.238 (Cowper's translation, verse 294).

ثقته في الله الموجود بالحقيقة لا يبالي بتلك الآلهة التي ليس لها وجود. هكذا نجد في فقرة أخرى أن الشاعر يستخدم كلمة أخرى تحمل المعنى ذاته ليشير - مثلما فعل أفلاطون - إلى الله الموجود والذي كتب عنه أفلاطون قائلًا: "الذي هو الموجود على الدوام وليس له منشأ". ولذا فكلمات فينيكس تخفي من ورائها معنى:

"لا، إن الله ذاته لم يكن
ليعدني بإزالة هذه اللحية الفضية
ليجعلني أملس الخدين كما كنت في صباي"[٣٩]

وكلمة "ذاته" تشير إلى الله الموجود بالحقيقة. وهناك مثال آخر في استخدام هذا الضمير في نبوءتكم الخاصة بالكلدانيين والعبرانيين. فعندما سأل أحدهم أين هؤلاء الناس الذين عاشوا في تقوى، أجبتم أن الوحي يقول:

"فقط الكلدانيون والعبرانيون وجدوا حكمة،
فهم عبدوا الله ذاته، الملك الذاتي"[٤٠].

الفصل الخامس والعشرون

بأي حق إذن يوجِّه أفلاطون اللوم إلى هوميروس بسبب قوله إن الآلهة عُرضة للتغيُّر لأنه مِن الواضح مِن النص أن هوميروس قال ذلك لسبب وجيه. لأن مَن يأمل أن يحصل على رحمة من خلال الصلاة والذبائح لا بد له من التوبة عن خطاياه والكف عنها في المستقبل. لأن مَن يعتقدون أن الله لا يتغيَّر [أي لا يرجع عن غضبه] لن يحاولوا الكف عن فعل الخطية لأنهم لا يدركون كيف أن التوبة تساعدهم على ذلك. فكيف إذن يدين أفلاطون الفيلسوف هوميروس

[39] Iliad 9.450 (Cowper's translation, verse 551).

[٤٠] يؤكد يوسابيوس في كتابه (*Praeparatio*) أن بورفيريوس (*Porphyrius*) سجّل هذا الوحي في كتابه *De Philosophia ex oraculis*

الشاعر على قوله بإن: "حتى الألهة أنفسهم يمكن أن يتحولوا"؟ مع أن أفلاطون ذاته يتحدث عن صانع الآلهة على إنه متغيِّر حتى أنه يؤكد في مرة أن الآلهة عُرضة للموت، وفي مرة أخرى أنهم لا يموتون. والتناقض لا يظهَر في تعاليمه عن الآلهة فحسب، بل أيضًا في مفهومه للمادة التي منها جاءت الآلهة المخلوقة، فهو يقول أحيانًا إنها غير مخلوقة وأحيانًا أخرى إنها مخلوقة، غير أنه حينما يعلِّم أن صانع الآلهة يتغيَّر بسهولة فهو لا يدرك أنه هو نفسه قد وقع في الخطأ الذي لام هوميروس عليه رغم أن هوميروس قال العكس على صانع الآلهة. فقد كتب إنه قال هكذا عن نفسه:

"إن وعدي لن يُخيِّب ولن يَخدَع أحدًا قط

كما أني لن أتراجع عنه طالما أومأت بتأكيد ذلك"[41].

ولكن يبدو أن أفلاطون صرَّح بهذه التصريحات الغريبة عن الآلهة ضد إرادته واحترامًا لمن يؤمنون بتعدد الآلهة. وما كان يكشف عنه من معرفة عن الإله الواحد الذي عرِف عنه مِن خلال موسى والأنبياء كان يشير إليه ضمنًا حتى يعلن رأيه للذين يعبدون الإله الحقيقي. وقد فرح أفلاطون كثيرًا بالكلمات التي قالها الله لموسى: "أنا هو الكائن" وكلمة كائن لا تعبر عن زمن واحد فقط بل عن كل مِن الماضى والحاضر والمستقبل. والشيء نفسه يقال عن عبارة أفلاطون "ليس كائنًا قط" حيث تشير كلمة "كائن" إلى زمن غير محدود. لأن كلمة "قط" (οὐδέποτε) لا تشير إلى الماضي كما يظن البعض بل وإلى المستقبل أيضًا. وحتى الكُتَّاب الوثنيون فسَّروا هذه النقطة تفسيرًا صحيحًا. وعندما حاول أفلاطون أن يحل سر أبدية الله ويعبِّر عنه لغير المستنيرين استخدم هذه الكلمات: "بالحقيقة كما يؤكد التقليد القديم، إن الله يحتوي على البداية والنهاية والوسط لكل

[41] Iliad 1.526 (Cowper's translation, verse 646).

الأشياء". وعبارة "التقليد القديم" تشير بوضوح إلى شريعة موسى ولكن أفلاطون، خوفًا من الهجوم عليه، لم يجرؤ على ذكر موسى بالاسم لأنه كان يعلم جيدًا كراهية اليونانيين لتعاليم موسى. والآن قد بينّا بقدر كافٍ مِن كتابات ديودورس ومؤرخين آخرين أن شريعة موسى ليست فقط قديمة، بل هي الأولى فديودورس نفسه يعترف بأن موسى أول المشرعين عاش قبل اختراع حروف الهجاء اليونانية المُستخدمة في كتابة تاريخهم.

الفصل السادس والعشرون

ولا عجب في أن أفلاطون تمسَّك بتعاليم موسى بالنسبة لأزلية الله فهو يصرِّح في إشارات سرِّية كثيرة إلى الأنبياء وينسِب إليهم - بعد الله الموجود بالحقيقة - المعرفة الحقيقية للأشياء. فعلى سبيل المثال، عند مناقشته للمبادئ الأساسية في كتابه طيمايوس يقول أفلاطون: "نحن نضع هذا كالمبدأ الأول للنار والأجسام الأخرى الناتجة بالضرورة طبقًا للاحتمالية، ولكن المبادئ الأولى لهذه يعلمها الله في علاه ومن هم أعزاء لديه". ومَن هم الذين يعتبرهم أعزاء لدى الله غير موسى والأنبياء الآخرين؟ فقد قرأ أفلاطون نبوءاتهم وتبنى عقيدتهم بالنسبة للدينونة كما يوضح في الجزء الأول من كتابه الجمهورية (The Republic): "عندما يشعر الإنسان باقتراب الموت، يمتلئ خوفًا ويبدأ يشعر بالقلق تجاه أشياء لم تكن تعنيه مِن قبل. كما أن القصص عن عقوبة الظالم في جهنم التي كان يسخر منها تبدأ الآن تعذِّب نفسه بشكوك عن صحتها فيلتفت إلى هذه القصص إما بسبب أمراض الشيخوخة أو بسبب اقتراب الموت، وإذا امتلأت نفسه بالقلق والخوف، يبدأ في فحص ضميره ما إذا كان قد تسبب في ضرر أحد. مثل هذا الإنسان الذي اكتشف أنه عمل خطايا كثيرة في حياته، فإنه يقوم

من نومه فزِعًا مثل الأطفال، ويعيش في حالة مستمرة من اليأس والرعب. أما الإنسان الذي يدرك أنه لم يخطئ فإنه يتمتع بالرجاء الحلو كرفيق دائم لشيخوخته، كما يقول بيندار (Pindar)[٤٢]: "كل مَن يحيا حياة مقدسة وبارة يصحبه شعور برجاء حلو، كممرض صالح لشيخوخته يهدئ القلب ويضبط عقول الناس المتقلبة[٤٣]." وقد كتب أفلاطون هذا في الجزء الأول من كتابه الجمهورية.

الفصل السابع والعشرون

كما كَتبَ أفلاطون في الجزء العاشر من كتابه الجمهورية وبكلمات واضحة ما تعلَّمه مِن الأنبياء عن الدينونة، ولكن لخوفه مِن اليونانيين لم يجرؤ أن يعترف بمصدر معلوماته بل ألَّف قصة تقول إنه سمع عن الدينونة من رجل قُتل في معركة، مُدَّعيًا أنه في اليوم الثاني عشر في يوم دفن هذا الرجل وهو مُلقى أمام المحرقة عادت إليه الحياة مرة أخرى وبدأ في وصف العالم الآخر، وها هو وصف أفلاطون:

"قال إنه عند وصوله رأى أحد الأشخاص يسأل شخصًا آخر عن موضع أريدايوس (Aridaeus) العظيم، الذي كان طاغية في مدينة بمفيلية والذي قيل إنه قتل أباه المسن وأخاه الأكبر بالإضافة إلى أعمال شريرة أخرى كثيرة. ثم قال إن هذا الآخر أجاب قائلًا: لم ولن يأتِ إلى هذا المكان لأننا رأينا - إلى جانب المناظر المخيفة الأخرى - المشهد الآتي: عندما اقتربنا من مدخل الهوة وكنا على وشك الفرار بعد أن اجتزنا كل أنواع العذابات، رأينا فجأة أريدايوس وآخرين مثله معظمهم من الطغاة، ومعهم أيضًا رأينا بعضًا مِن المواطنين الذين كانوا قد ارتكبوا جرائم نكراء. وعندما ظن أحد هؤلاء الخطاة

[٤٢] هذا الكلام محفوظ في شذرة من كتابات بندار. انظر Pind., Fr., 233

[٤٣] انظر أفلاطون، الجمهورية ١.

العتاة أنه يستطيع الهرب قبل دفع ثمن هذه الجرائم كاملًا صدَرَ صوت زئير مِن مدخل الهوة ليمنعه. ثم أتى رجال متوحشون وناريّون ووقفوا حولهم، وعند سماعهم صوت الزئير قبضوا على بعض الخطاة ومضوا بهم إلى الخارج. وبعد أن قيَّدوا يديّ ورجليّ أريدايوس والآخرين ضربوا برؤوسهم الأرض وضربوهم ضربًا مبرحًا وجروهم إلى الشارع خارجًا ممزِّقين إياهم بالأشواك وذلك لإظهار سبب تعذيبهم للحاضرين وأنهم سيأخذونهم ليلقوهم في ترتاروس (Tartarus)[٤٤]. وهكذا قال إن خوفهم الأكبر كان من صوت الزئير عند صعودهم فإذا لم يصدر هذا الصوت فسوف يستطيعون الصعود بكل فرح، ثم قال أخيرًا إن العقوبات والعذابات جميعها من هذا النوع في حين أن الثواب كان على عكس هذا تمامًا[٤٥]."

ويبدو لي أن أفلاطون يدلِّل على أنه تعلَّم مِن الأنبياء ليس فقط عقيدة الدينونة بل أيضًا القيامة التي يرفضها اليونانيون. فعندما يقول بأن الروح تُدان مع الجسد فهو يثبت بالتأكيد إيمانه بعقيدة القيامة. وإلا فكيف كان لأريدايوس وغيره أن يجتازوا مثل هذه العذابات في الجحيم إذا كانوا قد تركوا الجسد بما فيه من رأس ويدين ورجلين وجلد على الأرض؟ فلن يقولوا على الإطلاق إن للروح رأسًا ويدين ورجلين وجلدًا. إذن عندما تعرَّف أفلاطون على تعاليم الأنبياء في مصر استعار منهم عقيدة قيامة الجسد وقال إن الروح تُدان مع الجسد.

الفصل الثامن والعشرون

ولم يكن أفلاطون هو اليوناني الوحيد الذي استنار في مصر، فقد أظهر هوميروس أنه مدين للمصريين أيضًا عندما قال إن تيتيوس

---

٤٤ هو مكان عقاب الأشرار بعد موتهم بحسب الأساطير اليونانية.

٤٥ أفلاطون، الجمهورية ١٠.

(Tityus) نال عقابًا مثله مثل أريدايوس. فإن أوديسيوس في شرحه لألكينوس عن قدرته على العرافة عن طريق الأرواح قال:

"هناك تيتيوس الضخم والطويل مقيَّد بقيود
يغطي تسعة أفدنة من أرض جهنمية،
ويصرخ فوق هذا الشرير نسران نهمان
في غضب لأجل طعامهما وهما يعربدان في دمائه
إذ إن كبده ينزف في صدره بلا انقطاع
وهكذا ينمو كبده كل يوم وتستمر الوليمة إلى الأبد[٤٦]."

ولا شك أن الجسد وليس الروح هو الذي يوجَد به الكبد. وقد قال أيضًا إن كُلًّا من سيسيفوس وتنتالوس احتمل عذابات الجسد بعد الموت، ويُعتبَر ديودورس المؤرخ الشهير هو مرجعنا في القول بأن هوميروس قد زار مصر وأدخل في شعره الكثير مما تعلمه هناك؛ إذ قال إنه عندما كان في مصر علم أن هيلين أخذت من بوليدمنا، زوجة ثيئون، عقارًا[٤٧] يطيِّب كل حزن وغضب، ويهدئ كل الأوجاع ورجعت بهذا العقار إلى إسبرطة[٤٨]. ويؤكد هوميروس أنه بعد استخدامها لهذا العقار استطاعت هيلين أن تقضي على شكاوى نيلاوس من وجود تليماخوس. وثمة نتيجة أخرى لزيارة هوميروس لمصر أنه استخدم صفة "ذهبية" لوصف أفروديت لأنه شاهد المعبد في مصر الذي يُدعى معبد أفروديت الذهبية والسهل الذي يُسمى سهل أفروديت الذهبية. أما لماذا أثير أنا هذه النقطة، فهذا لمجرد إثبات أن الشاعر استعار الكثير لقصيدته من كتابات الأنبياء الإلهية. فاستعار أولا من بيان موسى عن بداية الخليقة "في البدء خلق الله السماوات والأرض"

---

[46] *Odyssey* 11.576 (Cf. Alexander Pope's translation, verse 709).

[٤٧] ربما يكون هذا العقار هو الأفيون (opium).

[٤٨] الأوديسا ٤: ٢٢١.

ثم الشمس والقمر والنجوم[٤٩]. فبعد أن تعرَّف هوميروس على كتابات موسى في مصر وسُرَّ بما كتبه موسى عن بداية الخليقة، ألَّف هوميروس قصة عن فولكان (Vulcan) الذي كان عليه أن ينقش قصة خلق العالم على درع أخيل. وها هي ذي كلمات هوميروس:

"هناك وصف الأرض والسماء والبحر
الشمس التي لا تكل والقمر مستديرًا كاملاً،
أضواء النجوم التي تتوج أعلى سطح السماء المُحدَّب[٥٠]."

كما صور هوميروس حديقة ألكينوس كمكان دائم الازدهار ومملوء بكل أنواع الفاكهة، وقد حاول بهذه الطريقة تشبيه المكان بالفردوس كما وصفه موسى، فقال:

"أشجار كبيرة مزدهرة تشهد بأن لها قلبًا مثمرًا:
التفاح البادئ في الاحمرار ينضج هنا إلى الذهبي.
وهنا التين الأزرق يفيض بعصير حلو المذاق،
والرمان الملآن يضيء بلونه الأحمر الداكن،
هنا يميل الغصن تحت ثقل الكمثرى
والزيتون الأخضر يزدهر طوال العام.
ويأتي ريح الغرب كروح البلسم
وأنفاس أبدية على الفاكهة تعلِّمها ألّا تسقط
إذ كلما تسقط ثمرة كمثرى تنمو أخرى بدلًا منها
وكذا التفاح يليه التفاح والتين يحل محل التين
في مناخ معتدل واحد يعطي الازدهار
فتجمد البراعم وتنمو الأثمار.
هنا تظهر الكروم بشكل منتظم

[٤٩] انظر تك ١: ١.

[50] *Iliad*, 18.483.

مع جميع الأيدي العاملة في اتحاد
فالبعض يسارع لتفريغ الأغصان المثمرة
وآخرون يجففون العناقيد المسودَّة في الشمس
وآخرون يدوسون ثمرة الحصاد
حيث تزيد المعصرة بفيض من الخمر
هنا يكتشف المرء الكروم في بداية الإزهار
وهنا العنب يتغير لونه ناحية الشمس
وهناك يصبغ في الخريف بلون الأرجوان الزاهي[٥١]".

ألا تمثل هذه الفقرة تشابهًا واضحًا مع ما قاله موسى النبي عن الفردوس؟ وأيضًا، إن أراد أحد وصفًا لهذا البرج[٥٢] الذي ظن الناس في ذلك الزمان بجهل أنه يمكن أن يصل إلى السماء، فإن هذا الوصف موجود بدقة، وإن كان بأسلوب مجازي، في هذه الفقرة لهوميروس حيث ينسب القصة لأوتوس وأفيالتِس:

"في تحدٍّ للآلهة وفي اعتزاز بقوتهم
التي تفوق قوة البشر أرادوا التأثير على السماء:
وقف أوسا منتفخًا مترنمًا فوق أولمبوس.
وفوق أوسا وقف بليون يومئ بكل أخشابه[٥٣]".

ويمكن أن يُقال الشيء نفسه عن ذاك الذي طُرِد مِن السماء، عدو البشر الذي يدعى إبليس[٥٤] في الكتب المقدسة بسبب اضطهاده الشيطاني للبشر. وإذا دققنا فيما يقوله هوميروس سنجد أنه لا يستخدم قط اسم إبليس ولكنه يعطيه اسمًا مستمدًّا من أكثر جرائمه شرًّا فيدعوه "آتي Ate"[٥٥] مؤكِّدًا أنه طُرِد من السماء، وفي

[51] *Odyssey*, 7.114.

[٥٢] برج بابل. انظر تك ١١.

[53] *Odyssey*, 11.312.

[٥٤] الذي يقوم بالافتراءات التي تؤذي الإنسان عن طريق الاتهامات المزيفة ضده.

[٥٥] وهو اسم إلهة الأذى (Goddess of mischief) عند اليونانيين.

هذا تذكير دقيق لما قاله إشعيا النبي عن إبليس. وها هي كلمات الشاعر:

"وممسكًا الإلهة "آتي" من ضفائرها اللامعة
أقسم في غضبه بأنها لن تعود ألبتة إلى السماء
ولا إلى مرتفعات أولمبوس، ولن يسمح
لصانعة كل أذى بالعودة ثانية.
ثم أدارها بعنف وألقى بها إلى الأرض.
أما هي فاختلطت بجميع أعمال الناس
[مما سبب ألمًا كثيرًا لزيوس]"[٥٦].

الفصل التاسع والعشرون

ويُقِر أفلاطون بأن الشكل - بعد الله والمادة - يُعَد ثالث مبدأ من مبادئ الأشياء. وحتى هذا المفهوم كان قد استعاره مِن موسى كما أنه قد وجد كلمة "شكل" في كتاباته. وللأسف لم يفهم المعنى الحقيقي لهذه الكلمة لأنه لم يكن له مَن يعرِّفه بأنه لا يمكن فهم كتابات موسى بدون بصيرة روحية. فقد قال موسى إن الله كلَّمه عن خيمة الاجتماع بهذه الكلمات: "فتُقيم لي بحسب كل ما أُريك في الجبل مِن مثال الخيمة ومثال آنيتها" (خر ٢٥: ٩) ثم بعد ذلك: "وانظر فاصنعها بحسب المثال الذي أُظهِر لك في الجبل" (خر ٢٥: ٤٠) لقد قرأ أفلاطون هذه النصوص وإذ لم يفهم معناها الحقيقي ظن أن للشكل [أو المثال] وجودًا منفصلاً عما يدرك بالحواس. ولذا كثيرا ما يدعوه "مثالاً للمخلوقات" لأن موسى قال في كتاباته عن خيمة الاجتماع: "بحسب الشكل الذي رأيته على الجبل هكذا تقيمها".

[56] Cowper's translation of *Iliad* 19.126.

الفصل الثلاثون

ومِن الواضح أن أفلاطون كان مخطئًا في تعليمه عن السماء والأرض والإنسان، فهو قد تخيَّل وجود هذه الأشياء قبلًا كأفكار. وبما أن موسى كتب: "في البدء خلق الله السماوات والأرض" ثم أضاف "وكانت الأرض غير منظورة وغير مُهيَّئة" (تك ١: ٢)، فقد ظن أفلاطون أن عبارة "وكانت الأرض" تشير إلى وجود الأرض قبلًا، لأن موسى قال "وكانت الأرض غير منظورة وغير مُهيَّئة". وظن أفلاطون أيضًا أن الأرض المشار إليها في عبارة "خلق الله السماوات والأرض"، هي تلك التي يراها الإنسان بالحواس والتي خلقها الله طبقًا لشكل موجود قبلًا. كما اعتقد أفلاطون أن السماء - التي تُدعى أيضًا الجَلَد - التي خلقها الله، هي تلك السماء التي تُدرك بالحواس بينما السماء المدركة بالعقل هي تلك التي قال عنها النبي: "سماء السماوات هي للرب. أما الأرض فأعطاها لبني آدم[٥٧]." وسوء الفهم هذا يتضح من فكر أفلاطون عن الإنسان. إن موسى هو أول من ذكر اسم الإنسان، فبعد أن ذكر خَلْق كائنات أخرى كثيرة، يعود للإنسان ليصف خلقته في هذه الكلمات "وجبل الله الإنسان إذ أخذ ترابًا مِن الأرض" (تك ٢: ٧) وقد انخدع أفلاطون في فكرة أن الإنسان الذي ذكره موسى أولاً كان موجودًا قبل الإنسان الذي ذكرت قصة خلقه فيما بعد، وأن خلقة الإنسان من تراب الأرض كانت طبقًا لشكل موجود مِن قبل. وحتى هوميروس يدعو جثمان هكتور "طين أبكم"، وذلك بعد أن قرأ القول الإلهي القديم "لأنك تراب وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩)، فأدرك أن الإنسان صُنِع من تراب الأرض. وفي إلقائه اللوم على أخيل لأنه جرَّ جسد هكتور الميت قال هوميروس:

---

[٥٧] مز ١١٣: ١٦ (في البيروتية مز ١١٥: ١٦).

"بالطين الأبكم صنع مهانة
إذ أعماه غضبه الشديد[٥٨]."

وفي نص آخر يذكر قول مينلاوس للمقاتلين التابعين له والذين كانوا رافضين قبول تحدي هكتور لقتال منفرد: "ليتكم تعودون جميعًا إلى الأرض والمياه[٥٩]." أي إنه في غضبه أرادهم أن يعودوا إلى شكلهم الأصلي، أي إلى تراب الأرض. وقد أعرب كل من هوميروس وأفلاطون عن هذه الآراء في كتاباتهما بعد أن تعلّموها في مصر مِن كتب التاريخ القديم.

الفصل الحادي والثلاثون

فمن أين جاء أفلاطون بقصة زيوس وهو ينطلق عبر السماء في مركبة ذات جناحين إلّا مِن الكتابات النبوية؟ فقد ألّف هذه القصة من وصف النبي للكروبيم كما يلي: "ثم رفع الكروبيم أجنحتهم والعَجَلات كانت معهم ومجد إله إسرائيل عليهم من فوق" (حز ١١: ٢٢) وأفلاطون إذ ألهمه هذا المشهد، قال بثقة: "زيوس العظيم يقود مركبته ذات الجناحين عبر السماء". من أي مصدر جاء أفلاطون بما كتب غير موسى وباقي الأنبياء؟ وما مصدر قوله بأن الله يوجد في مادة نارية؟ أ ليس مصدره سفر الملوك الثالث[٦٠] الذي يقول: "ولم يكن الرب في الريح، وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة، وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار، وبعد النار صوت منخفض خفيف[٦١]." هذه الكلمات يجب أن يتأمل فيها ويفسرها الأتقياء بطريقة روحية. أما أفلاطون فلأنه لم يستطع إدراك معناها

[٥٨] انظر الإلياذة ٢٤.
[٥٩] الإلياذة ٧: ٩٩.
[٦٠] وهو يقابل سفر الملوك الأول في النص الماسوري الذي أخذت عنه الترجمة البيروتية، راجع الحوار مع تريفون، فصل ٣٩.
[٦١] ٣مل ١٩: ١١ – ١٢ (في البيروتية ١ مل ١٩: ١١)

الروحي، فَهِم هذه الكلمات على أنها تعني أن الله يوجد في مادة نارية.

الفصل الثاني والثلاثون

إن الإنسان الذي يتأمل في العطِيَّة التي أنعم الله بها على القديسين وهي العطية التي يدعوها الأنبياء الروح القدس، يُدرِك أن أفلاطون وصف هذه العطية تحت مُسمًّى آخر في حواره مع مينو. وذلك خوفًا مِن أن يدعو الروح القدس عطية الله لئلا يُقال إنه عدو للشعب اليوناني لأنه يتمسَّك بتعاليم الأنبياء ويعترف بأن هذه العطية نازلة مِن عند الله. وإذ رفض تسمية هذه العطية الروح القدس أسماها الفضيلة وفي حواره مع مينو حول مسألة استعادة الأفكار، وبعد مناقشة دقيقة للفضيلة وإمكانية تعليمها أم لا، أو اكتسابها بالممارسة المستمرة، أو الحصول عليها بدون دراسة أو ممارسة، أم هي موهبة طبيعية للإنسان، أو أنها تُكتَسب بطريقة أخرى، يقول أفلاطون: "إذا كانت مناقشاتنا اتخذت مسارها السليم وقد اتبعنا الخط الصحيح للتفكير فلا بد أن ننتهي إلى أن الفضيلة لا نحصل عليها بالدراسة وأنها ليست موهبة طبيعية بل إنها تُعطى لأناس مِن قِبل العناية الإلهية". وأنا أرى أن ما تعلمه أفلاطون مِن الأنبياء عن الروح القدس قد قام بتطبيقه على ما أسماه الفضيلة. فمثلما يقول الأنبياء إن الروح الواحد ذاته ينقسم إلى سبعة أرواح[٦٢] هكذا أيضًا يقول أفلاطون إن الفضيلة الواحدة ذاتها تنقسم إلى أربع فضائل، وبهذه الطريقة تجنَّب استخدام اسم "الروح القدس" في حين أنه يكرر مجازيًّا ما قاله الأنبياء القديسين عن الروح القدس. وهكذا، في ختام حواره مع مينو يقول

---

[٦٢] يبدو أن هذا ما فهمه ق. يوستينوس من قول إشعيا النبي: " ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش ١١: ٢).

أفلاطون: "مما قلناه يا مينو، يبدو أن الذين اقتنوا الفضيلة قد اقتنوها مِن قِبل الله، ولكننا سوف نصل إلى فهم أوضح لكيفية حصول الإنسان على الفضيلة إذا بحثنا أولًا وبشكل مستقل ـ في طبيعة الفضيلة ذاتها." وهكذا ترون كيف يستخدم أفلاطون اسم "الفضيلة" على أنها العطية النازلة مِن فوق ولو أنه يعترف بصحة إجراء بحث لتحديد ما إذا كان يطلق على هذه العطية اسم "فضيلة" أو اسم آخر. وخوفًا مِن اتهامه باتباع تعليم الأنبياء، لم يذكر صراحة اسم "الروح القدس".

الفصل الثالث والثلاثون

وقد نسأل أيضًا مِن أين عَلِم أفلاطون أن الزمن خُلِق بالتزامن مع خَلْق السماء؛ إذ كتب يقول: "إذن لقد خُلق الزمن بالتزامن مع خَلْق السماء حتى إنه كما أنهما خُلِقا معا سوف ينحلان معًا متى انحلَّا". أ لم يتعلَّم هذا مِما كتبه موسى النبي؟ فهو مَن علَّم أن خلق الزمن منذ البدء كان على هيئة أيام وشهور وسنين. وبما أن اليوم الأول الذي خُلِق مع السماء يشكِّل بدء الزمان، فإن أفلاطون يدعو اليوم "زمانًا" ـ لأن موسى بعد أن كتب "في البدء خلق الله السماوات والأرض"، أضاف قائلًا: "وكان صباحًا يومًا واحدًا" (تك ١ : ١ ، ٥) كأنه يشير على الزمان كله بجزء منه ـ وهكذا استخدم أفلاطون كلمة "زمان" بدلًا من كلمة "يوم" لئلا يتسبب استخدامه لكلمة يوم في اتهامه مِن قِبَل أهل أثينا بمحاكاة تعبيرات موسى تمامًا. ومن أين عَلِم أفلاطون أيضا عن انحلال السماوات؟ أ لم يستعِر هذا الفكر من الأنبياء القديسين في تفسيره لكتاباتهم على هذا النحو؟

الفصل الرابع والثلاثون

ولو أننا درسنا موضوع الأصنام وبحثنا في سبب إعطاء آلهتكم شكلًا بشريًّا لاكتشفنا أن مصدر هذا يرجع إلى الكتاب المقدس؛ إذ كتب موسى ما قاله الله "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١ : ٢٦)، فتصوَّر صُنَّاع الأصنام خطأً أن البشر يشبهون الله مِن حيث الشكل. وبالتالي بدأوا يصنعون آلهتهم هكذا اعتقادًا منهم أنهم باستطاعتهم نسخ صورة [الله] من صورة [الإنسان]. لكن لماذا أذكر لكم هذه الأمور أيها السادة اليونانيون؟ هناك سبب واحد ألا وهو إقناعكم بأنه لا يمكن أن تتعلموا الديانة الحقيقية مِن أولئك الذين لم يقدروا أن يأتوا بجديد حتى في تلك الموضوعات التي أثارت إعجاب العالم الوثني، بل فقط كرروا بلغة مجازية ما استعاروه من موسى وغيره من الأنبياء.

الفصل الخامس والثلاثون

والآن قد أتت الساعة أيها اليونانيون، لكي تنبذوا الخطأ القديم الذي وقع فيه أجدادكم وتقرأوا الكتابات النبوية المقدسة لتتعلموا منها الديانة الحقيقية، بعد أن أقنعتكم من خلال مؤرخيكم بأن موسى والأنبياء الآخرين هم أقدم مِن أي مِن الحكماء المُكرَّمين عندكم. إن الأنبياء لا يسعون إلى التأثير على الناس باستخدام بارع للكلمات ولا يلجأون إلى حجج خادعة بهدف الإقناع ـ فهذا أسلوب مَن يحاولون سلب الحق منكم ـ ولكنهم بكلمات بسيطة وعبارات تلقائية يقولون لكم كل ما أراد الروح القدس ـ الذي حل عليهم ـ أن ينقله عن طريقهم إلى الذين يريدون معرفة الديانة الحقيقية. اتركوا إذن كل الاعتبارت الزائفة والأخطاء البشرية التي عفا عليها الزمن

واتركوا أيضا الكتابات الرنانة والفارغة - التي باستخدامها تعتبرون أنفسكم أصحاب مميزات كثيرة - وكرِّسوا أنفسكم لما هو مفيد لكم بالحقيقة. ولن يُقال إنكم أغضبتم أجدادكم باعتناقكم تعليمًا مخالفًا لتعليمهم الخاطئ، لأنهم الآن يرْثون ما أصابهم في جهنم متوجعين مِن الشعور العميق بالندم وعدم القدرة على التوبة بعدما فات وقت التوبة. ولو كانت لهم إمكانية تحذيركم مما حدث لهم بعد الموت لعرفتم بالتأكيد الشرور المخيفة التي يريدون إنقاذكم منها. ولكن بما أنه من المستحيل في هذه الحياة الحاضرة أن تتعلَّموا شيئًا منهم أو ممن نادوا بفلسفة خاطئة، فالنتيجة الطبيعية هي أن تتركوا خطأ أجدادكم وأن تقرأوا كتابات الرجال القديسين غير متوقعين منهم عبارات منمقة - لأن ممارسة ديانتنا تعتمد على الأعمال لا على الكلمات - وأن تتعلموا من هؤلاء القديسين وسائط الحياة الأبدية. لأن الذين يتسرَّعون في التقليل من شأن الفلسفة يعترفون ضمنًا بأنهم لا يعرفون شيئًا، فهم لا يناقضون بعضهم فحسب بل أيضًا يعبِّرون عن آرائهم بأسلوب متناقض.

الفصل السادس والثلاثون

وإذا كان هدف الفلسفة في نظرهم هو اكتشاف الحقيقة، فكيف يُسمَّون مَن ليس لهم معرفة بالحقيقة "فلاسفةً حقيقيين"؟ لقد كان سقراط أحكم حكمائكم طبقًا لمفهومكم، إذ تقولون "إن سقراط هو أحكم جميع الناس". وإذا كان سقراط يعترف بأنه لا يعرف شيئًا فكيف يدَّعي مَن أتوا بعده أنهم يعرفون الأمور السمائية؟ وقد أكد سقراط أنه قد دُعيَ حكيمًا لأنه في حين يتظاهر البعض بمعرفة ما لا يعرفون، لم يتردد هو في الاعتراف بأنه لا يعرف شيئًا. فهو يقول "يبدو عليَّ أني حكيم بسبب شيء واحد وهو أنني لا أدَّعي

معرفة ما لا أعرفه". وإذا انتهينا إلى أن سقراط تظاهر فقط بالجهل كما فعل في مناسبات كثيرة مِن خلال مناقشاته، فإن كلماته الأخيرة دفاعًا عن نفسه وهو في طريقه إلى السجن تُظهِر مدى صِدقه وجدِّيَته في اعترافه بجهله، فقد قال: "الآن حان موعد الافتراق، أنا ذاهب للموت وأنتم للحياة، والله وحده يعلم مَن منَّا ماضٍ إلى حال أفضل". بعد هذه الكلمات الأخيرة في الأريوس باغوس[٦٣]، ذهب سقراط إلى السجن شاهدًا بأن الله وحده هو العالم بالأشياء المخفية عنَّا. ومع هذا جاء أناس مِن بعده يدَّعون بأنهم يعرفون الأمور السمائية كما لو كانوا قد شاهدوها، بالرغم مِن أنه ليس لديهم أيه معرفة حتى بالأمور الأرضية. وهكذا أيضًا أرسطو، كما لو كان قد عاين الأمور السمائية عن كثب أكثر من أفلاطون، يؤكد أن الله لا يوجد في مادة نارية - كما يعتقد أفلاطون - ولكنه موجود في العنصر الخامس أي في "الأثير". وأفلاطون هذا الذي طالب الآخرين بأن يُصدِّقوا نظرياته بسبب أسلوبه البارع في التعبير مات في مهانة وخزي عندما لم يستطع تحديد طبيعة [التيار البحري] يوريبوس (Euripus) عند [ميناء] كالسيس (Chalcis)[٦٤]. فالإنسان الذكي لا ينبغي أن يُفضِّل بلاغة هؤلاء الناس على خلاص نفسه بل عليه أن يسُد أذنيه بالشمع، كما في الأساطير القديمة، وأن يهرب مِن الضربة التي قد تصيبه. لأن هؤلاء الكُتَّاب قد أغووا كثيرين بعيدًا عن الإيمان الحقيقي بأسلوبهم الرقيق كنوع مِن الطُعم وبذلك فهم يحاكون مَن تجرأ على نشر تعدد الآلهة بين الناس في العصور الأولى. أتوسَّل إليكم ألَّا تسمعوا لهؤلاء الأشخاص بل أن تقرأوا كتابات الأنبياء القديسين. وإذا كان الكسل أو الخرافات القديمة تحوْل دون قراءتكم لهذه الكتابات

---

[٦٣] انظر نصح لليونانيين، فصل ٢٢، هامش ٣٤.

[٦٤] هذه القصة قد صارت الآن مشكوكًا في صحتها.

النبوية التي ستعرفكم بالله الواحد الوحيد - وهي العلامة الأولى للتدين الحقيقي - فعلى الأقل صدِّقوا هذا الذي علَّمكم أن تؤمنوا بتعدُّد الآلهة في أول الأمر ثم وقَّع على إعلان بتخليه عن معتقده، وأشير هنا إلى أورفيوس الذي قال ما ذكرته مِن قبل. وصدِّقوا أيضًا هؤلاء الذين كتبوا عن الله الواحد. حقًّا، إن الله - لأجل خلاصكم - قد جعلهم يشهدون رغمًا عنهم على صدق ما قاله الأنبياء عن الله الواحد حتى يترك العالم تعدد الآلهة وتكون لكم الفرصة لمعرفة الحقيقة.

الفصل السابع والثلاثون

فإنه مِن السهل أن تكتسبوا معرفة جزئية عن الديانة الحقيقية من خلال سبلة القديمة[٦٥] التي علَّمَت حقائق تشبه إلى حد كبير تعاليم الأنبياء. ويقال إن سبلة كانت مِن أصل بابلي وهي ابنة بيروسوس (Berosus) كاتب "تاريخ الكلدانيين" وبعد أن عبرت البحر ووصلت بطريقة ما إلى مقاطعة كامبانيا (Campania) بدأت تنطق بالوحي في مدينة كومي (Cumæ) على بعد ستة أميال من بآي (Baiæ) حيث توجد ينابيع كامبانيا الدافئة. وفي زيارة لنا لهذه المدينة ذهبنا إلى مكان ما ورأينا معبدًا ضخمًا منحوتًا في الصخر وهو عمل فني

---

[٦٥] انتشرت "نبوءات سبلة" (*Sibylline Oracles*) في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وهي مجموعة من النبوءات المزعومة التي نُقِلَت عن أكثر من واحدة باسم سبلة أو العرافة. (وقد ذكر ڤارو Varro عشرة منهن). والنبوءات المنقولة هنا غالبا جاءت على لسان سبلة السيمرية (Cimmerian) أو الكيومانية (Cumaean) من كامبانيا في إيطاليا. وفي العصور الوثنية جُمِعَت تلك النبوءات بحرص وكانت تلاقي تقديرًا وتبجيلًا من العامة. وقد قام بعض اليهود السكندريين بتزوير بعض تلك النبوءات حتى يروِّجوا لليهودية وينشروها خلال القرن الثاني ق.م. وأيضًا قام بعض المسيحيين بالشيء نفسه. ولذلك فقد شهد القرنان الثاني والثالث الميلاديان عدة مجموعات من تلك النبوءات من الأصول الوثنية واليهودية والمسيحية. ومع اختفاء الوثنية تضاءلت شعبية تلك النبوءات، ولو أنه تم الإقتباس منها في بعض الأحيان أثناء العصور الوسطى.

غاية في الروعة والجمال[٦٦]. وقد قال لنا الأهالي هناك إنه في هذا المكان كانت سبلة تنطق بما لديها من وحي، وذلك حسب التقليد المحلي الذي تسلموه من أجدادهم. وفي وسط المعبد رأينا ثلاثة أواني منحوتة من حجر واحد، وقيل لنا إنها كانت تستحم منها عندما تمتلئ بالماء، وبعد ذلك كانت ترتدي رداءها وتدخل الغرفة الداخلية للمعبد - المحفورة في الصخر ذاته - وهناك في وسط تلك الغرفة كانت تجلس على عرش مرفوع على منصة وتعطي إجابات حسب ما يُوحَى لها. وكثيرون مِن الكُتَّاب حتى أفلاطون نفسه في كتابه "محاورة فايدروس [أو عن الجَمَال]" (Phaedrus) تحدث عن سبلة على أنها نبية وأنا أعتقد أن أفلاطون اعتبر أنبياء [العهد القديم] أناسًا قديسين ومُلهَمين لأنه قرأ نبوءاتها ولأنه رأى أن ما تنبأت به منذ زمن قد حدث بالفعل، فكان مِن الطبيعي أن يُعرِب أفلاطون عن إعجابه ومهابته للأنبياء في حواره مع مينو؛ إذ قال: "هؤلاء الأشخاص الذين ندعوهم الآن أنبياء يجب أن ندعوهم قديسين وأن نعتبرهم بالحقيقة يتحدثون بروح الله وبوحيه عندما يتنبأون بالتدقيق عن أحداث كثيرة وهم لا يدرون تمامًا ما يقولون." في هذه الكلمات يشير أفلاطون بوضوح إلى نبوءات سبلة، فعلى عكس الشعراء الذين بعد أن ينتهوا من قصائدهم يصححون ويصقلون الوزن، فإن سبلة كان عندها موهبة النبوءة في وقت الإلهام، ولكن بعد انتهاء هذا الوقت فهي لم تكن تتذكر أي شيء مما قالته. ولهذا السبب لم يتم الاحتفاظ بجميع أوزان شِعر سبلة. وفي هذه الزيارة ذاتها للمدينة أشار المرشد المرافق لنا ليس فقط إلى الأماكن التي كانت تتنبأ فيها بل أيضًا إلى التابوت النحاس حيث توجد رفاتها. ومن بين القصص القديمة الأخرى التي

---

[٦٦] مازال بإمكان الزوار حاليًا رؤية هذا المبنى الكائن تحت الأرض كما كان موجودًا أيام ق. يوستينوس.

كرروها أمامنا أن الأشخاص الذين نقلوا عنها أقوال الوحي لم يكونوا على درجة كافية من العلم، فكثيرًا ما كانوا يخطئون في نقل الوزن بدقة، ولذلك كان هناك العديد من الأبيات بدون وزن لأن سبلة لم تكن تتذكر على الإطلاق ما قالته بعد أن تفيق من حالة الدَهش، وأيضًا لأن الذين نقلوا عنها لم ينقلوا الوزن بدقة بسبب جهلهم. فمن الواضح أن نبوءات سبلة كانت في ذهن أفلاطون عندما قال عن الأنبياء "عندما يتنبأون بدقة عن أحداث عظيمة عديدة فهم لا يدرون على الإطلاق ما يقولون".

الفصل الثامن والثلاثون

أيها السادة اليونانيون، بما أن أساسيات الديانة الحقيقية لا توجد في الأوزان الشعرية ولا في ثقافتكم ذات المكانة العالية، فعليكم ألّا تهتموا كثيرًا بالوزن والقافية بل أن تهتموا بدرجة أكبر بأقوال سبلة؛ فحينئذ ستدركون الفوائد الكثيرة التي تنالونها من نبوءاتها الصحيحة عن مجيء مخلصنا يسوع المسيح[67]. حقًّا إن يسوع المسيح كونه كلمة الله وغير منفصل عنه في القدرة، اتخذ طبيعة بشرية ـ أي طبيعة الإنسان الذي خُلِقَ على صورة الله ومثاله ـ وأعاد لنا ديانة أجدادنا التي تركها من جاءوا بعدهم بغواية الشيطان الحسود محولاً إياهم إلى عبادة مَن ليسوا آلهة على الإطلاق. وإن كنتم تشكون في عقيدتنا بشأن خلق الإنسان وتجدون صعوبة في تصديقها، فعلى الأقل استمعوا إلى الذين تعتقدون حتى الآن أنهم جديرون بالتصديق واذكروا أن نبيَّتكم عندما طُلِب منها إلقاء ترنيمة تكريمًا لله ضابط الكل تكلمت بهذه الكلمات في وسط الترنيمة: "الذي صنع

[67] Cf., *Sibylline Oracles* 1.325.

الإنسان الأول ودعاه آدم"[٦٨]. وكثيرون من الناس الذين نعرفهم يضعون هذه الترنيمة قريبًا منهم لإقناع الرافضين لهذه الحقيقة التي يشهد لها الجميع. وإذا فضَّلتم، يا أصدقائي اليونانيون، خلاص نفوسكم على الإشاعات الكاذبة عن الآلهة الكذبة فصدقوا سبلة القديمة والموقَّرة صاحبة المؤلفات المحفوظة في العالم أجمع التي تُعلِّمنا من خلال الوحي أن أولئك الذين يسمونهم آلهة لا وجود لهم على الإطلاق. كما أن سبلة نطقت أيضًا بنبوءات واضحة عن المجيء الثاني لمخلصنا يسوع المسيح والأشياء التي سوف يعملها. إن المعرفة الدقيقة لهذه الأمور تُعتبَر إعدادًا ضروريًّا لدراستكم لكتابات الأنبياء القديسين. وإن اعترض أحد على أساس أنه تلقى معرفته بالله من فلاسفة قدماء، دعوه يستمع إلى أمون (Ammon) وهرمس؛ إذ يؤكد الأول في مقال له عن الله أن الله مَخفِيّ عنَّا تمامًا، في حين يوضح هرمس أنه مِن الصعب للغاية إدراك الله ومِن المستحيل على الإنسان الذي يدرك الله أن يظهره للآخرين. إذن فبعد البحث في المسألة مِن كل جانب لا بد أن نصل إلى أن معرفة الله والديانة الحقيقية لا يمكن الحصول عليها إلّا من خلال الأنبياء الذين يعلموننا بالوحي الإلهي.

[68] Cf., *Sibylline Oracles* 1.26

خطاب إلى اليونانيين

مقدمة

لقد وصل إلينا كتاب "خطاب إلى اليونانيين" في مخطوطتين، الأولى يونانية وهي (*Codex Argentoratensis* gr. 9) من القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، وقد دُمِّرَت تمامًا في حريق في مدينة ستراسبورج في ٢٤ أغسطس ١٨٧٠ [١]. والمخطوطة الأخرى من القرن السابع (*Cod. Syr.* Add. 14658) وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني وتحتوي على النسخة السريانية لهذا الحديث تحت اسم أمبروسيوس [٢].

في هذا الخطاب القصير المكوَّن من خمسة فصول يشرح الكاتب الأسباب التي دفعته إلى اعتناق المسيحية، وهي أسباب ترتكز على كراهيته للرذائل المقترنة بالأساطير اليونانية والاحتفالات الوثنية. ويختم الكاتب حديثه بمناشدة اليونانيين أن يتمثَّلوا به ويصيروا مسيحيين.

ويشك البعض أن القديس يوستينوس هو كاتب هذا الخطاب [٣] لأن تاريخ فضح هذا الانحلال الوثني يجب رصده بين النصف الأخير من القرن الثاني والربع الأول من القرن الثالث. فضلًا عن أن الأسلوب ليس هو أسلوب ق. يوستينوس، كما أن الكاتب يرجِع تحوُّله للمسيحية إلى كراهيته لفجور الوثنيين، بينما يُرجِع ق. يوستينوس تحوله للمسيحية [٤] إلى دراسة عميقة لأنبياء العهد القديم، بالإضافة إلى تأثُّره الشديد بصمود المسيحيين في مواجهة العذاب والموت.

---

١ لرؤية وصف عن المخطوط انظر Migne *PG* 6.222

٢ انظر (*Spicilegium Syracum*) لـ (W. Cureton) (لندن ١٨٥٥) ٣٨- ٤٢؛ ٦١- ٦٩.

٣ لمعرفة اختلاف الآراء حول هذا الأمر انظر W. Smith and H. Wace, *A Dictionary of Christ. Biography*. 3: 365

٤ انظر الحوار مع تريفون، فصل ٧.

محتويات الفصول

الفصل الأول

لا تظنوا، يا أصدقائي اليونانيين، أنني أرفض ممارسة عاداتكم عن تسرُّع أو عدم تفكير، بل لأنني اكتشفت أن هذه العادات غير مقدسة ولا ترضي الله، وحتى كتابات شعرائكم تعتبر شهادة دامغة على جنونكم وفسادكم. وكل مَن يصير تلميذًا لأحكم مُعلِّم عندكم[٥] يواجه صعوبات أكثر مما يواجهها أي أحد، فالمفسرون[٦] لشعره يؤكِّدون أن أجاممنون لم يتردد في تقديم ابنته ضحية[٧]. وذلك لمساعدة أخيه في الانغماس في الشهوات الجسدية بجنون بالغ وانفلات عاطفي. كما أنه أزعج اليونان كلها لأجل إنقاذ هيلين عندما خطفها راعي الغنم الرائع[٨]. ولكن عندما أُخِذ الأسرى خلال الحرب التي تلت ذلك، وقع أجاممنون نفسه في الأسر على يد كريسيس وبسبب فتاة أخرى تدعى بريسيس صار عدوًا لابن ثيتيس[٩]. وأما ابن بليوس[١٠] الذي ترون أنه بطل عظيم لأنه روَّض النهر وفتح طروادة وغلب هكتور، فقد صار عبدًا لبوليكسينا وانغلب من أمازونية ميِّتة[١١] فاستبدل أسلحته التي صنعها الآلهة بملابس الزفاف وصار ضحية حب في معبد أبوللو. وحتى أوديسيوس من إثاكا جعل مِن الرذيلة فضيلةً؛ إذ إنه في إبحاره بجانب مملكة الحوريات (Sirens) أظهر أنه يفتقر إلى الحكمة المطلوبة في استخدام عقله عندما لم

---

٥ أي هوميروس.

٦ النحويون الذين قاموا بتفسير قصائد هوميروس.

٧ إيفيجينيا Iphigeneia

٨ مِن الواضح أن هذا الوصف هو تهكُّم.

٩ أخيل Achilles

10 Achilles. Cf. *Iliad* 21.24ff., 243ff.

١١ ملأ الحزن أخيل عندما أدرك جمال الأمازونية التي كان قد أصابها بجرح قاتل أثناء المعركة.

يسُدَّ أذنيه[١٢]. و أجاكس (Ajax) ابن تلامون ذلك الرجل القوي الذي غطى درعه بجلود سبعة ثيران ولكن عندما هزمه أوديسيوس في نزاع على أسلحة [أخيل] فقد عقله تمامًا. إنني لا أريد أن أتعلَّم مثل هذه الأمور على الإطلاق وليس لديَّ نية أن أُصدِّق أساطير هوميروس هذه لأن الملحمة بأكملها في بدايتها بالإلياذه ونهايتها بالأوديسا تدور حول موضوع واحد هو المرأة.

الفصل الثاني

أما عن هسيودوس الذي كتب بعد هوميروس قصيدةً بعنوان "الأعمال والأيام"، فمَن يتفق مع بحثه الباطل في أصل الآلهة؟ لأنه يقول إن كرونوس (Chronos) ابن أورانوس قتل أباه وأخذ صولجانه ثم خشي أن يلقى نفس المصير على يد أبنائه فقرَّر أن يأكلهم، ولكن الكوريتيون (Curetes) أخفوا زيوس بمكر ثم عاد ليأخذ أباه أسيرًا في سلاسل ويقسِّم مملكته. وفي هذه المناسبة، قيل إن زيوس امتلك الهواء وبوسيدون امتلك البحر وهاديس امتلك الجحيم. "ثم اختطف هاديس بروسِربابين في حين جالت سيريس في البرية بحثا عن ابنتها. وحتى هذه الأسطورة كان يُحتفى بها من خلال نار يوقدونها في إحتفالات إيليفسينيا (Ἐλευσίνια)"[١٣]. ولم يعتدِ بوسيدون على ميلانيب فحسب عندما كانت تسحب الماء بل أيضًا أذل عددًا لا يُحصى مِن حوريات الماء (Nereids). وقد كان زيوس زانيًا متخذًا لنفسه أكثر من شكل، فقد زنى مع أنتيوب وهو في هيئة ساتير (satyr)، ومع داناي في هيئة قطرات أمطار من ذهب ومع أوروبا كثور ومع ليدا كبجعة. كما أن محبة سيميلي أثارت فسقه وغيرته

[١٢] لكنه قيّد نفسه في صاري سفينته.

[١٣] كانوا يحتفلون بأسرار إيليفسينيا - وهي كلمة يونانية تعني "عودة" - كل عام في مناسبة عودة بروسربابين مِن العالم السفلي (الجحيم).

من هـيرا. وقيل أيضًا إنه خطف جانيميد لتعمل كحاملة كأسه. كانت تلك هي أعمال أبناء كـرونـوس المخزية. وأيضًـا أبوللو ابن لاتونا الشهير ثبت أنه كاذب عندما ادَّعى أنه عرَّاف. وعلى الرغم من أنه سعى إلى دافني ولم يقدر أن يستحوذ عليها، كما أنه لم ينذر صديقه هياكينثوس (Hyacinthus) بموته[١٤]. ولن أتحدث عن صفات الإلهة أثينا الذكورية وأنوثة الإلـه ديونيسوس وعـادات أفروديت غير الأخلاقية. عليكم أنتم اليونانيون أن تقرأوا لزيوس القانون ضد قتل الآبـاء، وعقوبة الزنا وعار اللواط، وأن تعلِّموا أثينا وأرطاميس الأمور النسائية وتوضحوا لديونيسوس كيف ينبغي أن يتصرَّف الرجال. وما هـي العظمة في مشهد امرأة ترتدي زي الحرب أو رجل في زى امرأة مزيَّنة بأكاليل زهور وصنوج ويتبعه جمهور مِن النساء السكارى؟

الفصل الثالث

وخذوا مثال هرقل الذي اشتهر بالثلاث ليالي[١٥] وما لاقى فيها من أتعاب، وهو ابن زيوس، الذي قتل الأسد والأفعوان ذا الرووس المتعددة والـذي قتل أيضا الخنزير الـبرّي وفـرَّق الطيور السريعة آكلة لحوم البشر، وأعـاد الكلب ذا الـرووس الثلاثة من الجحيم وقـام بتنظيف إسطبلات أوجياس (Augeas) الضخمة مِن وسخها، وقتل الثيران والظبي التي تنفث نارًا، وجمَعَ الثمار الذهبية مِن الشجر وقتل الثعبان السام - ولسبب لا يجوز ذكره قتَلَ أيضًا أكيلوس وبوسيريس قاتل ضيوفه - وعـبَر الجبال ليُحضِر مـاءً قيل أنـه يجعل كـلام الإنسان لبِقًا. هرقل هذا الذي صنع أعمالاً عظيمة، سُرَّ مثل الأطفال بصنوج الساتير إذ أسَـرَه حب امـرأة، وضربته أومفالي (Omphale) على

---

[١٤] قام أبوللو بقتل هياكينثوس بالخطأ عندما رماه بالقرص.

[١٥] ربما تكون إشارة لأسطورة قضاء ثلاث ليال في بطن حوت.

مؤخرته وهي تضحك. وأخيرًا عندما لم يستطع أن يخلع ثوب نيسوس (Nessus)[١٦] مات بعد أن أعد أولاً لنفسه حطب المحرقة. وليكف فولكان عن غيرته وحقده لأنه كهل أعرج ولذا فهو مكروه في حين أن أريس محبوب لأنه شاب ووسيم.

وهكذا إذن أيها اليونانيون، نجد أن آلهتكم مذنبون بالإفراط في الشهوات وأبطالكم مذنبين أيضًا بالتخنُّث كما أعلن شعراؤكم في القصص التي رووها مثل لعنة أتريوس (Atreus) ومضجع ثيستيس[١٧] والآثام البشعة لسلالة بيلوبس (Pelops)، وغضب داناوس (Danaus) وحقده على أخيه إيجيبتوس (Ægyptus) حتى إنه قتل أبناءه جميعًا، ومأدبة ثيستيس التي أعدتها أرواح النقمة. و بروكني (Procne) تنوح في شكل عصفور إلى يومنا هذا، في حين تزقزق شقيقتها على قدر طاقتها رغم لسانها المقطوع. وهل نحن بحاجة إلى ذكر ما نُخس به[١٨] أوديب (Oedipus) وكيف قتل أباه وتزوج أمه وكيف قتل أبناؤه بعضهم البعض وأنهم كانوا في ذات الوقت إخوته لمِن أمه!؟

الفصل الرابع

لقد صرت أبغض حتى احتفالاتكم العامة التي فيها تنغمسون في مآدب مفرطة وتستمعون إلى عزف رفيع على آلات نفخ موسيقية تدفعكم إلى أعمال شهوانية خاضعين بلا داع إلى التحلّي بالعطور

---

[١٦] عندما سمعت ديجانيرا (Dejaneira) زوجة هرقل إشاعات عن حبه لأيول (Iole) أرسلت له ثوبًا مرشوشًا بدم نيسوس السام، الذي كان هرقل قد ذبحه فمات هرقل متأثرًا بالسم.

[١٧] قام ثيستس (Thyestes) بالتآمر مع زوجة أخيه أتريوس (Atreus) لأخذ العرش منه، ولكنهما لم ينجحا. وبعد سنوات من النفي، عاد ثيستس لتفعيل مصالحة مع أخيه، فقابله أتريوس بعطف ولكنه حتى ينتقم منه قدم ابنه ليؤكل على العشاء، وهي ما يشار إليه بمأدبة ثيستس.

[١٨] ربما يشير هذا إلى ما استخدمه أوديب ليفقأ عينيه، أو ليقتل والده، أو ربما تعني الشيء الذي استخدم في وخز كاحليه عنما كان طفلا رضيعا.

وارتداء أكاليل زهور على الرأس. وبهذه الممارسات الشريرة المتراكمة أنتم تحـددون ملامح تديُّنكم؛ وإذ تمتلئ عقولكم بمثل هذه الممارسات، تندفعون بتهور إلى هوس جنسي وتنغمسون في العلاقات الآثمة الجنونية التي اعتدتم عليها. وأود هنا أن أبدي ملاحظة وأسألكم: لماذا أنتم أيها اليونانيون تغضبون عندما يحاكي أحد أبنائكم ما فعله زيوس فينقلب على أبيه ويسرق منه زوجته؟ لماذا تعتبرونه عدوًّا مع أنكم تعبدون من يحاكيه في أفعاله هذه؟ لماذا تشتكي من خيانة زوجتك لك مع أنك تكرم أفروديت في المعابد؟ لو أن هذه الأحداث رُوِيَت من قِبَل آخرين لافترضنا أنها ادعاءات كاذبة ومغرضة ولكنها موضوع يتغنى به شعراؤكم ويذكره تاريخكم بوضوح شديد.

الفصل الخامس

إذن، أيها السادة اليونانيون، تعالوا اشتركوا في الحكمة التي لا مثيل لها، وتعلَّموا مِن كلمة الله، وتعرَّفوا على الملك الذي لا يموت، ولا تعتبروا هؤلاء الذين يدمِّرون دولاً بأكملها أبطالاً، لأن ملكنا كلمة الله لا يطلب قوة الجسد ولا بهاء الطلعة ولا شرف المولد بل النفس الطاهرة المُحَصَّنة بالقداسة. الله يريد الأعمال الصالحة التي هي كلمة السر عنده، لأن المقدرة على القيام بهذه الأعمال تنتقل إلى النفس بواسطة الله الكلمة. يا لبوق السلام الذي يبوِّق لأجل نفس في حرب! يا للسلاح الذي يطرد الشهوات الرديئة! يا للتعليم الذي يطفئ نار النفس الشهوانية. إن قوة الكلمة هذه لا تصنع منا شعراء أو فلاسفة مثقفين أو خطباء فصحاء، ولكنها تعطينا الخلود، تجعل منا نحن البشر آلهة وتنقلنا من الأرض إلى أماكن أعلى مِن أولمبوس

(Olympus)"[19]. تعالوا إذن وتعلموا. صيروا كما أنا لأنني كنت قبلًا مثلكم إلى أن غلبني التعليم الإلهي وقوة الكلمة. وكما أن راقي الثعابين يقدر أن يُخرِج الثعبان المخيف من جحره ويجعله يهرب، هكذا أيضًا الله الكلمة يطرد الشهوات الرديئة الناتجة عن طبيعتنا الشهوانية مِن أعماق النفس، فهو يطرد أولاً الشهوة التي منها يتولَّد كل أنواع الشر مثل الخصومات والنزاعات والغيرة والغضب وأمثال ذلك. وما أن تُطرَد الشهوة يعود الهدوء والسلام إلى النفس، وما أن تتحرر النفس من هذه الشرور التي كانت منغمسة فيها، تعود إلى خالقها لأنه لا بد للنفس أن تعود إلى الحالة التي كانت عليها.

[19] هو المكان المرتفع على قمم الجبال الذي يعيش فيه الآلهة في الأساطير اليونانية.

عن حكم الله



مقدمة

إن النص اليوناني لمقال "عن حُكم الله"[1] (De Monarchia) محفوظ في مخطوطة Codex Paris gr 450 لسنة ١٣٦٤ وأيضًا في مخطوطة Codex Claromont. 82 لسنة ١٥٤١. وكان أيضًا محفوظًا في مخطوطة ستراسبورج Cod. gr 9 من القرن الثالث عشر والتي فُقِدَت في حريق عام ١٨٧٠.

وهدف هذا المقال القصير هو إثبات الإيمان بإله واحد مِن الأدب اليوناني، ولهذا نجد أن الكاتب قد اقتبس من كُتَّاب التراجيديا أمثال ايسخيلوس (Aeschylus) وسوفوكليس (Sophocles) ويوريبيديس (Euripides) ومن كُتَّاب الكوميديا مثل فليمون وأورفيوس وميناندر وأيضًا من كتابات الفلاسفة أفلاطون وفيثاغوراس.

وتضع المخطوطات هذا الكتاب ضمن كتابات القديس يوستينوس، كما أن يوسابيوس في كتابه التاريخ الكنسي، الفصول ٤ و ١٨ ينسبه إليه تحديدًا. غير أن يوسابيوس يقول إن كتاب "عن حُكم الله" الذي قرأه كان يُثبِت وحدانية الله بشواهد من الكتب المقدسة ومن الأدب الوثني. أما المقال الذي لدينا الآن فهو يستخدم شواهد من مصادر وثنية فقط. ولذا فإن الشكوك تحوم حول كاتب هذا المقال الذي كُتِب على الأرجح في القرن الثالث[2] عندما كان استخدام أبيات من الشعر اليوناني الزائف شائعًا.

[1] إن اسم الكتاب Περὶ μοναρχίας يعني حرفيًا "عن المَلَكِيَّة".

[2] Cf. G. Bardy, "Justin" *Dict. theol. cath.* 8.2240, and J. M. Semisch, *loc. cit.* 163-167.

محتويات الفصول

١. هدف المقال.

٢. إثبات لوحدانية الله.

٣. الدينونة القادمة في الكتابات الوثنية.

٤. الله لا ترضيه السكائب الوثنية.

٥. بطلان الآلهة الزائفة.

٦. يجب علينا عبادة الله الواحد الحقيقي.

الفصل الأول

على الرغم من أن الطبيعة البشرية منذ البدء قد وُهِبَت نعمة الذكاء والسلام بهدف معرفة الحق وعبادة الله الواحد رب الكل إلّا أن الغيرة وتكبُّر الإنسان دفعاه إلى صناعة الأصنام. وبعد مرور سنوات كثيرة انتقلت هذه الخدعة إلى كثيرين كما لو كانت شيئًا طبيعيًّا وصحيحًا. والإنسان الذي يحب الآخرين ـ أو بالأحرى يحب الله ـ عليه أن يُذكِّر هؤلاء بما يجب أن يعرفوه. لأنه بواسطة هذه الأشياء المخلوقة التي تحت السماء يستطيع الحق ذاته أن يُظهِر تدبير الله الذي خلق تلك الأشياء. وإذ أهمل الناس وصايا الله تمامًا، احتملهم الله بصبر، وأما هم فقد أسبغوا اسم الله الواحد الوحيد على البشر وانتشر هذا المرض حتى أصاب كثيرين، وهؤلاء بسبب عادة عبادة الأصنام هذه كفَّ بصرهم عن رؤية الأمور الأبدية غير المتغيرة. ومنذ العصور الأولى، بدأ الناس في ممارسة طقوس فردية وعامة تكريمًا لزعمائهم مما دفع الأجيال التالية إلى نسيان الإيمان الجامع[٣]. ولكنني سوف استخدم لغة من يُحِب الناس بذهن ممتلئ بحب الله، كما قلت قبلًا، وأضع ما أقول أمام من لهم الحكمة ـ التي يستطيع أن يقتنيها كل مَن يلاحظ نظام هذا الكون ـ لكي يعبدوا الله العالِم بكل الأشياء. وأنا مزمع أن أفعل هذا لا بعبارات رنانة بل بإثبات من الشعر اليوناني القديم ومن كتابات معروفة لدى الجميع. وبهذه الطريقة سوف يظهر من شعرائهم ومؤلفيهم جهل هؤلاء الزعماء الذين سلَّموا عبادة الأصنام إلى الجموع كما لو كانت قانونًا.

---

[٣] أي الإيمان بأن العبادة واجبة للإله الحقيقي وحده.

الفصل الثاني

فلنستمع أولًا إلى إسخيلوس الذي طرَحَ الآراء المختلفة السائدة في زمانه، والذي عبر بالرأي التالي عن وحدانية الله فقال:

"إن الله القدوس بعيد عن البشر
فلا تظن أنه مثلك يرتدي ثياب الجسد.
فالله العظيم غير المعروف
لدودة مثلك يُشبَّه بأشياء كثيرة،
فأحيانًا يبدو كالنار الحارقة لا تطفأ
وأحيانًا أخرى كالماء، وأيضًا يلتحف بطيات الظلام
وحتى الحيوانات تعكس صورته المقدسة،
في حين أن السحب والرياح والأمطار وهدير الرعد
وومضات البرق تعلن للناس عن إلههم
وسيدهم العظيم الذي تنحني أمامه بخشوع
البحار والصخور وكل الينابيع وطوفان المياه
وفيما هم يتفرَّسون في وجهه المخوف
ترتعد الجبال والأرض وأعماق المحيطات
وأعلى قمم التلال لأنه الله كلي القدرة.
هذا هو مجد الله العالي."

ولم يكُن إسخيلوس الوحيد الذي لديه معرفة بالله، لأن سوفوكليس أيضًا قال الآتي عن الله الواحد الوحيد خالق الكل:

"يوجد إله واحد، بالحقيقة لا يوجد إلّا واحد
خالق السماء والأرض الواسعة من تحتها
وأمواج المحيطات العابرة والرياح
ولكن كثيرين منا نحن البشر نخطئ في قلوبنا

ونصنع كعزاء في أحزاننا

تماثيل لآلهة من حجر وخشب

أو منحوتات من النحاس والعاج

ونقدِّم لها مِن صنعة أيدينا

الذبائح والطقوس العظيمة

ونظن أننا نقوم بعمل صالح."

وأيضًا فليمون، الذي كتب كثيرًا عن العادات القديمة، أعطى دليلًا على معرفته للحقيقة عندما كتب قائلاً:

"قولوا لي أية أفكار ينبغي أن تكون لنا عن الله؟

فكر واحد، أنه يرى كل الأشياء مع أنه لا يُرى"

حتى أورفيوس الذي أقام ثلاثمئة وستين إلهًا يشهد لما أقوله لأنه في كتابه المُسمَّى "العهود" (Diathecae) يبدي توبة عن خطئه الأول عندما كتب يقول:

"إنني أتحدث لمن يحق لهم أن يسمعوا

أما غيرهم من المجدفين فليغلقوا الأبواب

وأنت يا موسايوس استمع لي

لأنك مولود من القمر باعث النور.

إن الكلمات التي أقولها لك الآن هي صادقة حقًّا

ولا تدع آرائي السابقة تسلبك

الحياة المباركة بل بالأحرى حوِّل أعماق قلبك

إلى ذلك المكان حيث يسكن النور والمعرفة.

اتَّخِذ مِن الكلمة الإلهية مرشدًا لخطواتك

وإذ أنت سائر في طريق مستقيم

انظر إلى الملك الواحد، ملك الكون،

الواحد، الذاتي، الوحيد

الذي منه نشأت كل الأشياء ونحن أيضًا.
كل الأشياء مكشوفة أمام نظرته الفاحصة
بينما هو ذاته يظل غير مرئيٌ
حاضر في كل أعماله مع أننا لا نراه،
يعطي البشر الشر من الخير
مرسلًا لهم الحروب المفزعة والأحزان المدمعة،
ولا يوجد غير الملك العظيم وحده
تستقر السحب حول عرشه إلى الأبد،
حدقات العيون عند البشر
ضعيفة فلا ترى زيوس الذي ملك على الكل.
فهو يجلس مستقرًا على عرشه في السماوات النحاسية
وبقدميه يطأ الأرض في الأسفل، وتمتد يمينه
إلى أقاصي البحار وحوله ترتعد الجبال
والأنهار وأيضا أعماق البحار الزرقاء البيضاء".

حقًا، إن الشاعر يعبِّر عن نفسه كما لو كان قد رأى جلال الله بعينه. وقد شهد فيثاغوراس أيضًا بالمعنى ذاته عندما كتب يقول:

هل يتجاسر أحد أن يقول انظروا أنا هو الله
سوى الواحد الأبدي غير المحدود،
دعوه يأتي مِن العرش الذي اغتصبه
ويظهر قوته ويصنع عالمًا آخر
مثل ذاك الذي نعيش فيه قائلًا هذا مِلكي
ليس ذلك فقط بل دعوه يسكن في
هذا العالم الجديد إلى الأبد. وإن استطاع هذا
فليُعلن حينئذ أنه حقًا إله".

الفصل الثالث

وأستطيع أيضًا أن أُورِد مِن كتاباتكم ما يدل على أن الله وحده هو مِن يقدر أن يدين الإنسان على أعماله وعدم معرفته لله في هذه الحياة. استمعوا إلى سوفوكليس الذي يقول:

"زمن الأزمنة هذا سيأتي بالتأكيد
حين يسقط من السماء الذهبية
كنز مشتعل وفي النار ستحترق كل الأشياء
مما في الأرض وما في السماء
ثم بعد انحلال كل الخليقة
وبعد انتهاء آخر أمواج البحر على الشاطئ
تتجرد الأشجار من أوراقها ويكف الهواء
عن حمل أي شيء على أجنحته
يوجد طريقان إلى الآخرة نعرفهما جيدًا
أحدهما للأبرار والآخر للأشرار
كلٌّ إلى مصيره خلاف الآخر
والذي دمَّر كل الأشياء يقدر أن يُخلِّص كل الأشياء".

ويقول فليمون[4]:

"هل تظن يا نيكوستراتوس أن الأموات
الذين تمتَّعوا هنا على الأرض بكل ما تقدِّمه
الحياة مِن خيرات لن يلحظهم الله
كما لو كان قد نسيهم؟
كلا، فعين العدالة تراقب الكل
لأنه إذا كان الأبرار والأشرار يلقون نفس المصير

---

[4] بعض النقاد ينسبون هذه الأبيات إلى ديفيلوس (Diphilus).

فلتذهب لتسلب وتسرق وتنهب كما تشاء
وتفعل كل الشر الذي يروق لك
ولكن لا تنخدع، لأن في أسفل الأرض
يوجد عرش ومكان مُقامٌ للدينونة
الذي سيشغله الله رب الكل
صاحب الاسم المخوف الذي لن أتجاسر
أن أتلفظ به في حديث بشري ضعيف".
ويقول يوريبيديس[°]:
"هو يُعطي بسماحة فرصة للحياة
حتى نُحاكَم نحن الأحياء بعدل
وإن فكَّر إنسان ما أن يُخفي
ذنب يومه عن عين الله الفاحصة
فهذا فكر شرير لأنه إذا التقى
بالعدل صدفةً سوف يطالَب به
كسجين للعدالة. ولكن الكثير منكم
يسرعون في ارتكاب خطية مزدوِجة
ويقولون إنه لا يوجد إله
مع أنه يوجد، يوجد. فانظروا إذن
فإن الشرير الذي يُفلِح في شره
عليه أن يفتدي الوقت الثمين
لئلا ينتظره جزاء مِن عقوبة يستحقها".

° ينسب ق. كليمندس السكندري هذه الأبيات إلى ديفيلوس.

الفصل الرابع

فليمون[٦] أيضًا يشهد لي أن الله لا تُرضيه تقدمات وبخور الخطاة بل يجازي كل واحد بعدل. وها هي كلماته:

"إن ظن أحد يا بامفيلوس أنه
بذبيحة ثيران أو ماعز
فبحق زيوس ليس شيء من هذه الأشياء
أو تقديم رداء ذهب أو أرجوان
أو تماثيل من عاج أو جواهر كريمة
يسر الله، فهو مخطئ، مظهرًا أنه أحمق
بل فليكن بالأحرى صالحًا ومفيدًا
لا يرتكب سرقة أو أعمالًا شهوانية
ولا يرتكب جريمة نكراء لأجل ثروات العالم
ولا يشتهي امرأة رجل أو طفله
أو منزله الفخم أو ممتلكاته الوفيرة
أو ابنته أو عبده المولود في بيته
ولا يشتهي أيضًا خيوله أو مواشيه وأبقاره
لا بل لا يشتهي حتى دبوسًا يا بامفيلوس
لأن الله القريب منك يرى كل ما تفعله
فهو دائم الغضب على الشرير
ولكن مسرته لا تزال في البار
فيدعه يحصد ثمرة تعبه
والتمتع بما كسبه بعرق جبينه

---

٦ ينسب كل من ق. كليمندس السكندري ويوسابيوس هذه الأبيات إلى ميناندر (Menander)، بينما يعتقد بعض النقاد المعاصرون أنها أبيات مزيفة.

وبما أنك بار فاحرص على الوفاء بنذورك
والوفاء نحو الله مانح العطايا.
ضع زينتك ليس في مظاهر خارجية
بل في نقاوة القلب من الداخل
فإذا سمعت الرعد حينئذ لا تَخَف
ولا تَرهَب، يا سيدي، مِن صوته
لأنك لست مُثْقَلًا بارتكاب عمل شرير
والله القريب منك يرى كل ما تفعله".

وحتى أفلاطون في كتابه "طيمايوس" يقول: "لو أن أحدًا حاول القيام بدراسة عميقة لهذه الأمور، سيعجز عن إدراك ذلك الفرق الهائل بين الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية لأن الله قادر على جمع أشياء كثيرة في واحد وإعادة الواحد إلى أشياء كثيرة - فهذه هي معرفته وقدرته - ولكن لا يوجد إنسان، ولن يوجد، يستطيع أن يعمل هذه الأعمال"[7].

الفصل الخامس

ويتحدث ميناندر في قصيدته "أوريجا" (Auriga) عن أولئك الذين يعتقدون بأنه ينبغي أن يُدعَى عليهم اسم الله القدوس وفقًا لتقليد باطل كما لو كانوا آلهة فيقول:

"إذا كان يوجد إله يمشي
مع امرأة عجوز أو يدخل خفيَةً
إلى البيوت من أبواب موارية
هذا لا يمكنه إرضائي، لا بل فقط
ذاك الذي يمكث في البيت هو إله بار وعادل
معطيا خلاصًا لمن يعبده."

---

[7] *Timaeus* p. 68, D.

ويقول ميناندر هذا في قصيدته "ساكردوس" (Sacerdos) :

"أيتها المرأة، لا يوجد إله يستطيع أن يخلِّص

إنسانًا بآخر. وإذا استطاع أن يسحر إلهًا

برنين الصنوج أينما شاء، فالذي يصنع هذا

هو بالتأكيد الإله الأعظم

ولكن هذه يا روضة هي حيل ماكرة من قِبَل

متآمرين جسورين لا حياء لهم

يصنعونها لكسب العيش

وبذلك يصيرون أضحوكة زمنهم".

وقد أثبَتَ ميناندر أن الذين يعتبرهم الناس آلهة ليسوا آلهة على الإطلاق:

"نعم، إن كنت أنا أبصرت هذا لتمنيت

أن تعود نفسي إليَّ.

فقل لي يا جيتاس هل من الممكن

أن نجد في العالم آلهةً أبرارًا؟"

وفي قصيدة "المخزون" (Depositum) يقول:

"حتى الآلهة يمكن أن تُصدِر على ما يبدو أحكامًا ظالمة".

ويشهد يوريبيديس كاتب التراجيديا في "أورستيس" (Orestes) قائلاً:

"بعد أن تسبب أبوللو بأوامره

في قتل أمه، لم يعرف معنى

الأمانة والعدالة.

نحن نخدم الآلهة أيًا كانوا

ولكن من وسط الأرض ترى

أبوللو يعطي جوابًا واضحًا

للبشر ومهما يقُل نفعله.
لقد أطعته. عندما سقطَتْ مقتولة بيديَّ
مَن قد حملَتْني في بطنها،
فهو الشرير. إذن اقتلوه لأنه
هو الذي أخطأ وليس أنا.
ماذا كنت أفعل؟ أتظن أن
الإله يجب أن يعفيني من ذنبي؟"

وفي "هيبوليتس" (Hippolytus) يقول يوريبيديس: "ولكن الآلهة لا يحكمون بالعدل في هذه الأمور". وفي "إيون" (Ion) يقول:

"ماذا يعنيني من جهة ابنة
أريكتيوس لأن هذا لا يخص مَن هو
مثلي. ولكن عندما أجيء
بآنية ذهب مِن أجل التقدمات
سأكثر الندى مع أني يجب أن
أحذِّر أبوللو من أعماله لأنه
عندما يتزوج من عذارى بالقوة
فهو يتزوج الأطفال الذين ينجبهم
ويهملهم عند موتهم. ليس هكذا أنت.
فبينما تسلك في الفضائل تقوم
الآلهة بمعاقبة الناس الأشرار.
كيف يحق لكم أنتم الذين شرَّعتُم
القوانين لإرشاد الناس أن تعيشوا في الإثم؟
وبما أنكم غائبون سأتكلم بصراحة
فأنتما قد أبديتما رضى عن الزواج
الذي تم بالإجبار يا بوسيدون وزيوس

اللذان تسودان على السماء.
أنتما أفرغتما المعابد في حين تجازيان عن الظلم
ورغم مدحكما للأبرار مدحًا عظيمًا
فأنتما تملآن أيديكما بفعل الشر.
فلا يحق لوم الناس عن شر
إذا كانوا يحاكون آثام الآلهة
لا، بل فليصر معلموهم أشرارًا".

وفي "أرخلاوس" (Archelaus) يقول يوربيديس "كثيرًا يا بنيَّ ما يحيِّر الآلهة جنس البشر". ويقول أيضًا في "بليروفون" (Bellerophon): "إنهم ليسوا آلهة أولئك الذين لا يفعلون البر." وفي نص آخر من المسرحية ذاتها يقول:

"الآلهة تملك بالتأكيد في السماء، هذا ما يقوله البعض
ولكن هذا باطل، نعم باطل. وليت هؤلاء
الذين يقولون هكذا لا يستخدمون
التقليد القديم بحماقة ولا ينتبهون
إلى كلامي بل بعين صافية ينظرون
إلى الأمر في وضوح النور.
فإن القوة المُطلَقة تسلب الناس الحياة
والممتلكات، تعتدي على الإيمان المعهود
ولا تستثني حتى المدن بل بيد ثقيلة
تنهبها وتدمرها بلا رحمة.
وهؤلاء الذين يفعلون هذا يلقون نجاحًا
أكثر ممن يحيون حياة هادئة تقية.
وأنا أعرف مدنًا صغيره تبجِّل الآلهة
تنحني بخضوع أمام الرماح الكثيرة

التي لمدن كبيرة غير تقية.
نعم، إذا تكاسل أحد ولم يعمل بيديه
ليكسب رزقه بل صلى إلى الآلهة
فسيعلم سريعا ما إذا
كانوا سيمنعون عنه المصائب".
ويقول ميناندر في "ديفيلوس" (Diphilus):
"ولذا نحن نقدِّم التسبيح والتمجيد العظيم
لمن هو أبو الكل و رب الكل
خالق جنس البشر وحده وحافظه
الذي بخيرات كثيرة ملأ الأرض"[٨].
وأيضا في "بسكاتورس" (Piscatores) يقول ميناندر:
"إنني أري أن من يُقيْت حياتي
هو الله، فهو الذي مِن عادته أن
يسد أعواز الناس ولا يحتاج
من أيدينا إلى موارد جديدة لأنه
هو الكل في الكل".
وفي "فراترس" (Fratres) يقول:
"الله هو كلي المعرفة لمن هم
أبرار، هكذا اعتقد الحكماء".
وفي "تيبسيناي" (Tibicinae) يقول:
"العقل الحَسَن يجد معبدًا في كل الأشياء
ليسجد فيه. لأن ما هو العقل
إلّا صوت الله الذي وُضِع فينا؟"

---

[٨] هذا النص غير موجود في كتابات ميناندر، ولكن ق. كليمندس السكندري يقول إن هذه الأبيات هي لديفيلوس.

ويقول كاتب التراجيديا في "فريكسوس" (Phrixus):

"إذا كان الأبرار والأشرار
يلقون نفس المصير، كيف
يكون من العدل لو أن زيوس
وهو الأفضل، لا يحكم بالعدل؟"

وفي "فيلوكتيتس" (Philoctetes) يقول:

"انظروا كيف أن الكسب الشريف
له قَدرَه حتى عند الآلهة.
ممدوح هو الذي مقدساته مُرصَّعة
بالذهب الأصفر. ماذا إذن
يمنعك من الكسب الحَسَن لأنه
خير لنا أن نصير مثل الآلهة؟"

وفي "هيكوبا" (Hecuba):

"يا زيوس، أيَّما كنت، الذي
تعجز كل معرفة عنك سوى بالكلمة
يا زيوس، سواء كنت ضرورة
قصوى، أو كنت عقل الإنسان
فإنني أسجد لك".

الفصل السادس

هوذا إذن دليل على الفضيلة والعقل الفطن، والعودة إلى تلك النعمة المزدوجة أي ممارسة الحكمة التي للخلاص واختيار ما هو حَسَن طبقًا لإرادة الإنسان الحرة. ولا نظن أن الذين لهم مشاعر بشرية هم أسياد الكل في حين أنهم يفتقرون إلى القوة التي يمتلكها أناس آخرون. حقًا، في كتابات هوميروس يدَّعي "ديمودوكوس"

(Demodocus) أنه علَّم نفسه بنفسه حينما يقول "الله قد ألهمني بالألحان"[9] على الرغم من أنه إنسان. وتعلَّم أسكلِبيوس وأبوللو فن الشفاء من خيرون القنطور[10] (Chiron the Centaur) فما هذا الابتكار الجديد أن يتعلم الآلهة من إنسان؟ وهل أذكر ديونيسوس الذي يدَّعي الشاعر أنه مجنون، أو هرقل الذي يقول الشاعر إنه بائس؟ هل أذكر أريس وأفروديت معلِّما الزنا؟ هل بواسطة جميع هؤلاء أُقدِّم دليلًا على ما أريد إثباته لكم؟ إنْ حاول أحد عن جهل محاكاة أعمال هؤلاء المَدعُوين آلهة فسوف يُقال عنه إنه آثم منبوذ مِن المجتمع. أما إذا حاول ذلك عن معرفة فإنه سيهرب من القصاص بقوله أنه ليس من الإثم القيام بأعمال شبيهة بأعمال الآلهة. وإن أراد أحد أن ينتقد هذه الأعمال فسوف لن يلصقها بأسماء [الآلهة] المشهورة ولن يجد لها تفسيرات معقولة أو مقبولة ظاهريًّا. ولذا ينبغي علينا أن نقبل الاسم الحقيقي غير المتغير[11]، ذلك الاسم المعُلَن ليس فقط بواسطتي بل أيضا بواسطة معلمينا الأولين. نعم، لا بد أن نقبل هذا الاسم وإلّا بتكاسلنا الآن سنظل جاهلين للمجد السمائي، وأيضا سنُظهِر أنفسنا كشعب جاحد ناكر للجميل، وعلى هذا سوف نُقدِّم حسابًا أمام الديان الأبدي.

---

[9] *Odyssey* 22.347.

[10] القنطور هو كائن خرافي ورد ذكره في الأساطير اليونانية نصفه إنسان ونصفه الآخر حصان.

[11] الذي لربنا يسوع المسيح.

شذرات من
الكتاب المفقود
للقديس يوستينوس
عن القيامة

محتويات الفصول

الفصل الأول

إن كلمة الحق حرة وسلطتها تنبع مِن ذاتها، وهي أكبر مِن أن تقع تحت طائلة المجادلات البارعة أو الفحص المنطقي مِن قِبَل سامعيها. ولكن ينبغي تصديقها لما فيها مِن نبلٍ والثقة في الرب الذي أرسلها. إن كلمة الحق مُرسَلَة من الله، والحرية التي تنبع منها ليست حرية متعالية؛ فسلطان مُرسلها يجعل مِن غير اللائق أن تحتاج إلى إثبات؛ فالرب الذي أرسلها هو ذاته الإثبات. فكل إثبات هو أقوى وأكثر مصداقية مما يُثبِته، فعندما يتم تقديم الدليل على أمر مشكوك فيه يكتسب عندئذ المصداقية مِن الدليل عليه ويصبح أمرًا يقينيًّا. إلّا أنه ليس شيئًا أكثر قوة ومصداقية مِن الحق؛ أما مَن يطالب بدليل على ذلك الحق فهو أشبه بمن يطالب بدليل على ما يبدو ظاهرًا وجَلِيًّا للحواس. فالأمور المنطقية يمكن اختبارها عن طريق الحواس، أما الحواس فلا يمكن اختبارها في ذاتها. وبناءً عليه فإننا نُحيل ما يُريد العقل إثباته إلى اختبار الحواس التي بها نحكم على ماهية الأشياء، صحيحة كانت أو خاطئة، ثم نعطي مصداقية كاملة لما ينتج عن الاختبار الحسِّي فلا تكون هناك مجادلة او نقاش بعد ذلك. وهكذا أيضًا نُحيل كل ما يخص العالم والإنسان إلى الحق، وبالحق نحكم ما إذا كان لتلك الأشياء قيمة أم لا. وأما كلمات الحق فلا نحكم عليها بحكم مُجَّرد لأنها هي كافية لإعطاء المصداقية لأحكامها. والرب أبو الكون والمدبر الأعظم هو الحق، والكلمة، ابنه يسوع المسيح، الذي تجسد لأجلنا مُعلنًا لنا ذاته والآب أيضًا، ومعطيًا إيانا في شخصه قيامة من الأموات وحياة أبدية. هذا هو سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح. وهو يحمل في ذاته الإيمان والدليل على ذاته وعلى كل شيء آخر. ومَن يتبعه ويؤمن به ويعرفه

كدليل في ذاته سيجد راحة فيه. غير أن عدو الخير لا يلبث أن يقاوم ذلك الايمان ويغري الكثيرين بالانحراف عن الايمان السليم ويمنع غير المؤمنين عن الإيمان؛ لذا يبدو لي أنه بات من الضروري أننا نحن - المُسلَّحين بالايمان القويم - نحارب عدو الخير دفاعًا عن الضعفاء.

الفصل الثاني

إن من يتبنّون الاعتقاد الخاطئ بأن الجسد لا يمكن أن يقوم، يُرجِعون ذلك إلى فساد وتحلُّل الجسد البشري، وأنه لا يمكن بعد تحلله أن يقوم بهيئته السابقة. وهم يعتقدون أيضًا أن قيامة الجسد ليست أمرًا حسنًا، موجِّهين بذلك إهانةً للجسد البشري مدللين على ذلك بما يتسم به الجسد مِن ضعفات وآلام ومُدَّعين أن الجسد هو مجرد مصدر للخطية والضعف، ويقولون إن قيامته تعني إحياء خطايانا وضعفاتنا السابقة. ويشرحون آراءهم المعقدة بأن قيامة الجسد تعني إما قيامته كسابق عهده بكل أعضائه وضعفاته أو أن يقوم ناقصًا. إلّا أن قيامة أعضائه الناقصة تعني نقص قدرة الرب الذي خلَّص بعض أجزاء الجسد ولم يخلِّص الأجزاء الأخرى، فإذا خلَّص الرب الجسد كله سيقوم بكامل أعضائه المختلفة. ولكن أ ليس مِن غير المعقول أن نقول إن كل تلك الأعضاء ستتواجد في الجسد بعد القيامة في الوقت الذي يقول فيه المخلص "لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون بل يكونون كملائكة الله في السماء" (مر ١٢: ٢٥)؟ ومِن المعروف أن الملائكة لا أجساد لهم، كما أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يمارسون العلاقة الجنسية، وبناء على ذلك [بحسب رأيهم] فإنه لن يكون هناك قيامة للجسد البشري. إن مثل تلك المجادلات ليست سوى وسيلة لتشتيت المؤمنين وزعزعة إيمانهم. ومنهم مِن يقول إن السيد المسيح حين قام كان مجرد روح وليس بالجسد وإن الجسد

الذي ظهر به لم يكن سوى مظهرٍ خارجيٍّ، فهؤلاء يحرمون الجسد مِن الوعد [بالحياة الأبدية]. وسنبدأ بالرد على تلك الاعتراضات التي تبدو غير قابلة للحل وبعد ذلك نعطي الدلائل الدامغة على أن الجسد يشارك [الروح] في الخلاص.

الفصل الثالث

هم يقولون إن قيامة الجسد بكامل أعضائه تعني أن تلك الأعضاء سوف تقوم بذات الوظائف التي كانت تقوم بها [قبل الموت] أي أن الرحم سوف يحمل الأطفال، وكذلك الأعضاء التناسلية سوف تقوم بنفس وظيفتها في التناسل، وكذلك سائر الأعضاء الأخرى. وترتكز تلك المجادلة على هذا الاعتقاد الأوحد، الذي إذا تم إثبات بطلانه فإنه سيهدم ذلك الجدال مِن الأساس. فإنه لمِن الواضح أن قيام أعضاء الجسد بوظائف مُحَّددة في الحياة الحالية لا يعني بالضرورة أن تلك الأعضاء كانت تقوم بنفس الوظائف منذ البداية. وسنضرب مثلًا ليجعل الأمر أكثر وضوحًا، فوظيفة رحم المرأة هي حمل الأطفال، ووظيفة العضو الذكري أن يجعل المرأة حاملًا. وبالرغم مِن أن تلك الأعضاء لها تلك الوظائف إلا أن البعض لا يقوم بها؛ إذ إننا نرى أن هناك الكثير مِن النساء اللائي لا يحملن لإصابتهن بالعقم رغم أن الرحم كعضو موجود لديهن كسائر النساء، إذن فالحمل ليس النتيجة اللازمة والحتمية لوجود عضو الرحم. وكذلك نرى نساءً غير مصابات بالعقم ولكنهن يمتنعن عن ممارسة الجنس ويبقين عذارى سواء منذ بداية حياتهن أو في وقت معين. كذلك هناك الرجال يبقون أنفسهم متعففين سواء بعدم الزواج أو بالامتناع عن الممارسة الجنسية لفترة معينة بعد الزواج اعتقادًا منهم أن الشهوة إذا تحكمت في علاقة الزواج ستدمره. كما أن بعض الحيوانات الأقل مكانة عن الإنسان

كالبغال رغم وجود الرحم في إناثها فهي لا تحمل ولا تنجب ولا تقوم البغال الذكور بوظيفة حفظ النوع. وهكذا في كلتا الحالتين؛ من الناس والحيوانات غير العاقلة فإن الوظيفة الجنسية للأعضاء قد انتفت حتى قبل وقت القيامة. كما أن ربنا يسوع المسيح قد وُلِد من عذراء ليُثبِت للعالم البشري أن الانجاب مِن الممكن أن يحدث بدون وجود الشهوات الدنيئة، وأن عملية الخلق وتكوين الإنسان ممكنة عند الله بدون تدخل بشري. ثم بعد ولادته خضع السيد المسيح لبعض قوانين الجسد البشري كالجوع والعطش والملبس والتي بدونها يفنى الجسد، أما ما لم يخضع له يسوع المسيح قط فكانت الشهوة لأن غيابها لا يضر الجسد البشري في شيء. فإن حرمان الجسد مِن المأكل والمشرب والملبس مِن شأنه تدمير الجسد، أما غياب العلاقة الجنسية فلا يضير الجسد في شيء. كما أن السيد المسيح قال إنه في القيامة ستبطل وظيفة الجنس حين قال "أبناء هذا الدهر يزوِّجون ويتزوجون. ولكن الذين حُسِبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات، لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون؛ إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً؛ لأنهم مثل الملائكة" (لو ٢٠: ٣٤، ٣٥) إذن فاندهاش غير المؤمنين مِن تحُرر الأعضاء الجسدية مِن وظائفها الدنيوية غير مُبرَّر نظرًا لأن تلك الوظائف تنتفي في أحيان كثيرة في عالمنا الحالي.

الفصل الرابع

إنهم يزعمون أن الجسد سوف يقوم بنفس الحالة التي كان عليها عندما رقد؛ فعلى سبيل المثال إذا كان الجسد فاقدًا أحد أعضائه كعين أو ساق فإنه سيقوم بالضرورة فاقدًا نفس العضو. فكم هي عمياء قلوبهم! أ لم يروا العميان يبصرون والعرج يمشون بقوة كلمة الله. فكل ما فعله السيد المسيح لم يكن تحقيقًا للنبوءات

التي قيلت عنه في العهد القديم فحسب " العُمي يُبصِرون، والعُرج يَمشون" (إش ٣٥: ٥) إنما أيضًا ليؤكِّد أنه في القيامة سيقوم الجسد صحيحًا خاليًا مِن أيَّة تشوُّهات أو نقص. إن كان قد شفى الأجساد مِن أمراضها على الأرض وأعاد الأجساد صحيحة، فكم بالأحرى في القيامة ستقوم الأجساد صحيحة وخالية مِن أية عيوب. وبهذه الطريقة سوف يتم التغلب على الصعاب التي لدى هؤلاء الناس [في فهم القيامة].

الفصل الخامس

يدَّعي بعض مَن يعترضون على قيامة الجسد البشري بأن ذلك مستحيل، والبعض الآخر يرون أن حقارة الجسد البشري ودناءته لا تجعله أهلًا للقيامة ولا يصلُح أن يُقيمَه الله، ويقول آخرون إن الله لم يُعطِ وعدًا بقيامة الجسد منذ البداية. أما الادعاء الأول فلا ينُم سوى عن جهل قائليه الذين يَدْعون أنفسهم مؤمنين وهم أكثر ابتعادًا عن الإيمان مِن الوثنيين الذين يؤمنون أن أصنامهم قادرة على صنع العجائب، فالشاعر هوميروس كان يردد "إن الآلهة قادرة على صنع كل شيء بسهولة"[1] وقد أضاف كلمة "بسهولة" ليؤكِّد على قوة تلك الأصنام. فإذا كان عابدو الأصنام يؤمنون بقوة آلهتهم المصنوعة مِن حجارة والتي كما يقول عنها الكتاب "لهم أعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون"[2]، ويؤمنون أنها تستطيع أن تصنع كل الأشياء، بالرغم مِن أنها مجرد شياطين كما يقول الكتاب: "كل آلهة الأمم شياطين"[3]. فالأولى أن نؤمن نحن إيمانًا حقيقيًّا سليمًا بإلهنا؛ إذ لدينا أدلة [على قدرته] في خَلقِه آدم الإنسان الأول في البدء مِن

---

[1] *Odyssey* 2.304.

[2] مز ١٣٤: ١٦، ١٧ (في البيروتية مز ١٣٥: ١٦، ١٧).

[3] مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥).

الأرض، وهو دليل كافٍ على قوة الله. ومن يلاحظون الأمور جيدًا سيدركون تتابُع أجيال البشر عن طريق التناسل، ويتعجبون كيف أنه من نقطة صغيرة يتشكَّل كائن حي بديع مثل الإنسان، وهذه كلها أدلة كافية ودامغة على قوة وقدرة الله، وهذه كانت وعود الله التي لم نكن لنصدقها إن لم تكُن قد تحقَّقت ورأيناها بأعيننا على أرض الواقع. وحتى فيما يتعلق بالقيامة فقد أرانا المُخلِّص [بقيامته] أن القيامة هي أمر حقيقي. وسوف نتحدث عن قيامته بعد قليل؛ إذ إننا نتحدَّث الآن عن أن قيامة الجسد ممكنة ونقدِّم اعتذارًا لأبناء الكنيسة لأننا سنستند إلى أدلة من الطبيعة ومن علوم غير مسيحية: أولًا لأنه ليس شيئًا غريبًا عن الله ولا العالم ذاته، وثانيًا لأننا نخاطب في المقام الأول غير المؤمنين. فمناقشتنا مع المؤمنين سوف يكفيها القول بأن هذا هو إيماننا، ولكننا سنلجأ إلى استعراض البراهين الكافية لإقناع غير المؤمنين بإمكانية قيامة الجسد، ونظرًا لأنهم لن يصدِّقوا براهين الإيمان فسوف نسوق لهم براهين عدم إيمانهم، أي البراهين الماديَّة فإذا لم يقتنعوا بالدلائل الإيمانية أو المادية فلا يسعنا تجاههم سوى الاهمال.

الفصل السادس

إن بعض فلاسفة الطبيعة أمثال أفلاطون يقولون بأن الكون يتكوَّن من المادة والله؛ في حين يرى البعض الآخر كإبيقور وأتباعه أن الكون عبارة عن ذرات في الفراغ، ويرى الرواقيون أن الكون يتكوَّن مِن أربعة عناصر هي الماء والهواء والنار والتراب. ويقول أفلاطون إن كل الأشياء قد صُنِعَت مِن المادة بواسطة الله، وبتصميمه. أما أبيقور وأتباعه فيرون أن كل الأشياء مصنوعة مِن ذرات تدور في الفضاء بطريقة منظمة ذاتيًا مصدرها الحركة الطبيعية للأجسام.

ويرى الرواقيون أن كل الأشياء مصنوعة مِن العناصر الأربعة التي يتواجد الله فيها. ورغم اختلافهم فإن هناك نقاط يتفقون فيها مثل عدم إمكانية خَلْق شيء مِن العدم، وعدم إمكانية تحوُّل شيء إلى شيء آخر لم يكن له وجود منذ البداية، وأن العناصر الأساسية لا يُمكن تدميرها وهي أصل الأشياء. وبالتالي فإن قيامة الجسد ـ تبعًا للنقاط السابق ذكرها ـ تبدو ممكنة. فالكون بالنسبة لأفلاطون، على سبيل المثال، يتكون مِن الله والمادة وكلاهما غير قابل للفناء، فالله هو الفَخَّاري الأعظم، والمادة هي الطمي الذي يتشكل كيفما أراد فيصبح تمثالاً أو صورة، فالتمثال أو الصورة قابلة للتدمير أما المادة الأصلية ـ أي الطمي ـ لا يمكن تدميرها وفي هذه الحالة يمكن للفَخَّاري أن يعيد تشكيل التمثال بعد تدميره باستخدام نفس المادة. وبناءً على ذلك فليس بالعسير على الله الذي هو في حد ذاته أصل كل الأشياء ان يُقيم الجسد الذي خلقه كما كان في سابق عهده. وحتى بالنسبة للرواقيين فإن الجسد هو نتاج تلاحم العناصر الأربعة، وعندما يتحلَّل الجسد فإنه يعود إلى تلك العناصر الأربعة مرة أخرى، وهي عناصر أساسية غير قابلة للتدمير، وبالتالي فإنه ليس مِن العسير أن يحدث التلاحم المُكوِّن للجسد مرة أخرى حسب إرادة الله ويعود الجسد كما كان. ومثال ذلك قيام إنسان بصنع تركيب ما من الذهب والفضة والنحاس والقصدير، ثم يقوم بحل هذا التركيب، ولكنه يمكنه، إذا أراد، أن يخلط هذه المواد مرة أخرى ويصنع نفس التركيب ثانيةً. أما في رأي أبيقور فإن الكون يتكوَّن مِن ذرات في الفراغ، ويتبع ذلك بالضرورة أن تلك الذرات مُرتَّبَة ترتيبًا محددًا بحيث تكوِّن كل الأجسام في الكون بما في ذلك الجسد البشري، فإذا تحلَّل الجسد البشري فإنه يعود إلى ذات الذرات التي كوَّنته في البداية، وبالتالي فإن قيامة الجسد ليست مستحيلة عن طريق إعادة

تلك الذرات إلى وضعها وترتيبها السابق كما هو حال الصائغ الذي يقوم بصنع صورة لحيوان من الفسيفساء، وقد تتبعثر تلك الأحجار بفعل الوقت أو بفعل الصائغ ذاته الذي رتَّبها، ولكن لا يزال بمقدوره أن يُعيدها إلى ترتيبها الأول ليصنع الصورة نفسها مرة أخرى. وبعد كل هذه الأدلة ألاَ ترون أن الله يستطيع أن يجمع أعضاء الجسد المُتحلِّلة مرة أخرى ليكوِّن الجسد ذاته كما كان قد خَلَقَه في البدء؟

الفصل السابع

لقد أثبتُّ أن قيامة الجسد ممكنة بالأدلة المادية والعقلية المُقنِعة بالنسبة لأهل هذا العالم. وإن كانت قيامة الجسد غير مستحيلة بالمنطق الأرضي الذي لغير المؤمنين، فكم بالأكثر سيكون هذا [مُقنِعًا] بالنسبة للمؤمنين! والآن يتعين عليَّ حسب الترتيب أن أخاطب هؤلاء الذين يزدرون الجسد البشري ويرونه غير أهل للحياة السمائية ولا للقيامة مُعلِّلين رأيهم بأن المادة الأصلية للجسد البشري هي التراب، كما أن دناءته وشروره يدفعان الروح إلى الوقوع في الخطية. فإن آراء هؤلاء تنم عن جهل بأعمال الله سواء في خلق البشر أو سبب خلق سائر الأشياء في هذا العالم. أ لم يقل الكتاب: "لنصنع الإنسان على صورتنا وشبهنا" (تك ١ : ٢٦)؟ فأي إنسان يقصد الله؟ أ ليس الإنسان الجسداني؟ فالكتاب يقول في سفر التكوين "جبَلَ الرب الإله آدمَ ترابًا مِن الأرض." (تك ٢ : ٧) وبالتالي فإنه مِن الواضح أن الإنسان الذي خلقه الله على صورته كان ذا جسد. ألا يبدو الآن أن ادِّعاء حقارة الجسد البشري هو ادِّعاء غير معقول مِن الناحية المنطقية؟ والدليل على أن الجسد البشري ثمين في عينَيّ الله هو أن هذا الجسد مِن صنع يديه، وأن الصورة ثمينة في عينَيّ الرسام، ولأن الله سخَّر كل ما خلقه لخدمته، وبالتالي فإن الانسان [بصورته الجسدية] هو أثمن ما خلقه الله.

الفصل الثامن

إنهم يدَّعون في مزاعمهم أن الجسد هو أصل الخطية، وهو الذي يدفع الروح للسقوط معه، وبالتالي يلقون عليه وحده مسئولية سقوط كُلًّا من الروح والجسد معًا. ولكن هل يمكن للجسد أن يخطئ وحده بدون ان تُحفِّزه الروح أولاً على الخطية؟ فعلى سبيل المثال نجد أنه إن كان زوج من الثيران تحت النير وتم عتق أحدهما مِن النير فلن يمكن للآخر القيام بعملية الحرث وحده، فهكذا أيضًا لا الجسد ولا الروح يقدر أن يُخطئ إذا ما تم حل الرباط الذي يجمع بينهما. كما أنه إذا كان الجسد وحده هو مصدر الخطية، إذن فقد جاء المُخلِّص مِن أجله وحده حيث يقول الكتاب "لم آتِ لأدعو أبرارًا بل خطاةً إلى التَّوبة" (مر ٢: ١٧) وقد أثبتنا قبلًا أن الجسد البشري ثمين في عينَيّ الله وهو أثمن مخلوقاته، لذا فقد جاء يسوع المسيح لتخليصه من الخطية.

وهنا ننتقل إلى من يقولون بأنه برغم كون الجسد البشري ثمين في عينَيّ الله وهو أثمن ما خلق، فإن ذلك لا يتبعه بالضرورة أن يكون الله قد منحه وعدًا بالقيامة مِن الأموات. ولكن أ ليس مِن الغريب أن ما نُقِرُّ بأنه أثمن مخلوقات الله سوف يتجاهله الله في القيامة ليصبح مصيره إلى العدم؟ فإن كان النحات والرسام يقومان بترميم أعمالهما إذا ما بدأت تضمحل حتى تظل مِن بعدهما مُخلِّدةً أسماءهم، فهل يترك الله أعظم مخلوقاته إلى الفناء؟ فإذا كان الأمر كذلك فهل هذا يعني أن عمل الله كان عبثًا؟ لأنه إن كان باني البيت يرى عمله يضمحل ويفنى ولا يقوم بترميمه وإصلاحه، فإن ذلك لا يعني سوى أنه تعب عبثًا. فهل الله غافل عن تلك الحقيقة؟! لذا فليصمت غير المؤمنين.

ولكن الله في الحقيقة قد دعا الجسد البشري إلى القيامة ووعده

بالحياة الأبدية. فحينما وعد الله الإنسان بالحياة الأبدية فقد دعاه جسدًا روحًا في آن واحد. فالإنسان ليس سوى كائن حي عاقل له جسد وروح. هل يمكن أن تكون الروح وحدها هي الإنسان؟ كلا إنما هي فقط روح الإنسان. وهل يُدعى الجسد وحده إنسان؟ كلا بل يُدعى جسد الإنسان. وحيث إن كُلًّا منهما هو جزء مِن الإنسان، والانسان هو جسدٌ وروح معًا، وقد دعا الله الإنسان إلى القيامة والحياة الأبدية، فالله لم يَدعُ جزءًا وإنما الإنسان بأكمله جسدًا وروحًا. فلا يُمكِن أن يُخلِّص الله جزءًا ويترك الآخر لأن كلاهما يوجدان في كائن واحد ويتشاركان الحالة ذاتها. فإن كنا قد أثبتنا قبلًا أن قيامة الجسد البشري ممكنة وليست مستحيلة فعلى أي أساس يُقيْم الله الروح ويترك الجسد؟ فهل الله ناقم على الجسد؟ حاشا، الله أمين وسوف يخلِّص الانسان جسدًا وروحًا. فعند إعلان الله عن ذاته لم تسمع الروح فقط بيسوع المسيح وآمَنَتْ به بل والجسد أيضًا، وقد غسلهما الله مِن الخطية وأرشدهما إلى طريق البِر. فإذا آمن الإنسان جسدًا وروحًا بالله فهل يختار الله أن يخلِّص الروح ويترك الجسد إلى مصير العدم؟ ألا يجعل ذلك الله إلهًا غير عادل؟ إن مَن ينكرون قيامة الجسد يزعمون أن الروح غير قابل للفساد وهو جزء مِن الله لأنه خرج منه لذا فالله سيخلِّص ما هو له، أما الجسد فهو مُعرَّض للفساد والشرور، وهو ليس جزءًا مِن الله. فإذا كان الأمر كذلك فأيَّة وسيلة لإظهار قوة الله تلك عندما يُخلِّص ما هو مُخَلَّص بالطبيعة والذي هو جزء[٤] منه في الأصل؟ لأن الخلاص يوجد فيه في ذاته، فإذا خلَّص الله الروح فهو لا يقوم بعمل عظيم إذن؛ إذ إن خلاصه حتمي لأنه جزء منه، فأي شكر له وأيَّة قوة هذه؛ إذ إنه بذلك يخلِّص ذاته في المقام الأول؟ لأن الذي يخلِّص جزءًا مِن ذاته، يُخلِّص ذاته ككل، وإن لم

[٤] يقصد الروح الذي نفخه الله في آدم عند خلقه فصار آدم نفسًا حيَّة، انظر تك ٢: ٧.

يفعل هذا فيكون قد عابه التقصير، وهذا ليس ما قد يفعله أي شخص صالح. فإن كان الإنسان الذي يصنع خيرًا مع أولاده لا يُسمَّى خيرًا فأكثر الحيوانات الوحشية تهتم بأولادها، وقد تُعرِّض نفسها للموت إنقاذًا لهم. ولكن إذا قام إنسان بتعريض نفسه للموت مِن أجل عبيده، فإن هذا يجعل ذلك الإنسان صالحًا. وهكذا علمنا ربنا يسوع المسيح أن نُحِب أعداءنا حين قال "وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم؟" (لو ٦: ٣٢) وبذلك علمنا السيد المسيح أن عمل المحبة لا يكون لأبناء الله فقط بل لغير المؤمنين أيضًا، وقد أعطى بنفسه مثالا لنا جميعًا[٥].

الفصل التاسع

إن لم يكن الجسد مهمًّا، فلماذا شفى المسيح جسد الإنسان؟ ولماذا أقام موتى؟ ألا يدلُّ ذلك على أن قيامة الجسد واجبة؟ وكيف إذن أقام الموتى؟ بأرواحهم أم بأجسادهم؟ أ لم يكُن واضحًا أنه أقام الموتى بأجسادهم وأرواحهم معًا؟ فإذا كانت القيامة بالروح فقط، أ لم يكن مِن الضروري أن يرى من شهدوا تلك المعجزات الروح قائمة بمفردها والجسد مائتًا بمفرده؟ ولكن المسيح لم يفعل ذلك، بل أقام الجسد والروح معًا مؤكِّدًا على وعده للجسد البشري بالحياة الأبدية. ولماذا قام السيد المسيح بجسده الذي احتمل العذابات إن لم يكن ليؤكد أن القيامة ستكون بالجسد أيضًا؟ وقد أكَّد ذلك أيضًا حين شكَّ تلاميذه في قيامته بالجسد فظهر لهم وقال لهم: " انظروا يديَّ ورجليَّ، إني أنا هو، جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٩) فتركهم يجسونه وأراهم أثر المسامير في يديه، وعندما أثبَتَ لهم بالأدلة القاطعة أنه هو وأنه

---

[٥] من المحتمل أن يكون جزء مِن النص قد فُقِد هنا.

قد قام بجسده سألوه أن يمكث معهم وأن يأكل معهم وقد أكل بالفعل عسلًا بريًا وسمكًا. وبعد أن أثبت لهم أن قيامة الجسد ليست مستحيلة، أراد أن يُظهِر لهم أن صعود الجسد إلى السموات - حيث مسكن الأبرار في الحياة الأبدية - ليس أمرًا مستحيلًا أيضًا "وارتفع إلى السماء وهم ينظرون" (أع ١ : ٩) وكان حينئذ في الجسد. وبعد كل ما ذكرناه إذا كان هناك من لا يزال يشكك في قيامة الجسد، فمثل هذا لا يختلف عن الصدوقيين، حيث إن القيامة هي قوة اللّه وهي تفوق إدراك العقل وتتأكّد بالإيمان وتُرى في أعمال القداسة.

الفصل العاشر

إن القيامة تنحصر في قيامة الجسد الذي مات، فالروح لا تموت وهي تكون بداخل الجسد [وقت حياته] وبدونها لا يحيا الجسد. وعندما تفارق الروح الجسد يصبح مائتًا، فالجسد هو موطن النفس والنفس هي موطن الروح وهؤلاء الثلاثة - حسب إيماننا القوي بيسوع المسيح - سوف يخلصون. وبالنظر إلى المجادلات السابق ذكرها والتي أثبتنا فيها أن قيامة الجسد ممكنة بالإضافة إلى تأكيد الرب بالدلائل القاطعة التي ذُكِرت في الكتاب المقدس أن هناك خلاصًا للجسد البشري، لذا فلماذا ندخل تلك المجادلات الخطيرة والبعيدة عن الإيمان التي تجعلنا نعود عصورًا إلى الوراء بزعمها أن الروح خالدة ولكن الجسد فانٍ وتستحيل قيامته؟ فقد كنا نسمع تلك الآراء مِن فيثاغورس وأفلاطون قبل أن نعرف الحق. فإذا كان السيد المسيح قد جاء ليعبِّر عن تلك الآراء نفسها التي تقول بخلاص الروح فقط، فلماذا إذن جاء، وما البشارة التي أتانا حاملًا إياها أكثر مما قال به فيثاغورس وأفلاطون وأتباعهما؟ إلّا أن السيد المسيح قد جاء حاملًا

إعلان الخلاص للبشرية جمعاء. وذلك مِن خلال تأكيده على أنه لن يجعل عديم الفساد عديم فساد، بل سيجعل الفاسد عديم فساد. غير أن الشيطان لم يقوَ على إفساد الحق، بعث برسله ـ الأشرار الذين يقدمون عقائد فاسدة ـ والذين اختارهم مِن بين صالبي المُخلِّص وهم ممن يحملون اسم المسيح كذبًا، ولكنهم في الحقيقة يعملون أعمال [إبليس] الذي أرسلهم ليدحضوا بشارة المسيح ويجدِّفوا على اسمه. فإذا كان الجسد لا يقوم، فلماذا إذن يحذِّرنا الله مِن أن ننساق وراء نزواته ونلبي شهواته؟ فإذا كان هناك مريض يَئِسَ الأطباء مِن إنقاذه أ فلا يقولون له أن يفعل كل ما يرغب في فعله لأنه قريبًا سيصبح جثة هامدة؟ وهذا ما يفعله الذين يكرهون الجسد ويسلبون منه الوعد بالميراث الأبدي، فهم يحتقرونه لأنه في نظرهم سيصبح مجرد جثة هامدة. ولكن إذا كان طبيبنا وإلهنا المسيح قد خلَّصنا مِن شهوات الجسد ونظَّم رغباته من خلال حكمته وناموسه، فهذا دليل دامغ على وعد المسيح للجسد بالخلاص كما هو الحال بالنسبة للطبيب الذي لصالح المريض الذي يأمل في شفائه لا يدعه يفعل كل ما يشتهيه.

الفهرس الموضوعي

التعاليم والأفكار التي تحتويها كتابات ق. يوستينوس

الآب

الأمور الأخروية (الإسخاتولوجية)/ ملكوت الله/ قيامة الأموات/ الدينونة

الترجمة السبعينية

حرية الإرادة

الخلق

المعمودية

الملائكة

النبوءات

اليهود

يوم الأحد

تُقام فيه الإفخارستيا حيث تبدأ بقراءة الأناجيل أو كتابات الأنبياء، ثم العظة، والصلاة، ويقدم الخبز والخمر ويصلي الرئيس صلاة شكر ويرد الشعب آمين ثم تُوزع الإفخارستيا للحاضرين وتُحمل للغائبين ٩٥.

هو اليوم الأول الذي حول الله فيه الظلمة والمادة وخلق العالم ٩٥.

هو اليوم الذي قام فيه المسيح وظهر لتلاميذه ٩٥.

يتم فيه اجتماع لكل سكان المدن والضواحي ٩٥.

يقدم فيه الأغنياء تبرعاتهم ٩٥.

إصدارات دار باناريون للنشر والتوزيع

تهدف دار باناريون إلى نشر التراث المسيحي من خلال ثلاثة سلاسل متباينة تكمِّل كل منها الأخرى

أولاً: النصوص المسيحية في العصور الأولى

سلسلة تقدِّم النصوص المسيحية في القرون الأولى في شكل أكاديمي غني بالمقدمات والمقارنات والحواشي. يصدرمنها:

١. الآباء الرسوليون — تحت الاعداد

٢. القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد — فبراير ٢٠١٢

٣. التاريخ الرهباني لمصر في القرن الرابع الميلادي — تحت الاعداد

٤. الأنبا شنوده رئيس المتوحدين الجزء الأول — ديسمبر ٢٠٠٩

ثانياً: دراسات عن المسيحية في العصور الأولى

سلسلة تتضمن موضوعات تختص بالمسيحية في العصور الأولى. وهي دراسات 'عرضية' تُقدَّم من خلال تقليد الكنيسة وتراثها الآبائي. صدر منها حتى الآن:

١. الإيمان بالثالوث (ت. ف. تورانس) — نوفمبر ٢٠٠٧

٢. مجمع خلقيدونية إعادة فحص (فِ. سي. صموئيل) — يوليو ٢٠٠٩

٣. تاريخ الأديرة القبطية في الصحراء الغربية (إيفلين هوايت) — تحت الاعداد

ثالثاً: دراسات عن آباء الكنيسة في العصور الأولى

سلسلة تقدِّم دراسات عن آباء الكنيسة. وهي تتناول - بطريقة 'طولية' - كل أب على حدة من خلال استعراض سيرته الذاتية، والأحداث التاريخية والكنسّية في عصره، كما تتناول أيضاً

كتاباته، وتعاليمه اللاهوتية. يصدر منها:

١. علم الباترولوجي (كواستن) الجزء الأول — تحت الإعداد

٢. علم الباترولوجي (كواستن) الجزء الثاني — تحت الترجمة


PANARION
باناريون